المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله؛ أما بعد:

فسنبدأ إن شاء الله بحول الله وقوته بشرح كتاب "التوحيد" للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

هذا الكتاب هو كتابٌ يقرِّر فيه صاحبه عقيدة التوحيد؛ خصوصاً توحيد الألوهية، وهو توحيد العبادة؛ يسمّى توحيد الألوهية، ويسمّى توحيد العبادة، هذا التوحيد حصل فيه خللٌ كبيرٌ في زمن المؤلف رحمه الله، وانتشر الشرك بين الناس؛ لذلك ألّف المؤلّف هذا الكتاب ليبيّن الحق من الباطل، ويبيّن التوحيد الذي بُعثت به الرسل، ويبيّن أيضاً ما يضادّه وما يفسده من الشرك؛ فألّف هذا الكتاب، فتلقّاه العلماء بالقبول، ووجد انتشاراً واسعاً ونفع الله تعالى به.

هذا التوحيد- توحيد الألوهية- هو أحد أقسام التوحيد الثلاثة؛ فالتوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد ربوبية، وتوحيد ألوهية، وتوحيد أسماء وصفات، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

مهمٌّ جداً لطالب العلم أن يعلم أن العلم لا يُنال جملة؛ أي: مرة واحدة؛ بل يُنال بالتدرّج شيئاً فشيئاً، كما قال أحد السلف رضي الله عنهم: "من رام العلم جُملةً؛ ذهب عنه جملة"؛ لذلك العلم ينال شيئاً فشيئاً، وكل فنٍّ من فنون علم الشريعة له طريقته في التدرج، هذا العلم هو علم العقيدة- وعقيدة التوحيد بالذات- له طريقته أيضاً في التدرج؛ فتوحيد العبادة- الألوهية- يُنصَح بأن يبدأ طالب العلم فيه بـ "ثلاثة الأصول"، فإذا أتقن هذا الكتاب؛ أتقن جانباً لا بأس به من توحيد الألوهية ثم بعد ذلك ينتقل إلى كتاب "التوحيد"، وبعض أهل العلم ينصح بـ "القواعد الأربعة" قبل ذلك، وأنا أفضّل أن ينتقل إلى كتاب "التوحيد"؛ ففيه كل ما يحتاج إليه في هذا العلم بالتحديد: علم توحيد الألوهية؛ فهو كتابٌ جامعٌ ونافعٌ

وفيه خير كثير والحمد لله، ثم بعد ذلك يدرس: " كشف الشبهات" وهو كتاب أيضاً نافع في كشف شبهات الصوفية عبدةِ القبور، وكذلك الشيعة، وهم أكثر الطوائف التي عرفت بعبادة القبور؛ فكشف هذه الشبهات وردَّ على شبهات القوم، لكن ينفع للشخص أن يدرسه بعد كتاب "التوحيد"؛ فالصواب أن يعرف الشخص التوحيد أولاً، ثم بعد ذلك يعرف الشبهات التي يوردها أهل الضلال عليه.

ثم بعد ذلك يدرس "نواقض الإسلام"؛ فهو نافع بالنسبة لطالب العلم؛ هكذا يكون التدرج في هذا العلم وهو توحيد الألوهية.

أما العقيدة بصفة عامة: فيدرس طالب العلم: "لمعة الاعتقاد"؛ فيه تطرّقٌ لعقيدة أهل السنة والجماعة بطريقة مختصرة تناسب طالب العلم المبتدئ، ثم بعد ذلك ينتقل إلى "الواسطية" ويدرسها بإتقان، ثم إلى "الطحّاوية"؛ فيكون قد تحصّل على خير كبير في علم الاعتقاد، ومن أراد أن الاستزادة؛ فكتبُ العلم كثيرة كـ "التدمرية" و"الحموية" لابن تيمية رحمه الله تعالى.

ونحن الآن بصدد شرح كتاب "التوحيد"، ويعدُّ الكتاب الثاني من الكتب التي يتدرج بدراستها طالب العلم، وكما ذكرنا: فهذا الكتاب من أنفس الكتب التي بيّنت مسائل توحيد الألوهية؛ بل لعلّه أنفس كتاب أُفرِد لهذا المبحث وهو توحيد الألوهية.

وقبل أن نبدأ بمادّة الكتاب التي معنا؛ نشرح كلمة: " كتاب"، وكلمة: "التوحيد".

كلمة: "كتاب": مادتها مأخوذة من (كَتَبَ) وهذه المادة: -مادة كتب- موضوعة في لغة العرب للجمع والضمّ، فلما جمع مؤلف الكتاب مباحث ومسائل متعلّقة بموضوع واحد؛ سمّى كتابه: كتاباً؛ وهو موضوع التوحيد.

وسُمي الكتاب كتاباً؛ لأنه تُجمع فيه الكلمات والحروف، كما أن كتيبة الجيش تسمّى كتيبة؛ لأنها تجمع أفراداً من الجيش؛ كذلك يسمى الكتاب يسمّى كتاباً؛ لأنه يجمع كلمات وحروف متناسقة مع بعضها تدلّ على موضوع واحد؛ وهذا هو المقصود من الكتاب.

التوحيد: وحّدَ يوحِّد توحيداً، فهو مصدر؛ معناه: أن تجعل الشيء واحداً، فتقول: وحَّدَ القوم كلمتهم؛ أي: جعلوا كلمتهم واحدة وليست متفرقة؛ هذا معنى التوحيد لغةً.

أما المقصود بالتوحيد من الناحية الشرعية: فهو إفراد الله تبارك وتعالى بكل ما يختص به؛ وهذا على سبيل الإجمال.

أما على سبيل التفصيل؛ فتوحيد الله سبحانه وتعالى ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد ربوبية، وتوحيد ألوهية، وتوحيد أسماء وصفات.

فتوحيد الربوبية: إفراد الله تبارك وتعالى بما يختصّ به من الخلق والملك والتدبير؛ أن تعتقد أن الله هو الخالق، الرازق، المدبّر؛ كل هذه الأشياء يختصُّ بها الله؛ هي خاصّة بالله سبحانه وتعالى، لا يشاركه فيها أحد، فإذا اعتقدت أن أحداً يشارك الله سبحانه وتعالى في الخلق- مثلاً-؛ فتكون قد أشركت، يعني نقضتَ التوحيد؛ أفسدت التوحيد؛ لأن خلقَ الخلق خاصٌّ بالله سبحانه وتعالى؛ من الذي خلق السماوات؟ من الذي خلق الأرض؟ من الذي خلق البشر؟ الله سبحانه وتعالى، هل هناك خالق آخر؟ لا يمكن، لا يوجد، هذا الفعل خاصٌّ بالله تبارك وتعالى؛ هذا معنى أن يكون الشيء خاصّاً بالله سبحانه وتعالى.

من أين تعرف أن الشيء خاصٌّ بالله سبحانه وتعالى؟

تعرفه من أدلة الكتاب والسنة التي ستأتي معنا إن شاء الله؛ ستبيّن لك أن الخلق مثلاً خاصٌّ بالله تبارك وتعالى، لا يخلقُ معه غيرُه، كذلك التدبير؛ تدبير هذا الكون والتصرّف فيه، خاص بالله سبحانه وتعالى، والملك؛ فهو مالك ما في هذه السماوات والأرض، الملك التام هذا لله سبحانه وتعالى، خاصٌّ به؛ حتى ما نملكه؛ فنحن وما نملك ملكٌ لله سبحانه وتعالى، هذا الملك التام خاص بالله سبحانه وتعالى؛ فلا يجوز لك أن تعتقد أنه يوجد مالك أو يوجد خالق أو مدبر مع الله سبحانه وتعالى لهذا الكون، إذا اعتقدت ذلك؛ فقد

أشركت معه غيره؛ هذا في توحيد الربوبية: إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والملك والتدبير.

وتوحيد الألوهية الذي هو توحيد العبادة: إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة؛ فعبادتك تكون لله وحده؛ لأن هذا أمرٌ مختصٌّ بالله تبارك وتعالى؛ فتعتقد أن الله سبحانه وتعالى هو فقط الذي يستحق منك العبادة؛ فتكون عبادتك لله خاصة؛ لا تعبد معه غيره، فإذا عبدت معه غيره؛ فقد أشركت معه غيره في عبادتك، في شيء خاصٍّ بالله سبحانه وتعالى.

ما هو هذا الشيء الخاص بالله سبحانه وتعالى؟

هو عبادتك؛ فَتَعَبُّدُك يجب أن يكون لله وحده وألا يكون لغيره معه؛ فتكون موحداً إذا عبدت الله وحده، وتكون مشركاً إذا عبدت غيره معه؛ وهذا الذي يسمى بتوحيد العبادة.

التوحيد الثالث: هو توحيد الأسماء والصفات؛ يعني أن تؤمن بالأسماء التي سمى الله سبحانه وتعالى بها نفسه في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ؛ تؤمن بها وتصدق أنها لله سبحانه وتعالى، بما أنه سمى نفسه بها؛ فتسميه بها، وصف نفسه بها؛ فتصفه بها ولا تنكرها، لا تجحدها، ولا تكذب بها؛ هذا يسمى توحيد الأسماء والصفات.

إذاً التوحيد ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات؛ هذه كلها أشياء يجب أن تخصّ الله سبحانه وتعالى بها، وألا تشرك معه غيره فيها.

هذه الكلمات هي تفسيرٌ لكلمة التوحيد.

فخلاصة الأمر: أن التوحيد هو إفراد الله تبارك وتعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

أو قل: هو إفراد الله تبارك وتعالى بكل ما يختصّ به؛ لكن على سبيل التفصيل أفضل؛ وهي: إفراد الله تبارك وتعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

وحصر التوحيد بهذه الأنواع الثلاثة التي تقدمت؛ أخذناه من استقراء أدلة الكتاب والسنة، يعني بعدما استقرأ العلماء أدلة الكتاب والسنة؛ وجدوا أن ما ورد في الكتاب والسنة من توحيد؛ ورد بهذه الأقسام الثلاثة، وكل هذه الأقسام الثلاثة تجدها في سورة الفاتحة وفي غيرها من السور؛ هذا معنى كتاب التوحيد الذي سنبدأ بشرحه- بإذن الله تبارك وتعالى.

خلاصة ما يريد المؤلف من هذا الكتاب: هو أن تعرف وتفهم أن الناس عندما أنزل الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام إلى الأرض كانوا جميعاً على التوحيد؛ كانوا كلهم يعبدون الله سبحانه وتعالى ولا يعبدون معه غيره، وبقي الناس على هذا الحال إلى عشرة قرون تقريباً، ثم بعد ذلك بدأ الشرك في قوم نوح، فقد كان في قوم نوح قومٌ صالحون- وهذا كله سيأتي معنا إن شاء الله-، عندما مات هؤلاء الصالحون؛ جاء الشيطان قومَ نوح؛ وقال لهم: اصنعوا لهم تماثيل كي تتذكروا عباداتهم وطاعاتهم وتعبدون الله تبارك وتعالى كما كانوا يعبدون؛ ففعلوا وصنعوا لهم تماثيل وجعلوها في نادي القوم- وهو مكان يجتمعون فيه-، ثم بعد ذلك ذهب هذا الجيل وجاء جيل غيره، فجاءهم الشيطان وقال لهم: إن آباءكم كانوا يعبدون هذه التماثيل؛ فعبدوها؛ فبدأ الشرك في العبادة مع الله سبحانه وتعالى.

ثم بعد ذلك انتشر وأخذ يزيد؛ فأرسل الله سبحانه وتعالى الرسل، فكانت دعوة الرسل وأصلها هي التوحيد، عندما جاء النبي ﷺ إلى قومه؛ قال لهم: "يا أيها الناس! قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"(١)، إذاً جاءهم بالتوحيد، قال الله سبحانه وتعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}، فكل رسول جاء إلى أمّته؛ جاء يدعوهم إلى توحيد الله تبارك وتعالى، فأصل دعوة الأنبياء هي التوحيد؛ وهي إخراج الناس من عبادة

(١) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (١٥٩)، وابن حبان في "صحيحه" (٦٥٦٢) عن طارق المحاربي.

الأوثان والقبور والأولياء إلى عبادة الله تبارك وتعالى وحده لا شريك له؛ وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

هذا ما أراده المؤلف رحمه الله؛ بعد أن انتشر الشرك في زمنه- الشرك الذي هو ناقض للتوحيد-، انتشرت عبادة القبور في زمنه؛ أراد أن يبيّن للناس دعوة التوحيد التي جاء بها الرسل بعد أن نُسِيَت، وانحرف الناس عنها، أراد أن يبيّن لهم ماهي الدعوة التي جاء بها النبيّ ﷺ؛ فكان تنوير أبصار الناس على يديه بفضل الله تبارك وتعالى، وأخرج الناس من الشرك إلى التوحيد ونفع الله به نفعاً عظيماً.

إذاً : دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الأساس هي لنشر التوحيد.

ما هو التوحيد؟

هو عبادة الله تبارك وتعالى وحده وترك عبادة غيره؛ هذا ما كان يريده من الناس، وهذا ما دعا الناس إليه؛ ولهذا ألّف هذا الكتاب.

هذا المقصود من التوحيد، وهذا ما أردنا بيانه من معنى كلمة: "كتاب التوحيد ".

قال المصنّف رحمه الله تعالى: (**بسم الله الرحمن الرحيم**)

يبدأ المؤلفون مؤلفاتهم بالبسملة؛ اقتداءً بالنبي ﷺ؛ فقد كان عليه الصلاة والسلام يبدأ رسائله بها؛ لذلك يبدأ المؤلفون بها.

و(بسم الله الرحمن الرحيم) معناها: أبدأ كتابتي بذكر اسم الله تبارك وتعالى.

(الرحمن): وهو اسمٌ لله تبارك وتعالى، يتضمن صفة الرحمة، و(الرحيم) كذلك؛ إلا أن اسم الله الرحمن أوسع معنى من اسم الله الرحيم، يعني الصفة؛ صفة الله الرحمن عامة، وصفة الله الرحيم خاصة بالمؤمنين.

وما يذكره العلماء هنا من أحاديث؛ لا يصح منها شيء، منها: "كل أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع"، أو: "كل أمرٍ ذي بالٍ لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع"، وما شابه من هذه الأحاديث؛ لا يصح منها شيء.

قال المؤلف رحمه الله: (**الحمد لله**)

الحمد: قالوا معناه: وصف المحمود بالكمال محبةً وتعظيماً، يعني: أن تصف الله سبحانه وتعالى بصفات الكمال محبة له وتعظيماً له؛ هذا معنى الحمد لله.

قال المؤلف: (**وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم**)

صلاة الله على نبيه- كما قال أبو العالية الرياحي-: هي ثناؤه عليه عند الملائكة المقربين، قال: ثناؤه عليه في الملأ الأعلى، والملأ الأعلى: هم الملائكة المقربون، (وعلى آله): والآل تطلق على الأقارب وتطلق على الأتباع، فإذا ذكر الصحب مع الآل؛ فيكون المراد بالآل: أهل بيته؛ أي: أقرباؤه من المؤمنين وإذا لم يُذكر الأصحاب؛ فيكون المراد بالآل: أتباعه على

دينه؛ ليشمل الأصحاب والأقارب وغيرهم، وهنا المؤلف لم يذكر الأصحاب؛ فيكون معنى الآل: أتباعه على دينه.

قوله: (وسلم): يعني السلامة؛ يسلّمه من النقائص ومن العيوب.

و(صلى الله): فعل ماضٍ؛ لكن المراد منه الدعاء.

قال المؤلف رحمه الله: (**كتاب التوحيد**)

وقد شرحنا معنى (كتاب التوحيد) فيما تقدّم.

معنى العبادة والتوحيد والشرك

قال المؤلف رحمه الله: (**وقول الله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}**[1])

سيبيّن المؤلف في هذه المقدمة معنى التوحيد؛ فبدأ بهذه الآية:

{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}.

يبيّن الله تبارك وتعالى لنا الحكمة التي من أجلها خلقنا؛ فإنه سبحانه وتعالى لم يخلق الجن والإنس إلا لعبادته؛ أوجدنا لعبادته؛ فما معنى العبادة؟

العبادة في لغة العرب تأتي بمعنى الخضوع والتذلل؛ لذلك يسمى الطريق المعبّد طريقاً معبّداً؛ لأنه مذلّل تدوسه بأريحية.

وتطلق العبادة أيضاً في اللغة: على الطاعة؛ وغير ذلك من المعاني؛ لذلك قال بعض العلماء بأن معنى العبادة: هي الطاعة مع الخضوع والتذلّل، ليست طاعة مجردة؛ بل طاعةٌ مع

---

(١) [الذاريات:٥٦]

خضوعٍ وتذلّل، فأنت إذا أطعت الله سبحانه وتعالى بأداء الصلاة؛ تطيعه وأنت خاضع متذلل له؛ هذا معنى العبادة.

وقال بعض العلماء: العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فكلمة العبادة: اسم يجمع كل ما ذكره هنا؛ كل ما يحبه الله ويرضاه.

أين تجد هذا الذي يحبه الله ويرضاه؟

كل ما شرعه الله في الكتاب والسنة؛ أمرنا به أمر إيجاب أو أمر استحباب، أو نهانا عنه، ففِعلُنا له إذا أمرنا به: طاعة؛ لأن الله سبحانه وتعالى ما أمرنا به إلا وهو يحبه ويرضاه، وتركنا لما نهانا عنه؛ طاعة؛ لأنه ما نهانا عن الشيء إلا لأنه يحب لنا أن نتركه؛ فكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة؛ هذه عبادات؛ فعلك للصلاة عبادة؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أمرك بها في الكتاب والسنة؛ إذاً فهو يحبها ويرضاها؛ هذه عبادة، الصيام عبادة، الزكاة عبادة؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بها، أمرنا بها؛ فمعنى ذلك أنه يحبها ويرضاها.

كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، كقولنا مثلاً "سبحان الله" عبادة، "الحمد لله" عبادة يحبها الله ويرضاها، كيف عرفنا أنه يحبها ويرضاها؟ لأنه أمرنا بها في القرآن أو في السنة.

والأعمال كالصلاة، الظاهرة: عمل ظاهر، الصلاة عمل ظاهر، الحج عمل ظاهر، الزكاة عمل ظاهر.

والباطنة: الأعمال الباطنة؛ كالحب والخوف والرجاء والتوكّل؛ هذه أعمال باطنة؛ أعمال قلبية لا نراها من الشخص؛ هي في قلبه، في داخله؛ فهي أعمال باطنة.

يحبها الله ويرضاها لأنه أمرنا بها؛ أمرنا بمحبته، أمرنا بالخوف منه، أمرنا بالتوكل عليه؛ إذاً هذه أعمال يحبها الله ويرضاها؛ إذاً فكلها عبادات.

فالعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

ونَعرف العبادة بأمر الله تبارك وتعالى لنا بها في القرآن وفي السنة؛ لأنه أمرنا بها في القرآن أو في السنة، بما أنه أمرنا بها؛ فهي عبادة، قربة، طاعة لله سبحانه وتعالى.

الطاعة مع الخضوع والتذلل هذه عبادة.

وقال بعض أهل العلم في تعريف العبادة: هي كمال الخضوع والتذلل مع كمال المحبة والتعظيم.

كماله: أي أقصاه، كمال الخضوع والتذلل، عندما تكون بين يدي الله تبارك وتعالى ساجداً؛ تكون في كمال الخضوع والتذلل لله سبحانه وتعالى، محبة له وتعظيماً؛ إذاً أنت في عبادة؛ هذا معنى كمال الخضوع والتذلل مع كمال المحبة والتعظيم؛ وهذا معنى العبادة.

إذاً خلقنا الله تبارك وتعالى لنعبده، نعبده بماذا؟ بما شرع، نطيعه خضوعاً وتذللاً ومحبة وتعظيماً له تبارك وتعالى، فإذا قام في نفوسنا كمال الحب والتعظيم، مع كمال الخضوع والتذلل له بطاعته؛ فقد عبدناه، وإذا فعلنا ذلك لغيره؛ فقد أشركنا معه غيره؛ هذا المعنى الذي يجب أن تفهمه.

باختصار: ما أمرك الله تبارك وتعالى في كتابه أو في السنة أن تتعبد له به؛ فهو عبادة، فإذا جعلته لله وحده؛ فقد وحّدته، وإذا صرفته لغير الله؛ فقد أشركت معه غيره؛ هذا معنى العبادة، ومعنى التوحيد، ومعنى الشرك .

{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}: إذاً أراد الله سبحانه وتعالى أن نعبده، وأن نعبده وحده؛ وذلك لأن ابن عباس رضي الله عنه فسّر العبادة هنا بالتوحيد؛ وقال:{إلا ليعبدون}: إلا ليوحِّدون؛ يعني لا أن يعبدوه فقط؛ بل يعبدوه وحده أيضاً، وألا يعبدوا معه غيره.

إذاً خلقَنا الله سبحانه وتعالى كي نعبده، ونعبده وحده، وألا نعبد معه غيره؛ فبذلك يكون قد فسّر لنا المؤلف بذكره لهذه الآية الحكمة التي أرادها الله تبارك وتعالى من خلقه للإنس والجن، وفسّر لنا التوحيد؛ وهو أن تعبد الله وحده وألا تعبد معه غيره.

ثم قال المصنف رحمه الله: (**وقوله: {وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسولاً أَنِ اعْبُدوا الله واجْتَنِبوا الطَّاغوتَ}**[1])

{ولقد بعثنا}: أي أرسلنا.

معاني الأمة في الشرع

{في كل أمة}: أخرجنا في كل أمة، والأمّة تطلق في الشرع على معانٍ:

المعنى الأول: الطائفة من الناس- كما في هذه الآية: {ولقد بعثنا في كل أمة}؛ يعني في كل طائفة من الناس.

المعنى الثاني: الزمن، كما في قوله تعالى: {وادّكر بعد أمّة}[2]؛ يعني بعد زمن؛ بعد وقت.

المعنى الثالث: الإمام، كما في قول الله تبارك وتعالى: {إن إبراهيم كان أمّة}[3].

والمعنى الرابع: الملة؛ يعني الدِّين، كما في قوله تعالى: {إنا وجدنا آباءنا على أمّة}[4]؛ أي على دين.

هذه المعاني التي تأتي كلمة: الأمّة عليها في كتاب الله تبارك وتعالى، ويهمّنا الآن أن تعرف أن معنى الأمة في هذه الآية: الطائفة من الناس، {ولقد بعثنا في كل أمة}؛ يعني أخرجنا في كل طائفة من الناس.

---

(١) [النحل:٣٦]

(٢) [يوسف:٤٥]

(٣) [النحل:١٢٠]

(٤) [الزخرف:٢٣]

الفرق بين النبي والرسول

{رسولاً}: الرسول من أوحي إليه بشرع، يعني من أوحى الله تبارك وتعالى إليه بشرع وأمره بتبليغه؛ أُمِر بإيصال هذا الشرع لأمّة؛ لطائفة من الناس.

وأما النبي: فهو من بُعث بشريعة من قبله.

هذا هو الصحيح في التفريق بين الرسول والنبي.

والعلماء يعرّفون الرسول ويذكرون الفرق بينه وبين النبي عند قول الله تبارك وتعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيّته}(١) الآية.

فقوله هنا: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً}، يعني أخرجنا وأرسلنا في كل طائفة من الناس، أو لكل طائفة من الناس رسولاً.

بماذا أرسل هذا الرسول؟ يأتيك التفسير في الآية؛ قال:

{أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت} إذاً الرسل كانوا يأتون للناس بدعوة التوحيد، ما هي؟ قال: {أن اعبدوا الله}؛ هذا أمرٌ من الله تبارك وتعالى بعبادته، كما عرفنا العبادة فيما تقدم؛ لكن هل اكتفى؟ لا لم يكتفِ؛ فقال: {واجتنبوا الطاغوت}، إذاً عبادة الله تبارك وتعالى وحدها لا تكفي؛ بل يجب أن تعبد الله تبارك وتعالى وأن تترك عبادة غيره؛ هذا معنى: {واجتنبوا الطاغوت}، والاجتناب أبلغ من الترك، قد كان ممكناً أن يقول: واتركوا الطاغوت واتركوا عبادة الطواغيت؛ لكنه أتى بـ: {واجتنبوا}؛ لأن اجتنبوا أشد بلاغة من الترك؛ فإن الاجتناب: ترك الشيء وترك الأسباب الموصلة إليه أيضاً؛ فهو تركٌ وزيادة، ترك الشيء وزيادة على ذلك أن تترك الأسباب الموصلة إليه؛ هذا هو معنى الاجتناب، فاجتنبوا الطاغوت: يعني: اجتنبوا كل ما يعبد من دون الله؛ من غير الله.

---

(١) [الحج:٥٢]

معنى الطاغوت:

قال الإمام مالك: "الطاغوت: كل ما عُبد من دون الله"، اجتنبوه: اتركوه، وبعض العلماء يفسّر بجزء من معناه وهو الشيطان، قالوا: الطاغوت: الشيطان وما زيّنه من عبادة غير الله؛ كله اتركوه، والإمام مالك- كما ذكرنا- فسّر الطاغوت بكل ما عبد من دون الله؛ يعني: اتركوا عبادة كل ما سوى الله سبحانه وتعالى[١].

فالمعنى المراد هنا- بارك الله فيكم-: هو تحقيق التوحيد بعبادة الله وحده وترك عبادة غيره؛ هذا المعنى المراد هنا.

{ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}، هذه الآية تدلنا على أن دعوة الرسل جميعاً واحدة؛ هي دعوة التوحيد؛ كلهم كانوا يأتون لأقوامهم بهذه الدعوة؛ وهي أصل دعوة الأنبياء، {ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً}؛ ماذا يفعلون؟ إلامَ يدعون؟ قال: {أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}؛ ليس المطلوب أن تعبدوا الله فقط؛ فإن كفار قريش أنفسهم كانوا يعبدون الله؛ لكن كانوا يعبدون معه غيره؛ هذه هي المشكلة؛ الله سبحانه وتعالى لا يقبل شريكاً: أن تعبده وأن تعبد معه غيره، لا؛ إنما يريد أن تعبده وحده وأن تترك عبادة ما سواه؛ وهذا المعنى هو الذي دلت عليه هذه الآية هنا؛ وهو معنى التوحيد، وبيان أن هذه الدعوة هي دعوة الرسل جميعاً؛ هذا الذي أراده المؤلف هنا: أن يبيّن لنا ما أراد الله تبارك وتعالى منا؛ وهو التوحيد، وأن يبين لنا معنى التوحيد.

---

(١) قال ابن القيم في "إعلام الموقعين" (١/٤٠): " وَالطَّاغُوتُ: كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ؛ فَطَاغُوتُ كُلِّ قَوْمٍ مِنْ يَتَحَاكَمُونَ إلَيْهِ غَيْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْ يَتْبَعُونَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنْ اللَّهِ، أَوْ يُطِيعُونَهُ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ طَاعَةٌ لِلَّهِ..."

ثم قال المصنف رحمه الله: (**وقوله: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}**[(١)])

{وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه} هذا الشاهد هنا، {وقضى} يعني أمر أو وصّى؛ معنى واحد، فأمر ربك ألا تعبدوا إلا إياه؛ يعني: أن تعبدوه وألا تعبدوا معه غيره، {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه}؛ يعني أمر ألا تعبدوا شيئاً؛ لا حجراً ولا شجراً ولا مخلوقاً، لا ولياً ولا شيطاناً ولا غير ذلك، اتركوا عبادة كل شيء إلا عبادة الله سبحانه وتعالى فقط.

كيف يكون برُّ الوالدين

وأمر أيضاً في الآية بالوالدين؛ فقال:

{وبالوالدين إحساناً}، أمر بالإحسان إلى الوالدين؛ فكيف يكون الإحسان إلى الوالدين؟ ببرّهما، وحفظهما، وأن توصل إليهما كل ما تستطيع من خير، وأن تصرف عنهما كل ما تستطيع من سوء، وأن تطيعهما فيما فيه طاعة الله تبارك وتعالى؛ هكذا يكون برّهما، لا يكون برهما بأن تطيعهما في معصية الله؛ لا؛ هذا ليس برّاً لهما، الواجب عليك عندما يأمرانك بمعصية ألا تطيعهما؛ ولكن أيضاً تقول لهما قولاً هيّناً ليّناً.

{إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً}؛ عندما يكبر بهما السن؛ فإن الإنسان عادة إذا كبر في السن؛ صار قليل الصبر عصبيّ المزاج؛ فمطلوب منك صبرٌ زائدٌ في هذا الوقت بالذات.

{إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما}؛ إما واحد فيهما: الأب أو الأم، أو كلاهما: الأب مع الأم.

---

(١) [الإسراء:٢٣-٢٤]

{فلا تقل لهما أفٍّ} أحياناً عندما يبلغ الأبوان مبلغاً من العمر؛ تكون لهما طلبات زائدة، أو يكون فيهم شيء من الأقوال الشديدة التي تنفّر الابن وتزعجه؛ فالله سبحانه وتعالى أمرك في هذا الموطن بالذات؛ في هذا الوقت بالذات: ألا تقل لهما أفٍّ؛ لا تتضجّر منهما في وجهها، {فلا تقل لهما أف}؛ فلا تُسمعهما قولاً سيئاً حتى التأفّف؛ حتى: (أف) لا يجوز لك أن تقولها لهما؛ لما قدّماه لك فيما مضى.

{ولا تنهرهما} لا يصدر منك إليهما فعل قبيح، والنهر؛ كقول: اجلس، لا تقم، لا تقل كذا؛ هذا هو النهر؛ بهذه الطريقة، لا تخاطبهما بهذا الأسلوب.

{وقل لهما قولاً كريماً}: نهاه عن الإساءة، وأمره بالإحسان؛ {وقل لهما قولاً كريماً}؛ قولاً طيّباً.

{واخفض لهما جناح الذل من الرحمة}؛ يعني كن رحيماً بهما، وتواضع لهما.

{وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً} انظر السبب؟

ادع لهما بالرحمة مقابل تربيتهما لك، وسهرهما عليك، وتعبهما من أجلك.

والشاهد قوله تبارك وتعالى: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه}؛ هذا معنى التوحيد، أمرك الله بالتوحيد؛ أن تعبده وحده وأن تترك عبادة ما سواه.

قال المصنف: (**وقوله: {وَٱعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً}**)[1]

الآيات التي يأتي بها المصنف كلها بمعنى واحد؛ هو التوحيد؛ تفسير التوحيد، فإذا قال لك شخص: فسّر لي التوحيد؛ فاذكر له هذه الآيات: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}، {ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}، {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه}، {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً}؛ هذا معنى التوحيد؛ أمرٌ من الله بعبادته.

---

(١) [النساء:٣٦]

{واعبدوا الله}: هذا أمر؛ فأمرَ الله بعبادته، ولا يكون التوحيد بهذا فحسب؛ ولكن لا بدّ من الجزء الثاني:

{ولا تشركوا به شيئاً}، والشرك: أن تجعل معه شريكاً في عبادتك، فأن تعبده وأن تعبد غيره؛ فقد جعلت له شريكاً في عبادتك، إذا سجدت له وسجدت لغيره؛ فقد عبدت معه غيره، إذا ذبحت له وذبحت لغيره قربة؛ فقد عبدت معه غيره، فهذه الشراكة- أن تجعل له شريكاً في عبادتك- هي التي حرمها الله عليك، ولم يردها منك ونهاك عنها.

ما معنى أن تجعل لله شريكاً؟ يعني: أن تعبد آخرَ معه، سُئل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك"[١]، ند : مثيل، مساوٍ له في عبادتك، فإذا عبدت غيره معه؛ فقد جعلت هذا الغير مساوياً لله في عبادتك.

وهو خلقك: يعني الذي يستحق منك العبادة هو الذي خلقك، أنعم الله عليك بأنواع النعم؛ خلقك رزقك أكرمك رحمك؛ ثم تذهب وتعبد غيره؛ ما يجوز هذا، فكما أنه هو الذي خلقك؛ إذاً فهو الذي يستحق منك العبادة.

هل هناك من خلقك غيره؟ لا؛ لا يوجد؛ إذاً فلا يستحق أحد أن تعبده مع الله سبحانه وتعالى؛ هذا معنى الكلام، وهذا معنى التوحيد؛ أن تعبد الله وحده وألا تعبد معه غيره.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**وقوله: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ**

---

(١) أخرجه البخاري(٤٤٧٧)، ومسلم(٨٦) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)}[(١)])

الشاهد من الآية: قوله تعالى: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً}، قل يا محمد: تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم، تعالوا أذكر لكم ما حرم الله سبحانه وتعالى عليكم، يعني: ما هو الذي أمركم الله باجتنابه؟ ألا تشركوا به شيئاً، هنا عندنا في الكلام تقدير؛ يعني: وصّاكم ألا تشركوا به شيئاً؛ إذاً حّرم علينا الشرك؛ ما هو الشرك؟ أن تعبد مع الله غيره؛ فقد أشركت به؛ أن تجعل لله نداً وهو خلقك- كما فسره النبي ﷺ- لا تجعل لله مثيلاً في أي شيء يختص الله سبحانه وتعالى به؛ ومن ذلك عبادتك له.

{ألا تشركوا به شيئاً}: أي شيء؛ حجر، شجر، ملك، نبي، جن، إنس؛ كل شيء، لا يرضى الله سبحانه وتعالى شريكاً أبداً من أي نوع .

{وبالوالدين إحساناً}: وهو نفس المعنى الذي تقدم فيما سبق.

{ولا تقتلوا أولادكم من إملاق}: الإملاق: هو الفقر، كانوا قديماً في الجاهلية إذا كان الشخص قليل ذات اليد، فقيراً ما عنده ما ينفق على أبنائه؛ دفن ابنه حياً في التراب وقتله؛ لكي يتخلّص منه؛ لأنه لا يملك ما ينفق عليه؛ فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك، {من إملاق} أي: من فقر.

{نحن نرزقكم وإياهم}: تكفل الله سبحانه وتعالى برزق كل عبد، كل عبد سيأخذ ما كتب الله له من الرزق.

(١) [الأنعام:١٥١-١٥٣]

{ولا تقربوا الفواحش}: الفواحش التي هي المعاصي، فهذا نهي من الله تبارك وتعالى عن إتيان المعاصي؛ أي معصية كانت، بما أنه ثبت في الكتاب والسنة أنها معصية؛ فهي من الفواحش.

{ما ظهر منها وما بطن}: هذا يشمل جميع المعاصي.

{ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله}: نفس المسلم محرمة؛ لا يجوز قتلها إلا بالحق، وكذلك نفس المُعاهَدِ، والذميّ؛ هذه كلها نفوس محرمة حرمها الله سبحانه وتعالى.

{إلا بالحق}: قال رسول الله ﷺ: " لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ "(١)، فمن هذا الحق: "النفس بالنفس": أي: القاتل يُقتل، و" الثيب الزاني"؛ الثيب: هو المتزوج أو المتزوجة، حدُّه في الشرع أنه إذا زنى يُقتل رجماً، "والمارق من الدين التارك للجماعة"؛ وهو التارك للدين، المفارق للجماعة؛ أي: المرتد؛ فحدُّه أن يقتل؛ يستتاب، فإذا لم يتب؛ فيقتل.

إذاً لا يجوز قتل النفس إلا بالحق؛ بما شرع الله سبحانه وتعالى وبما أذِن به.

{ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون} يعني: ما تقدم؛ أمركم به أمراً مؤكداً {لعلكم تعقلون}؛ يعني: أوصانا بهذه لنعقلها؛ لنفهمها ونعمل بها.

{ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن}: لا تأخذوا من مال اليتيم؛ إلا بما أجاز لنا ربنا تبارك وتعالى.

واليتيم: هو من مات أبوه ولم يبلغ، وأما من ماتت أمه؛ فلا يسمى يتيماً؛ يسمى يتيماً عندما يموت أبوه فقط ولم يصل إلى سن البلوغ، فإذا بلغ؛ فلا يسمى يتيماً، إذاً لا بد أن يموت أبوه، وأن يكون دون سن البلوغ كي يسمى يتيماً، هذا اليتيم إذا كان له مال؛ فيوصينا الله

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

سبحانه وتعالى بماله خيراً؛ أن نصونه، ونحفظه، وألا نمسّه إلا بما شرع الله سبحانه وتعالى لنا وأجاز.

{إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده}؛ فيبقى ماله عندنا ولا نمسه إلا بما شرع الله إلى أن يبلغ الولد اليتيم أشدّه؛ يعني: الرشد وزوال السفه، فمع البلوغ يكون عاقلاً قادراً أن يتصرف بماله؛ عندئذ نعطيه ماله، فإذا بلغ ولم يكن عاقلاً؛ لا نعطيه، وإذا كان عاقلاً ولم يبلغ لا يعطى؛ فلا يعطى ماله إلا أن يبلغ ويزول عنه السفه ويصبح رشيداً عاقلاً؛ عندئذ يعطى هذا المال.

{وأوفوا الكيل والميزان بالقسط}: اعدلوا في الأخذ والإعطاء والبيع والشراء.

{لا نكلف نفساً إلا وسعها} وهذا من رحمة الله تبارك وتعالى بنا؛ أن الله سبحانه وتعالى ما كلفنا إلا بما نطيق وما نقدر عليه.

{وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى}؛ هذا أمر بالعدل في القول وفي الفعل، على القريب والبعيد، فالواجب هو العدل، والواجب: شهادة الحق على القريب والبعيد.

{وبعهد الله أوفوا}: وصية الله سبحانه وتعالى التي وصاكم بها؛ أوفوا بها؛ اعملوا بها والتزموا بها.

{وأن هذا صراطي مستقيماً}؛ هذه شريعة الله ودينه الذي أمركم به، وهو طريق الله المستقيم، والصراط: هو الطريق؛ طريق مستقيم لا اعوجاج فيه.

{فاتبعوه}؛ هذه شريعة الله تبارك وتعالى، أوجب الله عليكم اتباعها.

وطريق الحق واحد؛ يبين لنا هذا أن طريق الحق واحد، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: "هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ"، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: "هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ"، ثُمَّ قَرَأَ: {وَإِنَّ

هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ، فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}[١]،إذاً : اتبعوا طريق الحق ولا تتبعوا طرق الضلال.

{فتفرّق بكم عن سبيله}، يعني: تضيعكم عن طريق الحق؛ فطريق الحق واحد وطرق الضلال كثيرة، طريق الحق هو ما كان عليه الصحابة {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ}[٢]؛ ديننا دين اتباع، نمشي خلف من قبلنا، من قبلنا هم النبي ﷺ وأصحابه، لا تخترع، لا تبتدع، لا تبتكر، ليس في ديننا شيء من اختراعاتك وابتكاراتك الحديثة، لا تغترّ بعقلك، اتبع فقط؛ هذا المطلوب منك، الحمد لله السلف قد بينوا لنا كل شيء، وما تركونا إلا على دين صافٍ نقي واضح وضوح الشمس، وما علينا نحن إلا أن نقرأ كلامهم ونفهم ونبلغ فقط؛ نجمع كلامهم فقط، نحن كلامنا الذي نعطيكم إياه الآن كله جمع من كلام العلماء، ليس منه شيء من عندنا؛ لسنا أهلاً لأن نجتهد الآن؛ نحن أهلٌ فقط لأن نبلغ، فنحن نحمل كلام العلماء ونبلِّغكم إياه؛ هذا ديننا دين اتباع، مازال أئمة السلف رضي الله عنهم ينقل بعضهم عن بعض؛ الإمام أحمد يقول: " إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام "[٣]؛ هذا ديننا؛ دين اتباع، وليس دين ابتداع؛ افهموا جيداً كلمة ابن مسعود رضي الله عنه :"اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم"[٤]، كفاكم السلف بيان كل شيء، إيضاح كل شيء، ما عليكم إلا أن تأخذوا وأن تعملوا وأن تبلغوا فقط؛ فدين الله دين اتباع، منهجنا منهج واحد هو المنهج الحق، ليس هناك عدة مناهج كلها حق، وطرق كثيرة توصلك إلى الله؛ لا؛ بل الطريق الذي يوصلك إلى الله هو طريق واحد؛ وهو الطريق الذي سلكه أصحاب النبي ﷺ؛ {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٤١٤٢)، وابن حبان في "صحيحه" (٦) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٢) {النساء:١١٥]
(٣) "المناقب" لابن الجوزي (ص٢٤٥).
(٤) "أصول السنة" لابن زمنين (١١)، "الإبانة الكبرى" لابن بطة (١٧٤) وغيرهما

الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ}(١)، هؤلاء قد اتبعوا طريقاً وصلوا به إلى مرضاة الله وإلى الجنة؛ فطريقنا خلفهم، فمن أراد النجاة؛ فليلزم الاتباع ويترك الابتداع، لا يُعْمِلُ فكره وعقله في دين الله سبحانه وتعالى، اترك هذا، وابق فقط متبعاً لأئمة الإسلام، إذا وجدت لك سلفاً في مسألة؛ فقل بها، وإذا سكتوا عن شيء؛ فاسكت عنه، فقط؛ هذا هو ديننا، وهذا منهجنا.

{ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون}: لعلكم تصلون إلى تقوى الله سبحانه وتعالى بالأخذ بشريعته وأن تمشوا على ما أمركم به.

ثم قال المؤلف رحمه الله: (**قال ابن مسعود: مَنْ أَرادَ أَنْ يَنْظُرَ إلى وَصَيَّةِ محمد ﷺ التي عليها خاتَمُه؛ فليقرأ قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} إلى قوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ} الآية**).

هذا الأثر ذكره من كلام ابن مسعود، ثم ذكر الآيات التي تقدمت: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً}؛ وهذا الشاهد: {ألا تشركوا به شيئاً}، هذا الأثر الذي ذكره عن ابن مسعود أراد أن يبين من قوله: "من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتَمُه": وصيته ﷺ قبل موته، مّما يدل على أنهنّ آيات ثابتات غير منسوخات؛ هذا ما أراده من ذكر هذا الأثر، وهو تأكيد لما تقدّم، لكن هذا الأثر ضعيف لا يصحّ(٢)؛ فلا نعتمد عليه؛ بل نعتمد على ما تقدّم مِن شرحٍ وهو كافٍ الحمد لله.

---

(١) [التوبة:١٠٠]

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٧٠)

هذا الأثر في سنده داود الأودي مُختلَفٌ فيه؛ هل هو داود بن عبد الله الأودي الثقة؟ أم هو داود بن يزيد الأودي الضعيف؟ هما اثنان: داود بن عبد الله الأودي، وداود بن يزيد الأودي، وجاء في الإسناد داود الأودي؛ فأيهما هو؟ أحدهما ثقة والثاني ضعيف؛ فلَم نعرف؛ فلهذا توقفنا في هذا الخبر؛ فلا يُصحَّحُ هذا الخبر ويبقى ضعيفاً؛ نظراً لأننا لم نعرف داود هذا الذي روى الأثر أهو الثقة أم الضعيف؟

ثم قال المصنف رحمه الله: (**وعن معاذ بن جبل؛ قال: كُنْتُ رَدِيفَ النبي ﷺ على حِمارٍ، فقال لي: "يا معاذ! أتَدْري ما حَقُّ اللهِ على العِبادِ؟ وما حَقُّ العِبادِ على الله؟ "قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: "حَقُّ اللهِ على العِبادِ: أَنْ يَعْبُدوه ولا يُشْرِكوا به شيئاً، وحَقُّ العِبادِ على الله: أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ به شيئاً"، قلتُ: يا رسول الله! أفلا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قال: "لا تُبَشِّرْهُمْ؛ فَيَتَّكِلوا". أخرجاه في الصحيحين**)

هنا معاذ كان يركب خلف النبي ﷺ على الحمار، فأراد النبي ﷺ أن يعلّمه علماً؛ فأتاه بصيغة السؤال؛ لأن هذه الصيغة، وهي السؤال؛ تثير الانتباه والاهتمام؛

(فقال: "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟")؛ إذاً تبين من هذا السؤال: أن للعباد حقّاً على الله وأن لله حقاً على العباد، لكن معاذ قال: الله ورسوله أعلم؛ لأنه لا يدري، وهذه يصح أن تقولها في المسائل الشرعية؛ لأن النبي ﷺ كان عالماً بالشريعة التي آتاه الله سبحانه وتعالى كلَّها، أما في الأمورٌ الغيبيّةٌ؛ فلا يصحّ أن تقول: الله ورسوله أعلم؛ بل تقول فقط : الله أعلم؛ فالنبي ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما علّمه الله سبحانه وتعالى، فإن كان أمرٌ من الشرع؛ فلك أن: تقول الله ورسوله أعلم؛ لا بأس بهذا.

(حق الله على العباد)؛ يعني: ما الذي يجب على العباد لله سبحانه وتعالى، حقٌّ ثابت؟

قال :"أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً"؛ وهذا الشاهد عندنا؛ وهو تفسير التوحيد؛ أن يعبدوا الله وحده ولا يعبدوا معه غيره، وعبادة الله فسّرناها، والشرك قد فسّرناه.

(وحق العباد على الله): هل هناك أحد يجعل على الله حقاً؟ لا؛ لكن هو يجعل على نفسه حقاً، لا بأس، إذاً: هذا حقٌّ للعباد جعله الله على نفسه؛ لا محذور في هذا أبداً، لا يوجد أحدٌ يُلزم الله سبحانه وتعالى بشيء ويجعل عليه حقاً أبداً، لكن الله سبحانه وتعالى يجعل على نفسه حقاً على نفسه؛ هذا جائز، فحق العباد على الله الذي جعله الله على نفسه.

فإذا هم وحّدوه؛ ماذا لهم من حق؟

(أن لا يعذّب من لا يشرك به شيئاً)؛ هذا حقّهم، فمن مات على التوحيد؛ محققاً للتوحيد حق التحقيق؛ لا يعذبه الله سبحانه وتعالى، وهذا من فضيلة تحقيق التوحيد وترك الشرك؛ ألا يعذبك الله سبحانه وتعالى.

(قلت: يا رسول الله! أفلا أبشّر الناس) بهذه البشرى؟

وهذا فيه استحباب أن تبشّر أهل الخير بالخير، وأن تبشر الناس بالخير.

(قال: "لا تبشرهم فيتّكلوا") يعني ربما فهم بعض الناس من هذا أنه يعتمد على توحيده ويترك العمل؛ فيتركون التنافس في الأعمال؛ وهذا فهمٌ خاطئ؛ لذلك خشية أن يفهم هذا بعض الناس خطأً وأن يترك العمل؛ قال له: " لا تبشرهم فيتّكلوا".

لكن معاذاً أخبر بهذا الحديث تأثّماً أن يكون قد كتم العلم؛ لذلك أخبر بهذا الحديث.

الشاهد من ذلك: قوله: "أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً "؛ هذا هو تفسير التوحيد.

ثم قال المؤلف: "أخرجاه في الصحيحين[1]" يعني: أخرجه البخاري ومسلم؛ وهما أصح كتابين بعد كتاب الله تبارك وتعالى، وكل ما في "صحيح البخاري" صحيح، وكل ما في

---

(١) البخاري(٢٨٥٦)، ومسلم(٣٠).

"صحيح مسلم" صحيح؛ ماعدا أحاديث قليلة حصل فيها خلاف بين العلماء، وإلا؛ فأكثر الأحاديث التي فيهما قد أجمع العلماء على صحتها؛ وهذا الحديث مما فيهما، وقد اتفق العلماء على صحته فهو حديث صحيح.

وبهذا نكون قد فسرنا التوحيد وفهمنا معناه.

فالتوحيد باختصار: هو إفراد الله تبارك وتعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات؛ فهو أنواع ثلاث:

توحيد الربوبية: وهو إفراد الله تبارك وتعالى بالخلق والملك والتدبير؛ يعني إفراده سبحانه وتعالى بأفعاله الخاصة به.

توحيد الألوهية: وهو إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة؛ بمعنى أننا لا نتعبد لأحد إلا لله تبارك وتعالى، فلا نتقرب لأحد إلا لله تبارك وتعالى، وما ثبت أنه عبادة في الكتاب أو في السنة فلا يجوز صرفه لغير الله؛ كالصلاة والصيام والذبح والنذر وغيرها؛ وسيأتي إن شاء الله تفصيله.

وتوحيد الأسماء والصفات: وهو أن نثبت لله ما أثبت لنفسه من أسماء وصفات، وأن ننفي عنه ما نفى عن نفسه، وأن نسكت عما سكت.

ولكل واحد من هذه الأنواع الثلاثة تفصيل.

وأما الشرك: فهو أن تجعل لله نداً وهو خلقك، يعني أن تجعل لله مثيلاً، فإذا عبدت غيره معه؛ فقد جعلت هذا الغير مثيلاً لله تبارك وتعالى، إذا اعتقدت أنه يخلق مع الله سبحانه وتعالى؛ فقد جعلته ندّاً لله، جعلته شريكاً مع الله في الخلق؛ وهكذا.

هذا معنى التوحيد ومعنى الشرك.

الباب الأول: باب بيانِ فَضْلِ التَوْحيدِ وما يُكَفِّرُ من الذُّنوبِ

قال المؤلف رحمه الله: (**بابُ بَيانِ فَضْلِ التَّوْحيدِ وما يُكَفِّرُ مِنَ الذُّنوبِ**)

هذا الباب معقود لبيان فضل التوحيد.

الباب في اللغة: هو ما يُدخَل ويُخرَج منه.

وفي الاصطلاح: ما يجمع أنواعاً مختصّة من العلم، هي أخصّ من موضوع الكتاب العام- هذا بالمعنى-، فالباب هو فصلٌ من فصول الكتاب، هنا عندنا: باب بيان فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، يعني هذا الفصل الذي معنا اليوم، سنتحدّث فيه عن فضل التوحيد؛ يعني ميّزة التوحيد: الخير الذي تحصل عليه من وراء تحقيق التوحيد؛ فضل التوحيد؛ إذا حقّقت التوحيد ما هي الخيرات التي تحصل عليها؟ هذا معنى فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب؛ يعني: هذا الباب معقود لبيان فضل التوحيد ولبيان ما يكفّره من الذنوب، فيبيّن لنا هذا الباب: فضل التوحيد ويبيّن لنا ما يكفّره من الذنوب، يعني أن التوحيد يكفّر الذنوب، فتكفير التوحيد للذنوب؛ هذه فضيلة وفضل له.

لماذا ما قال: باب فضل التوحيد فقط، ثم تكلم بعد ذلك عن تكفير الذنوب؟

قالوا: لأن تكفير الذنوب هي أعظم فضيلة للتوحيد؛ لذلك خصّها بالذكر؛ فعطفها على فضل التوحيد؛ هذا هو السبب، فتكفير الذنوب هي من فضائل التوحيد، وفضائله كثيرة، ولو لم يكن للتوحيد فضيلة إلا أنه ينجيك من النار وتخلّد به في الجنة؛ لكفت، ولو لم يكن في الشرك الذي هو ضده إلا أنه يخلدك في نار جهنم ويحرمك من دخول الجنة؛ لكفى.

لماذا بدأ المؤلف بفضل التوحيد بعدما عرّف لنا التوحيد؟

بدأ بفضل التوحيد بعد تعريفه؛ ليرغّب فيه، ويحثّ عليه؛ لأن معرفة فضله تجعل النفوس ترغب به وتتعلّق به وتشتاق إليه؛ فلذلك يذكر لنا الفضائل كي يرغّبنا بالتوحيد.

قال المؤلف رحمه الله: (**وقول الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}**[1])

{الذين آمنوا}: يعني المؤمنون خاصة، والمؤمنون المقصودون هنا: هم أهل الإسلام لا غير.

{وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}: أي: ولم يخلطوا إيمانهم بظلم، اللبس: هو الخلط، {بظلم}: يعني بشرك؛ كما سيأتي إن شاء الله ما يدل على هذا التفسير، فإن الظلم أنواع:

ظلم النفس: يعني يظلم المرء نفسه بالمعاصي والذنوب، يعمل المعاصي والذنوب؛ فيظلم نفسه.

ظلم الغير: يضر بالغير بغير وجه حق؛ يأخذ ماله؛ يسفك دمه، وغير ذلك من الظلم؛ هذا ظلم للغير.

والظلم الثالث وهو المقصود هنا: وهو ظلم: الشرك، والشرك ظلم؛ فالظلم وضع الشيء في غير موضعه، والشرك: أن تعبد غير الله سبحانه وتعالى، فوضعك للعبادة في غير محلّها؛ هذا ظلم؛ فإذاً الشرك ظلم؛ وهو المقصود هنا، وليس المقصود في الآية الأول ولا الثاني.

---

(١) [الأنعام:٨٢]

من أين عرفنا أن الظلم المراد في الآية هو الشرك؟

عرفنا هذا من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: "لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ؛ {لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}: بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: {يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}"[1]، فالصحابة رضي الله عنهم فهموا الآية على عمومها، ومن ضمن الظلم الذي فهموه هنا: ظلم المرء نفسه؛ فنفى النبي ﷺ هذا المعنى، فقال : "ليس كما تقولون"؛ أي: ليس معنى الظلم هنا ما ذهبتم إليه؛ بل {لم يلبسوا إيمانهم بظلم} بشركٍ؛ ففسّر الظلم هنا بالشرك، فهذا اللفظ لفظ عام؛ ولكن المراد به الخصوص- خصوص الشرك-، وقد بين النبي ﷺ هذا بقوله: "أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: {يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم}"؛ إذاً الشرك ظلم، وظلمٌ عظيمٌ؛ لذلك فسّرنا الظلم هنا بالشرك؛ لأن التفسير جاء في الحديث؛ وليس بعد الحديث قول.

{أولئك}: يعني: {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم}، فهذا الاسم- اسم الإشارة- يرجع إلى المذكورين.

{لهم الأمن وهم مهتدون} إذاً الأمن لمن؟

لمن آمن ولم يلبس إيمانه بشرك.

{لهم الأمن وهم مهتدون}؛ فلهم الأمن ولهم الهداية، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا هُمُ الْآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمُهْتَدُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"[2]، وهم المسلمون الإسلام العام- بالمعنى العام- الذين أخلصوا

---

(١) أخرجه البخاري(٣٣٦٠)، ومسلم(١٢٤).

(٢) "تفسير ابن كثير" (٣/٢٩٤)

العبادة لله وحده؛ يعني: جعلوا عبادتهم لله فقط، ولم يعبدوا معه غيره، وحده لا ثاني معه، ولم يشركوا به شيئاً، أيَّ شيء؛ لا حجر ولا شجر ولا إنس ولا جن ولا ملك ولا شيء، ما عبدوا مع الله غيره، أولئك هم الآمنون يوم القيامة، آمنون من الخوف يوم القيامة، لما حققوا التوحيد؛ أمنوا عند الله تبارك وتعالى ولا يخافون، هم المهتدون في الدنيا والآخرة؛ مهتدون في الدنيا، يهديهم الله سبحانه وتعالى في الدنيا، يهديهم إلى العلم النافع؛ علم الشرع الذي ينفعهم وللعمل الصالح أيضاً؛ فالهداية المقصودة هنا: هداية التوفيق وهداية البيان؛ إذ الهداية في الشرع تنقسم إلى قسمين:

الهداية نوعان

هداية توفيق، وهداية بيان؛ الأولى: نفاها الله عن نبيه ﷺ؛ فقال جل في علاه: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء}[1]؛ فنفى عنه الهداية؛ هي خاصة بالله؛ فهي هداية التوفيق، والتوفيق بيد الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وأما الثانية؛ فأثبتها لنبيه ﷺ؛ فقال: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم}[2]، فهذه الهداية المثبتة للنبي ﷺ؛ يعني: ترشد الناس إلى طريق الحق؛ هداية الإرشاد والبيان: تبيّن لك الحق ترشدك إلى طريق الحق؛ هذه الهداية المثبتة للنبي ﷺ، والهداية المنفية هي هداية التوفيق؛ هذه بيد الله وخاصّةٌ به سبحانه وتعالى، يوفّق من يشاء ويضل من يشاء؛ لذلك نفاها عن نبيّه ﷺ.

---

(١) [القصص:٥٦]
(٢) [الشورى:٥٢]

والمؤمنون يعطيهم الله سبحانه وتعالى الهدايتين هنا؛ فيهديهم طريق الحق، ويبيّن لهم طريق الرشاد، ويوفّقهم إلى العمل بطاعته تبارك وتعالى؛ فهم مهتدون في الدنيا؛ هذا معنى هداية الدنيا، ومهتدون في الآخرة؛ يهديهم الله تبارك وتعالى إلى الجنة فيفوزون بالجنة؛ هذا معنى ما ذُكِر في هذا الموطن.

إذاً الذين آمنوا- أهل الإيمان خاصة- ولم يلبسوا إيمانهم بظلم- هذا شرط؛ يؤمن، يحقق التوحيد، يخلص فيه، ولا يشرك مع الله أحداً؛ {أولئك لهم الأمن وهم مهتدون}.

هل للمؤمنين الأمن التام، أم أصل الأمن؟

إذا حققوا التوحيد تحقيقاً تامّاً؛ فلهم الأمن التامّ، وإذا أتوا بأصل التوحيد ووقعوا في الذنوب والمعاصي؛ فهؤلاء أمرُهم إلى الله؛ ربّما يعذبهم، وربما يعفو عنهم، فهؤلاء لهم الأمن على قدر ما حققوا من توحيد؛ وكذلك يُقال في الهداية.

الشاهد: أن فضيلة التوحيد هنا: أن من حققه؛ فله الأمن والهداية بالمعنى الذي وصفنا، فهذه فضيلة عظيمة.

وخلاصة القول: أن الفضيلة التي أراد المؤلف أن يبيّنها هنا: أن الموحد له الأمن يوم القيامة؛ فلا يخاف من عذاب الله تبارك وتعالى، وله الهداية في الدنيا والآخرة، فهو ينعم بنعمة الأمن ونعمة الهداية، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهلها.

ثم قال المؤلف رحمه الله: (**وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهَ، وأنَّ محمداً عَبْدُهُ ورسوله، وأَنَّ عيسى عَبْدُ الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه، والجنة حَقٌّ، والنارُ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ على ما كانَ مِنَ العملِ". أخرجاه**)

(عبادة بن الصامت): الخزرجي أبو الوليد، صحابيّ مات بالرملة؛ مدينة كبيرة في فلسطين، كانت عاصمة فلسطين لأربعة قرون في عهد الدولة الأموية.

معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله

(قال رسول الله ﷺ: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له").

شهادة أن لا إله إلا الله: هي إقرار باللسان عما يصدّقه القلب ويؤمن به، فإذا ذهبت أنت وشهدت أمام القاضي؛ فعلى ماذا يشهّدك؟ على ماذا تشهد؟

تشهد على أمرٍ رأيتَه، وأنت موقن به؛ تعتقده؛ هذا معنى الشهادة؛ فالشهادة: إقرار باللسان بما يُكِنُّه القلب، فعندما تقول: "أشهد أن لا إله إلا الله"؛ أنت تقرّ وتعترف بهذه الكلمة وتؤمن بها.

(لا إله إلا الله): (لا إله) يعني: لا معبود؛ (الإله) هو المعبود، (لا إله إلا الله) لا معبود بحقٍّ إلا الله، (لا): اسمها: (إله)، وتحتاج إلى خبر؛ فلا بدّ من تقديرٍ للخبر هنا، فماذا نقدّر؟ نقدّر: (لا إله حق)، لماذا قدّرنا هذا؟ لقول الله تبارك وتعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ}(١)؛ إذاً معنى (لا إله إلا الله): (لا معبود حقٌّ إلا الله)، ولا يصح أن تقول: (لا معبود إلا الله) فقط؛ لأن المعبودات كثر؛ لكن المعبود بحق الذي عُبد ويستحق أن يُعبد: هو الله سبحانه وتعالى وحده؛ لذلك نقدّر هنا: (لا معبود حقٌّ إلا الله سبحانه وتعالى)، إذاً هنا عندما تقول: (أشهد أن لا إله إلا الله)؛ تقول: أُقرّ بلساني وأعترف بما أؤمن به وأعتقده من أنه لا معبود بحق إلا الله.

(وحده): هذه تأكيد للإثبات أن الله هو المعبود.

---

(١) [لقمان:٣٠]

(لا شريك له): تأكيد للنفي بأنه لا يُعبد إلا الله سبحانه وتعالى.

هذا هو معنى (لا إله إلا الله)، فمن شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

و(أن محمداً عبده ورسوله) أيضاً يقرّ ويعترف بأن محمد بن عبد الله الهاشمي: عبدٌ لله تبارك وتعالى ورسول له.

لماذا قال: (عبده ورسوله)، ولم يقل: (رسوله) واكتفى، أو قال: (عبده) واكتفى ؟

هذا نفي للإفراط والتفريط، فبعض الناس يُفرِط: يغلو ويتجاوز الحد في النبي ﷺ؛ فيعطيه أكبر من مكانته، ويعبده مع الله سبحانه وتعالى؛ وهذا مذموم؛ لذلك: عندما تشهد بأنه عبد لله؛ تنفي عنه العبادة؛ فلا تعبدُه؛ لأنه عبدٌ لله تبارك وتعالى، وبعض الناس يفرّط فيكفر به ولا يؤمن به؛ لذلك نقول: عبده ورسوله، تؤمن به وتخالف هذا المفرّط؛ فتكون بذلك معتدلاً؛ نفيتَ الإفراط والتفريط، شهدت أن محمداً ﷺ رسولٌ لله تبارك وتعالى، وهو بشرٌ عبدٌ خاضع متذلل لله تبارك وتعالى؛ هذا نفيٌ للإفراط وللتفريط.

عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله؛ رد على اليهود والنصارى

(وأن عيسى عبد الله ورسوله): يشهد بهذا أيضاً، في الأول- عند الشهادة بأن لا إله إلا الله وإن محمداً عبده ورسوله- كان الردّ على المشركين، وفي الثاني ها هنا: الرد على اليهود والنصارى؛ فأنت تتبرأ من دين هؤلاء كلهم عندما تشهد بهذه الشهادة.

(وأن عيسى): المقصود عيسى ابن مريم عليه السلام؛ نبيّ الله تبارك وتعالى؛ تشهد بأنه عبدٌ لله خلافاً لمن غلا فيه وأفرط من النصارى، الذين قالوا: هو ابن الله، وهو ثالث ثلاثة، فأنت نفيت هذا بقولك: وأن عيسى عبد الله.

وهو أيضاً رسوله؛ وهذا ردٌّ على من فرّطوا؛ وهم اليهود، فكفروا به وقالوا: هو ابن زنا- عياذاً بالله من قولهم-، فأنت هنا تؤمن به وتصدّق بأنه رسول من عند الله تبارك وتعالى؛ ردّاً على اليهود، وتؤمن بأنه عبدٌ لله تبارك وتعالى؛ رداً على النصارى، وفي البداية شهدتَ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ ردّاً على المشركين.

قال: (وكلمته ألقاها إلى مريم): ما هي كلمة الله ؟

كلمة الله هي: (كن)؛ قال له: كن فكان.

وقوله: "ألقاها إلى مريم": لأن عيسى عليه السلام لا أب له؛ إنما أتى بكلمة من الله: (كن)؛ فكان.

الرد على شبهة النصارى المتعلقة بأن عيسى روح من الله

(وروحٌ منه): يلبّس بعض الكفرة على المسلمين في بلاد الغرب بهذا؛ يقولون: أنتم تقولون في قرآنكم وفي سنة نبيّكم: بأن عيسى روحٌ من الله؛ إذاً فهو جزء من الله؛ فهو ابنه.

وهذا كذبٌ؛ وهو من التعلّق بالمتشابهات وترك المحكمات؛ عندنا آيات محكمات تدل على أن عيسى مخلوق من تراب، قال الله عز وجل: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}[١]، لماذا نترك هذه الآية الصريحة ونأتي إلى آية متشابهة ؟

إنه الهوى- نعوذ بالله.

من ناحية المعنى اللغوي؛ عندما تقول: يدي قطعة مني؛ (من) هنا تبعيضيَّة؛ أي: يدي جزء مني؛ هذه واحدة.

(١) [آل عمران:٥٩]

وعندما تقول لشخص: هذا دينار مني؛ هل الدينار جزء منك؟

لا؛ إذاً لا يصح أن تقول: (من) هنا تبعيضية؛ ولكنها بدائية؛ بداية الغاية، بدأت من عندي؛ خرجت مني؛ وهذا المعنى هو المقصود هنا في قوله تعالى: {وروح منه}[1]، أي روح من الله: أي خلقٌ من خلقه تبارك وتعالى.

لو قال لك قائل: فكلُّ الأرواح من الله؛ فلماذا خص عيسى؟

خصّ عيسى؛ تكريماً له ولأنه لا أب له؛ فخصّه بهذا كما خصّ البيت، قال: بيت الله وكما خصّ الناقة فقال: ناقة الله.

(والجنة حقٌّ، والنار حقٌّ): لا بد أن تشهد أن الجنة حقٌّ، والحق ضد الباطل، فهو بمعنى الثابت؛ أي: الجنة مخلوقة، موجودة، ولا شك فيها، والنار كذلك؛ حقٌّ ثابتة، موجودة، فأنت إذا آمنت بالجنة والنار؛ فقد آمنت بيوم القيامة الذي كفر به المشركون؛ فيدفعك إيمانك باليوم الآخر إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى، وإلى العمل بما أمرك الله سبحانه وتعالى.

(أدخله الله): من فعل هذا كلّه: أدخله الله (الجنة على ما كان من العمل)؛ يعني لا بدَّ له من دخول الجنة، فمن شهد بهذه الشهادة التي ذُكرت، وقصّر، وارتكب الذنوب والمعاصي؛ فيُعذّب على قدرها- إن شاء الله أن يعاقبه- ثم يدخل الجنة؛ فلا بدّ له من دخول الجنة، ومن لم يقصّر؛ دخل الجنة مباشرة؛ هذا قولٌ من أقوال أهل العلم في تفسير هذا المعنى للحديث.

والبعض قال: أدخله الله الجنة على ما كان من العمل؛ يعني: يدخله الجنة ثم تكون مرتبته في الجنة على حسب عمله؛ لأن مراتب الجنة متفاوتة؛ فهي مئة درجة؛ فكل شخص يكون في الدرجة التي تناسب عمله.

---

(١) [النساء:١٧١]

قال: (أخرجاه)؛ أي: في الصحيحين؛ أي: البخاري ومسلم

الشاهد: فضيلة التوحيد أن يدخلك الله الجنة على ما كان من العمل.

قال المؤلف رحمه الله: (**ولهما في حديث عِتْبان: "فإنَّ اللهَ حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قالَ: لا إله إلا الله؛ يَبْتَغي بِذَلكَ وَجْهَ اللهِ**").

قوله: (لهما): يعني للبخاري ومسلم.

(عتبان): هو عتبان بن مالك الأنصاري، صحابي، يروي عن النبي ﷺ أنه قال : "فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله؛ يبتغي بذلك وجه الله "[١]، في حديث طويل هذا جزءٌ منه؛ وهو المراد، فأراد المؤلف أن يبيّن هنا فضيلة التوحيد، وأن من حقق التوحيد حرم الله عليه النار؛ وهذه فضيلة عظيمة؛ لكن لا يحصل على هذه الفضيلة إلا من حقق التوحيد بحق؛ لا يكفي منه أن يقول: لا إله إلا الله بلسانه فقط؛ بل لا بد مع ذلك من العلم بمعناها؛ {إلا من شهد بالحق وهم يعلمون}[٢]، إذاً لا بد من العلم، أما إذا لم تعلم معناها؛ فلا تنفعك شيئاً، وتكون كذاك الرجل الذي يأتيه الملكان في قبره، فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ وماذا تقول في هذا النبي الذي بعث فيكم؟ فيقول: ها، ها، لا أدري؛ سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته[٣]، ما نفعه شيء، سمع الناس يرددون كلاماً فردده خلفهم، والنبي ﷺ يقول: "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله؛ دخل الجنة"[٤]، إذاً لا بد من العلم بمعناها، والعمل بمقتضاها، فليس فقط العلم بمعناها؛ بل تصدق بها، وتؤمن بأن

---

(١) أخرجه البخاري(٤٢٥)، ومسلم(٣٣).

(٢) [الزخرف:٨٦]

(٣) أخرجه البخاري (٩٢٢)، ومسلم (١١) من حديث أسماء، وهو مطول عند أبيد داود (٤٧٥٣) من حديث البراء، وأصله في "الصحيحين" أيضاً.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦) عن عثمان رضي الله عنه.

العبادة يستحقها الله ولا يستحقها غيره؛ فلا تشرك معه غيره، وتخضع وتتعبد لله تبارك وتعالى؛ هذا معنى العمل بمقتضاها؛ تؤمن بذلك وتعمل به؛ عندئذٍ تكون نافعة لك؛ وإلا لا تكون نافعة بمجرّد أن تتلفّظ بالكلام هكذا، دون أن تعرف معناه، أو دون أن تعمل به، أو أن تؤمن به؛ أبداً.

(يبتغي بذلك وجه الله): فيه ردٌّ على المرجئة الذين لا يشترطون مع قولك: لا إله إلا الله شيئاً؛ فهنا عندنا أمرٌ زائدٌ، فقوله: "يبتغي بذلك وجه الله"؛ يعني: يقولها مخلصاً بها، مؤمناً بها، وفي رواية أخرى لحديثٍ آخر قال: "خالصاً من قلبه"[1]، فإذا قالها خالصاً من قلبه؛ دفعته إلى العمل ولا بد، وكذلك في رواية أخرى: "غير شاكٍّ فيها" موقناً، صادقاً في قولها؛ هذا الذي ينفعك من قول: لا إله إلا الله.

إذاً الشاهد من هذا الحديث: أن من قال كلمة: (لا إله إلا الله) يبتغي بذلك وجه الله؛ أنه يحرّمه الله سبحانه وتعالى على النار.

إشكال: كيف يدخل النار أناسٌ قالوا: لا إله إلا الله؟

ثبت عندنا في الأحاديث الصحيحة الكثيرة: أن أناساً ممّن معهم هذه الكلمة يدخلون النار ويُعَذّبون فيها ثم يُخرَجون منها؛ فكيف يقول هنا: "حرّم على النار من قال لا إله إلا الله"؟ وهؤلاء معهم كلمة لا إله إلا الله، وهم مسلمون، وجاء عن النبي ﷺ: أن من غلَّ الشملة يُعذّب بها في نار جهنم[2]، وأن ما أسفل من الإزار ففي النار[3]؛ أحاديث كثيرة مثل هذه

(١) أخرجه البخاري(٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه البخاري(٤٢٣٤)، ومسلم(١١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الحديث أخرجه البخاري(٥٧٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

تدل على أن أصحاب الذنوب بعضهم سيدخل النار وسيعذَّب بالنار، مع أنهم مسلمون ومعهم كلمة لا إله إلا الله، وأحاديث الشفاعة كثيرة في ذلك ومتواترة؛ إذاً ما العمل؟

نقول: هذه الكلمة؛ من قالها خالصاً من قلبه- كما جاء في رواية- لا بد أن تدفعه إلى العمل والطاعة والقربة إلى الله والتوبة الصادقة؛ هذا يدخل الجنة ولا يُعذب؛ لأنه لا يكون صاحب ذنوب، وإذا كان صاحب ذنوب؛ يتوب إلى الله سبحانه وتعالى؛ فهذه الكلمة يقينية في قلبه دفعته إلى العمل، أما بعض الناس فتكون ضعيفة في قلبه؛ فيرتكب الذنوب؛ فهذا- كما صحّت الأخبار عن النبيّ ﷺ- يُعذَّب على قدر ذنبه، ثم يُخرَج، وأمره إلى الله؛ ربّما يعفو عنه ولا يعذبه؛ فصاحب الذنب الموحد إذا مات على ذنبه أمره إلى الله؛ إن شاء عذّبه، وإن شاء عفا عنه؛ وسيأتي هذا المبحث إن شاء الله؛ لكن المهم عندنا هو أن نفهم أنه ليس كل من قال: (لا إله إلا الله) دخل الجنة وانتهى الأمر؛ لا؛ دين الله يجب أن يُفهم كاملاً مع بعضه؛ تجمع جميع الأحاديث، جميع الآيات في المسألة؛ ثم تخرج بنتيجة واحدة صحيحة؛ وهذا ما كان يفعله السلف- والحمد لله-، والأمر كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم"، بينوا لنا كل شيء بفضل الله، وهذا مما استقرأوا به نصوص الشريعة وبينوها لنا؛ فقالوا: أن من قال: (لا إله إلا الله)، وحقق شروطها دخل الجنة، فإذا كان مذنباً؛ فأمره إلى الله؛ إذا شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإذا شاء عذبه على قدر ذنوبه ثم أخرجه من النار.

وقد ردَّ السلف على الخوارج وعلى المرجئة بنصوص؛ منها هذه النصوص التي يستدل بها المرجئة؛ فيُردُّ عليهم بالنصوص الأخرى؛ مثل: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"[(١)]، بينما يستدل الخوارج بمثل: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"؛ فيُردُّ عليهم بمثل هذه الأدلة، والجمع بين كل الأدلة هو ما عليه أهل السنة والجماعة.

---

(١) أخرجه البخاري(٢٤٧٥)، ومسلم(٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الشاهد من حديث عتبان: هو أن من حقق التوحيد بحقٍّ: حرّم الله عليه النار، فإذا حقق التوحيد تحقيقاً تامّاً؛ فابتعد عن المعاصي والذنوب، وجدّد توبة صادقة في كل مرة حتى يلاقي الله سبحانه وتعالى، وهو محقق للتوحيد؛ فيكون قد حرّم الله عليه النار مطلقاً، أما صاحب الذنوب؛ فكما ذكرنا، لكن في النهاية: من حقّق التوحيد لا يُخلّد في نار جهنّم؛ وهذه فضيلة عظيمة.

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى: (**وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: "قال موسى عليه السلام: يا ربِّ! عَلِّمْني شيئاً أَذْكُرُكَ وأدْعوكَ به، قال: قُلْ يا موسى: لا إله إلا الله، قال: كُلُّ عِبادِكَ يقولونَ هذا، قال: يا موسى! لوْ أَنَّ السَّماواتِ السَّبْعَ وعامِرُهُنَّ غيري، والأرضينَ السَّبْعَ في كِفَّةٍ، ولا إله إلا الله في كِفَّةٍ؛ مَالَتْ بِهِنَّ لا إله إلا الله». رواه ابن حبان والحاكم وصححه"**).

أبو سعيد الخدري: اسمه سعد بن مالك، أنصاري، صحابي جليل، مشهور ومعروف بالعلم-رضي الله عنه وأرضاه- يروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : "قال موسى...".

موسى بن عمران: النبي عليه السلام.

(قال موسى: يا رب علّمني شيئاً أذكرك وأدعوك به) يمكن أن نستخرج من هذا الحديث أشياء، لكن لأنه ضعيف؛ فلا نريد أن نطيل.

(قل يا موسى: لا إله إلا الله، قال: كل عبادك يقولون هذا) يعني الجميع يشتركون بهذا الذكر، وأنا أريد شيئاً خاصّاً بي.

قال: " قال: يا موسى! لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري) يعني كالملائكة، أي: السماوات السبع والملائكة وكل من في السماوات غير الله سبحانه وتعالى.

(والأرضين السبع في كفة) يعني كفة ميزان.

(ولا إله إلا الله في كفة) أي: في الكفة الثانية للميزان.

(مالت بهن لا إله إلا الله)؛ لعظم هذه الكلمة.

(رواه ابن حبّان والحاكم وصحّحه)[١].

يعني أجرها عظيم، على قدر عظمها؛ فهذا من فضلها.

لكن لا نريد أن نطيل كما ذكرنا؛ فهذا الحديث ضعيف؛ فهو من رواية درّاج عن أبي الهيثم، ودرّاج هذا ضعيف، وروايته عن أبي الهيثم أشد ضعفاً؛ فلا يصحّ، والذي تقدّم معنا يغني عنه والحمد لله.

ثم قال المؤلف رحمه الله: (**وللترمذي- وحسنه- عن أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "قال الله تعالى: يا ابن آدم! لو أتيتني بِقُرابِ الأرضِ خطايا، ثم لقيتني لا تُشرك بي شيئاً؛ لأتيتك بِقُرابِها مَغْفِرَةً"**)

(وللترمذي وحسنه): يعني هذا الحديث مخرّج عند الترمذي في جامعه[٢]، وحكم عليه بالحُسْن، وهي درجة يُقبل بها الحديث؛ فالحديث: منه صحيح ومنه حسن ومنه ضعيف، الصحيح والحسن مقبول، والضعيف مردود، يُعمل بالصحيح والحسن، أما الضعيف؛ فلا يُعمل به، لكن هذا الحديث أخرجه الترمذي وفي سنده (كثير بن فائد)، قال الحافظ في "التقريب": "مقبول"، أي إذا توبع، وإذا لم يُتابع؛ فهو ضعيف، وقد توبع حقيقةً عند المقدسي في "المختارة"[٣]، فالحديث حسن إن شاء الله؛ كما ينقلون عن الترمذي، وهو

---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٦٢١٨)، والحاكم في "المستدرك" (١٩٣٦) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) (٣٥٤٠) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) (١٥٧١)

مخرّج في "جامع العلوم والحكم"[1] لابن رجب، وأخرج مسلم في "صحيحه"[2] من حديث أبي ذر في الحديث القدسي: قال الله: "ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً؛ لقيته بمثلها مغفرة"، ووددتُ لو أن المؤلف وضع هذا الحديث بدل حديث الترمذي؛ لكن على كل حال: حديث الترمذي حسنٌ أيضاً إن شاء الله.

(أنس): هو أنس بن مالك، صحابي، كان خادم الرسول ﷺ لعشر سنين، وقد دعا له النبي ﷺ: "اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة"[3].

(قُراب الأرض): يعني ملؤها، أو ما يُقارب ذلك.

(خطايا): ذنوب

والشاهد منه: أن ابن آدم إذا جاء "بقراب الأرض خطايا" -يعني ملؤها، أو ما يقارب ذلك- من خطايا: أي ذنوب، ثم جاء إلى الله سبحانه وتعالى لا يُشرك به شيئاً- يعني: موحّداً خالصاً في توحيده-؛ قال: "لأتيتك بقرابها مغفرة"؛ يعني: أن الله سبحانه وتعالى يغفر له إذا لقي الله موحّداً.

قال أهل العلم: "التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك، لا يبقى معه ذنب؛ لأنه يتضمن- يعني هذا التوحيد- من محبة الله وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجاؤه وحده؛ ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قراب الأرض؛ فالنجاسة عارضة والرافع لها قوي"[4] انتهى كلامهم، يعني: إذا كان الإنسان قد حقق التوحيد تحقيقاً كاملاً؛ فلا يبقى مع هذا التوحيد ذنبٌ إلا

---

(٤) الحديث الثالث والأربعون (٢/٤٠٠)

(٥) (٢٦٨٧) عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٤) "المنتخب من مسند عبد بن حميد" (١٢٥٥)، وأصله عند البخاري(٦٣٣٤) بلفظ: "اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته"، وعند مسلم(٦٦٠) بلفظ: "اللهم أكثر ماله وولده، بارك له فيه".

(١) قاله ابن القيم في "إغاثة اللهفان" (٦٤/١).

ذهب؛ لأن المرء يكون في تحقيقه لهذا التوحيد امتلأ قلبه بالإيمان، وانتفت هذه الذنوب وذهبت، وحقّق توبة صادقة وذهبت والله أعلم.

على كلٍّ الأصل الذي ذكرناه سابقاً هو الذي نعتمد عليه في التفصيل في هذه الأحاديث؛ مهمٌّ جداً؛ فخلاصة هذا الباب هو ما ذكرناه من بيان فضائل التوحيد وأنه يكفّر الذنوب إذا كان توحيداً خالصاً، وأيضاً أعظم فضيلة له أنه ينجيك من نار جهنم؛ إما من الخلود فيها، أو من دخولها أصلاً، وأنه أيضاً يدخلك الجنة ويُخلّدك فيها؛ فهذه فضائل عظيمة تجعل همّة المرء عالية ليحقق التوحيد ويحرص عليه.

وهنا حاشية مفيدة لأحد العلماء أحبّ أن أذكرها لكم؛ قال: "كثير من الناس يخطئون في فهم أحاديث: "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة"؛ فيظنون بأن التلفظ بها يكفي وحده للنجاة من النار ودخول الجنة، وليس كذلك"

يعني: مجرد التلفظ بها فقط لا يكفي في النجاة من النار ودخول الجنة.

قال: "فإن من يظن ذلك من المغرورين لم يفهم "لا إله إلا الله"؛ لأنه لم يتدبرها"

يعني: لم يتأمل فيها.

قال: "إذ أن حقيقة معناها: البراءة من كل معبود، والتعهد بتجريد كل أنواع العبادة لله سبحانه وحده"

يعني تجعل العبادة خالصة لله فقط.

قال: "والقيام بها على الوجه الذي يحبه ويرضاه"

يعني: كما يحب الله سبحانه وتعالى أن تكون العبادة، وإذا أردت أن تقوم بالعبادة كما يحبها الله ويرضاها؛ إذاً لا بد أن تتعلّم كيف هي؟ كيف فعلها النبي ﷺ؟ كيف علّمنا إياها؟ وتقوم بها على ذلك.

قال: "فمن لم يقم بحقها من العبادة، أو قام ببعض أنواع العبادة، ثم عبد مع الله غيره؛ فدعا الأولياء والصالحين، ونذر لهم وطاف بقبورهم"

لاحظ: هذه عبادات؛ الدعاء، النذر، الطواف.

قال: "وطاف بقبورهم، واعتقد لهم السّرّ والبركة ونحو ذلك"

اعتقد لهم السر والبركة: أي أنهم قادرين على أن يفعلوا أشياء؛ لا يقدر عليها الناس العاديون؛ وإنما يفعلها الله سبحانه وتعالى؛ فعندهم بركة نافعة بأنفسهم.

قال: "فإنه يكون هادماً لها"

يعني: أنه قد أخل بها، ليست العبرة أن تقول الكلمة ثم تذهب وتنقضها؛ هذا لا ينفعك؛ أن تقول: أنا مؤمن، ثم تسب الله سبحانه وتعالى، لا تبالي بالعبادة نهائياً، تعبد غير الله سبحانه وتعالى؛ إذاً أين ذهبت لا إله إلا الله؟ أنت ما حققت منها شيئاً، فالقضية ليست قضية دعاوى وكلام فقط.

قال: "فلا تنفعه دعواه ولا تغني عنه شيئاً، ولو كان مجرد قولها كافياً؛ ما وقع من المشركين ما وقع من محاربة الرسول ﷺ ومعاداته"

يريد: لو كان مجرد التلفّظ بها كافٍ؛ فلماذا يحارب أهل الشرك- الذين هم كفار قريش- لماذا يحاربون النبي ﷺ؟ إذن لقالوها وانتهى الأمر، وبقوا على تفاهُم وتواؤم، وما وقعت حروب ولا قتال ولا شيء، لكن لما فهموا ماذا يريد منها؛ قالوا: {أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيءٌ عُجَابٌ}[1]، أراد منهم أن يتركوا عبادة الأصنام؛ لذلك ما تركوا عباد الأصنام، وحاربوا النبي ﷺ.

(١) [ص:٥]

قال: "قال الله تعالى: {فاعلم أنه لا إله إلا الله}[1]، وقال: {إلا من شهد بالحق وهم يعلمون}[2]"

يعني لا إله إلا الله لا تنفعك إلا مع العلم.

قال: "فمن لم يوف بها ويعمل بمقتضاها لا ينفعه التلفظ، وكل من صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله؛ فهو إما جاهل بمعناها، أو كاذب في ادعائه الإيمان، وأولئك هم المغرورون الأخسرون أعمالا؛ {الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً}[3]). انتهى، هذا ما قاله الشيخ الفقي، وهو تعليق نفيس طيب؛ يوضح خلاصة معنى لا إله إلا الله، ومتى تكون نافعة للعبد.

والباب- كما ذكرنا- معقود لبيان فضائل هذه الكلمة، وقد تبيّن لنا الأمر والحمد لله رب العالمين.

(٢) [هود:١٩]

(٣) [الزخرف:٨٦]

(٤) [الكهف:١٠٤]

الباب الثاني: باب من حَقَّقَ التَّوْحيدَ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسابٍ

قال المؤلف رحمه الله: (**بابٌ: مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ**)

هذا الباب كالمتمّم للذي قبله؛ فدخول الجنة بغير حساب من فضل التوحيد.

ذكر في البداية: باب فضل التوحيد، ثم ذكر: فضائل مَن حقّق التوحيد؛ الفضائل التي يحصل عليها من حقّق التوحيد؛ ثم ذكر بعد ذلك: هذا الباب.

ومنزلة تحقيق التوحيد؛ منزلة عالية، فمن حقق التوحيد تحقيقاً كاملاً؛ دخل الجنة بغير حساب، وهذه المنزلة منزلة لا ينالها إلا مَن اصطفاهم الله سبحانه وتعالى.

ومعنى تحقيق التوحيد هنا: تصفيته وتخليصه من الشرك والبدع والمعاصي، فمَن حققه بهذه الطريقة؛ دخل الجنة بغير حساب، لا يُحاسب على المعاصي ولا على غيرها.

وتحقيقه لا يكون إلا بالعلم بمعنى لا إله إلا الله، ومعنى محمد رسول الله ﷺ، والاعتقاد والانقياد، الاعتقاد: أن تعتقد معناها، والانقياد لها بأن تعمل بما تقتضيه وتدلُّ عليه، فمجرّد العلم والاعتقاد لا ينفع؛ لا بد معهما من عملٍ، العمل والاعتقاد والانقياد إذا تحقق عند العبد وأخلص في توحيده إخلاصاً تامّاً، بحيث انتفى عنه الشرك، وانتفت عنه البدع وانتفت عنه المعاصي؛ دخل الجنة بغير حساب.

بدأ المؤلف رحمه الله في هذا الباب بآية؛ فقال:

({إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ})

{إبراهيم}: معروف: النبيّ.

{كان أمة}: يعني كان إماماً، وقد قدّمنا أن الأمة في القرآن تأتي على أربعة أوجه: بمعنى إمام، وبمعنى دهر؛ زمن، وبمعنى جماعة، وبمعنى دين، فقول الله: {إن إبراهيم كان أمة}؛ يعني كان إماماً يقتدى به؛ فقد كان قدوة إماماً معلّماً للخير.

{قانتاً}: القنوت هو دوام الطاعة، كان دائم الطاعة لله سبحانه وتعالى.

{حنيفاً}: الحنيف: هو المائل عن الشرك؛ يعني كان محقّقاً للتوحيد، أي: مائلاً عن الشرك إلى التوحيد.

{ولم يك من المشركين}: ما كان على طريقة المشركين؛ فلم يكن يعبد غير الله تبارك وتعالى؛ بل كان يعبد الله سبحانه وتعالى وحده، وما كان يبتدع في دين الله، وما كان يفعل المعاصي والذنوب التي يفعلها المشركون؛ فكان إبراهيم عليه السلام محقّقاً للتوحيد؛ لكمال التوحيد، وقد صفّى وخلّص توحيدَه من الشرك ومن البدع ومن المعاصي التي كان عليها المشركون.

فهذه الآية فيها ثناء من الله تبارك وتعالى على إبراهيم، لماذا استحقّ إبراهيم عليه السلام هذا الثناء؟

استحقّه لأنه حقّق التوحيد بما ذكره الله سبحانه وتعالى: {إن إبراهيم كان أمة}(١)، كان إماماً يُقتدى به، ولا يصير الشخص إماماً؛ إلا إذا حقّق التوحيد وحقق الخير،{وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون}(٢)، فإبراهيم كان صابراً موقناً، ابتلاه الله سبحانه وتعالى بأنواع من الابتلاءات؛ ابتلي، حارب قومه على التوحيد- حارب قومه: يعني دعاهم إلى الخير- فآذوه وأرادوا أن يحرقوه في النار فصبر، وابتلاه الله سبحانه

(١) [النحل:١٢٠]

(٢) [السجدة:٢٤]

وتعالى بأن يذبح ابنه فصبر وأطاع الله سبحانه وتعالى؛ فكان صابراً؛ صابراً على الطاعة، صابراً عن المعصية، صابراً على أقدار الله سبحانه وتعالى؛ هكذا يكون الإنسان صابراً، ولا بد من أن يؤذى الإنسان في طريق الدعوة، ولا بد له من الصبر، فكان إبراهيم صابراً وكان موقناً بالله سبحانه وتعالى، محقّقاً للتوحيد تحقيقاً تامّاً- عليه الصلاة والسلام- فإبراهيم كان إماماً لأنه كان قانتاً لله؛ يعني مطيعاً له سبحانه وتعالى ودائم الطاعة، وهذا من تحقيق التوحيد؛ أنه كان مطيعاً لله سبحانه، وتعالى وكان حنيفاً؛ مائلاً عن الشرك، مائلاً عن البدع، مائلاً عن المعاصي، {ولم يك من المشركين}، ما كان على طريقة المشركين.

هذا كله يبيّن لنا أن إبراهيم كان محقّقاً للتوحيد؛ لذلك استحقّ الثناء من الله سبحانه وتعالى.

ماذا يُطلب منا مع من أثنى الله عليه؟

وعندما يثني ربنا تبارك وتعالى على شخصٍ بهذه الطريقة؛ فيريد منا أمرين:

الأمر الأول : أن نحبه، وأن نتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بحبّه؛ لأن أوثق عُرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله، فبما أنه كان على هذه الدرجة من تحقيق التوحيد والإخلاص لله سبحانه وتعالى؛ كان مؤمناً؛ إذاً وَجَبَ علينا أن نحبّه ونتولّاه .

والأمر الثاني: الذي يجب علينا فيمن أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم كإبراهيم عليه السلام: أن نقتدي به فيما أُثنيَ عليه فيه، أثنى الله سبحانه وتعالى عليه بدوام الطاعة، أثنى عليه بتحقيق التوحيد؛ إذاً نحن نقتدي به في التوحيد، والله سبحانه وتعالى قال لنا في كتابه الكريم: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ}، التأسّي بإبراهيم فيما كان عليه من تحقيق التوحيد، ماذا كان يقول إبراهيم لقومه؟ {إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ

وَحْدَهُ}[١]؛ هكذا كان إبراهيم والذين معه يتبرّؤون من الكفر والمشركين؛ يتبرّؤون من الكَفرة، ويتبرؤون من الكفر، ويتبرؤون من المشركين، ويتبرؤون من الشرك؛ يحقّقون التوحيد تحقيقاً تامّاً، تحقيق التوحيد يكون بما ذكرنا.

أسأل الله أن يوفّقنا وإياكم لطاعته.

قال المصنف رحمه الله: (**وقال تعالى: {والذين هم بربّهم لا يُشركون}**[٢])

قال الشُّرّاح هنا: (وصف المؤمنين السابقين إلى الجنة؛ فأثنى عليهم بالصفات التي أعظمها: أنهم بربهم لا يُشركون) هذه الآية والتي قبلها من آيات؛ قد ذكر الله سبحانه وتعالى فيها من صفات المؤمنين- الصفات الطيّبة-؛ ومن هذه الصفات- والتي هي أعظمها-: أنهم بربهم لا يشركون.

قالوا: (ولما كان المرء قد يَعْرِض له ما يقدح في إسلامه؛ من شركٍ جليٍّ أو خفيٍّ؛ نفى ذلك عنهم)؛ فهم غير واقعين لا في الشرك الجلي ولا في الشرك الخفي، والشركُ الجلي: شرك واضح؛ عبادة غير الله سبحانه وتعالى، والشركُ الخفي: كالرياء؛ وسيأتي إن شاء الله التفصيل في بيان الفرق بين الشرك الجليِّ والشرك الخفيّ.

قالوا: (وهذا هو تحقيق التوحيد الذي حسنت به أعمالهم وكملت ونفعتهم)؛ فهذه الآية تدلّ على أن من حقّق التوحيد؛ له فضيلته، فضيلة الثناء عليه من الله تبارك وتعالى.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (**عن حُصَيْن بن عبد الرحمن، قال: كنتُ عِنْدَ سعيد بن جبير؛ فقال: أَيُّكُمْ رأى الكوكبَ الذي انْقَضَّ البارِحة؟ فقلت: أنا! ثم قلت: أما إِنّي لَمْ أَكُنْ في صلاةٍ؛ ولكنّي لُدِغْتُ، فقال: فماذا صنعتَ؟ قلت: ارْتَقَيْتُ، قال: فما حَمَلَكَ على ذلك؟ قلت: حديثٌ حدثناه الشعبيُّ، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بُرَيْدة بن الحُصَيْب، أنه**

---

(١) [الممتحنة:٤]

(١) [المؤمنون:٥٩]

قال: "لا رُقْيَةَ إلا من عَيْنٍ أو حُمَةٍ"، قال: قد أحسنَ من انتهى إلى ما سَمِعَ؛ ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: " عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَط، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ"، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ، فلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ شيئاً، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فأخْبَرُوه، فقَالَ: "هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، ولا يكْتَوون، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: يا رسول الله! ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: "سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ").

هذا الحديث الذي ذكره المؤلف؛ هو الذي فيه الدلالة الصريحة الواضحة على ما أراد رحمه الله من هذا الباب.

(حصين بن عبد الرحمن): هو السُّلَميّ، توفّي سنة مئة وست وثلاثين.

(سعيد بن جبير): أحد علماء التابعين، وهو فقيه من أصحاب ابن عبّاس رضي الله عنه.

(فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟): يسأل سعيد بن جبير جلساءه: أيكم رأى الكوكب- أي النجم- الذي انقض البارحة؟ يعني سقط البارحة، والبارحة: هي أقرب ليلة مضت.

(فقلت: أنا) والكلام لحصين بن عبد الرحمن (ثم قلت) حصين ما زال يتكلّم: (أما إني لم أكن في صلاة، ولكنّي لُدغتُ) انظروا! عندما تكون في مجلس كهذا، ويُقال: مَن منكم في

الساعة الفلانية من الليل رأى الشيء الفلاني؟ وتلك الساعة التي ينام فيها الناس، وأهل طاعة الله يقومون يصلون، فعندما تقول أنت بأنك كنت مستيقظاً ورأيت ذاك الكوكب؛ ماذا يُظن بك؟ يُظن بك أنك كنت قائماً تصلي، ومن ورع السلف رضي الله عنهم ومن دينهم وتقواهم: أنهم ما كانوا يحبّون أن يتشبّعوا بما لم يُعطَوا؛ فخشي حصين على نفسه أن يدخل في حديث: "من تشبّع بما لم يُعطَ كلابس ثوبَي زور"[1]؛ فنفى عن نفسه المباشرة؛ كي لا يُظن فيه أمرٌ حسنٌ طيب وطاعة ليست هي موجودة فيه؛ فنفى هذا الأمر عن نفسه؛ وهذا من صلاحه ومن خيره جزاه الله خيراً؛ فقال :"أما إني لم أكن في صلاة"؛ فلا تظنّوا أني كنت أصلي "ولكني لُدِغتُ"؛ فالذي أيقظني في تلك الساعة أنني لُدغت لدغة عقرب.

(فقال: فماذا صنعت) أي: قال سعيد بن جبير رضي الله عنه ورحمه: "فماذا صنعت" عندما لدغت؟

(قلت: ارتقيت) والكلام لحصين؛ قال: "ارتقيت"، وعند مسلم[2]: "استرقيت"؛ يعني: طلبتُ الرقية، يعني: طلب من أحدٍ أن يرقيه رقية؛ يقرأ عليه آيات أو يذكر أحاديث فيها ذكر ودعاء كي يبرأ.

قال: (فما حملك على ذلك؟) لاحظ هنا بعد أن قال له:" ارتقيت " أو "استرقيت"، طلب منه الدليل؛ الحجّة؛ هكذا كان السلف يطلبون الأدلة على الأفعال التعبّدية؛ فقال له: "ما حملك على ذلك؟"؛ ما الذي دفعك أن تطلب الرقية في أمرٍ كهذا؟

(قلت) والكلام لحصين (حديث حدثَناه الشعبي)؛ هو عامر بن شُراحيل الشعبي؛ أحد الحفّاظ الثقات من التابعين.

---

(١) أخرجه البخاري(٥٢١٩)، ومسلم(٢١٣٠) عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، وأخرجه مسلم(٢١٢٩) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) (٢٢٠)

(قال: وما حدثكم؟) الآن يريد أن يسمع ما هو الدليل؟

(قلت: حدثنا بريدة بن الحصيب) بريدة بن الحصيب؛ هو صحابي.

(أنه قال: لا رقية إلا من عينٍ أو حُمَة): بريدة بن الحصيب يذكر الخبر من عنده وليس مرفوعاً؛ لكن هذا الخبر جاء مرفوعاً عن النبي ﷺ وصحّ عنه: "لا رقية إلا من عين"[1]؛ يعني: إذا أُصيب الشخص بعين؛ فالرقية جائزة في هذا الموضع، "أو حمة": قالوا: معنى الحُمَة: هو السّمّ، فإذا أصاب الإنسان سُمّ؛ -يعني-: لدغه عقرب أو ثعبان أو ما شابه؛ فيرتقي؛ لا بأس في ذلك، وقوله هنا في الحديث: "لا رقية إلا من عين أو حمة" في ظاهره يدلّ على أن الرقية لا تصحّ إلا في هذين الأمرين؛ وهذا غير صحيح لأن النبي ﷺ قد رقى وارتقى في أمور ليست هي من هذين الأمرين؛ فلذلك حمل العلماء معنى هذا الحديث: على أنه لا رقية أنفع من الرقية في هذين الأمرين.

ومعنى "العين" هنا: يعني الحسد؛ إلا أنَّ الحسد أعمُّ، و"حمة ": سم.

(قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع) الكلام لسعيد بن جبير؛ يقول: لقد أحسن من انتهى إلى ما سمع؛ يعني: من سمع بحديث ودليل وعمل به ووقف عنده؛ فقد أحسن، ولكن قد أساء من عمل في الأمور التعبّدية بعمل ليس عليه دليل، وقد أساء من سمع بالدليل ولم يعمل به، أما من انتهى إلى ما سمع؛ فقد أحسن؛ يعني: جزاه الله خيراً أنه وقف عند الدليل الشرعي، وسواء كان أصاب أو أخطأ، لكنه وقف عند الدليل الشرعي؛ فيُشكر على ذلك.

(ولكن) الكلام لسعيد بن جبير؛ يقول: "لكن" عندي أنا قولٌ آخر في المسألة؛ فقال:

---

(١) أخرجه أحمد(١٩٩٠٨)، والترمذي(٢٠٥٧)، وأبو داود(٣٨٨٤) عن الشعبي، عن عمران بن حصين مرفوعاً بلفظ: "لا رقية إلا من عين أو حمة"، وقال الترمذي: "وَرَوَى شُعْبَةُ هَذَا الحَدِيثَ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ بُرَيْدَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، بِمِثْلِهِ، وكذا أبو داود(٣٨٨٩) .... ينظر

(حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال) ابن عباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطّلب؛ ابن عمّ النبي ﷺ، كان عالماً فقيهاً؛ فقد دعا له النبي ﷺ بقوله: "اللهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل"[1]، ونفع الله به نفعاً عظيماً، فيقول ابن عباس ناقلاً عن النبي ﷺ؛ أنه قال:

(عُرِضَتْ عليَّ الأمم) عُرِضَت على النبي ﷺ الأمم؛ يعني: رآها، صُوِّروا له ورآهم ﷺ، قال بعض أهل العلم: كان ذلك في ليلة الإسراء، لكن هذا لا يصحّ؛ لأن هذا الكلام كان في المدينة، والمهم أنهم عرضوا على النبي ﷺ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام:

(فرأيت النبي ومعه الرهط): رأى النبيّ ومعه الرهط؛ يعني: لما عرضت عليه الأمم؛ كأمة بني إسرائيل مثلاً؛ أمة موسى، أمة إبراهيم، وأمة النبي ﷺ؛ هذه الأمم تُعرَض عليه؛ كل أمةٍ ومعها نبيُّها، فقال عليه الصلاة والسلام: "فرأيت النبي ومعه الرهط"، و"الرهط": الجماعة.

قال: (والنبي ومعه الرجل والرجلان) يعني: والنبي ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان -تَصوّر-؛ أمةٌ ربما تُعَدُّ بالآلاف، يأتيهم النبي يدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى؛ فلا يؤمن معه إلا رجلٌ أو رجلان؛ هذا يدلك على أن الداعية إذا لم يسمع الناس له ولم يستجيبوا؛ لا يدل ذلك على فشله في دعوته ولا بد، لا؛ فربّما يكون ذلك سببه فساد الكثير من الناس- كما الحال عندنا الآن-، يأتي النبي وليس معه إلا رجل، ونبيٌّ وليس معه إلا رجلان؛ فيدلّنا هذا على أن الحق لا يُعرَف بالكثرة؛ فهؤلاء الأمم: كانت أمة كاملة على طريق، ونبيّها كان على طريقٍ آخر، والحق كان مع النبي.

---

(١) أخرجه البخاري(١٤٣)، ومسلم(١٣٨) بلفظ: "اللهم فقهه في الدين"، وفي لفظ عند البخاري(٧٢٧٠): "اللهم علمه الكتاب"، واللفظ المذكور عند أحمد(٢٣٩٧).

(والنبي وليس معه أحد) فيأتي نبيّ إلى أمة فلا يستجيب له أحد؛ هذا دليل واضح وقوي على أن الحق لا يُعرَف بالكثرة.

(إذ رُفع لي سواد عظيم) إذا رأيت الأشخاص من بعيد؛ تقول: رأيت سواداً، يعني: رأيت أناساً، "فرُفع له سواد عظيم"، يعني: أشخاص كُثُر، بجمعٍ كبير، حتى ظنّهم النبي ﷺ أنهم أمّته، وهو يعلم أن أمّته كُثُر.

(فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه) هذا يدلنا على أن بني إسرائيل الذين آمنوا مع موسى كُثُر.

قال: (فنظرت فإذا سواد عظيم) سواد آخر، أشخاصٌ كُثُر غير الأُوَل.

(فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب)، مع أمة محمد ﷺ سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب؛ لا يحاسبهم الله سبحانه وتعالى على أعمالهم، ولا يُعذَّبون؛ يدخلون الجنة مباشرةً، ومن فضل الله أنه قد جاء في رواية ثانية أن النبي ﷺ قال: "فاستزدت؛ فزادني مع كل ألفٍ سبعين ألفاً "[(١)]، يعني: طلب الزيادة من الله سبحانه وتعالى، وهذه الرواية صحيحة، وأما رواية: "مع كل واحد سبعين ألفاً"[(٢)] فلا تصحّ.

---

(١) أخرجه أحمد(٨٧٠٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفي إسناده زهير بن محمد الخراساني، قال ابن حجر في "التقريب": "...[ثقة إلا أن] رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة فضعف بسببها، .... وقال أبو حاتم حدث بالشام من حفظه فكثر غلطه"، وقال ابن حجر في "الفتح" (٤١٠/١١): "وإسناده جيد، وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ وَعَنْ حُذَيْفَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَعَنْ أَنَسٍ عِنْدَ الْبَزَّارِ وَعَن ثَوْبَان عِنْد بن أَبِي عَاصِمٍ فَهَذِهِ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا"، وصححه الشيخ الألباني بمجموع طرقه.

(٢) أخرجه أحمد(٢٠٣/١- مؤسسة الرسالة) عن أبي بكر رضي الله عنه، والراوي عن أبي بكر مبهم، وفي إسناده أيضاً: المسعودي.

وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة؛ لكن ما وَصْفُ هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ وهو محل الشاهد الذي أراده المؤلف رحمه الله مِن سَوقِ هذا الحديث في هذا الموطن؟

من هم السبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب؟

(ثم نهض): أي النبي ﷺ، (فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك) يعني: بدأ الناس يفكّرون في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب؛ من هم؟ فكلٌّ واحد منهم يطرح فكرة؛ ظنّاً منه أنهم هم.

(فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ) هذا يدلك على معرفة الصحابة بمنزلة مَن صحب النبي ﷺ؛ لذلك كان ظنّهم أنّهم هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

(وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شيئاً)، يعني لم يعبدوا صنماً، ولم يعبدوا حجراً، ولا أشركوا بالله أبداً؛ نشأوا على التوحيد، وبقوا على التوحيد.

(وذكروا أشياء)؛ وكلّها ظنون منهم.

(فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه)؛ فأخبروه بما يفكّرون فيه، وبما اختلفوا فيه.

(فقال: "هم الذين لا يسترقون") هذا الوصف الأول: لا يسترقون؛ يعني: لا يطلبون الرقية من غيرهم؛ إذا أصابهم شيء لا يذهب إلى شخص يقول له: "ارقني"؛ هذا معنى لا يسترقون.

وجاء في رواية: "لا يرقون": لا يرقون غيرهم؛ لا تحصل منهم الرقية لغيرهم؛ وهذه الرواية خطأ؛ فقد رَقى النبي ﷺ، ورُقي، وقال: "لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك"[1] ؛ فهذا كلّه يدل على أن هذا لا ينافي كمال التوحيد، كمال الإخلاص، وكمال الاعتماد على الله سبحانه وتعالى؛ فلذلك كانت هذه الرواية رواية خاطئة، والصواب: "لا يسترقون" يعني: لا يطلبون الرقية.

لماذا كان الذين لا يسترقون من الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب؟

لكمال الاعتماد على الله تبارك وتعالى، أحياناً- وهذا نراه في زمننا هذا- نجد الناس إذا علِموا من شخصٍ أنه يرقي، وأن كثيراً من الناس شفاهم الله على يديه؛ تعلّقت قلوبهم به بعضَ التعلّق؛ فأخلَّ ذلك في كمال الاعتماد على الله تبارك وتعالى؛ فلذلك قال: "الذين لا يسترقون"؛ فلا يطلبون الرقية من أيِّ أحد؛ اعتماداً على الله تبارك وتعالى، ولا يعني ذلك ألا نأخذ بالأسباب المشروعة التي ليس فيها إخلال بالاعتماد على الله تبارك وتعالى كالتداوي مثلاً؛ لا؛ ومن ظنّ ذلك من أهل العلم فهو خاطئ؛ فقد تداوى النبي ﷺ وداوى عليه الصلاة والسلام؛ فلا يُخلّ هذا بالتوحيد أبداً، ولا في كماله؛ إذا صدق الإنسان في اعتماد قلبه على الله تبارك وتعالى، وعَلِم واستيقن أن هذه الأشياء هي مجرّد أسباب، والله سبحانه وتعالى قد أمرَنا بالأخذ بالأسباب؛ فنحن نأخذ بها لأن الله سبحانه وتعالى أمرَنا بها، ولأنه سبحانه علّق الأشياء بأسبابها، أما الاعتماد فيكون على الله؛ فنوقن بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يحقق لنا ما نريد مِن شفاءٍ وغيره.

---

(١) أخرجه مسلم(٢٢٠٠) عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

حكم الكي:

("ولا يكتوون"): لا يطلبون من أحد أن يكويهم، والكيُّ معروف: الحرق بالنار، وكانوا يستعملونه للعلاج كثيراً، وما زال إلى يومنا هذا يستعمل للعلاج.

وقد اختلف العلماء في مشروعية الكي، جاء في "صحيح البخاري" عن ابن عبّاس أن النبي ﷺ قال: "الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشرطة مِحجَم، وكيّة بنار، وأنهى أمتي عن الكيّ"[(١)]، وفي رواية:"وما أحب أن أكتوي"[(٢)].

قال ابن القيّم رحمه الله: "قد تضمّنت أحاديث الكي أربعة أنواع،أحَدُهَا: فِعْلُهُ؛ وَالثَّانِي: عَدَمُ مَحَبَّتِهِ لَهُ، وَالثَّالِثُ: الثَّنَاءُ عَلَى مَنْ تَرَكَهُ، وَالرَّابِعُ: النَّهْيُ عَنْهُ، وَلَا تعارض بينها بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ فِعْلَهُ يَدُلُّ عَلَى جِوَازِهِ، وَعَدَمُ مَحَبَّتِهِ لَهُ لَا يَدُلُّ عَلَى المنع منه، وأما الثناء على تَارِكِهِ، فَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَرْكَهُ أَوْلَى وَأَفْضَلُ، وَأَمَّا النَّهْيُ عَنْهُ، فَعَلَى سَبِيلِ الِاخْتِيَارِ وَالْكَرَاهَةِ، أَوْ عَنِ النَّوْعِ الَّذِي لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ، بَلْ يُفْعَلُ خَوْفًا مِنْ حُدُوثِ الدَّاءِ، وَاللَّهُ أعلم"[(٣)]

يعني جاءت أحاديث في الكي خلاصتها والذي تدل عليه أربع أشياء؛ ولا تعارض بينها بحمد الله؛ فجمع ابن القيّم بين هذه الأحاديث جميعاً فقال: إنّ فِعْلَه له يدل على جوازه- أي: على جواز الكي- وعدم محبّته له؛ فلا يدلّ على المنع منه؛ كونه لا يحبّه لا يدلّ على أنه محرّم، وأما الثناء على تاركه فيدلّ على أن تركه أولى وأفضل؛ يعني: ليس محرّماً لكنَّ الأحسن أن يُترك، وأما النهي: فعلى سبيل الاختيار والكراهة؛ يعني نهى عنه كراهة له.

فخلاصة الموضوع: أن الكي مكروه وليس محرّماً؛ هذا إذا ما اكتويت بنفسك مثلاً، أو كواك أحد وأنت لم تطلب منه؛ فهو مكروه، لكن لا تطلب الكي؛ لأنك إذا طلبته خرجت من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

---

(١) (٥٦٨٠)

(٢) أخرجه البخاري(٥٦٨٣)، ومسلم(٢٢٠٥) عن جابر رضي الله عنه.

(١) "زاد المعاد" (٦٠/٤)

("ولا يتطيّرون"): التطيّر هو التشاؤم؛ وهو محرّم، ومن الشرك-كما سيأتي إن شاء الله باب مستقل لهذا الأمر-، وأصله: أن الناس كانوا في الجاهلية إذا أرادوا أن يفعلوا شيئاً طيّروا طيراً، فإذا طار هذا الطائر يميناً؛ تفاءلوا خيراً ومضوا في أمرهم، وإذا مضى الطير شمالاً؛ تشاءموا شرّاً وتركوا الطريق وما مضوا في أمرهم؛ هذا أصل تسمية الطيرة، وهي التشاؤم؛ وهي شرك كما قال عليه الصلاة والسلام: "الطيرة شرك"[1]، ومن فعلها لم يعتمد على الله سبحانه وتعالى في أمره، وقد أبدلنا الله تبارك وتعالى خيراً منها؛ أبدلنا الاستخارة، تصلي ركعتين غير الفريضة- ركعتي نافلة-؛ المهم من غير الفريضة، وتدعو بدعاء الاستخارة؛ فأنت بذلك تعتمد على الله اعتماداً تامّاً وتكل الأمر إليه؛ فيفعل لك ما فيه خير.

الخلاصة:

قال في النهاية: ("وعلى ربهم يتوكّلون"): هذه خلاصة الموضوع؛ المراد أصلاً: أنهم يعتمدون على ربهم تبارك وتعالى في تحقيق مآربهم، وغاياتهم فيما يريدونه، تعلّق قلوبهم يكون على الله سبحانه وتعالى لا على غيره؛ لا على الأسباب، فهم بذلك لا يطلبون من أحدٍ الرقية، ولا الكي، ولا يتطيّرون؛ لكمال اعتمادهم على الله تبارك وتعالى؛ هذا المعنى المقصود، فمَن تحقق منه ذلك؛ فقد حقّق التوحيد تحقيقاً تامّاً؛ لذلك يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.
وقد وصل إلى هذه المرتبة- مرتبة تحقيق التوحيد بكلّ معانيه-: من ترك الشرك كبيره وصغيره، ظاهره وخفيّه، ومن ترك البدع والمحدثات، وترك المعاصي والذنوب، لا يعني ذلك أنه لا تقع منه معصية؛ ربّما تقع المعصية من جميع الناس؛ لكنه يستغفر ويتوب ويرجع إلى الله سبحانه وتعالى ويعتمد على الله اعتماداً كاملاً.

---

(٢) أخرجه أحمد(٣٦٨٧)، والترمذي(١٦١٤)، وأبو اود(٣٩١٠)، وابن ماجه(٣٥٣٨) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة" (٤٢٩)

(فقام عكاشة بن محصن؛ فقال: "يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم")، عكاشة بن محصن: أحد الصحابة؛ كانوا جالسين يسمعون، وقوله: "منهم" أي: من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

(قال: "أنت منهم") أي: قال رسول الله ﷺ ، وهذه بشرى طيبة لعكّاشة؛ فنحن نشهد لعكّاشة بن محصن بأنه من أهل الجنة؛ لأن النبي ﷺ ذكر هذا فقال: "أنت منهم"، ومن عقيدتنا: ألا نشهد بالجنة إلا لمن شهد له النبي ﷺ؛ وإلّا؛ فبشكل عام نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، نحكم للمؤمن بالجنة ونحكم للكافر بالنار؛ ولكن هذا بشكلٍ عامّ، أما كتحديد للمؤمن بأن نقول: "أنت ستدخل الجنة"؛ هذا أمره إلى الله سبحانه وتعالى، وليس لنا، لكن هنا: نشهد لعكّاشة بأنه من أهل الجنة ؛لأن النبي ﷺ قد شهد له بذلك.

(ثم قام رجل آخر؛ فقال: "ادع الله أن يجعلني منهم"؛ فقال: "سبقك بها عكاشة") لماذا قال له النبي ﷺ هذا؟ هؤلاء سبعون ألفاً ومع كل ألفٍ سبعون ألفاً؛ يعني: يمكن أن يكون هذا الآخر والذي بعده والذي بعده منهم؛ لكن هنا قال بعض أهل العلم: هذا الرجل كان منافقاً؛ لذلك ما دعا له النبي ﷺ، وقال له: "سبقك بها عكّاشة"؛ كي يغلق الباب عليه الصلاة والسلام عليه، وقال بعضهم: لا؛ وإنما أراد النبي ﷺ أن يغلق الباب؛ لأنه لو قال لهذا؛ سيقوم الذي بعده، والذي بعده؛ فلا ينتهي الأمر، فأراد النبي ﷺ أن يغلق الباب فقال: "سبقك بها عكّاشة"؛ فردّ النبي ﷺ كان لإغلاق الباب؛ وهذا الظاهر- والله أعلم-: أن النبي ﷺ أراد أن يُنهِيَ الأمر؛ فقال: "سبقك بها عكّاشة".

الشاهد: أن من حقق التوحيد تحقيقاً تامّاً، صفّاه ونقّاه من كل أنواع الشرك ومن البدع ومن المعاصي، واتبع النبي ﷺ اتباعاً حقيقياً؛ فهذا مقتضى كلمة: أشهد أن محمداً رسول الله، وبترك البدع وترك المعاصي، والتعبّد لله سبحانه وتعالى بما شرع؛ فعندئذ يكون المرء ممن يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإيّاكم من أهل ذلك.

وهذا يدلّ على فضيلة تحقيق التوحيد، الفضيلة العظيمة؛ والناس في ذلك مراتب ودرجات، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل هذه الدرجة التي يدخل أهلها الجنة بغير حساب ولا عذاب، وفقنا الله وإيّاكم لطاعته.

الباب الثالث: باب الخوف من الشرك

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (**بَاب الخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ**)

هذا الباب معقود ليبيّن فيه المؤلف خطر الشرك، وإذا عُرِف خطره؛ وجب الخوف منه واجتنابه، فبعد أن بيّن في الأبواب السابقة: التوحيد، وبيّن فضله؛ أراد أن يبيّن هنا: ما يُضادّ التوحيد؛ وهو الشرك، ويبيّن خطره، فإذا عُرف خطر الشرك؛ وجب الخوف منه، والحذر منه والابتعاد؛ لذلك عقد لنا هذا الباب- رحمه الله- فقال: "باب الخوف من الشرك".

والشرك تقدّم معنا تعريفه، وخير ما يُعرّف به قول النبي ﷺ: "أن تجعل لله نِدّاً وهو خلقك"[1]، فأن تجعل لله نداً- يعني: مثيلاً؛ شريكاً له فيما هو من خصائصه- يُعتبَر شركاً، فيدخل في ذلك: الشرك في الربوبية، والألوهية، والأسماء الصفات، وكما ذكرنا: بيّنه حديث النبي ﷺ: "أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك"، وكذلك الحديث القدسي الذي قال فيه النبي ﷺ: "قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري، تركته وشركَه"، هذا يبيّن لنا معنى الشرك، "من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري؛ تركته وشركَه"؛ يعني تعمله فتتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى به، ثم تعمله وتتقرّب به إلى غير الله سبحانه وتعالى؛ هذا هو معنى الشرك؛ لأن عبادتك يجب أن تكون لله وحده، فإذا عبدت غير الله معه؛ فقد أشركت معه غيره فيما يختص به سبحانه وتعالى، فتَعبُّدُك وتقرّبك يجب أن يكون لله وحده، وألا يكون لغيره معه منه شيء وكذلك أيضاً: أن تعتقد أنّ الله هو الخالق الرازق المدبّر، فإذا اعتقدت أن غيره خالقاً معه؛ فقد أشركت، إذا اعتقدت أن غيره مدبّرٌ معه؛ فقد أشركت... وهكذا، فتعرف ما هو خاصٌّ بالله سبحانه

(١) أخرجه البخاري(٤٤٧٧)، ومسلم(٨٦) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وتعالى وتجعله خاصّاً بالله سبحانه وتعالى، ولا تجعل لغيره فيه شيئاً؛ هذا معنى التوحيد، وهذا معنى الشرك.

يقول المؤلف رحمه الله: (**وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}**[1])

هذه الآية ساقها المؤلف كي يبيّن لنا خطورة الشرك، وخطورته تتبيّن في هذه الآية من أي وجه؟

من وجه أن الشرك لا يغفره الله سبحانه وتعالى؛ فالأمر خطير، بقية الذنوب التي هي أدنى من الشرك- أقل من الشرك-؛ يغفرها الله سبحانه وتعالى تحت مشيئته، والمقصود من هذه الآية: عندما يلقى العبد ربه يوم القيامة؛ هذا المقصود بها، وليس في الدنيا، أما في الدنيا؛ فقد جاء قول الله سبحانه وتعالى: {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}[2]، فيشمل ذلك الشرك والذنوب والمعاصي؛ كلها يغفرها الله سبحانه وتعالى إذا تاب العبد ورجع إلى الله قبل أن يموت؛ قبل أن يغرغر، يعني قبل أن تخرج الروح من الجسد، ففي الدنيا: إذا تاب؛ تاب الله عليه مِن الشرك فما دون، لكن بعد الموت: إذا لقي الله سبحانه وتعالى بالذنوب؛ فهو تحت مشيئة الله؛ إن شاء الله عفا عنه وغفر له تلك الذنوب، ولم يعذّبه عليها، وأدخله الجنة، وإذا شاء عذّبه على ذنوبه؛ على قدرها، ثمّ أخرجه الله من النار إلى الجنة، أما الشرك؛ فلا يغفره الله، إذا مات الإنسان مشركاً؛ فهو معذّبٌ في نار جهنّم قولاً واحداً.

---

(١) [النساء:٤٨]

(٢) [الزمر:٥٣]

أقسام الشرك، وأي القسمين الذي يخلد صاحبه في النار؟

والشرك قسمان: شركٌ أصغر وشركٌ أكبر.

أما الشرك الأكبر: فينطبق عليه ما ذكرنا؛ لأن الشخص إذا لقي الله سبحانه وتعالى بالشرك الأكبر؛ فهو مخلّد في نار جهنّم؛ يدخل نار جهنّم ولا بدّ، ويُخلّد فيها ولا يخرج منها أبداً.

أما الشرك الأصغر؛ فلا يُخلّد فيها؛ ولكن هل لا بدّ أن يدخلها؟ أم يغفر الله سبحانه وتعالى له إذا شاء؟ يعني: هل هو تحت المشيئة كصاحب الذنوب؟ إن شاء الله أن يعفو عنه عفا عنه، ولا يدخله النار أصلاً؟ أم أنه لا بد أن يُعَذَّب في نار جهنم على قدر ذنبه ثم يخرج؟

هل صاحب الشرك الأصغر لا بدَّ أن يدخل النار؛ أم هو تحت المشيئة كبقية الذنوب.

صاحب الشرك الأصغر لا يُخلّد في نار جهنّم؛ هذه يجب أن تعلمها؛ هذا الأمر الأول.

الأمر الثاني: هل هو تحت مشيئة الله سبحانه وتعالى إذا لقي الله على ذاك الشرك- الشرك الأصغر- إذا شاء الله عذبه، وإذا شاء غفر له كبقية الذنوب والمعاصي؟ أم أنه لا يكون تحت المشيئة؛ بل لا بد أن يُعذّب في نار جهنم، ثم يخرج منها؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين؛ البعض قال: لا بدّ أن يدخل نار جهنم، ويُعذّب على قدر ذنبه، ثم يخرج منها.

والبعض قال: لا؛ هو كبقية الذنوب؛ إذا شاء الله سبحانه وتعالى عفا عنه، وإذا شاء عذّبه.

قولان لأهل السنة والجماعة، وسبب الخلاف في نفس الآية، فَمَن فهمها على ظاهرها اللغوي قال: لا يدخل صاحب الشرك الأصغر تحت المشيئة؛ لا بد أن يُعذَّب؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: {إن الله لا يغفر أن يُشرَك به}، وهذه الصيغة في أصول الفقه تعني العموم؛ إن الله لا يغفر إشراكاً به، ولا أريد أن أدخل معكم في هذه التفصيلات؛ فكثير منكم لم يدرس الأصول، ولم يدرس الدلالات اللغوية؛ فلا أريد أن أدخل في هذه القضايا.

المهم في الموضوع: أن تفهم بالدلالة اللغوية هنا والأصولية: أن هذه الآية تدلّ على العموم؛ عموم الشرك؛ فيشمل الأكبر والأصغر.

لكن سياق الآية- موضوعها وما سيقت لأجله- يدلّ على أن المقصود: الشرك الأكبر، فمن نظر إلى الناحية اللغوية؛ قال: صاحب الشرك الأصغر لا بدّ أن يُعذَّب ولا يغفر الله سبحانه وتعالى له؛ فيعذَّب على قدر ذنبه ثم يخرج، ومن نظر إلى سياق الآية؛ قال: لا؛ بل المقصود بالآية: الشرك الأكبر؛ فهو الذي لا يغفره الله سبحانه وتعالى، وأما غيره؛ فالشرك الأصغر كبقية الذنوب والمعاصي؛ يغفرها الله سبحانه وتعالى إذا شاء، وإذا شاء أن يعذّب صاحبها؛ عذّبه عليها.

وهذا القول الثاني: هو الصحيح عندي؛ أن المقصود بالآية: الشرك الأكبر، ولا يدخل فيها الشرك الأصغر.

لكن المقصود على كل حال: خطورة الشرك؛ فالشرك أمره خطير، حيث إن الله سبحانه وتعالى لا يغفره؛ لا بد لصاحبه أن يُعذّب في نار جهنم، وصاحب الشرك الأكبر يُخلّد في نار جهنّم قولاً واحداً، وأما صاحب الشرك الأصغر؛ فلا يخلّد في نار جهنم، يُعذّب على قدر ذنبه- إن عذّبه الله سبحانه وتعالى- ثم يخرج إلى الجنة، لكن ذنبه عظيم؛ أكبر حتى من بقية المعاصي؛ فهو شرك في النهاية، المهم في الموضوع أنه يسمّى شركاً في شرع الله سبحانه وتعالى، فإذا كان من الشرك؛ فهو أعظم من بقية الذنوب.

إذاً خلاصة الموضوع: أن الشرك عندنا خطير، وخطورته: أن الله سبحانه وتعالى لا يغفره، وذكرنا أن الشرك ينقسم إلى قسمين: شركٌ أكبر وشرك أصغر، الشرك الأكبر مُخرج من الملّة، صاحبه مُخلّد في نار جهنم، أما الشرك الأصغر؛ فهو غير مُخرِج من الملّة، وصاحبه لا يُخلَّد في نار جهنّم؛ يُعذَّب على قدر ذنوبه، ثم يخرج، وهو- على الصحيح-: داخل تحت المشيئة، إذا شاء الله عذّبه وإذا شاء غفر له.

كيف تُميِّز بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر؟

الشرك الأصغر- ومنه الرياء، ومنه قول: "ما شاء الله وشئت"، ومنه الحلف بغير الله في بعض الأحوال؛ هذا من الشرك الأصغر-؛ ضابطه: كل ما دل الدليل على أنه شرك؛ ورد في الدليل في الكتاب أو في السنة على أنه شرك، وكان ذريعة إلى الشرك الأكبر، يعني: يوصل إلى الشرك الأكبر؛ وسيلة توصلك إلى الشرك الأكبر؛ كالحلف بغير الله مثلاً وسيأتي إن شاء الله تفصيل هذا كله- الحلف بغير الله شركٌ أصغر؛ لأنك عندما تحلف بشخص؛ تحلف بمُعظّم، وهذا التعظيم لا يليق إلا بالله سبحانه وتعالى؛ فتعظيمك لهذا الشخص ربما يوصلك إلى تعظيمه كتعظيم الله سبحانه وتعالى؛ فتنتقل من الشرك الأصغر إلى الشرك الأكبر؛ فهو ذريعة إلى الشرك الأكبر؛ هذا معنى أن يكون ذريعة إلى الشرك الأكبر، يعني: يوصلك إلى الشرك الأكبر، كأن تقول مثلاً: ما شاء الله وشئت؛ هي شركٌ من حيث اللفظ؛ أن تجعل مشيئة الشخص كمشيئة الله سبحانه وتعالى؛ لأنك عطفتها عليها بحرف العطف (واو) الذي لا يفيد ترتيباً، وهذا ربما يوصل إلى الشرك مع الله سبحانه وتعالى؛ وهي أن تجعل مشيئة الشخص كمشيئة الله سبحانه وتعالى؛ فلذلك حُرِّم؛ فهو من الشرك الأصغر، وهكذا؛ فهذا هو الضابط في التفريق ما بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر.

الشرك الأكبر هو: أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك؛ هذا تعريفٌ شاملٌ له.

إذاً الشاهد من الآية أننا يجب أن نخاف من الشرك ؟ لأن الشرك لا يغفره الله سبحانه وتعالى أبداً؛ بل صاحبه إذا لقي الله سبحانه وتعالى؛ فهو خالد مخلّد في نار جهنم، فمن دخل النار مشركاً الشرك الأكبر؛ لا يخرج منها أبداً؛ {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ}[1]، هذا حال هؤلاء المشركين الكفار، إذا لقوا الله سبحانه وتعالى؛ وهذا أخطر ما يمكن في الشرك: أن تُخَلَّد في نار جهنم، وألا تدخل الجنة أبداً؛ فتُحرّم عليك؛ هذا المراد والمقصود من هذه الآية.

إذاً: خلاصة الموضوع: لا بدّ أن نفرّق ما بين أن يكون الشخص مشركاً في الدنيا، وأن يلقى الله سبحانه وتعالى على الشرك، إذا أشرك في الدنيا، ثم تاب ورجع إلى الله سبحانه وتعالى قبل الغرغرة؛ قبل أن تنقطع التوبة؛ فهذا يتوب الله سبحانه وتعالى عليه، وهذا المقصود من قول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا }[2]، أما إذا مات ولقي الله سبحانه وتعالى بهذا الشرك الأكبر؛ فهذا يدخل النار ولا بدّ، وهو مخلَّدٌ في نار جهنم لا يخرج منها أبداً.

ثم قال المصنّف رحمه الله تعالى: (**وقال الخليل عليه السلام: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ}**)

(الخليل) هو النبي إبراهيم عليه السلام.

{واجنبني وبَنِيَّ}: يعني: اجعلني واجعل أبنائي بعيدين عن عبادة الأصنام، {واجنبني وبني أن نعبد الأصنام}[3] دعاءٌ من إبراهيم عليه السلام أن يجنبه الله سبحانه وتعالى، وأن

(١) [المائدة:٧٢]

(٢) [الزمر:٥٣]

(٣) [إبراهيم:٣٥]

يجنّب أبناءه عبادة الأصنام، فإبراهيم عليه السلام وهو مَن هو في تحقيق التوحيد؛ كان يخاف على نفسه ويخاف على أبنائه من الشرك- عبادة الأوثان؛ الأصنام- فكان يدعو الله سبحانه وتعالى بأن يجنّبه عبادة الأصنام، وكذلك كان يدعو لأبنائه بذلك، وقد استجاب الله سبحانه وتعالى له، يقول أحد أئمة السلف: "ومَن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟"[1]، يعني: إذا كان إبراهيم عليه السلام- وهو مَن هو- كان يخاف على نفسه من عبادة الأصنام؛ فمَن يأمن من ذلك بعد ذلك؟ إذاً نحن أولى بالخوف من عبادة الأصنام ومن الشرك من إبراهيم عليه السلام، فنحن أقل علماً وأضعف إيماناً من إبراهيم؛ فنحن أحرى أن نخاف من الشرك؛ لذلك يجب علينا أن نحرص على العلم؛ فبالعلم تستطيع أن تجتنب الشرك، فإنك إن لم تكن تعرف ما هو التوحيد وما هو الشرك؛ لن تستطيع أن تحرص على التوحيد والفرار من الشرك؛ فلا بد من العلم؛ تتعلّم التوحيد كي تعمل به، وتعرف الشرك كي تفرّ منه وتجتنبه؛ كما قال حذيفة: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرّ؛ مخافة أن يُدْركني"[2]، لا لأنه حريصٌ عليه؛ بل لأنه يريد أن يفرّ منه؛ وهكذا نحن: نتعلم التوحيد كي نعمل به، ونتعلم الشرك كي نفرّ منه ونحذر منه، فإذاً: لا بد من العلم ولا بد أيضاً من العمل بعد العلم؛ تتعلم، تعتقد، تعرف ما الذي جاء به نبيّك ﷺ وما هي دعوته، وما الذي كان عليه كفار قريش؛ حتى تفرّ من ذلك ولا تقع فيه؛ فلا بد من العلم، ومن الإخلاص، ومن الدعاء كما كان إبراهيم عليه السلام يفعل، إبراهيم نبيُّ الله سبحانه وتعالى كان يدعو بهذا الدعاء؛ فنحن أولى أن ندعو به وأن نحرص عليه، والنبيّ ﷺ أيضاً كان يدعو ويقول: "يا مقلب القلوب ثبّت قلوبنا على دينك"[3]، وهو نبيّ الله

---

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره" (٦٨٧/١٣) عن إبراهيم بن يزيد التيمي.

(٢) أخرجه البخاري(٣٦٠٦)، ومسلم(١٨٤٧)

(٣) أخرجه أحمد(١٢١٠٧)، والترمذي(٢١٤٠)،

عليه الصلاة والسلام؛ فنحن أولى وأحرى بأن نجتهد في الدعاء؛ كي يُثبّتنا الله سبحانه وتعالى على الحق ويجنبنا الباطل والضلال والشرك اقتداءً بأنبيائه.

الشاهد من هذه الآية: أن إبراهيم يخاف الشرك على نفسه وعلى أبنائه، فكان يدعو بهذا الدعاء؛ فنحن أولى بذلك.

بقي أن نفسّر معنى الأصنام: الأصنام: ما كان منحوتاً على صورة، منقوشاً نقشاً، حجر تنقشه وتجعله على صورة إنسان، أو على صورة حيوان؛ هذا يسمّى صنماً، كانوا قديماً يعبدون هذه الأحجار، وكانوا أيضاً يعملون أصناماً من التمر، يعجنون تمراً ويجعلونه صنماً، وإذا جاع الشخص منهم أكله.

والوثن: أعم من الصنم، فكلُّ ما عُبدَ من دون الله؛ فهو وثن، سواء كان على صورة أو على غير صورة، أما الصنم فهو خاصٌّ بالصورة فقط؛ هذا هو الصحيح في الفرق بين الأصنام والأوثان، فالقبور والأشجار التي تُعْبَدُ أوثان؛ وهكذا.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (**وفي الحديث: "أَخْوَفُ ما أَخافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكَ الأَصْغَرَ"، فَسُئِلَ عَنْهُ؟ فقال: "الرِّياءُ"**[1])

(أخوف ما أخاف عليكم) والنبي ﷺ يخاطب أمّته.

(الشرك الأصغر) وقد فسّرناه؛ ومنه الرياء.

(فسئل عنه؟ فقال: "الرياء") هذا أكثر ما يخافه النبي ﷺ علينا؛ لأنه دقيق، والناس لا ينتبهون له؛ فيقعون فيه؛ إما بجهلٍ أو بغفلة؛ فلذلك كان النبي ﷺ يخافه علينا كثيراً، من هنا جاء قول بعض السلف: "ما عالجت شيئاً أشدَّ عليَّ من نيتي؛ لأنها تتقَلَّبُ عليَّ "[2].

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٢٣٦٣٠) عن محمود بن لبيد

(٢) "جامع العلوم والحكم" (١/٧٠)

والإخلاص: أن يعمل العبادة لا يريد بها إلا وجه الله سبحانه وتعالى؛ فالرياء يفسد الإخلاص.

ما هو الرياء؟ وهل يفسد العمل كله؟

والرياء أصلاً: مأخوذ من الرؤية؛ أن تعمل العبادة، وتريد من الناس أن يروك كي يُثنوا عليك ويمدحوك، وهذا ليس خاصّاً بالرؤية، فربما حتى بالسماع؛ ترفع صوتك بالذكر مثلاً كي يسمعك الناس؛ يقولون: ما شاء الله الرجل ذاكر، ترفع صوتك بقراءة القرآن؛ يقولون: ما شاء الله يقرأ القرآن وصوته حسنٌ بالقرآن، أو بالفعل: ترى فقيراً أمام الناس فتأتي وتعطيه مالاً من أجل أن يراك الناس؛ يقولون: متصدّق؛ هذا رياء، وهذا معنى الرياء، المنافقون كانوا يُظهرون للناس الإسلام؛ كي يراهم الناس أنهم مسلمون، وهم في الحقيقة كفار؛ هذا أعظم أنواع الرياء؛ وهذا كفر؛ والرياء هذا من الشرك الأصغر -كما قال النبي ﷺ- ويُفسد الأعمال، العمل إذا بدأ أساساً بالرياء؛ فهو فاسد، بدأتَ صلاتك كي يراك الناس ويقولون مُصلٍّ؛ صلاتك هذه باطلة، أما إذا دخل عليك الرياء في أثناء الصلاة؛ أنت دخلت في الصلاة لا تريد من وراء ذلك إلا وجه الله سبحانه وتعالى فقط، وكبرت تكبيرة الإحرام، فقلت: "الله أكبر" وبدأت بصلاتك، فرأيت أناساً ينظرون إليك، فحسّنت صلاتك من أجل أن يمدحوك، ودخل الرياء عليك؛ هنا يُقال: إما أن يطرد الشخص في هذه الحالة الرياء الذي طرأ على قلبه في هذه الحالة، ولا يستمرُّ معه، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وينصرف عن هذا، ويُخلص عمله لله سبحانه وتعالى؛ فهذا لا يؤثّر في صلاته، وتكون صلاته صحيحة، وإما أن يستمرّ معه؛ يدخل عليه الرياء ويعجبه الحال، ويستمرّ معه، يرى أناساً ينظرون إليه؛ فيدخل في قلبه شيء أنه يريد ثناءهم، فبدل أن يصرفه؛ استمرّ معه؛ فهذا تبطل صلاته التي يصليها في لحظتها، ليس كل

صلاة صلاها في حياته من أولها إلى آخرها؛ لا؛ بل الصلاة التي يصليها الآن؛ لأن الصلاة التي هو في حال أدائها: مرتبط بعضها ببعض؛ من تكبيرة الإحرام إلى التسليم؛ فهذه كلها تبطل إذا استمر مع الرياء.

هذا هو التفصيل لحكم المُرائي، وكما ذكرنا لكم: هذا الرياء من الشرك الأصغر؛ فأمرُهُ خطير، والنبي ﷺ خافه علينا لشدة خطورته؛ فنحن أولى أن نخاف على أنفسنا من الشرك، والواجب أن نخلص العمل لله سبحانه وتعالى.

كيف تتخلص من الرياء وتجعل عبادتك خالصة لله سبحانه وتعالى؟

أول الأسباب: الدعاء؛ أكْثِر من دعاء الله سبحانه وتعالى أن يجنبك الرياء وأن يجنبك الشرك الأصغر والأكبر، أكثِر من الدعاء كثيراً، فإذا كان الأنبياء كانوا يدعون- كما تقدّم-؛ فنحن أولى بالدعاء بارك الله فيكم.

الأمر الثاني: تستحضر في كل عبادة أن تعمل العبادة لا تريد بها إلا وجه الله، لا تريد منها أيَّ مقابل من أي إنسان، وكلما استطعت أن تكون عبادتك بينك وبين الله؛ فافعل، يعني: إذا تمكّنت أن تصلي قيام الليل وحدك في مكان لا يراك فيه أحد؛ فهو الأفضل، إذا تمكنت أن تتصدق بصدقة ولا يراك فيها أحد؛ فهو الأفضل؛ لأن ذلك يكون أكثر إخلاصاً، فعندما لا يراك أحد؛ لا تكون مريداً من ذلك إلا وجه الله سبحانه وتعالى فقط.

لكن أحياناً تحتاج أن تعمل عبادات لا بد أن يراك الناس فيها؛ فهنا تحتاج أن تجاهد نفسك؛ "ما جاهدت شيئاً أشد عليّ من الإخلاص"، ولا يزال العبد في معارك مع نفسه

في هذه القضية، ويجب أن يتغلب عليها بكثرة الدعاء لله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى يعينه على هذا.

وفقنا الله وإياكم لإخلاص العمل له وحده تبارك وتعالى، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجنّبنا الشرك الأصغر والأكبر.

هذا الحديث الذي تقدّم: "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر" أخرجه أحمد في مسنده؛ وهو صحيح.

ثم قال المصنّف رحمه الله تعالى: (**وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ ماتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُوْنِ الله نِدًّاً؛ دَخَلَ النَّارَ" رواه البخاري"**)

(رواه البخاري): أي في صحيحه[1]

(من مات) أي شخصٍ يموت.

(وهو يدعو من دون الله ندَّاً؛ دخل النار) يعني: وهو يعبد غير الله سبحانه وتعالى، وهو يدعو من دون الله، يعني: وهو يدعو؛ وهو يعبد من غير الله ندّاً؛ مثيلاً لله تبارك وتعالى؛ لأنك إذا عبدت شخصاً؛ فقد جعلته مثيلاً لله سبحانه وتعالى؛ فالند هو: الشبيه، النظير، المثيل؛ كلها نفس المعنى.

"من مات وهو يدعو من دون الله نداً " يعني: جعله لله نداً فعبده مع الله؛ لأن الدعاء هو العبادة كما جاء في حديث النعمان بن بشير قال النبي ﷺ: "الدعاء هو العبادة"[2]، وهو صحيح، فهنا: من مات وهو يعبد غير الله سبحانه وتعالى؛ دخل النار، من مات وهو يدعو من دون الله نداً؛ دخل النار، إذاً: ينبغي عليك أن تخاف من الشرك: أن تكون من

---

(١) أخرجه البخاري(٤٤٩٧)، ومسلم(٩٢) واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (١٨٣٥٢)، والترمذي(٣٢٤٧)، وأبو داود(١٤٧٩)، وابن ماجه(٣٨٢٨) ، والنسائي في "سننه الكبرى"(١١٤٠٠).

أهل النار، وليس الدخول هنا فقط دخولاً مؤقتاً ثم تخرج؛ لا؛ هنا الدخول دخول مؤبد؛ لا تخرج منها أبداً؛ لأنه قد دخل مشركاً؛ مات وهو مشرك؛ فيدخل النار ولا يخرج منها أبداً، كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}[1]؛ آية واضحة وصريحة: من مات مشركاً؛ لا يدخل الجنة أبداً ومأواه النار، والمأوى والمستقر له هي النار؛ لا يخرج منها أبداً؛ هذا معنى الحديث: يدخل النار ولا يخرج منها؛ فهذا يقتضي أن تخاف من الشرك خوفاً شديداً، وأن تفرّ منه.

قال المصنف رحمه الله: (**ولمسلم، عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً؛ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً؛ دَخَلَ النَّارَ"**)

(ولمسلم): يعني في "صحيح مسلم"[2].

(من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة)، هذه فضيلة التوحيد: أن من لا يشرك بالله سبحانه وتعالى؛ لا بد له أن يدخل الجنة، بالتوحيد تدخل الجنة، وبالشرك تدخل النار، بالتوحيد تخلَّد في الجنة، وبالشرك تخلَّد في النار، من مات لا يشرك بالله سبحانه وتعالى شيئاً؛ يعني: لا يعبد مع الله أي شيء؛ لا حجر ولا شجر ولا نبي ولا ملك، لا إنس ولا جن، ولا أي شيء نهائياً؛ دخل الجنة، مأواه في النهاية واستقراره يكون في الجنة.

(ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار) ولا بد، من أشرك مع الله سبحانه وتعالى غيره؛ دخل النار، وهو مخلّد في نار جهنم بالشرك الأكبر، والشرك الأصغر على تفصيل؛ كما ذكرنا سابقاً.

---

(١) [المائدة:٧٢]

(٢) (٩٣)

إذاً الشاهد من هذا الحديث: أنه من مات على التوحيد؛ فهو من أهل الجنة، ومن مات على الشرك؛ فهو من أهل النار، ويقتضي ذلك: أن تخاف من الشرك وأن تفرّ منه، وأن تأخذ في ذلك بالأسباب التي ذكرناها آنفاً.

وبهذا نكون قد بيّنّا مراد المؤلف من سَوقه لهذه الآيات والأحاديث في هذا الباب؛ وخلاصته: أن المؤمن ينبغي أن يخاف من الشرك، ويحتاج لذلك أن يتعلم ما هو التوحيد وما هو الشرك؛ كي يعمل بالتوحيد ويفر من الشرك، فإذا تعلّم وعرف؛ عمل بعد ذلك، واجتنب ما علم أنه من الشرك، فما كان خاصاً بالله سبحانه وتعالى يفرده به، ولا يشرك معه غيره.

نسأل الله أن يوفّقنا وإياكم إلى توحيده، وإخلاص العمل له، وأن يجنبنا الشرك ما ظهر منه وما بطن، وفّقنا الله إياكم لطاعته.

الباب الرابع: باب الدُّعاءِ إلى شَهادَةِ أَنْ لا إله إلا الله

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (بابُ الدُّعاءِ إلى شَهادةِ أَنْ لا إِله إلا الله)

ذكر المؤلف في بداية الكتاب تفسير التوحيد، وعرفنا ما هو التوحيد، ثم ذكر فضل التوحيد كي يرغّبنا فيه، وذكر التخويف من الشرك الذي يُضادّ التوحيد؛ فأنت علمت فيما تقدّم: أنه يجب عليك أن تتعلم التوحيد، وأن تعتقد معناه، وأن تعمل بمقتضاه، ثم بعد ذلك: لا تكتفي بنفسك؛ بل يجب عليك أيضاً أن تدعو الناس إلى التوحيد؛ لذلك أتى المؤلف رحمه الله بهذا الباب؛ فقال: "باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله"، وقد عرفنا فيما تقدم معنى شهادة أن لا إله إلا الله عرفنا معناها فيما تقدّم؛ وهي التوحيد.

(الدعاء) يعني: دعوة الناس إلى توحيد الله تبارك وتعالى؛ فهذا الباب معقود ليبيّن لك المؤلف وجوب دعوة الناس إلى التوحيد، كل مسلم يجب عليه أن يدعو الناس إلى التوحيد، وإلى طاعة الله سبحانه وتعالى، وإلى شرعه؛ بحسب قدرته، وحسب ما يمرّ به من أناس؛ يبدأ بأهل بيته ومن حوله؛ فيدعو الناس إلى توحيد الله سبحانه وتعالى ولا يبقى ساكتاً؛ كل إنسان يجب عليه أن يدعو إلى دين الله سبحانه وتعالى بالقدر الذي عنده من العلم، والقدر الذي يستطيعه.

قال المصنّف رحمه الله تعالى: (**وقول الله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}**[١])

{قل}: يا محمد

{هذه سبيلي}: هذه، التي هي الطاعة التي أتيتُ بها، والدين الذي جئت به؛ دين التوحيد، والسنة، والطاعة، {هذه سبيلي}: أي : هذه الدعوة التي أدعو إليها: هي طريقي،

(١) [يوسف:١٠٨]

طريقتي، ودعوتي؛ فالسبيل هو الطريق، فهذا الذي جاء به النبي ﷺ هو طريقه، هو هديه .

{أدعو إلى الله}: إذاً من طريقة النبي ﷺ ومن هديه: الدعوة إلى الله.

معنى الدعوة إلى الله، وأنواع الدعاة فيما يدعون إليه

معنى أن تدعو إلى الله ؟

يعني: أن تدعو الناس أن يوحّدوا الله سبحانه وتعالى، وأن يدخلوا في دين الإسلام، وأن يطيعوا ربّهم تبارك وتعالى، ويتّبعوا نبيّهم؛ هكذا تكون الدعوة إلى الله، تدعو الناس إلى أن يرجعوا إلى ربهم بالتوحيد وبالطاعة وباتّباع هدي النبي ﷺ؛ هذا معنى أن تدعو الناس إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأن الذي يدعو كثير- واليوم خاصّةً- نراهم كُثُر؛ يدعون، وكلٌّ يدّعي أنه يدعو إلى الله؛ لكن في الحقيقة: البعض يدعو إلى الله، والبعض يدعو إلى غير الله سبحانه وتعالى، الدعوة واحدة، وكلّهم يقولون إنهم يدعون إلى الله؛ لكن الحقيقة خلاف ذلك: البعض يدعو إلى الله سبحانه وتعالى على الوجه الذي ذكرنا، والبعض يدعو إلى نفسه- وهذا كثير، واليوم كثيرٌ جدّاً-، الذين يدعون الناس إلى تعظيمهم ومحبّتهم والتعلّق بهم؛ هكذا يكون المرء داعياً إلى نفسه؛ يدعو الناس أن يعظموه وأن يحبّوه وأن يطيعوه ولا يخالفوا أمره، ولا يذهبوا إلى غيره؛ هذا موجود، وموجودٌ بكثرة- كما قلت لكم-، هذا يدعو إلى نفسه، لا يدعو إلى الله؛ يغضب إذا سمع أن أحداً من الطلبة ذهب إلى غيره؛ حتى لو كان الذي ذهب إليه من أهل السنة، وربّما كان أعلم منه؛ لكنه يغضب، يغضب إذا سمع أن شخصاً ترك أمره وذهب وأخذ بأمر غيره؛ حبّ الرياسة، حبّ الصدارة، حبّ المشيخة؛ هؤلاء هم الذين يدعون إلى أنفسهم، همّه أن يكثّر الناس من

حوله- الذين يحبّونه ويعظّمونه ويسمعون أوامره- هذا هو الذي يدعو إلى نفسه، لا يدعو إلى الله سبحانه وتعالى، هذا حقيقة وإنِ ادّعى أنه يدعو إلى الله؛ لكنّه كاذب.

ومن الناس من يدعو إلى حزبه، كجماعة التبليغ مثلاً؛ هؤلاء لا يدعون إلى الله؛ بل يدعون إلى حزبهم، عندهم نقاط يوالون ويعادون عليها ويدعون الناس إليها؛ هذه طريقة جماعة التبليغ، أصلهم العظيم: هو الخروج، افعل ما شئت من الشرك، من الضلالات، بما أنّك تخرج معهم، توافقهم في نقاطهم، تعظّم رئيسهم؛ فأنت منهم، حبيبهم، من جماعتهم، يوالونك ويحبونك، إذا لم تفعل ذلك؛ يبغضونك؛ وإن أظهروا لك الوجه الحسن؛ فهذا الوجه الحسن مؤقت ريثما يسحب قدمك- إن استطاعوا-، فهؤلاء حقيقة يدعون إلى حزبهم، إلى جماعتهم، إلى طائفتهم.

كذلك جماعة الإخوان المسلمين؛ يقف في المسجد ويتكلم: قال الله وقال رسول الله، وحين تركّز في كلامه؛ تجده في النهاية يدعوك إلى حزبه، إلى طائفته؛ هذا يدعو إلى حزب، لا يدعو إلى الله سبحانه وتعالى.

معنى أن تدعو إلى الله: أن تعلّق الناس بكتاب الله، وبسنّة رسول الله ﷺ، وبمنهج أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم؛ منهج السلف الصالح؛ الأئمة الأربعة: أبي بكر، عمر، عثمان، علي، ومن انتهج نهجهم من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، تُعلِّق الناس بهذا، وتعلقهم بالأئمة الذين ساروا على نهج هؤلاء؛ هذا معنى أن تدعو إلى الله سبحانه وتعالى، لا أن تدعو إلى حزبية وطائفية منحرفة عن الجادّة.

هذه صور من الدعوة إلى غير الله سبحانه وتعالى، وانتبه! ستميّز أنت في دعوات الناس؛ هناك دعوات كثيرة مختلفة في الساحة؛ الذي يدعوك إلى الله: هو من دعاك إلى كتاب الله؛ تتمسّك به، تعمل بما فيه من صغير وكبير، دعاك إلى سنة رسول الله ﷺ، وإلى منهج السلف الصالح، وإلى الأخذ بكلام الأئمة الربّانيين الذين ساروا على ذاك المنهج؛

هؤلاء هم الذين يدعون إلى الله، واحذر ممن يدعون إلى غير الله بدعوى أنهم يدعون إلى الله؛ إذا رأيته يدعوك إلى نفسه، إلى محبّته، إلى تعظيمه، إلى الأخذ بأقواله، وعدم الخروج عن أقواله؛ فهذا يدعو إلى نفسه؛ محبٌّ للرياسة والصدارة- وهؤلاء كُثُر كما ذكرنا- إذا رأيته يدعوك إلى حزبه، إلى جماعته، إلى نقاطه التي يوالي ويعادي عليها؛ فاحذره فهو حزبي .

{قل هذه سبيلي أدعو إلى الله}؛ هذا الواجب، وهذه طريقة النبي ﷺ: يدعو إلى الله، وأعظم الدعوة إلى الله: أن تدعو الناس إلى توحيده.

{على بصيرة}: الدعوة إلى الله يجب أن تكون على علم، البصيرة: هي العلم.

ما العلم الذي يجب أن يملكه الداعية إلى الله

العلم بثلاثة أمور:

أولاً: العلم بشرع الله تبارك وتعالى؛ وهذا الذي يفتقده أكثر الدعاة في هذا الزمان؛ جُهّال؛ كما قال النبي ﷺ: "إِنَّ اللهَ لَا يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ فَيَرْفَعُ الْعِلْمَ مَعَهُمْ، وَيُبْقِي فِي النَّاسِ رُؤوساً جُهَّالًا، يُفْتُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ"(١)، هذا زماننا الذي نعيشه، وليس معنى هذا الحديث أن العلماء ينتفون تماماً؛ لا؛ لأن الطائفة المنصورة باقية، وأسُّ الطائفة المنصورة وأصلها: هم العلماء؛ لكنهم يقلّون جدّاً، ويصيرون مغمورين بين الناس؛ وهذا الواقع الذي نعيشه تماماً، هؤلاء أصحاب الحزبيّات المختلفة، هم ممّن يدعون إلى الله بجهل، وبعضهم يدعو إلى غير الله أصلاً؛ فأنت تحذر، لا بد من العلم بشرع الله سبحانه وتعالى، ولا تدع إلى الله بجهل؛ ما تعلّمته بلّغه، وما جهلته فاسكت عنه.

---

(١) أخرجه البخاري(١٠٠)،(٧٣٠٧)، ومسلم(٢٦٧٣) عن عبد الله بن عمرو، واللفظ لمسلم

ثانياً: العلم بحال المدعوّ؛ وهذا أيضاً أمرٌ مهمٌّ جدّاً، ويدلّنا عليه الحديث الآتي إن شاء الله في حديث معاذ؛ قال له النبي الله ﷺ: "إنك ستأتي قوماً أهل كتاب.." [1]؛ فبيَّن له حال الذين يريد أن يأتي إليهم؛ حتى يعدّ نفسه لدعوتهم بالطريقة التي يفهمونها، ويعدّ نفسه لشبهاتهم.

الأمر الثالث: العلم بكيفية إيصال الدعوة، يعني: الطريقة الصحيحة الموصلة إلى الثمرة التي تبتغيها من الدعوة؛ كيف تدعو الناس؟ هل يحتاجون الرفق؟ أم يحتاجون إلى حكمة في التعامل؟ يحتاجون إلى أدب؛ إلى أخلاق منك؟ فتنظر إلى الطريقة الصحيحة في دعوة الناس، لا تتنازل عن دين الله وشرعه من أجل أن تدعو الناس؛ لا؛ لكن لابد أن تراعي أحوال الناس وأن تدعوهم بحكمة، رفق، لين، بأدب، بخلق؛ حتى يقبلوا منك؛{ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ }[2]، ربَّنا سبحانه وتعالى يقولها لنبيه عليه الصلاة والسلام، ويقول النبي ﷺ: "لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه"[3]، لم يُرد النبي ﷺ أن ينفّر الناس؛ فامتنع عن قتل المنافقين؛ حكمة في الدعوة.

والحكمة في الدعوة بابها عظيم؛ تعرفها وتتمرس بها من خلال العلم؛ تحتاج أن تتعلم، يوم على يوم؛ تأتيك؛ تتمكن منها إن شاء الله.

{قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي } أي : هذا هو هديِ، وهذه طريقتي: {أدعوا إلى الله على بصيرة} أنا أدعو إلى الله على بصيرة، {ومن اتبعني} كذلك يدعو إلى الله على بصيرة، فمن اتبع النبي ﷺ؛ صار على نهجه، وأخذ سنته في ذلك؛ فيدعو الناس على علم.

---

(١) أخرجه البخاري(١٤٩٦)، ومسلم(١٩) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) [آل عمران:١٥٩]

(٣) أخرجه البخاري(٤٩٠٥)، ومسلم(٢٥٤٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

{وَسُبْحَانَ اللَّهِ} سبحان الله: تنزيه الله سبحانه وتعالى عن النقائص.

{وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} من النقائص لله سبحانه وتعالى: أن تجعل لله نداً تدعوه ُ وتعبده؛ فنزّه الله سبحانه وتعالى نفسه عن النقائص؛ ومنها هذه، قال: {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} لستُ من المشركين؛ بل أنا من الموحدين، وأدعو الناس إلى توحيد الله سبحانه وتعالى.

الشاهد من هذه الآية: أن هديَ النبي ﷺ أن يدعو الناس إلى التوحيد، وكذلك يجبُ أن يكون هديُ من اتبع النبي ﷺ؛ لأنه يسير على هدي النبي ﷺ؛ فواجب علينا إذاً أن ندعو الناس إلى توحيد الله تبارك وتعالى بعد أن نتعلّم ونعمل.

من الذي يصلح أن يكون داعية؟

قال المصنف: (**عن ابن عباس رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن؛ قال له: إنَّكَ تأتي قَوْماً من أَهْلِ الكِابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعوهُمْ إليه: شَهادَةُ أَنْ لا إله إلا الله- وفي روايةٍ: إلى أَنْ يُوَحِّدوا الله[1]-، فإنْ هُمْ أَطاعُوكَ لذلك؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلواتٍ في كُلِّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ، فإنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عليْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ من أَغْنيائِهم فَتُرَدُّ على فُقَرائِهِمْ، فإنْ هُمْ أَطاعوكَ لِذلِكَ؛ فإيَّاكَ وَكَرائِمَ أَمْوالِهِمْ، واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلومِ؛ فإنَّهُ لَيْسَ بَيْنَها وبَيْنَ الله حِجابٌ" أَخْرَجاه**)

بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن؛ ليدعو الناس إلى دين الله سبحانه وتعالى، ولم يكن أهلُ اليمن وقتها قد دخلوا في الإسلام.

نلاحظ أموراً:

أولاً: من الذي أرسلهُ النبي ﷺ؟

(١) أخرجها البخاري(٧٣٧٢)

أرسل معاذاً، ومعاذ هذا: هو معاذ بن جبل؛ أحد علماء الصحابة؛ الذي قال فيه النبي ﷺ بأنه يأتي يوم القيامة، يتقدم العلماء برتوة[1]- بخطوة- فهو عالم، فلم يُخرج النبي ﷺ جاهلاً يدعو الناس إلى الله-كما تفعل جماعة التبليغ، وغيرهم من الجماعات-؛ إنما أرسل عالماً؛ وبهذا نعلم أن الذي يخرج إلى دعوة الناس إلى الله: هم أهل العلم؛ لأن عندهم علمٌ يستطيعون أن يُبلغوه؛ أما الجاهل فماذا عنده؟ فاقدُ الشيء لا يعطيه؛ هذا واجبهُ أن يجلس ويتعلّم عند العلماء؛ لا أن يخرج ويقوم في المساجد ويتكلم بجهل؛ فَيَضِلّ! ويُضِلّ؛ هذه طريقة أهل الضلال، أهل البدع الذين يخترعون في دين الله ما ليس منه، ما كان هذا الحال الذي عليه جماعة التبليغ موجوداً على عهد النبي ﷺ، ولا على عهد الصحابة؛ كان يتولى الدعوة: العلماءُ؛ يخرجون ويبلِّغون الناس، ولا يخرجون على طريقة جماعة التبليغ؛ يخرجون كما كان النبي ﷺ يخرج، كما كان العلماء من الصحابة يخرجون ويبلغون الناس ويعلمونهم.

(لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: "إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب") لاحظ هنا ماذا أخبره؟ قال له: "إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب"؛ أخبرهُ بحالِ القومِ الذين سيذهبُ إليهم، هو عالم سيدعو إلى الله على علمٍ- على بصيرةٍ- عالم بالشرع؛ علّمه حال المدعو، وأنهم من أهل الكتاب؛ فيعرف كيف سيناظرهم ويتكلّم معهم.

قال: ("فليكن أوّلُ ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله") يصحّ أن تقول: أوّلُ أو: أوّلَ؛ الأمر سهل إن شاء الله؛ هما قولان للعلماء، والأمر في هذا واسع، "فليكن أولُ ما تدعوهم إليه: شهادةَ أن لا إله إلا الله" يصحّ أن تقول: "شهادةُ"- بالضمِّ- إذا قلت في الأولى: "أولَ" – بالفتح-، وتقول: "شهادةَ"- بالفتح- إذا قلت: "أولُ" -بالضم-؛ لأنها اسم كان وخبرها؛ هذا من أجل الحفظ فقط.

---

(١) انظر "الصحيحة" للألباني (٣/٨٣)

"فليكن أولُ ما تدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله" إذاً: أولُ دعوتك عندما تصل إلى أهل الكتاب تُكلّمهم في التوحيد؛ هي أولُ دعوة الأنبياء؛ وإلى هذا كانوا يُرسلون أصحابهم: إلى دعوة التوحيد، وقد شرحنا معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

والشاهد: أن النبي ﷺ أرسل معاذاً ليدعو أهل اليمن إلى توحيد الله تبارك وتعالى؛ وهي أولُ دعوةٍ.

قال: (وفي رواية: "إلى أن يوحدوا الله") المعنى واحد: شهادة أن لا إله إلا الله، و: يوحدوا الله؛ واحد.

("فإن هم أطاعوك لذلك") انظر الآن كيفية الانتقال في المراحل: تبدأ بالأهم فالمهم بعد ذلك؛ تقدم الأهم ثم المهم، أهم شيء: التوحيد، فإن لم يطيعوا للتوحيد؛ فلا داعي لأن تكمل معهم؛ لأنه من غير التوحيد لا ينفع شيء.

("فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يومٍ وليلة")

تدرج النبي ﷺ في أركان الإسلام الخمسة، "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان "[1]؛ هذه أركان الإسلام الخمسة؛ أول شيء: التوحيد؛ لأنه أعظمها، ثم الصلاة؛ أعظم الأعمال، وهي أول ما يحاسب عليه العبد من العبادات.

("فإن هم أطاعوك لذلك") انتقل إلى التي بعدها:

قال: "فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة؛ تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم"؛ وهي الزكاة.

("فإن هم أطاعوك لذلك؛ فإياك وكرائم أموالهم") يعني: إذا أطاعوك وأعطوا الزكاة؛ فاحذر أن تأخذ أَنْفَسَ ما عندهم من أموال.

---

(١) أخرجه البخاري(٨)، ومسلم(١٦) عن ابن عمر رضي الله عنه

("واتَّقِ دعوة المظلوم") وإياك أن تظلم عبداً بأن تأخذ منه ما ليس بحقٍّ، واتق دعوة المظلوم؛ يعني إياك ودعوة المظلوم؛ لماذا؟

قال: "فإنه ليس بينها وبين الله حجاب" يعني: تصل إلى الله مباشرةً، ويستجيب الله سبحانه وتعالى لها مباشرة؛ فاحذر من دعوة المظلوم، ما من ظالم إلا وسينالُ عاقبة ظلمه.

قال: (أخرجاه) يعني: في "الصحيحين"[1].

الشاهد: أن النبي ﷺ أرسل معاذاً لكي يدعو أهل اليمن إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، فبعد أن تعلم معاذٌ، وعمل؛ دعا إلى الله سبحانه وتعالى، وأمره النبي ﷺ بذلك؛ فلا بدّ إذاً من دعوة الناس إلى التوحيد؛ وإلا كيف ينتشر الإسلام؟ وكيف تنتشر دعوة التوحيد؛ إذا لم ينشط كل واحدٍ منا في الدعوة إلى ما تعلمه من ذلك؟

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**ولهما: عَنْ سَهْلِ بن سَعْدٍ: أَنَّ رسول الله ﷺ قال يوم خَيْبَرَ: "لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ الله ورسوله، ويُحِبُّهُ الله ورسوله، يَفْتَحُ اللهُ على يَدَيْهِ". فَبَاتَ الناسُ يَدوكونَ لَيْلَتَهُمْ: أَيُّهُمْ يُعْطاها؟ فلَمَّا أَصْبَحوا؛ غَدَوا على رسول الله ﷺ؛ كُلُّهُمْ يَرْجو أَنْ يُعْطاها؛ فقال: "أَيْنَ عليُّ بنُ أبي طالب؟" فقيلَ: هوَ يَشْتَكي عينيه، فَأَرْسَلوا إليه، فأُتِيَ به، فَبَصَقَ في عَيْنَيْهِ ودَعا له؛ فَبَرَأَ كأَنْ لم يَكُنْ بهِ وَجَعٌ، فَأَعْطاهُ الرَّايَةَ، فقال: "انْفُذْ على رِسْلِكَ حتى تَنْزِلَ بِساحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الإسْلامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِما يَجِبُ علَيْهِمْ مِنْ حَقِّ الله تعالى فيه؛ فوالله لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً واحداً؛ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ". يَدوكونَ، أي: يَخوضون**)

(١) البخاري(١٤٩٦)، ومسلم(١٩) عن ابن عباس رضي الله عنه.

قال: (ولهما)، أي: البخاري ومسلم[1]

(سهل بن سعد) بن مالك الخزرجي، صحابي مشهور.

(أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر) يوم خيبر، يعني: يوم غزوة خيبر، وخيبر مدينة بالقرب من مدينة رسول الله ﷺ؛ كان يسكنها اليهود.

أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: ("لأعطينّ الراية غداً: رجلاً يحب اللهَ ورسولَه، ويحبه اللهُ ورسولهُ، يفتح الله على يديه")، ذكر النبي ﷺ أن الله سيفتح على يديه؛ وهذا من دلائل نبوة النبي ﷺ، فأخبر أنه سيفتح على يديه؛ وقد فُتح على يديه كما أخبر عليه الصلاة والسلام.

والراية هي التي نسميها اليوم: العلم؛ نفس الصورة، يكون هذا العَلَم مع الجيش، يدلُّ على جماعتهم، وعلى انفصالهم عن غيرهم، فمن كان تحت هذه الراية؛ فيكون منهم، واختلف العلماء في الفرق بين الراية واللواء؛ فذهب جمع من أهل العلم: إلى أنه لا فرق بين الراية واللواء- كلاهما واحد-، وقال البعض: الراية هي التي نسميها اليوم بالعَلَم، وأما اللواء فهو الذي يكون عبارة عن عصا ملفوف في أعلاها خرقة لفّاً؛ هذا يسمى لواءً، يعني: العَلَم يرفرف، أما اللواء فيكون ملفوفاً لفاً على عصا؛ هذا الفرق بينهما.

ولا يصح عندي حديث في لون راية النبي ﷺ، وما جاء من روايات بأنها كانت سوداء؛ لا يصح منها شيء[2].

قوله: "لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله"؛ وهذه منقبة لهذا الرجل الذي سيُعطى هذه الراية؛ فقد شهد له النبي ﷺ أن الله يحبه، وأن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري(٢٩٤٢)، ومسلم(٢٤٠٦) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) صحح بعض أهل العلم بعضها. والله أعلم

أيضاً يحبه، وهو يحب الله ويحب رسوله ﷺ؛ فهذه شهادة بالإيمان، وهذه الشهادة لعليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه، فنحن نحبه؛ لأن الله يحبه، ولأن الرسول ﷺ يحبه، لكننا لا نغلوا فيه كما غلت فيه الشيعة، ولا نجفوا فيه كما جفت فيه الخوارج؛ فكفروه، وكما جفت فيه الناصبة؛ فسقته، لا هكذا ولا هكذا؛ نحن معتدلون في آل بيت النبي ﷺ، نحبّهم ونتولّاهم، ولا نغلو فيهم؛ لا نعطيهم أكثر من حقهم؛ هم بشر.

قال: "يفتح الله على يديه" يعني: أن الله سبحانه وتعالى سينصره وسيفتح خيبر، وقد فُتحت.

قال: (فبات الناس يدوكون ليلتهم) بات الناس في الليل يدوكون، يعني: يخوضون، يتناقشون: من هو هذا الشخص الذي سيأخذ هذه الراية، وسيحصل على المنقبة المذكورة- هذا هو المهم عندهم- هؤلاء أصحاب النبي ﷺ؛ كانوا أصحاب دين وإيمان، ما كان يهمهم الرياسة والصدارة والإمارة؛ إنما كانوا يريدون المنقبة التي ذُكرت على لسان النبي ﷺ: يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله؛ فأخذوا يدوكون في ذلك؛ يتناقشون: مَن الذي سيكون أهلاً لأخذ الراية هذه؟ أو من الذي عناه النبي ﷺ؟

قال: (أيهم يُعطاها)؛ كل واحد منهم يتمنى أن يعطاها؛ لأجل أن يحصل على هذه المنقبة.

قال: (فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ) غدوا، يعني: ذهبوا مبكرين؛ فالغدوة هي الذهاب في الصباح الباكر؛ فذهبوا إلى النبي ﷺ في الصباح الباكر.

قال: (كل يرجو أن يعطاها) لماذا؟ للمنقبة؛ لا حرصاً على الإمارة.

(فقال: "أين عليُّ بن أبي طالب؟" فقيل: هو يشتكي عينيه) يعني: مريض؛ به مرض في عينيه، يسمى داء الرَّمَد.

(فأرسَلوا إليه فأُتي به، فبصق في عينه ودعا لهُ؛ فبرأ كأن لم يكن به وجعٌ) وهذا من أدلّة نبوّة النبي ﷺ أيضاً، فهذا الحديث فيه دليلان على نبوة النبي ﷺ:

الأول: أنه أخبر بفتح خيبر على يد عليّ؛ وقد فتحت، والثاني: هذا؛ بصق في عيني عليّ ودعا لهُ؛ فبرأ، كأن لم يكن به وجع، يعني: عاد صحيحاً تماماً.

(فأعطاهُ الراية) إذاً من كان صاحب تلك المنقبة؟ هو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

(فقال: انفذ على رسلك") يعني: قال النبي ﷺ لعليّ: انفذ على رسلك؛ أي: انطلق واذهب على مهلك؛ كما نقول اليوم: "شوي شوي".

("حتى تنزل بساحتهم") يعني: إلى أن تصل إلى ما يقرب منهم، وما حولهم؛ هذه تسمى ساحتهم؛ بحيث تمكن من الكلام معهم.

("ثم ادعهم إلى الإسلام") هذا الشاهد، النبي ﷺ أرسل عليّاً ومعه الجيش، وأوصاه أن يدعو الناس إلى الإسلام، وأصل الإسلام التوحيد؛ إذاً: لابد أن يدعو الناس للتوحيد؛ يدلنا هذا على أن النبي ﷺ كان يرسل أصحابه لدعوة الناس إلى التوحيد؛ لكن البعض الناس عندهم عناد؛ تدعوهم إلى التوحيد ولا يقبلون، يعاندون، لهم مصالح ومآرب، التوحيد هذا سيفسد مصالحهم؛ كالجاه، الرياسة، ذهاب الأموال؛ أي شيء من هذه الأمور؛ فلذلك ما كانوا يستجيبون لدعوة التوحيد؛ هؤلاء لابد من إزالتهم من طريق نشر الدين؛ لأنهم يمنعون إيصال الدين إلى الناس، هؤلاء يكونون رؤوساً في أقوامهم؛ فلا بد من إزالة هذه العقبات أمام نشر الإسلام، الناس أصلاً خلقوا من أجل التوحيد، من أجل عبادة الله سبحانه وتعالى، ما خلقوا للهو واللعب وتضييع الأوقات؛ لا؛ خلقوا لعبادة الله؛ إذاً: لابد من أن نبلغ الناس هذه الدعوة، وأن ندعوهم إلى دعوة التوحيد، فإذا كان هناك عقبات؛ فلابد من إزالتها؛ فلذلك شُرع الجهاد: القتال؛ قتال الكفار، ليس هدف الإسلام القتل، القتل ليس غاية في دين الله سبحانه وتعالى؛ القتال وسيلة، فإذا احتجنا إليه؛

فعلناه، وإذا لم نحتج إليه؛ ابتعدنا عنه، القتل ليس غاية كما هو الحال عند الخوارج، الخوارج عندهم القتل غاية؛ يريدون أن يقتلوا، يسفكوا الدماء؛ كداعش وغيرها، أما في الإسلام؛ لا، لاحظ قول النبي ﷺ: "لا يتحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه"؛ امتنع النبي ﷺ عن قتل من كانوا يستحقون القتل؛ لأجل ألا يكون ذلك عقبة في طريق الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وهؤلاء يقتلون من لا يستحق القتل، ينفرون الناس عن دين الله سبحانه وتعالى، لا والله ما هم على هدي النبي ﷺ ولا على طريقته.

قال: "ثم ادعهم إلى الإسلام"، إذاً قبل القتال؛ لابد من دعوة الناس إلى الإسلام؛ دعوة مَن لم تبلغه الدعوة، أما من بلغته الدعوة؛ فلا يجب على من يريد قتالهم قبل أن يقاتلهم أن يدعوهم إلى الإسلام؛ لأن الدعوة قد بلغتهم؛ لذلك جاء عن النبي ﷺ: أنه كان إذا سمع الأذان في قرية لم يغر عليها، وإذا لم يسمع الأذان أغار[1]، هذا محمول على أنه يغير على من علم أنه بلغته الدعوة من الأقوام، وهذا الحديث الذي معنا على أقوام لم تبلغهم الدعوة؛ فلابد من إبلاغ الدعوة أولاً.

الشاهد هو: قوله: "ثم ادعهم إلى الإسلام"؛ دعوة الناس إلى التوحيد.

("وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه") يعني: من حق الله تعالى في الإسلام؛ فلابد أن يعلموا أنه يجب عليهم إقامة الصلاة والزكاة والصيام وما شابه من أحكام.

قال: ("فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً؛ خيرٌ لك من حُمُر النّعم") انظر فضيلة الدعوة إلى التوحيد؛ هذه فضيلة عظيمة ينبغي على كل مسلم أن يحرص عليها: تدعو الناس إلى التوحيد، تدعو الناس إلى السنة، تدعو إلى الطاعة؛ لأنه إذا هُدي إنسان على يديك؛

---

(١) أخرج البخاري في "صحيحه"(٢٩٤٣)، ومسلم في "صحيحه"(٣٨٢) عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَزَا قَوْمًا لَمْ يُغِرْ حَتَّى يُصْبِحَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ بَعْدَ مَا يُصْبِحُ، فَنَزَلْنَا خَيْبَرَ لَيْلًا".

هداه الله سبحانه وتعالى، وفقه إلى الحق على يديك؛ يكون لك فضل عظيم، حتى أن النبي ﷺ قال: "خير لك من حُمر النّعم" الحمر: جمع أحمر، والنّعم: هي الإبل، والإبل الحمراء هذه هي أنفس أموال العرب التي كانت عندهم، وكانوا يحرصون جداً عليها لنفاستها؛ فهذه الأموال النفيسة لا تساوي شيئاً أمام أن يهدي الله سبحانه وتعالى على يديك رجلاً واحداً؛ شخصاً واحداً يهُدى على يديك، وتكون أنت سبباً في هدايته؛ تحصل على خير عظيم عند الله سبحانه وتعالى، لا يقارن به خير الدنيا الزائل.

الفرق بين الحُمْر- بإسكان الميم-، والحُمُر- بضم الميم-؛ أن حُمُر-بالضم-: هي جمع حمار، والحُمْر- بالتسكين-: جمع أحمر.

إذن هذا الحديث فيه الدعوة إلى التوحيد، وفضيلة من يهدي الله سبحانه وتعالى على يديه رجلاً واحداً.

قال: (يدوكون، أي: يخوضون) هذه تفسيرية؛ تفسر معنى الكلمة التي تقدمت في الحديث.

هذا ما أردنا أن نبيّنه؛ والحمد لله

وخلاصته: أنه يجبُ على من تعلّم التوحيد وعمل به: أن يدعو الناس إليه؛ كلٌّ على حسب علمه، وقدرته {لا يكلف الله نفساً إلا وسعها}.

الباب الخامس: تفسير التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله

قال المؤلف رحمه الله: (باب تفسير التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله)

هذا الباب معقود لبيان معنى التوحيد؛ هذا معنى التفسير، والتفسير: الكشف والبيان والإيضاح؛ فهو باب معقود لتفسير معنى التوحيد، وقد تقدم تفسير التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله تدلّ على التوحيد، وتقدم معنا أيضاً تفسيرها وبيان معناها.

وهذا العطف: عطف مترادفين؛ فالمعنى واحد؛ معنى التوحيد ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله واحد؛ إلا أن الشهادة هي تدلّ على التوحيد؛ على كلٍّ: المراد واحد من هذا الباب؛ وهو: تفسير معنى كلمة التوحيد.

ربّما يقول قائل: قد تقدّم معنا تفسير التوحيد؛ وذكر آيات في بداية الكتاب فسّر فيها التوحيد؛ قال أهل العلم: أراد بهذا الباب: زيادة إيضاح، وزيادة بيان، وذكر من الأدلة ما يوضّحه ويجعله أكثر كشفاً، وأكثر إيضاحاً؛ خصوصاً في المسائل التي حصل فيها الشرك أكثر في الزمن الذي نزلت فيه رسالة النبي ﷺ؛ فالمقصود في النهاية من هذا الباب هو: تفسير معنى التوحيد.

قال المصنّف رحمه الله تعالى: ({أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ}[١])

هذه الآية، المقصود منها عند قوله: {أولئك الذين يدعون}؛ يعني: القوم الذين يعبدون بعض الناس أو بعض الخلق ويرغبون إليهم بالدعاء، ويخضعون ويتذلّلون لهم؛ هم أنفسهم الذين يخضعون لهم- أي: المخضوع لهم- يعني لو قلنا مثلاً: الذين يعبدون عيسى عليه السلام، الذين يعبدون مريم، الذين يعبدون عزيراً، أو الذين يعبدون الجنّ- فقد كان بعض العرب في مدة نزول الوحي يعبدون أقواماً من الجن- والبعض كانوا يعبدون الملائكة؛

(١) [الإسراء:٥٧]

الملائكة والجن وعيسى ومريم؛ هؤلاء الذين يعبدونهم هم أنفسهم يخضعون ويتضرّعون إلى الله.

({ويبتغون إلى ربّهم الوسيلة}) يعني: يطلبون إلى الله القربة، {الوسيلة}: الشيء الذي يوصل إلى الله؛ وهذا الشيء الذي يوصلهم إلى الله هو القربة؛ فهم أنفسهم يخضعون ويتذلّلون لله سبحانه وتعالى ويتقربون إليه؛ فكيف بعد ذلك تذهبون أنتم وتخضعون وتتذلّلون إليهم، وتطلبون منهم وتدعونهم من دون الله سبحانه وتعالى؛ وهم أصلاً بحاجة إلى معونة الله سبحانه وتعالى، وإلى القربة إلى الله سبحانه وتعالى؟ يعني: فاقد الشيء لا يعطيه؛ هم أنفسهم بحاجة إلى الله سبحانه وتعالى، وبحاجة إلى القربة إلى الله سبحانه وتعالى؟ هذا باطل؛ هذا معنى الآية.

لكن: ما المقصود منها في هذا الموطن بالذات؟ المقصود هنا:

قال أهل العلم: إن التوحيد لا يتمّ حتى تترك عبادة غير الله سبحانه وتعالى؛ أن تترك دعاء غير الله سبحانه وتعالى؛ لأن دعاء غير الله: شرك، والله سبحانه وتعالى ذكر هذه الآية منكراً على الذين كانوا يدعون غيره؛ فأنكر عليهم ذلك؛ وهذا هو الشرك؛ دعاء غير الله هو الشرك، والأشياء تعرف بضدّها، فإذا ذكرت الضدّ؛ عُرِف الشيء، فضد التوحيد هو الشرك، دعاء غير الله شرك؛ إذاً المقصود هو: التوحيد، فإذا تركنا دعاء غير الله سبحانه وتعالى، وجعلنا الدعاء لله سبحانه وتعالى فقط؛ عندئذٍ نكون موحّدين؛ فهذا هو المقصود بالتوحيد؛ فالتوحيد لا يتمّ إلا بالبراءة من الشرك؛ هذا معنى التوحيد، معنى التوحيد: أن تدعو الله سبحانه وتعالى، أن تعبد الله وحده وألّا تشرك معه غيره من الخلق الذين هم بحاجة إلى الله سبحانه وتعالى، وهم بحاجة إلى القربة إلى الله سبحانه وتعالى؛ هذا معنى الآية وهو المقصود منها؛ والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم قال المؤلف رحمه الله: (**وقوله: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}**[1])

هنا هذه الكلمة- كلمة إبراهيم الخليل عليه السلام- هي مُفسّرةٌ تماماً لمعنى كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله)، مطابَقةٌ واضحة.

({وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه}): كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام، ويعبدون الكواكب، وكانوا يعبدون الله أيضاً ويعبدون أشياء متعددة؛ فقال لهم إبراهيم:

({إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ})؛ أنا متبرّئٌ من كل الذين تعبدونهم، والبراءة هي التخلية؛ يعني: أنا مُتَخَلٍّ عن كل ما عبدتم، وعندما تتبرّأ من الشيء؛ فمعناه: أنك تتركه وتعاديه وأنك تبغضه؛ فهنا هو يقول: أنا بريء من كل ما تعبدون؛ يعني: أنا تخلّيت عنها، تركتها- هذه الأشياء التي تعبدونها، من أصنامٍ وكواكبٍ وغيرها- كلها قد تركتُها وعاديتها وأُبغضها.

ثم قال بعد ذلك: ({إلا الذي فطرني؛ فإنه سيهدين})، إذاً تبرّأ إبراهيم عليه السلام من جميع المعبودات التي كانوا يعبدونها؛ ما عدا الذي فطره، ومن الذي فطره؟ هو الله، ومعنى الذي فطره: يعني الذي خلقه، إذاً تبرّأ من جميع المعبودات إلا الله سبحانه وتعالى؛ لم يتبرّأ منه؛ وهذا معنى كلمة التوحيد: أن تترك عبادة كل شيء إلا الله سبحانه وتعالى فقط؛ (لا إله إلا الله): لا معبود بحقٍّ إلا الله، {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ}[2])؛ كلها كلمات بنفس المعنى، {إلا الذي فطرني} يعني: أترك عبادة كل شيء إلا عبادة الله سبحانه وتعالى فقط.

ولم يقل: (إلا الله)؛ لأنه أراد أن يشير إشارة واضحة يفهمها أولئك القوم؛ أراد أن يقول لهم: بأن الذي يستحقّ عبادتي هو الذي خلقني، فلم يقل لهم: (إلا الله)؛ ولكنه قال: {إلا الذي فطرني}؛ وبذلك يبيّن لهم العلة التي من أجلها لا تستحق أصنامهم وكواكبهم وغيرها العبادة

---

(١) [الزخرف:٢٦]

(٢) [لقمان:٣٠]

مع الله سبحانه وتعالى؛ لأنها لم تخلقه، ومن لم يخلق؛ لا حق له في العبادة، فهذا إذاً معنى كلمة (لا إله إلا الله)، أي: لا معبود بحقّ إلا الله؛ أترك عبادة كل شيء إلا عبادة الذي خلقني؛ فهو الذي يستحق عبادتي، وهو الذي سيهدينِ؛ سيوفّقني وسيبيّن لي طريق الحق من طرق الضلال.

({وجعلها كلمة باقية في عقبه}) كلمة التوحيد بقيت في ذريته؛ ({لعلهم يرجعون}) إلى الله سبحانه وتعالى ويتوبون.

ثم قال المؤلف رحمه الله: (**وقوله: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ والمسيح ابن مريم}**[(١)])

({اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله}) الحَبر: هو العالم، يعني: أهل الكتاب اتخذوا علماءهم ورهبانهم.

والراهب : هو العابد؛ فاتخذوا علماءهم وعُبّادهم أرباباً من دون الله، فتنة الناس تكون في هذين الصنفين من الناس؛ في العلماء وفي العُبّاد؛ لأنهم يعظّمون العلماء ويعظّمون العباد؛ فيطيعونهم مع الله سبحانه وتعالى، إذا غيّروا لهم شرع الله ودينه؛ أطاعوهم، وغيروا الشرع والدين، إذا أمروهم بمعصية أن يفعلوها؛ أطاعوهم، وإذا نهوهم عن واجب من واجبات الشرع؛ انتهوا؛ فعبدوهم مع الله سبحانه وتعالى؛ فهذه فتنة الناس، تكون في العلماء، وتكون في العباد؛ فالواجب الحذر من ذلك والاعتدال مع العلماء ومع العباد؛ نحبّهم، نحترمهم- إذا كانوا من أهل الحق- نواليهم؛ لكن لا نتجاوز الحدّ فيهم؛ فلا إفراط ولا تفريط في حقهم.

---

(١) [التوبة:٣١]

قال: {أرباباً من دون الله} يعني: عبدوهم مع الله سبحانه وتعالى، والرب هنا بمعنى: المعبود، {من دون الله} يعني: من غير الله سبحانه وتعالى.

({والمسيح ابن مريم})؛ كذلك عبدوه مع الله سبحانه وتعالى؛ وقالوا هو ثالث ثلاثة، فلما خضعوا لأحبارهم ورهبانهم وتذلّلوا لهم وأطاعوهم في معصية الله سبحانه وتعالى؛ فقد عبدوهم مع الله سبحانه وتعالى؛ فأشركوا به ولم يحقّقوا معنى التوحيد؛ فالتوحيد هو ألا تتخذ رباّ مع الله سبحانه وتعالى.

وسيأتي إن شاء الله مزيدُ تفصيلٍ وبيان لهذه الآية، وسيعقد لها المصنف إن شاء الله باباً مستقلاً وسنشرحها إن شاء الله هناك شرحاً وافياً.

ثم قال المصنف رحمه الله: (**وقوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ}**

({من الناس}) يعني: بعض الناس.

({يتخذ من دون الله}) يعني: من غير الله سبحانه وتعالى؛ سواء كان هذا الذي اتّخذوه نبيّاً أو وليّاً أو ملكاً أو حجراً أو شجراً؛ هذا كله يشمله: {من الناس من يتخذ} هؤلاء الأشخاص أنداداً من دون الله.

({أنداداً}) يعني : أمثالاً، يجعلهم مماثلين لله تبارك وتعالى، فيُحبّ مثلاً الحسين بن علي محبة مثل محبته لله تبارك وتعالى، يحب عيسى عليه السلام، يحب علي بن أبي طالب؛ كمحبّته لله سبحانه وتعالى، فقد اتّخذ هذا عيسى أو الحسين أو علي ندّاً لله تبارك وتعالى؛ جعله مثل الله سبحانه وتعالى في محبّته.

({يحبونهم كحبّ الله}) كما أنهم يحبّون الله، يحبّون هؤلاء الأنداد، يجعلونهم مماثلين لله سبحانه وتعالى في محبّتهم، خضوعهم وتذلّلهم لهم، وإذا أحببته كمحبة الله؛ أطعته كطاعتك لله، خضعت وتذلّلت له كخضوعك وتذلّلك لله، عبدته مع الله كعبادتك لله تبارك

وتعالى؛ فما بالك بمن يحب أولياء الله أو من هو معظّمٌ في نفسه أعظم أو أكثر من محبّته لله تبارك وتعالى ؟! شركُ ذاك أعظم من شرك هذا، فما بالك بمن لا يحب الله أصلاً؛ وإنما محبته لمعبوده ؟!

هذا معنى الشرك وهذا معنى التوحيد، فمن يفعل هذا- يتخذ من دون الله أنداداً يحبهم كحب الله- هذا مشرك، والتوحيد: أن تحب الله سبحانه وتعالى محبة خالصة ولا تشاركه فيها أحداً؛ هذا معنى التوحيد، وإذا أحببت الله محبة تامّة كما ينبغي؛ ستحبّ كل من يحبه الله سبحانه وتعالى، وكل ما يحبه الله سبحانه وتعالى؛ الطاعات، القُرب، البعد عن المعاصي والذنوب، الأولياء، الصالحين، الأنبياء؛ تحبهم لمحبة الله سبحانه وتعالى؛ هذا المعنى المراد من هذه الآية؛ فمعناها: تحقيقٌ لكلمة التوحيد، فمن كان موحّداً؛ لا يتّخذ من غير الله ندّاً يحبه كمحبة الله سبحانه وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله: (**وفي "الصحيح"**[1] **عن النبي ﷺ: أنه قال: "من قال: لا إله إلا الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسابُهُ على الله عز وجل"**)

("من قال: لا إله إلا الله"): أي لا معبود بحق إلا الله.

("وكفر بما يُعبد من دون الله") يعني : جحده وأنكره وتبرّأ منه؛ هذا معنى: "كفر بما يعبد من دون الله"، بما يُعبد: يشمل كل شيء من ملكٍ مقرّبٍ ونبيّ مرسل ووليّ صالح وحجر وشجر معظّم؛ كل شيء، يكْفُرُ به؛ يكذّب بعبادته ولا يقبله أن يكون معبوداً مع الله سبحانه وتعالى، "وكفر بما يُعبد من دون الله"؛ من غير الله سبحانه وتعالى؛ فيؤمن فقط بعبادة الله وحده لا غير.

---

(١) أخرجه مسلم(٢٣) عن طارق بن أشيم الأشجعي

وقد ساق المؤلف هذا الحديث هنا؛ كي يبيّن لنا أن التوحيد لا يتمّ إلا بالبراءة من الشرك؛ وهذا حق؛ فالذين يعبدون الله من المشركين كُثُر؛ حتى المشركون كانوا يعبدون الله سبحانه وتعالى؛ لكنهم كانوا يشركون معه غيره، يعني: يعبدونه ويعبدون معه غيره؛ فلا يصحّ هذا؛ "من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه"؛ فالله سبحانه وتعالى لا يقبل منا أن نعبده وأن نعبد معه غيره، يريد منا أن نعبده وحده فقط؛ لذلك ساق المؤلف هذا الحديث؛ لأن فيه: "من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله"، فهذا تفسير معنى كلمة التوحيد: أنه لا معبود بحق إلا الله، ولا ينفع أن تعبد الله وتعبد معه غيره؛ لا؛ بل لا بد أن تعبد الله، وأن لا تعبد معه غيره، وأن تتبرّأ من كل معبود سواه، ومن فعل ذلك:

("حَرُم ماله ودمه وحسابه على الله") يعني في الدنيا، من أظهر هذا في الدنيا؛ فهو مسلم، وإذا حصل منه تقصير؛ فحسابه على الله سبحانه وتعالى، وإن كان ما في قلبه ليس كما هو ظاهره؛ فحسابه على الله سبحانه وتعالى، نحن ليس لنا من الناس إلا ما أظهروا لنا؛ الظاهر فقط، أما الباطن؛ هذا لا علاقة لنا به، هذا الله سبحانه وتعالى الذي يحاسب عليه، فمن أظهر لنا خيراً عاملناه بناءً على ذلك، ومن أظهر لنا شراً عاملناه بناء على ذلك، أما ما في باطنه؛ فهذا أمره إلى الله سبحانه وتعالى.

ثم قال المؤلف رحمه الله: (**وشرح هذه الترجمة: ما بعدها من الأبواب**)

شرح هذه الترجمة: يعني تفسيرها وبيانها، وكل ما سيأتي في هذا الكتاب- كتاب التوحيد- من الأبواب القادمة إن شاء الله له تعلّقٌ بتفسير كلمة (لا إله إلا الله)؛ فيوضّح معنى (لا إله إلا الله)؛ ففيه بيان أشياء كثيرة من الشرك الأكبر، ومن الشرك الأصغر، ومن مكمّلات التوحيد؛ ستأتي إن شاء الله بعد هذا الباب، كل ما سيأتي الآن من الأبواب التي بعد هذا؛ له تعلّقٌ بشرح كلمة لا إله إلا الله؛ هذا ما أراده المؤلف من هذا الكلام،

فمن فهم معنى كلمة التوحيد وعرف الشرك؛ حقّق التوحيد، وتبيّن له المراد من هذا الكتاب، ومن عرف الشرك الأصغر والشرك الأكبر؛ تبينت له الأمور واتّضحت، وبقي عليه العمل فقط؛ فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا وإياكم لطاعته، وأن يمنّ علينا بالعلم النافع والعمل الصالح.

الباب السادس: باب: مِنَ الشِّرْكِ: لُبْسُ الحَلْقَةِ والخَيْطِ ونَحْوَهُما؛ لِرَفْعِ البَلاءِ أَوْ دَفْعِهِ

قال المؤلف رحمه الله: (**باب: مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الحَلْقَةِ والخَيْطِ ونَحْوَهُما؛ لِرَفْعِ البَلاءِ أَوْ دَفْعِهِ**)

قال:(بابٌ من الشرك) ذكر المؤلف رحمه الله فيما تقدم: أن ما سيأتي في هذا الكتاب كله له علاقة بتفسير التوحيد وبيان معناه، والشيء يعرف بضده، فإذا عرفت الشرك؛ عرفت التوحيد، فإذا كان هذا من الشرك؛ فضده توحيد، فإذا تركته لله سبحانه وتعالى؛ فتكون موحداً، وإذا اعتقدت أن الله سبحانه وتعالى هو الذي بيده النفع والضر؛ تكون موحداً.

متى يكون الأخذ بالأسباب جائزاً؟ ومتى تكون شركاً أكبر أو أصغر؟

هذا الباب ذكر فيه نوعاً من أنواع الشرك الذي يقع الناس فيه كثيراً؛ فقال: "بابٌ من الشرك"، ونحن عرفنا فيما تقدم أن الشرك نوعان: شرك أكبر، وشرك أصغر؛ فهل يعني المؤلف هنا الأكبر أم الأصغر؟

يعني الاثنين: الأكبر والأصغر؛ لأن هذا الذي سيذكره في هذا الباب من تعليق أو لبس الحلقة والخيط إلى آخره؛ تارة يكون من الشرك الأصغر، وتارة يكون من الشرك الأكبر؛ على حسب ما يقوم في قلب العبد من اعتقاد، فإن اعتقد أن الخيط والحلقة تنفع وتضر بنفسها، يعني أن الله سبحانه وتعالى ليس هو الذي جعلها نافعة وضارة، وإنما اعتقد أنها هي التي تنفع وتضر استقلالاً، وليست مجرد سبب؛ فمثل هذا يعتبر شركه شركاً أكبر؛ لأن الذي بيده النفع والضر هو الله سبحانه وتعالى، وهذا أمر خاص به تبارك وتعالى، فإذا

اعتقد أن شيئاً معه ينفع ويضر؛ فهذا يعتبر من الشرك الأكبر، فإذا قام بقلبه هذا المعنى؛ وقع في الشرك الأكبر، أما إذا اعتقد أنها سبب- مجرد سبب فقط-، وأن الذي بيده النفع والضر هو الله سبحانه وتعالى، لكنه اعتقد أن هذا الخيط وهذه الحلقة سبب لرفع البلاء أو دفعه؛ فهذا يعتبر من الشرك الأصغر لا الشرك الأكبر؛ لأنه جعل شيئاً سبباً لرفع البلاء أو دفعه، لم يجعله الله سبحانه وتعالى سبباً لذلك، فالله سبحانه وتعالى يجعل أشياء أسباباً لأشياء، وهذ الأمر بيده سبحانه وتعالى، وليس لك أن تجعل أسباباً لم يجعلها الله سبحانه وتعالى؛ يعني مثلاً: الله سبحانه وتعالى جعل في العسل شفاء، وذكر هذا: أن العسل فيه شفاء للناس؛ إذاً قد جعل الله سبحانه وتعالى العسل سبباً في الشفاء من بعض الأمراض؛ إذاً نقول: إن العسل سببٌ لشفاء المرض؛ لماذا؟ لأنه ثبت في الشرع بأنه سبب.

أو يثبت من خلال تجربة الأطباء، ليس أي أحد من الناس يقول جربت ونفع؛ لا ما يصلح؛ لأن كثيراً من الناس انتفاعهم من بعض الطرق هو عبارة عن أمر نفسي فقط؛ وليس له منفعة حقيقية؛ ليس سبباً حقيقةً، أما كالأدوية التي يصنعها الأطباء اليوم، يقولون هذا الدواء نافع لهذا المرض؛ فهو سبب لإزالة المرض، وفي الغالب هو نافع، فإذا شربت مثلاً دواء السعال؛ خف السعال وذهب، فمثل هذا بالتجربة- بالتجربة التي ذكرنا مثالها- قد ثبت أنه سبب؛ إذاً يجوز أن تقول بأنه سبب؛ لأن الله سبحانه وتعالى جعله سبباً بقدره، فالله إذا جعل الشيء سبباً بالشرع أو بالقدر؛ جاز أن تقول بأنه سبب، وأن تعتمده سبباً، أما إذا لم يثبت لا في الشرع ولا في القدر؛ فجعلك له سبباً يعتبر من الشرك الأصغر.

قال: (لبس الخيط والحلقة ونحوهما): الحلقة معروفة؛ قطعة من حديد، أو من نحاس، أو من ذهب، تلبسها في يدك كالسوار، ويكون مقصودك منها: رفع البلاء أو دفعه، كذلك الخيط، وهذا مما نراه بيننا، أناس يفعلون هذا؛ يلبس حلقة أو يلبس خيطاً؛ من أجل أن يرفع البلاء أو يدفعه عن نفسه؛ وهذا كما ذكرنا:

إذا اعتقد أن هذه الحلقة أو هذا الخيط ينفع ويضر بنفسه فهذا شركه أكبر، أما إذا اعتقد أن النفع والضر بيد الله سبحانه وتعالى، وأن هذا سبب؛ فهذا من الشرك الأصغر؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يجعله سبباً؛ هذا هو تفصيل هذا الباب.

قال: (ونحوهما): وكل ما كان مثل الحلقة والخيط، كحذوة الحصان؛ يفعلها الناس اليوم كثيراً، حذوة الحصان- أعزكم الله- كذلك بعض الأشياء التي فيها امتهان، كحذاء مثلاً، أو أحياناً خرزة زرقاء، أو كف-يسمونها: خُمَيسَة- فيها عين أو ما شابه، أو الصدف الذي يكون على شواطئ البحار، أو ما شابه؛ أي شيء من هذه الأشياء التي لم يثبت أنها سبب، لا بشرع الله ولا بقدره؛ إنما اعتقاد من الناس فقط؛ هذا معنى "ونحوهما".

قال: (لرفع البلاء أو دفعه): البلاء: الضرر الذي ينزل بالإنسان من مرض أو عين أو ما شابه، "لرفعه أو دفعه"، ما الفرق بين رفع البلاء ودفع البلاء؟

رفع البلاء بعد أن ينزل عليك البلاء، تريد أن تتخلص منه وأن ترفعه؛ هذا معنى رفع البلاء، ينزل بك الشيء؛ تشعر أنك مثلاً ضربت بعين؛ حسدت، تريد أن تعالج نفسك؛ فتذهب -مثلاً- تأخذ حلقة وتضعها في يدك من أجل أن تشفى؛ مثل هذا يقال فيه: وضع الحلقة لرفع البلاء.

وأما لدفعه؛ فأنت سليم؛ ليس بك شي، وتعرف من نفسك أنك سليم؛ ولكنك تخاف من العين؛ فلأجل دفع العين، وحماية نفسك؛ تذهب وتلبس الحلقة؛ فهذا لدفع العين قبل وقوعها، والأول لرفع العين بعد وقوعها.

وسواء لبست الحلقة أو لبست الخيط أو علقت على رقبتك خرزة زرقاء أو خميسة أو ما شابه، أو علقت حذوة حصان وما شابه، من أجل أن تبرئ نفسك من مرض- أي تشفي نفسك من مرض- أو من أجل أن تحمي نفسك؛ فكلاهما واحد: إن اعتقدت أنها تنفع وتضر بنفسها؛ فقد أشركت الشرك الأكبر، وإذا اعتقدت أنها سبب، وبالطبيعي، يعني الذي نراه الآن، بالطبع لم يجعلها الله سبحانه وتعالى سبباً- هذه الأشياء المذكورات- لم

يجعلها سبباً لا شرعياً ولا قدرياً، فإذاً تكون أنت قد جعلتها سبباً من عندك؛ فتكون قد وقعت في الشرك الأصغر؛ هذا معنى قول المؤلف: (باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه).

خلاصة الموضوع: أنك إذا اتخذت شيئاً سبباً لرفع بلاء أو دفعه، واعتقدت أنه سبب فقط، وأن الله سبحانه وتعالى بيده النفع والضر؛ فقد وقعت في الشرك الأصغر؛ ما لم يثبت هذا الشيء بأنه نافع بشرع الله أو بقدره؛ كما ثبت في الشرع بأن قراءة سورة الفاتحة فيها شفاء، وتصلح رقية، فإذا قرأت سورة الفاتحة على شخص به داء- ملدوغ مثلاً أو شيء من هذا القبيل- فهنا أنت جعلت قراءة سورة الفاتحة سبباً للشفاء؛ نقول لك: هل ورد هذا في الشرع؟ تقول: نعم ورد في الشرع؛ إذاً فعلك صحيح واعتقادك صحيح.

كذلك دواء السعال الذي يشربه الناس اليوم، تقول عندي سعال، تذهب إلى الصيدلية وتأخذ دواء سعال وتشربه؛ فيخف عنك السعال؛ فأنت الآن أخذت هذا الدواء وجعلته سبباً للشفاء من هذا الداء، نقول لك هل ثبت هذا في الشرع أو في القدر؟ تقول: في الشرع لا لم يثبت؛ لكن قد ثبت بالقدر؛ لأن تجربة الأطباء والناس بأن هذا نافع في إزالة السعال؛ نقول: إذاً فعلك صحيح واعتقادك صحيح، جائز هذا الشيء؛ أما إذا لم يثبت فهنا يكون اعتقادك فاسداً.

ماذا تريد بلبس الحلقة أو لبس الخيط أو ما شابه من هذه الأمور التي لم يجعلها الله سبباً لا في الشرع، ولا في القدر؟

تقول: هي تنفع وتضر بنفسها، بيدها الأمر؛ فهنا شرك أكبر.

تقول: لا؛ أنا أعتقد أنها لا تنفع ولا تضر بنفسها، وأن الذي بيده النفع والضر هو الله سبحانه وتعالى، لكن هذه سبب، كما أنك تشرب الدواء؛ أنا أقول هذه تنفع؛ فنقول لك: شرب الدواء قد ثبت بالقدر أنه نافع أما هذه؛ فلم يثبت، فأنت اتخذت سبباً لم يجعله الله

سبحانه وتعالى سبباً؛ فهذا يعتبر من الشرك الأصغر، وسيأتي ما يدل على أنه من الشرك، هذا خلاصة هذا الباب وهذا تفصيله.

قال المصنّف رحمه الله تعالى: (**وقول الله تعالى: {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ}**[1])

({قل}): يا محمد، للمشركين الذين كان النبي ﷺ يخاطبهم بالأدلة والبراهين على التوحيد؛ قل لهم:

({أفرأيتم ما تدعون من دون الله}) يعني: ما رأيكم في هذه الأوثان التي تدعونها من دون الله؛ كل شيء، سواء صنم، حجر، شجر، نبي، ملك؛ أي شيء، تدعونهم وتتقرّبون إليهم، سواء كان بدعاء المسألة أو بدعاء العبادة، دعاء المسألة: ترجونهم: (يا سيدي فلان أعطني كذا، ارزقني كذا، ادفع عني الضر الفلاني، أيها الصنم، أيها الحجر: افعل لي، ارفع عني الضرر الفلاني، ادفع عني الضرر الفلاني، ارزقني، احفظني... إلى آخره) هؤلاء الذين تدعونهم من دون الله؛ يعني من غير الله.

({إِن أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ}): هل يستطيع الولي هذا الذي أنت تتضرّع إليه وتدعوه وترجوه وهو ميّت في قبره؛ هل يستطيع أن يرفع عني الضرر إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يُنزله بي؟ الإجابة: لا، {هل هن كاشفات ضره}؟ لا.

({أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ}) يعني: لو أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يُنزل بي رحمة؛ أراد أن يرزقني، أراد أن يشفيني من مرض، أراد أن يدفع عني بلاء؛ أي شيء، رحمة من الله سبحانه وتعالى؛ هل يستطيع هذا الولي الذي تدعوه أنت وتتقرّب

---

(١) [الزمر:٨]

إليه؛ هل يستطيع أن يدفع هذه الرحمة ويمنعها من الوصول إلي؛ إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يُنزلها بي؟ الجواب: لا؛ كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه ابن عباس؛ قال: "وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"[1]؛ فكل الأمور بيد الله سبحانه وتعالى، وما يصلك من رحمة فمن الله، وما يُدفع عنك من ضرر أو ينزل بك من ضرر؛ فمن الله سبحانه وتعالى؛ كلّه بيد الله تبارك وتعالى، فاعتمادك وتعلُّق قلبك يكون على الله سبحانه وتعالى لا على غيره، فلا تمِل بقلبك إلى أحد من البشر أو المخلوقين، واجعل اعتماد قلبك على الله سبحانه وتعالى فقط، توجَّه بقلبك إلى الله في كل ذلك، وبما أن هذه الأصنام لا تستطيع أن تفعل ما ذُكِر؛ إذاً فليست أهلاً لأن تُدعى وأن تُعبد مع الله سبحانه وتعالى؛ لأن النفع والضرّ بيد الله سبحانه وتعالى؛ وهذا الذي يريد أن يؤكده المؤلف هنا بسَوقه لهذه الآية: أن النفع والضر بيد الله تبارك وتعالى، ومن الشرك أن تتوجّه إلى غيره لرفع البلاء أو دفعه.

({قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ}) {قل حسبي الله}؛ الحسب: هو الكافي، يعني: الله سبحانه وتعالى كافيني؛ لا أحتاج معه إلى أي أحد آخر، {عليه يتوكل} يعني: عليه يعتمد المعتمدون؛ في كل شأنك اعتمد على الله سبحانه وتعالى، تريد خيراً؟ الجأ إلى الله سبحانه وتعالى؛ فالأمور كلها بيده تبارك وتعالى؛ فاجعل قلبك معتمداً على الله؛ خصوصاً في أمر قد حصل فيه الخلل كثيراً في هذا الزمن: في مسألة الرزق، الاعتماد في الرزق يكون على الله سبحانه وتعالى، نحن نأخذ بالأسباب لأننا أُمِرنا بالأخذ بالأسباب، والله سبحانه وتعالى علّق الأشياء بأسبابها؛ لكننا لا نعتمد على الأسباب، ولا نعتمد على البشر في الرزق؛ إنما نعتمد على الله سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه أحمد(٢٦٦٩)، والترمذي(٢٥١٦).

الشاهد من هذه الآية: أن النفع والضر بيد الله سبحانه وتعالى لا بيد غيره؛ فهو النافع، وهو الذي ينزل بك ما يشاء من ضرر؛ فالجأ إليه تبارك وتعالى لا إلى غيره، وادعه وحده، وتضرّع إليه وحده، واخضع وذلّ إليه تبارك وتعالى؛ فلا تتخذ شيئاً سبباً في رفع الضر أو دفعه لم يجعله الله سبحانه وتعالى سبباً، فسواء اتخذ هؤلاء القوم الأصنام أنها هي النافعة والضارّة بنفسها أو أنها أسباب؛ كلّه من الشرك، إذا جعلوها أسباباً؛ فهو من الشرك، وإذا جعلوها هي النافعة الضارة أيضاً من الشرك؛ فالشاهد كما ذكرنا: أن النفع والضرّ بيد الله سبحانه وتعالى لا بيد غيره وهو يجعل ما يشاء من الأسباب أسباباً ويمنع ما يشاء.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (**عن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن «النبي ﷺ: رأى رَجُلاً في يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فقالَ: "ما هذهِ"؟ قال: مِنَ الواهِنَةِ؛ فقال: "انْزَعْها؛ فإِنَّها لا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهَناً؛ فَإِنَّكَ لوْ مِتَّ وَهيَ عَلَيْكَ ما أَفْلَحْتَ أَبداً"[1]. رواه أحمد بسند لا بأس به**).

هذا حديث عمران بن حصين؛ قال: أن النبي ﷺ رأى رجلاً، وجاء في بعض الروايات: أنه هو نفسه عمران[2].

(في يده حلقة) عرفنا ما معنى الحَلْقة؛ هي: مثل السوار، مثل الخاتم؛ حلقة دائرية.

(من صفر): يعني حلقة من نحاس وضعها في يده.

---

(١) أخرجه أحمد(٢٠٠٠٠)، وابن ماجه(٣٥٣١).

(٢) أخرجها ابن حبان في "صحيحه"(٦٠٨٨)، والبيهقي في "السنن الكبرى"(١٩٦٠٩)، والبزار في "مسنده"(٣٥٤٧)

("فقال: ما هذه"؟ قال: من الواهنة) يعني: ما السبب الذي جعلك تلبس مثل هذه؟ قال: السبب من الواهنة، والواهنة: مرض- ألم- يأخذ في اليد، يعني : يضرب اليد[1]؛ فيضعون هذا من أجل أن يخفّ هذا الألم؛ فهو لرفع البلاء.

(فقال: "انزعها") أمَرَه بنزعها؛ وهذا أمرٌ واجبٌ.

("فإنها لا تزيدك إلا وَهَناً") هذا يدل على تحريم مثل هذا الفعل؛ وأنه لا ينفع؛ بل يضرّ، "لا تزيدك إلا وهناً": إلا ضعفاً، فيضعف في نفسه؛ فاعتماده لا يكون على الله؛ بل على غير الله؛ فيضعف في نفسه، فلا تؤتي ثمارها؛ بل تؤتي عكس الثمار.

("فإنك لو متّ وهي عليك ما أفلحت أبداً") وهذا الشاهد؛ فلو مِتّ وهي موجودة عليك ما أفلحت أبداً؛ يعني: ما فُزتَ يوم القيامة عند الله سبحانه وتعالى.

وهل الفلاح المنفيُّ فلاح كلّيّ أم فلاح جزئي؟

على حسب تعلق القلب بهذا الأمر، إذا كان تعلّق قلبه بها، واعتمد عليها، وأنها هي النافعة الضارّة؛ فيكون نفيُ الفلاح نفياً كاملاً، وإذا كان تعلّقه بها من باب الأسباب- أنها سبب- ولم يجعلها الله سبحانه وتعالى سبباً؛ فالفلاح المنفي هو الفلاح الكامل، ولكن أصل الفلاح يبقى موجوداً؛ هذا كله بناءً على صحة الحديث.

يقول المؤلف: (رواه أحمد) يعني في "مسنده" (بسندٍ لا بأس به) والصحيح: أن السند ضعيف وليس كما قال المؤلف رحمه الله؛ ففي سنده المبارك، والمبارك هذا هو ابن فضالة؛ يُدلّس تدليس تسوية، ويقول: عن الحسن أخبرني عمران، وأصحاب الحسن يخالفونه- يخالفون المبارك-، ومعروف أن الحسن البصري أيضاً مدلّس، فإذا قال: أخبرني عمران؛

---

(١) قال ابن منظور في "لسان العرب"(٤٥٤/١٣): "والواهِنَةُ: ريحٌ تأْخذ فِي الْمَنْكِبَين، وَقِيلَ: فِي الأَخْدَعَين عِنْدَ الكِبَر. والواهِنُ: عِرْق مُسْتبطِنٌ حَبْلَ الْعَاتِقِ إِلَى الْكَتِفِ، وَرُبَّمَا وَجِعَ صاحبُه وعَرَتْه الواهِنة، فَيُقَالُ: هِني يَا واهِنةُ، اسْكُني يَا واهِنة وَيُقَالُ لِلَّذِي أَصابه وجَعُ الواهِنة مَوْهونٌ، وَقَدْ وُهِنَ...

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ جَنْبَة: الواهِنةُ عِرْقٌ يأْخذ فِي الْمَنْكِب وَفِي الْيَدِ كُلِّهَا فيُرْقَى مِنْهَا، وَهِيَ داءٌ يأْخذ الرِّجَالَ دُونَ النِّسَاءِ..."

فمعنى ذلك: أن التدليس قد انتفى؛ لكنه يقول هنا: أخبرني عمران، والصحيح: أن أصحاب الحسن يروونه عن عمران بالعنعنة.

على كل حال؛ مَن فهم هذا مِمَّن درس المصطلح فالحمد لله، ومن لم يفهم؛ فيكفيه أن يعلم أن الإسناد ليس بصحيح؛ وأن هذا الحديث ضعيف لا يُعتمد عليه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (**وله عن عقبة بن عامر، مرفوعاً: "مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللهُ له"**[1]**، وفي رواية: "مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ"**[2])

(له): يعني للإمام أحمد؛ لأنه هو آخر مُخرِّج ذكره عندنا؛ قال في الحديث السابق: "رواه أحمد بسند لا بأس به" ثم قال: "وله" أي: لأحمد رحمه الله.

(عن عقبة بن عامر مرفوعاً) مرفوعاً يعني: يضيفه إلى النبي ﷺ، بدل أن يقول: عن النبي ﷺ؛ يقول: مرفوعاً، وهذا معروف في اصطلاح المحدّثين.

("من تعلق تميمة") تعلق: يعني علّقها وتعلّق قلبه بها، والتميمة: هي خرزات كانت العرب تعلّقها على أولادها- وما زالت إلى اليوم-؛ يتّقون بها العين- في زعمهم-، يتعلّقون خرزة زرقاء على الولد، أو حذوة حصان على الدابّة، اليوم ما زال بعضهم يضعون حذوة حصان في السيارة، أو حذاء في السيارة، أو ما شابه؛ هذه كلها تُسمّى تمائم، كذلك الخميسة، خمسة، خرزة زرقاء؛ أيّ شيء من هذه الأمور التي يضعونها؛ يتّقون بها العين-عادة- لدفع العين؛ كي لا تصيبهم العين، فيضعون مثل هذه الأشياء؛ خرزة زرقاء وما شابه. هذه تسمّى: تمائم.

---

(١) أخرجه أحمد(١٧٤٠٤)، وفي سنده خالد بن عبيد المعافري مجهول؛ قاله الشيخ الألباني: "الضعيفة"(١٢٦٦).

(٢) أخرجه أحمد(١٧٤٢٢)، وفي إسناده :يزيد بن أبي منصور، قال في "التقريب": "لا بأس به".

("فلا أتم الله له") هذا دعاء عليه ألا يُتمّ الله سبحانه وتعالى له ما أراد من ذلك.

("ومن تعلق ودعة") نفس الشيء: "من تعلق" يعني: من علقها وعلق قلبه بها، "الودعة : قالوا : هو شيء يُخرج من البحر، مثل : الصدف- يشبهه- عبارة عن أحجار وما شابه؛ يخرجونها من البحار ويعلّقونها على الأولاد وعلى أنفسهم؛ من أجل دفع العين ودفع البلاء.

("فلا ودع الله له") دعاءٌ عليه أيضاً ألا يجعله الله سبحانه وتعالى في دَعةٍ وسكون وراحة واطمئنان.

لكن هذا الحديث- بهذه الرواية هكذا-: ضعيف؛ في سنده خالد بن عبيد المعافري: مجهول.

قال: (وفي رواية: "من تعلق تميمة") وقد عرفنا معنى: "تعلق تميمة"؛ يعني من علّق التميمة وعلّق قلبه بها بأنها نافعة أو ضارّة، أو بأنها سبب، فإذا كان تعلّق قلبه بها على أنها نافعة وضارة بنفسها؛ فهذا شرك أكبر، وإذا تعلق قلبه بها على أنها سبب؛ فهذا من الشرك الأصغر.

("فقد أشرك")؛ هذا تحقيق، يعني وقع في الشرك ولا بُدّ، حصل منه الشرك؛ إما شرك أكبر؛ إن اعتقد أنها تنفع وتضرّ بنفسها، أو شرك أصغر؛ إن اعتقد أنها سبب، فهذا الحديث بهذه الرواية صحيح.

"من تعلق تميمة فقد أشرك"؛ هذا الشاهد الذي نريده للباب، هذا الدليل الذي نريده للباب؛ فيدل ذلك على أن تعليق التمائم من الشرك، وعرفنا التمائم، وصورها كثيرة موجودة بين الناس اليوم؛ من أشهرها: الخميسة- الخمسة التي فيها خرز أزرق-، أو الخرزة الزرقاء في حد ذاتها، أو حذوة الحصان، وما شابه من هذه الأشياء؛ كلها تسمى تمائم، هذه لم يجعلها الله سبحانه وتعالى سبباً لدفع العين ولا لرفعها، أما دفع العين فقد جعل لنا النبي ﷺ سبباً؛ وهو الدعاء؛ فقد كان ﷺ يضع يده على الحسن والحسين ويقول: "أُعِيذُكُمَا

بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ"[١]؛ هذا الدعاء سبب لدفع البلاء، والرقية بالفاتحة والمعوّذات جعلها الله سبحانه وتعالى سبباً لرفع البلاء؛ فنحن نأخذ بهذه الأسباب الشرعية ونترك الأسباب التي لا تشرع .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (**ولابن أبي حاتم، عن حُذَيْفَة: أَنَّهُ رأى رَجُلاً في يَدِهِ خَيْطٌ مِنَ الحُمَّى؛ فَقَطَعَهُ وتلا قَوْلَهُ: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}**[٢] [٣])

(لابن أبي حاتم): هو عبد الرحمن بن أبي حاتم، ابن أبي حاتم الرازي؛ أبو حاتم الإمام الشهير الحافظ المعروف بعلم العلل، أما صاحب كتاب "العلل" فهو نفسه: عبد الرحمن، وابن أبي حاتم هذا له تفسير، وهذا الأثر ساقه في "تفسيره"، وينقل الحافظ ابن كثير في تفسيره الكثير عن تفسير ابن أبي حاتم، وأحياناً يسوق الآثار بأسانيدها.

(عن حذيفة) هو حذيفة بن اليمان، الصحابي الشهير.

(أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمّى) يعني أصابته حرارة؛ سخونة، فعلّق خيطاً كرقية لهذه الحمّى.

(فقطعه): يعني قطع حذيفة هذا الخيط، وهنا أنكر حذيفة رضي الله عنه هذا المنكر بيده؛ فقطعه.

(وتلا قوله: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}): هذه الآية أصلاً نزلت في المشركين، ومعناها: وما يؤمن أكثرهم بالله في الربوبية، أي: يؤمنون بربوبيته، تسألهم: مَن

---

(١) أخرجه أحمد(٢١١٢)، والترمذي(٢٠٦٠)، وأبو داود(٤٧٣٧)، وابن ماجه(٣٥٢٥) عن ابن عباس رضي الله عنه، وأخرجه البخاري(٣٣٧١) بلفظ:" إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ ".

(٢) [يوسف:١٠٦]

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٢٢٠٨/٧)، وقد توبع عروة عند ابن أبي شيبة (٣٥/٥) من طريقين، لا يخلوان من ضعفٍ؛ ولكنه يصح بهما إن شاء الله. والله أعلم.

خلق السماوات والأرض؟ مَن خلقكم؟ يقولون: الله سبحانه وتعالى، {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ} -من هذه الحيثية- {إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} من حيثية أخرى؛ وهي في عبادة الله سبحانه وتعالى؛ فيؤمنون بربوبيته، ويكفرون بألوهيته تبارك وتعالى، وهنا استدلَّ الصحابي رضي الله عنه بهذه الآية التي نزلت في المشركين أصلاً؛ استدلّ بها على ما فعله المسلم؛ حيث إن هذا المسلم قد آمن بالله تبارك وتعالى، ولكنه أشرك بفعله هذا الذي هو لبس الخيط من الحمّى.

وهذا الحديث كما ذَكَر هو عند ابن أبي حاتم، إن سلم إسناده من الانقطاع بين عروة بن الزبير وحذيفة؛ فهو صحيح؛ هذا الإشكال الوحيد الذي يوقفني حقيقة في تصحيحه؛ وهو: هل سمع عروة من حذيفة؟

من حيث السن: السماع ممكن؛ فعروة بن الزبير وُلِد في أوّل خلافة عثمان ومات سنة أربع وتسعين على الصحيح، وحذيفة مات في أول خلافة عليّ سنة ستٍّ وثلاثين؛ بعد أربعين يوماً من البيعة، يعني: من حيث السّنّ: الأمر قريب؛ السماع ممكن، لكن من حيث البلد أو التصريح من بعض أئمة الحديث؛ لا يوجد؛ فقد كان حذيفة في المدائن في العراق، وعروة في المدينة؛ وهل ثبت رحيل أحدهما إلى الآخر؟ أو مروره به؟ الله أعلم به؛ على كل حال: المسألة موقوفة هنا على هذا؛ هل ثبت سماع عروة من حذيفة؟ فإذا ثبت سماعه؛ فالحديث صحيح، وإذا لم يثبت؛ فهذا يكون منقطعاً، ولكنه متابع عند ابن أبي شيبة؛ فهو صحيح إن شاء الله. والله أعلم.

وعلى كل حال: قد علمنا حكم الباب وعلمنا خلاصة ما ذُكر فيه والمراد منه. والله أعلم.

الباب السابع: باب ما جاء في الرقى والتمائم

(الرقى): جمع رقية، والرقية: هي التعويذة التي يُرقى بها صاحب الآفة، وتسمى أيضاً: العزائم.

(التمائم): جمع تميمة، وهي ما يعلق لدفع العين أو رفعها من خرزات وعظام وما شابه.

وتقدم الحديث عن التمائم، لكن هنا سيذكر أنواعاً لها، وكذلك الرقى لها أنواع؛ لذلك لم يجزم المؤلف بحكمها، فلم يقل:(باب من الشرك الرقى والتمائم)؛ لأن فيها تفصيلاً؛ ليست كل الرقى والتمائم من الشرك.

أنواع الرقى

الرقية قسمان: رقية شركيّة، ورقية غير شركية.

الرقية الشركية: محرمة، وغير الشركية: غير محرمة.

الرقية الشركية: ما فيها استعانة أو استغاثة أو استعاذة بغير الله تبارك وتعالى، فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى، أو بأموات، أو فيها ذكر أسماء الشياطين أو الجن، وما شابه، أو رقية يعتقد صاحبها أنها تؤثر بنفسها؛ هذا نوع الرقية الشركية؛ وهذه محرمة.

أما النوع الثاني؛ وهو النوع الجائز الذي لا يكون من قبيل النوع الأول، وقد نقل السيوطي إجماع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

الأول: أن تكون بكلام الله، أو بأسمائه وصفاته؛ هذا الشرط الأول.

الشرط الثاني: أن تكون باللسان العربي، وما يُعرف معناه.

الشرط الثالث: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها؛ بل بتقدير الله تبارك وتعالى.

أما الشرط الأخير فمتفق عليه، وأما الشرط الأول والثاني؛ فاختلفوا في شرطيتهما؛ فهم متفقون على أنه إذا توفرا فالرقية جائزة؛ واختلفوا فيما إذا كانت الرقية بغير اللغة العربية،

لكنها كلام مفهوم ليس فيها أسماء جن وما شابه؟ البعض جوز، والبعض منع، وكذلك اختلفوا إذا كانت الرقية بغير كلام الله وأسمائه وصفات، لكنها ليس فيها أي شيء من الاستعاذة بالجن، أو غيرهم أو الاستغاثة بهم، ولا شيء من هذا القبيل من أنواع الشركيات؛ لكنها ليست بكلام الله ولا بأسمائه وصفاته؛ هذه أيضاً حصل فيها نزاع.

لكن اتفقوا- كما ذكرنا- على أنه إذا توفرت هذه الشروط فالرقية جائزة.

إذاً خلاصة الأمر أن الرقية قسمان: رقية شركية وغير شركية، الشركية محرمة، وغير الشركية جائزة؛ وذلك لما صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شركٌ"[1]؛ هذا الحديث قاعدة في هذا الباب، فإذا لم يكن في الرقية شرك، وليس فيها معنى من معاني الشرك؛ فهي جائزة.

وقد فصلنا القول في التمائم الشركية، وذكرنا تعريفها وحكمها؛ ومنها: أن تعليق التميمة إما أن يكون شركاً أكبر أو شركاً أصغر؛ تقدم الكلام في هذا كله.

وأما حكم التميمة إن كانت من القرآن؛ فليست شركاً؛ لكن هل هي جائزة أم غير جائزة؟ سيأتي بإذن الله الحديث عنها في موضعه.

هذه خلاصة هذا الباب الذي ذكره المؤلف رحمه الله، وسيذكر بعد ذلك الأدلة التي تدل على الأقسام التي ذكرنا.

قال المؤلف رحمه الله: (**في "الصحيح": عن أبي بشير الأنصاري أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فَأَرْسَلَ رَسُوْلاً: "أَنْ لا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ مِنْ وَتَرٍ- أو قِلادَةٌ- إِلَّا قُطِعَتْ"**[2])

---

(١) أخرجه مسلم(٢٢٠٠) عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري(٣٠٠٥)، ومسلم(٢١١٥)، وفي مسلم زيادة: (قال مالك: أُرى ذلك من العين).

(أبو بشير الأنصاري): صحابي، كان مع النبي ﷺ في سفرة سافرها، وسفرات النبي ﷺ كانت كثيرة، وأكثرها كانت للغزو.

(فأرسل رسولاً): يعني أرسل النبي ﷺ رجلاً إلى الجيش وإلى المسلمين يخبرهم:

(أنْ لا يبقينّ في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة؛ إلا قطعت): إذاً ذهب الرسول إلى الناس يخبرهم ما أمره النبي ﷺ أن يخبرهم إياه؛ وهو: (أنْ لا يبقين في رقبة بعير) يعني: جمل (قلادة من وتر -أو قلادة- إلا قطعت) .

وكان أهل الجاهلية يضعون في رقاب الإبل خيوطاً من وترٍ، (الوتر): لعلَّ الكثير منا رأى القوس الذي ترمى به السهام؛ هذا القوس مشدود به وتر: سلك؛ خيط قوي؛ هذا معنى الوتر؛ كانوا يلفون هذا الوتر على رقبة البعير؛ لئلا تصيبها العين؛ يعني: خشية الحسد؛ لدفع العين عنها؛ وهذا ما قاله شراح الأحاديث[١]، هذا ليس من عندنا؛ هذا قول أئمة الإسلام: أبو عبيد القاسم بن سلام له كتاب في تفسير غريب الحديث؛ يعتمد عليه الإمام البخاري كثيراً- وهو من العلماء المتقدمين- قال: "كانوا يقلِّدونَ الإبلَ الأوتارَ" يعني كانوا في الجاهلية يقلدون الإبل الأوتار، وبقوا على ذلك حتى نهاهم النبي ﷺ؛ قال: "لئلا تصيبها العين" هذا هو السبب، "فأمرهم النبي ﷺ بإزالتها؛ إعلاماً لهم بأن الأوتار لا تردُّ شيئاً"؛ هذا كلام أبي عبيد رحمه الله[٢].

إذاً هذا الوتر كانوا يستعملونه تميمة، يردون به العين عن الإبل؛ فنهاهم النبي ﷺ عن هذا الفعل، فأرسل رسولاً: (أنْ لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر)؛ حدد نوع القلادة: من وتر، قال: "أو قلادة": يعني شك الراوي في ذلك؛ هل قال: "قلادة من وتر" أو قال:

---

(١) وهو ما بينته رواية مسلم للحديث، من كلام الإمام مالك.

(٢) "غريب الحديث"(٢/٢)، ولفظه هناك قريب، ونقل ما ورد عن الإمام مالك في علة النهي عن تقليد الإبل الوتر.

"قلادة"؛ إلا قطعت، إذاً لا بدّ؛ هذا أمر من النبي ﷺ، والأمر يفيد الوجوب، فلا يجوز: يحرم تعليق مثل هذه التمائم لدفع العين- محرم- قد أبدلنا الله سبحانه وتعالى بما هو خير منها بحمد الله؛ وهي الرقية التي علمناها النبي ﷺ.

ثم قال المؤلف رحمه الله: (**عن ابن مسعود رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الرُّقى والتَّمائِمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ". رواه أحمد، وأبو داود**)

("إن الرقى والتمائم والتِولة شرك")؛ كما ذكرنا في التفصيل السابق؛ هل كل رقية تكون شركاً؟ لا؛ لكن الرقية التي تكون شركاً هي التي يستعان فيها بغير الله، أو فيها استغاثة بغير الله، أو فيها أسماء الشياطين، أو يعتقد صاحبها أنها تنفع وتضر بنفسها؛ هذه الرقى تكون شركية.

لكن لماذا فصلنا هذا التفصيل؟

ربما يقول قائل: والله الحديث عام؛ النبي ﷺ يقول: إن الرقى شرك؛ فأنت كيف خصصت وفصلت؟ من أين أتيت بهذا كله؟

معه حق في هذا الاعتراض- بداية- لأن ظاهر الحديث معه؛ قال: إن الرقى شرك؛ وهذا يشمل جميع أنواع الرقى؛ لكننا فصلنا وقلنا: لا؛ يوجد نوع من الرقية جائز؛ لماذا؟ للحديث الآخر: "لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً"؛ فصار عندنا هنا نوعان من الرقى.

لا يصح من طالب العلم أن يتمسك بحديث واحد ويبني عليه حكماً، دون أن يكون له نظرة عامة في أدلة الكتاب والسنة؛ خشية أن يقع في الزلل؛ مثل هذا يأخذ الحديث هذا، ويبني عليه حكماً، ويقول: "إن الرقى والتمائم والتولة شرك"؛ إذاً انتهى الأمر: كل رقية شرك- بناء على ظاهر هذا الحديث-؛ هذا خطأ.

لماذا؟

يقال له: فاتك أحاديث أخرى كثيرة، لم تعمل بها وتركتها، ولم تُوَفِّقْ بين أحاديث النبي ﷺ، والشريعة كلها خارجة من مشكاة واحدة، ولا تتعارض أبداً؛ إذاً فهمك سقيم؛ وجاء ذلك من قلة علمك وخبرتك في مجال الشرع؛ لذلك لا يتسرع طالب العلم ويعترض على المشايخ في أقوالهم؛ حتى يراجع المسألة، راجع المسألة وانظر كلام أهل العلم فيها، ثم بعد ذلك: إذا أشكل عليك شيء؛ فبادر إلى المراجعة؛ إلى سؤال أهل العلم، لا تتعجل، تعترض؛ تثير فوضى ومشاكل وفتن على لا شيء؛ لمجرد جهلك فقط، راجع المسألة، وانظر كلام العلماء، وانظر الأدلة التي يذكرونها؛ ثم بعد ذلك تخرج بنتيجة صحيحة.

انظر هنا: لو جاء شخص وأخذ بظاهر هذا الحديث فقط: "إن الرقى والتمائم والتولة شرك"، ومشى على هذا، ويدندن: (الرقى حرام، شرك، باطل)؛ وقد رقى النبي ﷺ، وحث على الرقية، وقال في الحديث الذي ذكرناه آنفاً: "لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً"؛ فماذا تفعل بكل هذا؟

لذلك قال العلماء: الجمع بين الأحاديث بما ذكرنا: أن الرقية منها ما هو شركي، ومنها ما هو ليس بشركي؛ على التفصيل الذي تقدم.

(والتمائم)؛ قال: إن الرقى والتمائم شرك، إذاً الأصل في التمائم أنها شرك، وبينا السبب في ذلك؛ وسيأتي الحديث عن تميمة القرآن.

والتولة شرك: التولة شيء كانوا يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته؛ ولا زال موجوداً إلى يومنا هذا؛ وهي نوع من أنواع السحر؛ هذا شرك، والسحر كفر- وسيأتي تفصيله إن شاء الله في باب مستقل-، فهذه التولة وهي نوع من أنواع السحر- خاص بما ذكرنا- شركٌ.

قال: (رواه أحمد وأبو داود): رواه أحمد في "مسنده"، وأبو داود في "سننه"[1]، والحديث صحيح.

والشاهد من الحديث: أن بعض الرقى، وبعض التمائم: شرك.

ثم قال المؤلف رحمه الله: (**وعن عبد الله بن عُكَيْم مرفوعاً: "مَنْ تَعَلَّقَ شيئاً؛ وُكِلَ إليهِ". رواه أحمد والترمذي**)

(عبد الله بن عكيم) الجُهني الكوفي[2]؛ قال الإمام البخاري رحمه الله: "أدرك زمن النبي ﷺ ولا يُعرَف له سماعٌ صحيحٌ"[3] يعني: من النبي ﷺ، وكذا قال أبو حاتم الرازي[4].

وقوله: (مرفوعاً) أي: إلى النبي ﷺ؛ فيكون هذا الحديث مرسلاً.

("من تعلق شيئاً") يعني: من علق شيئاً على جسمه، وتعلّق قلبه به.

("وُكِلَ إليه") يعني: تركه ربُّنا تبارك وتعالى لهذا الشيء الذي علّقه على نفسه، وتعلّق قلبه به، وهذا الشيء معروف أنه لا ينفع ولا يضر، فإذا تخلّى الله سبحانه وتعالى عن حفظ شخصٍ: هلك، وهذا تحذير شديد.

قال: (رواه أحمد والترمذي[5]).

١- أحمد(٣٦١٥)، وأبو داود(٣٨٨٣)، وابن ماجه(٣٥٣٠).

٢- وهو أبو معبد الجهني؛ كما جاء عند الطبراني وغيره

٣- "التاريخ الكبير"(٦٧)

٤- "المراسيل" لابن أبي حاتم (٣٧٠)، وانظر "جامع التحصيل" (٣٨٤)، ولكن قالوا: كتب إليه النبي ﷺ، فإذا صحَّت الكتابة؛ فيكون حكمه الاتصال.

٥- أحمد(١٨٧٨٦)، والترمذي(٢٠٧٢)، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أخيه عيسى، عن عبد الله بن عكيم، وقال الترمذي: "وحديث عكيم إنما نعرفه من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الله بن عُكيم لم يسمع من النبي ﷺ ، وَكَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ: كَتَبَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، نَحْوَهُ بِمَعْنَاهُ: وَفِي البَابِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ.

وأخرج النسائي في "سننه"(٤٠٧٩) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ"، وهو من رواية الحسن عن أبي هريرة.

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى: (**وروى أحمد[1] عن رُويفع، قال: قال لي رسول الله ﷺ:**
"يا رُوَيْفِع! لَعَلَّ الحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ؛ فَأَخْبِرِ النَّاسَ: أَنَّ مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرَاً، أَوْ اسْتَنْجَى بَرَجِيعِ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدَاً بَرِيءٌ مِنْهُ")

(رُويفع بن ثابت) صحابي؛ يُخبر ما أخبره به النبي ﷺ.

(قال: "يا رويفع! لعل الحياة ستطول بك") يعني: ستعيش مدة من الزمن طويلة.

(**فأخبر الناس**) مَنْ أدركته منهم.

(أن من عقد لحيته) عَقْدُ اللحية اليوم يسمّونه: تجديلاً؛ يجدّل اللحية ويلفّها؛ كانوا يفعلونها للكِبْرِ؛ يفعلونها في الحروب كِبْرَاً وتعاظماً وعُجْبَاً؛ فلذلك نُهوا عن ذلك.

(أو تقلّد وتراً) يعني: ارتدى الوتر على شكل قلادة؛ إمَّا على نفسه أو على بعيره، على معنى الحديث المتقدّم؛ يفعلون ذلك لدفع العين؛ وهو الشاهد من الحديث، وساقه المؤلف هنا لذلك.

(أو استنجى برجيع دابّةٍ أو عظمٍ) الاستِنْجاءُ: التنّظف بعد دخول الخلاء من قضاء الحاجة؛ فنُهي عن أن يستنجي برجيع دابة، والرجيع للدابّة: هو الروث الذي يخرج منها عند قضاء حاجتها، والعظم معروف.

وجاء في رواية بأنه: "زاد إخوانكم من الجن"[2]؛ لذلك نُهوا عن الاستنجاء بالعظم، وأما الروث فلا ينظّف.

وأخرجه البيهقي في "السنن الكبرى"(١٩٦١١) موقوفاً على ابن مسعود.

وعنده أيضاً عن الحسن مرسلاً، وكذا عند النسائي في "السنن الكبرى" (١٩٦٤١).

(٢) أخرجه أحمد(١٦٩٩٥)، والنسائي(٥٠٦٧)، وأبو داود(٣٦). انظر "سنن أبي داود" تحقيق الأرنؤوط(٢٨/١).

(١) أخرجه أحمد(٤١٤٩)، والترمذي(١٨) عن ابن مسعود، وأخرجه مسلم بلفظ: "فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ"، وأصله عند البخاري وبقية أصحاب السنن.

(فإن محمداً بريء منه) أي: من الفاعل ومن الفعل؛ النبي ﷺ بريء منه؛ وبراءة النبي ﷺ هذه تدلّ على أن الفعل كبيرة من الكبائر.

ثم قال المؤلف رحمه الله: (**وعن سعيد بن جبير؛ قال: "مَنْ قطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسانٍ؛ كانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ". رواه وكيع**)

(سعيد بن جبير): صاحب ابن عباس، من تلاميذه؛ وهو تابعي.

(قال: "من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة")، "من قطع تميمة من إنسان"؛ هذا الشاهد: أنه لا تترك التّميمة؛ بل ينكرها، ومن الإنكار: أن يقطعها عنه، وأجرها: قال: "كان كعدل رقبة"؛ يعني: كأنه أعتق رقبة؛ أعتق عبداً أو أَمَةً؛ وهذا أجره عظيم.

لكن قوله: "كان كعدل رقبة" هذا الأجر أمرٌ لا بدَّ فيه من توقيف؛ يعني: خبر عن المعصوم بأن من فعل كذا فله أجر كذا؛ يحتاج إلى وحي؛ فمن أين أتى به سعيد بن جبير؟ هذا له حكم الرفع، وإذا قلنا له حكم الرفع؛ فيكون مرسلاً؛ لأن سعيد بن جبير تابعي، والمرسل من قسم الضعيف؛ فلا يصحّ.

قال: (رواه وكيع): وهو موجود عند ابن أبي شيبة في "المصنف"[(١)].

حكم تميمة القرآن

قال المؤلف رحمه الله تعالى:(**وله عَنْ إبْراهيم؛ قال: كانوا يَكْرَهونَ التَّمائِمَ كُلَّها؛ مِنَ القُرْآنِ وغَيْرِ القُرْآنِ**)

(وله) أي: لوكيع أيضاً.

---

(١) (٢٣٤٧٣)

(عن إبراهيم) إبراهيم هذا هو ابن يزيد النخعي الكوفي.

(قال: كانوا يكرهون التمائم كلها؛ من القرآن وغير القرآن) هنا جاءت مسألة : تميمة القرآن، وإبراهيم بن يزيد النخعي فقيه كبير من الفقهاء؛ وهو تابعي، ينقل عن أصحاب ابن مسعود؛ فيقول: "كانوا يكرهون"؛ من هم؟

هم أصحاب ابن مسعود؛ لأنه يطلق هذه الألفاظ ويريدهم هم بالذات: أصحاب ابن مسعود فقهاء كبار، من كبار التابعين، وفقهاء الإسلام في وقتهم، من فقهاء أهل الكوفة، كالأسود بن يزيد النخعي، وعلقمة بن قيس النخعي أيضاً، وشقيق بن سلمة؛ وغيرهم؛

قال: "كانوا يكرهون التمائم كلها"، والسلف عندما يكرهون يعني: يحرّمون؛ الكراهة عند السلف بمعنى التحريم.

"كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن" أما من غير القرآن؛ فلا إشكال، والإشكال في تمائم القرآن؛ حصل فيها خلاف بين السلف أنفسهم؛ فبعضهم كان يجيزها والبعض منعها، والذين يجيزون؛ قالوا: تميمة القرآن ليست من الشرك؛ ليست شركية؛ هذا صحيح، والذين منعوا قالوا: الأدلة عامّة، تشمل ما كان من القرآن ومن غيره؛ لكن هذا الدليل غير صحيح؛ لأن الأدلة التي وردت إنما وردت في التمائم الشركية؛ وهذه ليست شركاً، لكن الدليل الثاني لهم هو الصحيح؛ وهو القول بالتحريم لسدّ الذريعة، ونعني بسدِّ الذريعة: أن هذا الفعل- تعليق التمائم التي هي من القرآن- تؤدي إلى تعليق التّميمة الشركية؛ فهي طريق إليها، فلسدّ هذا الطريق: نقول بالتحريم أيضاً لما كان من القرآن؛ هذا معنى سدّ الذريعة، فمتى كان الفعل يؤدي إلى المحرم؛ قلنا بتحريمه سدّاً للذريعة، وهو دليل من الأدلة عند الأصوليّين مُختَلَفٌ فيه؛ لكن الصحيح أنه معتبر، وله ضوابط- طبعاً- ذكرها أهل الأصول، وهو هنا معتبَر؛

فيقال: يحرُم تعليق التّميمة من القرآن ومن غير القرآن، من غير القرآن لأنه شرك، ومن القرآن لأنه ذريعة إلى تعليق التمائم الشركية؛ هذا هو الصحيح في هذه المسألة.

الباب الثامن: باب مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجَرٍ ونَحْوِهِما

ثم قال المؤلف رحمه الله: (**باب: مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ نَحْوِهِما**)

انتقل المؤلف إلى باب جديد، وهذا الباب له تعلّق بالمسائل التي سبقت؛ لأن الشخص عندما يريد أن يتبرّك بحجر أو بشجر هو يريد المنفعة منه؛ فيطلب نفعه وخيره؛ فيقع في الشرك.

والتبرّك أصلاً: هو طلب الخير الكثير، وطلب ثبوته ولزومه؛ هذا معنى التبرّك.

حكم التبرّك:

التبرك بالنبي ﷺ في حياته، من الأشياء التي كان يفعلها الصحابة مع النبي ﷺ؛ وهذا حكم خاصٌّ بالنبي ﷺ، وهو جائز لا إشكال فيه؛ لأن الصحابة كانوا يفعلونه مع النبي ﷺ؛ لكن الصحابة لم يفعلوه بمن بعد النبي ﷺ, لذلك لا يجوز فعله بغير النبي ﷺ لأن الصحابة اقتصروا على فعله معه؛ لأنهم يعلمون أنه لا يجوز فعله بغيره؛ فلم يفعلوه بأبي بكر أو بعمر أو بعليّ أو بعثمان رضي الله عنهم؛ لذلك نقول: التبرك بغير النبي ﷺ غير جائز؛ التبرّك بحجر، بشجر، بوليّ، بقبر؛ كل هذا محرّم، وإذا اعتقد الشخص أن هذا الشيء الذي سيتبرّك به هو الذي يمنحه البركة؛ فهذا شرك أكبر نعوذ بالله، وإذا اعتقد أنه سبب؛ يعني زيارته وملامسته والتمسّح به هو سبب لحصول البركة من الله سبحانه وتعالى؛ فهذا محرّم، وهو وسيلة إلى الشرك؛ هذا حكم التبرك؛ فالتبرك يُعتبر محرّماً وهو من الشرك، كما سيأتي ذكر أدلته إن شاء الله.

قال المصنّف رحمه الله: (**وقول الله تعالى :﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ**

سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى}[(١)]

ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أسماء بعض المعبودات التي كان يعبدها الكفّار؛ فقال:

({أفرأيتم اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى})؛ هي ثلاث: اللات والعزّى ومناة.

أما اللَّات: فتُنطَق بتشديد التاء في (اللاتُّ) وقرئت أيضاً بتخفيفها.

فبتشديد التاء؛ قالوا: سميت بذلك لأن رجلاً كان يلتُّ السَّويق للحاجّ- يعني كان يخلط لهم أنواع الطعام ويصنع للحجاج طعاماً على صخرة – قالوا: فلما مات عكفوا على قبره؛ هذا أصل اسم اللات، وهي المشددة (اللاتّ).

أما المخففة فهي من الإله، فبالتخفيف يكون أصلها مأخوذ من الإله؛ وهي صخرة ملساء بيضاء منقوش عليها نقوش كان يعبدها المشركون.

فهما قراءتان: على قراءة التشديد؛ يكون هذا المعبود الذي يعبدونه قبراً؛ قبر ذلك الرجل الصالح الذي كان يلتّ السويق، أخذ الاسم من وصف الرجل، وعلى قراءة التخفيف يكون هذا المعبود صخرة، أُخذ الاسم من الإله[(٢)].

والقراءة المشتهرة عندنا؛ وهي قراءة الجمهور: التخفيف: {أفرأيتم اللاتَ والعزى}.

والعُزّى: من العزيز، أصلها من أسماء الله سبحانه وتعالى؛ اشتقوها من أسماء الله سبحانه وتعالى، كانت شجرة عليها بناء وأستار وكانوا يعبدونها.

وأما مناة: فهي صنم كانوا يعظّمونه، ومشتقة من اسم الله المنّان.

فكلها معبودات كانوا يتبرّكون بها، ويطلبون منها جلب المنافع ودفع المضار.

---

(١) [النجم:١٩- ٢٣]

(٢) جاء في بداية الشرح عند الباب التالي: التنبيه على خطأ وقع في الصوتية؛ وهو أن التشديد والتخفيف لحرف اللام، والصواب أنه لحرف التاء؛ وقد صححنا الخطأ الواقع في الصوتية في هذا الموضع في التفريغ هنا.

الشاهد من ذكر المؤلف لهذه الآية هنا: هو أن التبرّك بهذه الأشياء لمنح البركة يُعتبر من الشرك، وهذا ما كان يفعله المشركون عند هذه المعبودات المذكورات في هذه الآية.

({أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى}) يعني: تجعلون له ولداً، وتجعلون ولده أنثى!! وأنتم تختارون لكم الذكور.

({تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى}) قسمة جائرة ظالمة باطلة.

({إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ}) يعني: أنتم سمّيتموها من عندكم ليس عليها دليل ولا أصل لها.

({مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ}) من حجة، السلطان في القرآن يأتي بمعنى الحجة والدليل.

({إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ}) ليس لهم دليل ولا مستند؛ إلا أنهم يحسنون الظن بآبائهم فيسلكون طريقهم، وأهواؤهم قد اشتهت هذا الشيء وأحبَّتْه؛ فمضوا فيه

({وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى}) أرسل الله إليهم الرسل بالحق.

الشاهد: أن عُبّاد هذه الأوثان كانوا يعتقدون حصول البركة منها؛ بتعظيمها ودعائها والاستعانة بها والاعتماد عليها في حصول ما يرجونه منها؛ فالتبرّك بقبور الصالحين هو من هذا القبيل، كالتبرك باللات والعزى ومناة... إلى آخره.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (**عن أبي واقد الليثي، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين، ونحن حُدَثاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وللمشركينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَها وَيَنوطونَ بها أسلِحَتَهُمْ؛ يقال لها: ذَاتُ أنواطٍ، فمررنا بِسِدْرَةٍ فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؛ فقال رسول الله ﷺ: "الله أكبر! إنها السَّنَنُ، قلتم -والذي نفسي بيده- كما**

قالت بنو إسرائيل لموسى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}[1]. لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم". رواه الترمذي وصححه[2])

قال: (عن أبي واقد الليثي) هو الحارث بن عوف؛ صحابي.

(قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين) حنين مكان؛ وادي في طريقهم.

قال: (ونحن حدثاء عهدٍ بكفر): لماذا قال: "ونحن حدثاء عهد"؟ يعني قد دخلنا في الإسلام حديثاً، ليست لنا مدة طويلة ونحن في الإسلام، تعلّمنا فيها وعرفنا؛ لا؛ بل ما زال عهدنا بالجاهلية قريباً، تركنا الجاهلية ودخلنا في الإسلام من قريب؛ ويريد بهذا أن يبيّن عذرهم في الطلب الذي طلبوه؛ والذي سيذكره بعد ذلك، وهو وإن كان طلباً محرّماً، ولا يجوز لمسلمٍ أن يطلبه؛ لكنه قدّم عذره في ذلك: وهو أنهم لا يعلمون.

قال: (وللمشركين سدرة يعكفون عندها) السدرة التي هي الشجرة؛ شجرة سدرٍ، كان المشركون يعكفون عندها؛ يعني أنهم ينزلون عندها، ويستقرّون عندها هناك، يقيمون في ذاك المكان؛ لماذا؟

يتبرّكون بها ويطلبون خيرها وبركتها.

قال: (وينوطون بها أسلحتهم) يعلّقون أسلحتهم بتلك السدرة؛ كي تنتقل البركة إلى الأسلحة.

قال: (يُقال لها: ذات أنواط) يعني: صاحبةُ مُعلّقات يُعلَّق عليها؛ لأنهم يعلّقون عليها السيوف فسُمّيَت بهذا، "ذات أنواط": ناط الشيء بالشيء؛ أي علّقه.

قال: (فمررنا بسدرة) مررنا: -يعني المسلمين- مرُّوا بسدرة؛ بشجرة ثانية كبيرة.

قال: (فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط) يعني: اجعل لنا شجرة نتبرك بها كما لهم شجرة يتبركون بها.

---

(١) [الأعراف:١٣٨]

(٢) أخرجه أحمد(٢١٩٠٠)، والترمذي(٢١٨٠)

قال: (فقال رسول الله ﷺ: "الله أكبر") استعظم النبي ﷺ هذا القول؛ فقال: الله أكبر، وفيه: أن الشخص إذا استعظم أمراً يكبّر.

("إنها السنن") يعني: الطرق، نفس الطريقة التي سلكها مَن قبلكم؛ سلكتموها أنتم الآن

("قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى") من الذي نفسه بيده؟ هو الله سبحانه وتعالى، يحلف بالله تبارك وتعالى، يقول: "قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى" يعني: أنتم سرتم على نفس طريق بني إسرائيل- اليهود-؛ ماذا قال بنو إسرائيل لموسى؟

({اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}) اجعل لنا معبوداً كما لهم معبودات، ({قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ})، وأول الآية في بدايتها: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} عاكفون على أصنام لهم يعبدونهم؛ يتبركون بها، وأنتم فعلتم نفس الشيء.

("لتركبُنَّ سنن من كان قبلكم") هذا خبر من النبي ﷺ؛ يعني ستسيرون على نفس الطريق التي سار عليها من قبلكم، جاء في رواية: "اليهود والنصارى يا رسول الله؟ قال: "فمَن؟!" يعني: ستسيرون على نفس الطريق التي ساروا، وتقلّدونهم فيما وقعوا فيه، وجاء مفسّراً في أحاديث أخرى: "لتتّبعنّ سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقُذّة حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه"[1]، وقع فيهم الشرك؛ يقع الشرك فيكم، وقعت فيهم المعاصي وتقع المعاصي فيكم... وهكذا، الآن نحن نسير خلفهم؛ خلف اليهود والنصارى، انظروا الآن إلى

---

(١) أخرجه البخاري(٣٤٥٦)، ومسلم(٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري؛ قال: " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: "فَمَنْ"، ولفظ: "القذة" أخرجه أحمد (١٧١٣٥) بسند ضعيف.

حال المسلمين: الذي يفعله اليهود والنصارى هو الصحيح؛ نسير خلفهم مباشرة! والله المستعان

الشاهد: هو التبرّك؛ وأنه من الشرك، طلب البركة من الشجر والحجر وما شابه هو من الشرك، وفي هذا الحديث دليل على العذر بالجهل؛ فلم يكفرهم النبي ﷺ، ولا قال لهم: ارجعوا إلى الإسلام؛ عذَرهم، وبيّن أبو واقد العذر في بداية كلامه: أنهم كانوا حديثي عهدٍ بكفر؛ يعني: دخلوا في الإسلام من جديد، وطبيعي أن الإنسان عندما يدخل في الشيء حديثاً يجهل أحكامه؛ فإذاً: العذر بالجهل في المسائل العقائدية مقرر في الكتاب مقرر في السنة، مقرر على ألسنة السلف الصالح رضي الله عنهم، وقد فصلت القول في شرحي على "شرح السنة" للبربهاري في الشريط الأول أو الثاني.

خلاصة هذا الباب: هو عدم جواز التبرك بالأحجار والأشجار والأولياء والقبور وغير ذلك، ومن احتجّ بتبرك الصحابة بالنبي ﷺ؛ نقول له: هذا خاص بالنبي ﷺ؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم تبرّكوا بالنبي ﷺ ولم يتبركوا بغيره؛ لأنهم علموا أن هذا خاص بالنبي ﷺ؛ فالتبرك بغيره شركٌ أو وسيلةٌ إليه؛ فلذلك يُمنَع .

الباب التاسع: بابُ ما جاءَ في الذَّبْحِ لِغَيْرِ الله

قال المؤلف رحمه الله: (**باب ما جاء في الذبح لغيرِ الله**)

تقرّر معنا فيما تقدم: بأن العبادات يجب أن تكون خالصة لله سبحانه وتعالى، ولا يجوز صرف عبادة من العبادات لغير الله؛ لأن هذا ناقض لقول لا إله إلا الله، فمعنى لا إله إلا الله: أنه لا معبود بحقٍّ إلا الله، فصرف أي عبادة من العبادات لغير الله؛ نقضٌ لهذه الكلمة وإبطال لها، وبناءً على ما تقدّم: سيذكر لنا المؤلف رحمه الله أنواعاً من العبادات التي كان المشركون يصرفونها لغير الله؛ فهنا مثلاً: الذبح؛ كان الكفار يذبحون لأصنامهم، يذبحون لمعبوداتهم؛ ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى بتوحيده في هذه العبادة؛ فقال المؤلف رحمه الله عاقداً باباً خاصّاً بها؛ قال:

(باب ما جاء في الذبح لغير الله) يعني: ما جاء من أدلة تدلّ على أن الذبح لغير الله محرّمٌ، وهو شركٌ.

قال رحمه الله: (**وقول الله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}**[(١)])

({قل}): يا محمد.

({إن صلاتي ونُسُكي}) يعني يقول هذا القول للمشركين، يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير الله تبارك وتعالى أن يقول لهم: {إن صلاتي}؛ والصلاة: معروفة عندكم؛ هي: الأعمال التي تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم، وهي من أعظم العبادات التي نتقرّب بها إلى الله سبحانه وتعالى؛ وهذا أمرٌ معلوم، وأضاف إليها أيضاً النُّسُك؛ فقال: {إن صلاتي ونسكي } فصلاتي لله تبارك وتعالى ونسكي- يعني ذبحي- لله

(١) [الأنعام:١٦٢-١٦٣]

تبارك وتعالى، والذي يدلّ على أن النسك معناه الذبح: أنه جاء في الحديث في "الصحيح"[1] أن النبي ﷺ قال للذي ارتكب محذوراً في الإحرام: "أو انسُك نسيكة" يعني: اذبح ذبيحة؛ فالنسك هنا بمعنى الذبح.

والشاهد: أنه يقول هنا: {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين}، يعني: الله سبحانه وتعالى هو الذي يستحق مني ذلك؛ يستحقّ مني أن أعبده وأن أتقرب إليه بالصلاة وبالذبح.

({ومحياي}) أي: ما أفعله في حياتي من عبادات.

({ومماتي}) وما أموت عليه من التوحيد والطاعة.

({لله رب العالمين}) كلّه لله تبارك وتعالى، خاصٌّ به؛ فلا يستحق غيره أن يُصرف له شيء منه.

هذا المقصود من هذه الآية: فيها أمرٌ بإخلاص الصلاة وإخلاص الذبح لله تبارك وتعالى؛ فيثبت بذلك أن الذبح عبادة وقربة لله سبحانه وتعالى؛ فقد عطفها على الصلاة التي هي أيضاً عبادة وقربة لله سبحانه وتعالى، وأمره أن تكون خاصة بالله سبحانه وتعالى؛ إذاً الذبح عبادة وقربةٌ لله سبحانه وتعالى يجب أن يكون خالصاً لله، ومن صرفه لغير الله؛ فقد أشرك.

({لا شريك له}) لا شريك له، يعني: صلاتي وذبحي وعبادتي كلّها خاصّة بالله سبحانه وتعالى، لا يُصرَف منها شيء لغير الله تبارك وتعالى.

({وبذلك أُمِرْتُ}) بهذا أمر الله سبحانه وتعالى؛ أمر بالتوحيد، وإخلاص العمل لله سبحانه وتعالى.

({وأنا أول المسلمين}) أي: من هذه الأمة- من أمّة محمّد ﷺ- هو أوّل المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري(٤١٩٠)، ومسلم(١٢٠١) عن كعب بن عُجْرة رضي الله عنه.

الشاهد من الآية: أن الذبح عبادة، وصرفُه لغير الله شرك، والواجب هو أن نخلص هذه العبادة لله سبحانه وتعالى.

هل كل ذبحٍ يكون عبادة؟

لا؛ هناك ذبحٌ يكون مثلاً لإكرام الضيف، هناك ذبح يكون من أجل أكل اللحم فقط، فمثل هذا الذبح لا يكون ذبحاً تعبّدياً، الذبح المقصود هنا بالذبح التعبّدي: هو ذبح القربة، ذبح التعظيم، الذبح الذي يكون لشخص مع كمال المحبة والتعظيم له؛ هذا يكون ذبحَ قربةٍ؛ وهذا الذبح يجب أن يكون ذبحاً خالصاً لله سبحانه وتعالى، ولا يجوز صرفه لغير الله.

إذاً: الفرق عندنا: أن الذبح الذي يكون قربة وتعظيم للمذبوح له؛ هذا يكون عبادة، أما الذبح الذي لا يكون من هذا القبيل، وإنما هو من أجل أكل اللحم أو من أجل إكرام الضيف وما شابه؛ فهذا ليس من القربات؛ لذلك لا يدخل فيما نحن فيه.

مسألة:

لو قال قائل: هذه الذبائح التي تذبح للرؤساء والملوك عندما يأتون إلى قرية، أو يأتون إلى مدينة؛ هل هذه الذبائح تُعتبر شركية أم غير شركية؟

نقول: إذا كانوا يذبحونها قربة وتعظيماً لهذا الرئيس أو هذا الملك؛ فهذه تكون ذبائح تعبّدية، وصرفها لغير الله شركٌ، وإذا كانت تُذبح فقط من باب الإكرام والإطعام؛ فهذه لا تكون ذبائح تعبّدية.

وكيف تفرّق بين الأمرين؟

قال أهل العلم: تفرّق بينهما بأن تنظر إلى اللحم بعد ذلك أين يذهب، إذا طُبِخ وأُطعِم منه هذا الملك؛ فهذا يكون من باب الإكرام، وإذا لم يُطعم منه أصلاً؛ فهذا يكون من باب

القربة والتعظيم؛ فيكون صرفه لهذا الملك شركٌ بالله سبحانه وتعالى؛ لأنه صرف عبادة خاصّة بالله سبحانه وتعالى لغيره؛ هذا هو ضابط هذا الباب، وهذا هو تفصيله.

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى: (**وقوله: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}**[1])

الدلالة في هذه الآية نفس الدلالة من الآية التي قبلها.

({فصلِّ لربِّكَ وانْحر}): قال الله عز وجل: {إنا أعطيناك الكوثر فصلّ لربك وانحر}، الكوثر: هو نهر في الجنة، أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيّه، فشُكراً لله سبحانه وتعالى؛ قال الله سبحانه وتعالى لنبيه: {فصلّ لربّك وانحر} أي: شكراً لله تبارك وتعالى؛ أمره بالصلاة وأمره بالنحر الذي هو الذبح، فكون الله سبحانه وتعالى قد أمر نبيَّه بالنحر؛ إذاً دلَّ ذلك على أن النحر عبادة، وقرَنه أيضاً بالصلاة؛ إذاً فالنحر عبادة.

والنحر مثل الذبح؛ إلا أنها طريقة مختلفة عن الذبح في إزهاق الروح؛ يكون بالطعن في حلق الأضحية أو الذبيحة؛ بينما يكون الذبح بتمرير الموسى على رقبته؛ وكلاهما جائزان في الشرع وحكمها واحد.

المقصود من ذلك: هو أن يتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى بالذبائح؛ فقال له :{ فصلّ لربك وانحر} إذاً ثبت بذلك عندنا: أن النحر عبادة وقُربةٌ لله سبحانه وتعالى؛ فصرفها لغير الله على هذا الوجه يُعتبَر شركاً بالله تبارك وتعالى.

هنا فائدة مهمّة: هو أن يحرص العبد على شكر الله سبحانه وتعالى كلّما ازدادت نِعَمُ الله تبارك وتعالى عليه، أن يحرص على أن يشكر الله سبحانه وتعالى، ويكون أكثر شكراً لله تبارك وتعالى ممن لم يحصل على النعم التي امتنّ الله تبارك وتعالى بها عليه؛ لذلك فالنبي ﷺ عندما كان يقوم الليل؛ كان يقوم حتى تتفطر قدماه- تتشقّق قدماه- من طول القيام،

(١) [الكوثر:٢]

وفي رواية: "حتى تتورم قدماه"؛ فقالوا له: إن الله سبحانه وتعالى قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخّر؛ يعني: لا داعي أن تشقّ على نفسك لهذه الدرجة؛ فقال عليه الصلاة والسلام: "أفلا أكون عبداً شكوراً"[1]، يعني: وإن غُفرَت لي ذنوبي، وإن كان قد حصل على منزلة لم يحصل عليها غيره في الجنة؛ إلا أنه مع ذلك أراد أن يكون عبداً شكوراً؛ وهكذا يكون الأدب مع الله سبحانه وتعالى؛ إذا أنعم الله تبارك وتعالى عليك بنعم لم ينعمها على غيرك من عباده؛ فأكثر من طاعة الله تبارك وتعالى؛ لذلك: أهل الطاعة- من أهل العلم وغيرهم- أولى بأن يكثروا من طاعة الله تبارك وتعالى ومن التقرّب إليه؛ شكراً له على ما أنعم عليهم من نعم، وكلنا قد أنعم الله تبارك وتعالى علينا بنعمٍ كثيرة؛ فنحن بحاجة إلى الإكثار من طاعة الله تبارك وتعالى شكراً له على ما منّ به علينا من النِّعم.

قال المصنّف رحمه الله تعالى: (**عن علي رضي الله عنه؛ قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: "لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ والِدَيْهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ آوى مُحْدِثاً، لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنارَ الأَرْضِ" رواه مسلم**[2])

(علي) ابن أبي طالب؛ مشهور معروف، هو ابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته رضي الله عنه وأرضاه.

(قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات) يعني بأربع جمل، الكلمة تطلق في اللغة على الجملة.

("لعن الله من ذبح لغير الله"): اللعن في اللغة: هو الطرد والإبعاد، ويقولون في تعريفه: هو من الله سبحانه وتعالى: الطرد والإبعاد، ويكون من المخلوق: السّبّ والدعاء؛ على كلٍّ:

---

(١) أخرجه البخاري(١١٣٠)، ومسلم(٢٨١٩) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وأخرجه البخاري(٤٨٣٧)، ومسلم(٢٨٢٠) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) (٤٣)

هذا الوعيد الذي فيه لعن يدل على أن الفعل كبيرة من كبائر الذنوب؛ قال "لعن الله من ذبح لغير الله"؛ لأنه مشرك ملعون، أشرك مع الله سبحانه وتعالى غيره؛ فقد صرف عبادة من العبادات لغير الله تبارك وتعالى، وهذا هو الشاهد من الحديث، "لعن الله من ذبح لغير الله" يدل على تحريم هذا الفعل وأنه من كبائر الذنوب.

("لعن الله من لعن والديه") والمقصود بالوالدين هنا: الأم والأب وإن عليا، يعني حتى الجدّ والجدة؛ هؤلاء كلهم يدخلون في هذا اللفظ، وجاء حديث في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "من أكبر الكبائر شَتْمُ الرجل والديه" قالوا: يا رسول الله! وهل يشتم الرجل والديه؟" يعني: مسألة أن يأتي شخص ويلعن أو يسبّ أباه أو يسبّ أمه مباشرة؛ هذا أمرٌ بعيد؛ لذلك استبعده أصحاب النبي ﷺ، ولو رأوا حالنا اليوم لما استبعدوه؛ لأن الكثير من أهل الفسق والفجور يقعون في ذلك، وقد سمعنا الكثير من هذا، نسأل الله العافية والسلامة. فالصحابة كانوا يستبعدون جداً أن يحصل هذا الأمر؛ لذلك قالوا: يا رسول الله! وهل يشتم الرجل والديه؟ يعني: أيمكن أن يحصل هذا الشيء؟ قال: "نعم، يسبُّ أبا الرجل فيسبّ أباه، ويسب أمه فيسب أمه"[1]، يعني يكون بينه وبين رجل خصومة فيسبه ذلك الرجل الذي تخاصم معه فيقول مثلاً: يلعن أمك، أمك كذا، أبوك كذا؛ فيرد الأخر له؛ فيقول: يلعن أمك أنت، أبوك أنت كذا؛ فهنا هو الذي تسبب أصلاً في السب لأمه وأبيه؛ لأنه هو الذي بدأ بسب الآخر؛ فكان سبه بطريقة غير مباشرة لهما؛ فما بالك بمن يسب بطريقة مباشرة؟! فهذا الفعل من كبائر الذنوب: أن تقع في والديك وتسبّهما، أو أن تتسبّب في ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري(٥٩٧٣)، ومسلم(٩٠) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

("لعن الله من آوى محدثاً"): يعني من عمل حدثاً في الإسلام؛ قتل وهرب إلى قبيلة، أو إلى شخص؛ فآواه- يعني ضمّه، خبّأه، حماهُ؛ هذا المعنى-، فلا يجوز لك أن تحمي شخصاً قد فعل جُرْماً في الإسلام، الواجب هو أن تسلّمه وألا تحميه.

("لعن الله من غيّر منار الأرض") منار الأرض: علامات الأرض، يكون لك قطعة أرض لها علامات، إما حجارة تضعها على زوايا الأرض، أو غيرها؛ تُغيّر منار الأرض، يعني: تدخل مثلاً هذه العلامات في أرض جارك، فتسرق منه قليلاً من قطعته، فهنا من فعل ذلك؛ يكون ملعوناً، "لعن الله من غيّر منار الأرض" غيّر العلامات التي تدلّ على حدود أرضه ووسّعها مثلاً؛ هذا أيضاً ملعون أيضاً؛ لأنه سارق، مثل هذا قد سرق ما لا يحقّ له، وقد جاء في الحديث: تعظيم مثل هذا الفعل؛ لشرّه، قال النبي ﷺ: "من أخذ شبراً من الأرض ظلماً؛ طُوِّقه يوم القيامة من سبع أرضين"[1]، شبراً واحداً تأخذه ظلماً؛ تُعاقَب عليه هذه العقوبة المذكورة في الحديث، نسأل الله السلامة لنا ولكم.

الشاهد من الحديث أنه قال:" لعن الله من ذبح لغير الله".

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (**وعن طارق بن شهاب: أن رسول الله ﷺ قال: "دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ في ذُبابٍ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ في ذبابٍ"، قالوا: وكيفَ ذلكَ يا رسول الله؟ قال: "مَرَّ رَجُلانِ على قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لا يُجاوِزُهُ أَحَدٌ حتَّى يُقَرِّبَ لهُ شَيْئاً، فقالوا لأَحَدِهِمْ: قَرِّبْ، قال: لَيْسَ عِنْدي شَيءٌ أُقَرِّبُ، قالوا له: قَرِّبْ ولوْ ذُباباً، فَقَرَّبَ ذُباباً؛ فَخَلَّوا سَبِيلَهُ؛**

(١) أخرجه البخاري(٣١٩٨)، ومسلم(١٦١٠) عن عمرو بن زيد بن نفيل، وأخرجه مسلم (١٦١١) عن أبي هريرة بلفظ: "لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ، إِلَّا طَوَّقَهُ اللهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فَدَخَلَ النَّارَ، وقالوا للآخَرِ: قَرِّبْ، فقال: ما كُنْتُ لأُقَرِّبَ لأَحَدٍ شيئاً دُونَ اللهِ؛ فَضَرَبوا عُنُقَهُ؛ فَدَخَلَ الجَنَّةَ" رواه أحمد)

من حيث الإسناد؛ هذا الحديث مرسل؛ طارق بن شهاب هذا البجلي الأحمسيّ، لم يسمع من النبي ﷺ؛ فيكون هذا الحديث مرسلاً، والمرسل من قسم الضعيف؛ كما قال الإمام مسلم رحمه الله: "والمرسل في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجّة"

وجاء هذا الحديث موقوفاً على سلمان الفارسي رضي الله عنه[1].

فالخلاصة: أن الحديث لا يصحّ.

قال في الحديث: ("دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب") نفس الفعل واحدٌ، أو الشيء واحد؛ لكن أحدهما دخل بسببه الجنة والآخر النار. (قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: "مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئاً")

قوم: جماعة أو قبيلة أو غيرها، لهم صنم؛ لا يسمحون لأحدٍ أن يمرَّ من جهتهم إلاّ أن يقرّب؛ يتقدم بقربة لهذا الصنم؛ يذبح شاة، يذبح جملاً؛ أي شيء.

("قالوا لأحدهم: قرّب، قال: ليس عندي شيء أقرّب") لا أملك شيئاً.

("قالوا له: قرّب ولو ذباباً") أيّ شيء تفعله قربة؛ ولو حتى بالذباب.

("فقرّب ذباباً، فخلّوا سبيله، فدخل النار") لو قال قائل: قد كان مكرهاً؛ فكيف يدخل النار؟!

هذا إشكال على الحديث، لكن تأوّلَه بعض أهل العلم وقالوا هنا: قَرّب ولم يكن مكرهاً أصلاً، يعني: هم ألزموه بذلك، وهو كان راضياً بذلك، لم يكن مكرهاً؛ لذلك دخل النار.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه"(٣٣٠٣٨)، والبيهقي في "الشعب"(٦٩٦٢)، والخطيب في: "الكفاية"(ص١٨٥) وغيرهم، من رواية طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي رضي الله عنه.
قال الشيخ الألباني في "الضعيفة"(٥٩٢٨): "وبالجملة فالحديث صحيح موقوفاً على سلمان الفارسي رضي الله عنه، إلا أنه يظهر لي أنه من الإسرائيليات التي كان تلقاها عن أسياده حينما كان نصرانياً"

("وقالوا للآخر: قرّب، قال: ما كانت لأقرّب لأحدٍ شيئاً دون الله عزّ وجلّ") وهنا الشاهد من الحديث: أنّ القربة بالذبح؛ لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى.

("فضربوا عنقه؛ فدخل الجنة" رواه أحمد[1]) لكن كما ذكرنا: الحديث لا يثبت.

---

(١) الحديث في "الزهد" للإمام أحمد (٨٤)، وانظر "الضعيفة" (١٢/٧٢٣).

الباب العاشر: بابٌ لا يُذبَحُ لله بمكانٍ يُذبحُ فيه لغير الله

قال المؤلف رحمه الله: (**بابٌ: لا يُذبَحُ لله بمكانٍ يُذبحُ فيه لغير الله**)

هذا الباب تابعٌ للباب الذي قبله، بعد أن علمنا أن الذبح لغير الله شركٌ؛ لأنه عبادة، والعبادة والقُرْبة إذا صرفتها لغير الله؛ فقد أشركت؛ أراد المؤلف أن يبين لنا أن الشرع جاء أيضاً بسدِّ الذريعة التي توصل إلى الذبح لغير الله، يعني: هناك شيء إذا فعلناه؛ نصل من خلاله إلى الذبح لغير الله؛ فأراد الشارع أن يُغلق علينا هذه الطريق المؤدية إلى الوقوع في عبادة غير الله تبارك وتعالى؛ وهذا معهود في شرع الله تبارك وتعالى، فمثلاً: لماذا نهى النبي ﷺ عن الصلاة إلى القبور؟ يعني: وإن كنت تصلي لله سبحانه وتعالى؛ لكن لا يجوز أن تستقبل القبر؟

لأنه يؤدي إلى عبادته-عبادة القبر-؛ لذلك نُهينا عن ذلك، كذلك نهى النبي ﷺ عن الصلاة عند غروب الشمس؛ تكون بين قرني شيطان، وعندها يسجد لها المشركون، ولكيلا نصل إلى تلك الحال التي وصلوا إليها: نهينا عن هذا الفعل، فهذه أفعال، تؤدي إلى الشرك؛ فلذلك نهينا عنها، وهذه التي تسمى بـ: (سدّ الذرائع)؛ يعني إغلاق الوسائل التي ربما توصلك إلى المحذور؛ فهذا الباب معقودٌ لأجل هذا الغرض.

(باب: لا يذبح لله): أي لا يجوز؛ هذا نهي.

(بمكان يذبح فيه لغير الله) إذا عرفنا أن المكان المعيَّن يذبح فيه لغير الله، ويُتقرّب فيه لغير الله؛ فلا يجوز الذبح فيه؛ بمعنى: مثلاً اليوم الناس يذبحون عند القبور للأولياء؛ فلا يجوز لك أن تذبح عند القبر، وإن ذبحت لله سبحانه وتعالى، ولم تذبح لصاحب القبر؛ لكن يحرم عليك أن تذهب وتذبح هناك؛ لأن ذلك سيفضي إلى عبادة القبر، والذبح لصاحب القبر؛ فلذلك يحرم، كذلك فيه مشابهة للمشركين أيضاً، وقد نهينا عن التشبه بالمشركين.

فهذا الباب معقود لبيان هذا الحكم الشرعي.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**وقول الله تعالى: {لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيه فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}**[(١)])

هذه الآية نزلت في قصةٍ حصلت في عهد النبي ﷺ: أن بعض المنافقين بنوا مسجداً في مدينة رسول الله ﷺ، وغايتهم لم تكن المسجد؛ بل كانوا يريدون مكاناً يجتمعون فيه من أجل أن يمكروا ويكيدوا بالإسلام والمسلمين، وجاؤوا إلى النبي ﷺ قبل أن يخرج إلى غزوة تبوك، وقالوا له: نريدك أن تصلّي في مسجدنا كي نتخذه مسجداً للضعاف والذين لا يستطيعون الوصول إلى المساجد، فوعدهم النبي ﷺ خيراً، إذا رجع من غزوة تبوك أن يصلي فيه؛ فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية: {لا تقم فيه أبداً} هذا نهيٌ من الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ أن يذهب ويصلي في ذاك المسجد؛ فقال: {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيه}، وهنا اختلف العلماء في هذا المسجد الذي أُسس على التقوى؛ فقال بعضهم: هو قباء، وقال بعضهم: هو مسجد النبي ﷺ؛ والثاني هو الصحيح؛ لأنه قد ورد في "صحيح مسلم"[(٢)] ما يدل على ذلك.

({فيه رجالٌ يحبون أن يتطّهروا}) فأثنى الله سبحانه وتعالى على الرجال الذين يصلون في ذاك المسجد؛ لأن هؤلاء الذين يصلون في هذا المسجد- الذي سمي بعد ذلك مسجد

---

(١) [التوبة:١٠٨]

(٢) أخرج مسلم في "صحيح"(١٣٩٨) عن أبي سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: مَرَّ بِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: كَيْفَ سَمِعْتَ أَبَاكَ يَذْكُرُ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: قَالَ أَبِي: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ، فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: «هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا» لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ أَبَاكَ هَكَذَا يَذْكُرُهُ.

الضِّرار- هذا المسجد كان فيه المنافقون؛ لذلك، ولسوء نيتهم وقصدهم: نهى الله سبحانه وتعالى نَبيّه ﷺ أن يقوم في هذا المسجد.

والشاهد من ذكر هذه القصة:

قال أهل العلم: المناسبة: أن المواضع المعدّة للذبح لغير الله؛ يجب اجتناب الذبح فيها لله؛ كما أن هذا المسجد لما أُعدّ للمعصية، صار محل غضبٍ لأجل ذلك؛ فلا تجوز الصلاة فيه لله، فلما كان المكان الذي هو المسجد مكاناً أُعدّ للمعصية؛ نهى الله تبارك وتعالى نبيّه ﷺ عن الصلاة فيه؛ فكذلك هذا المكان الذي أُعدّ للشرك بالله سبحانه وتعالى؛ لا يجوز لك أن تتقرب إلى سبحانه وتعالى فيه، فهذا قياس؛ قاس المؤلف رحمه الله الذبح لله تبارك وتعالى في مكان يذبح فيه لغير الله، على مسجد الضرار، فكما نُهي النبي ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار؛ كذلك يُنهى المسلم الموحّد أن يذبح في مكان يُشْرِكُ فيه الناس، ويذبحون لغير الله تبارك وتعالى.

ثم قال المؤلف رحمه الله: (**عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه، قال: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِلاً بِبُوانَةَ، فسأل النبي ﷺ فقال: "هَلْ كانَ فيها وَثَنٌ مِنْ أَوْثانِ الجاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟" قالوا: لا. قال: "فَهَلْ كانَ فيها عِيدٌ مِنْ أَعْيادِهِمْ"؟ قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: "أَوْفِ بِنَذْرِكَ؛ فَإِنَّهُ لا وفاءَ لِنَذْرٍ في مَعْصِيَةِ الله، ولا فيما لا يَمْلِكُ ابنُ آدمَ" رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما**).

(عن ثابت بن الضّحّاك) صحابي.

(قال: نذر رجلٌ أن ينحر إبلاً ببوانة) النذر: هو أن تلزم نفسك بعبادةٍ لم يلزمك الله سبحانه وتعالى بها، فمتى نذرت وقلت: لأذبحنَّ شاةً لله سبحانه وتعالى؛ فهنا يلزمك أن

تذبح شاة، مع أن الله سبحانه وتعالى ما ألزمك بهذا؛ لكن أنت ألزمت نفسك بالنذر، و(بوانة) هي موضع في أسفل مكة؛ فأراد الرجل أن ينحر الإبل في ذاك المكان.

(فسأل النبيَ ﷺ) أي سأل الرجلُ النبيَ ﷺ؛ فتكون لفظة النبي منصوبة؛ هذا هو الصحيح، فالسائل هو الرجل، وإذا قلنا إن النبي ﷺ هو الذي سأل القوم؛ فيكون لفظ النبي مرفوعاً؛ حسب المراد، فإذا كان السائل هو الرجل فتكون: (النبي) منصوبة، وإذا كان السائل هو النبي ﷺ فتكون: (النبي) مرفوعة؛ فإما أن يقال: فسأل الرجلُ النبيَّ ﷺ؛ فقال النبي ﷺ: هل كان فيها .... إلى آخره، أو يقال: فسأل النبيُّ ﷺ: "هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟" اللفظ يحتمل هذا وهذا، ولعل هناك رواية تبين المراد، وعلى كلٍّ؛ الأمر سهل، والمقصود هنا: سأل النبي؛ قال النبي ﷺ سائلاً الصحابة[1]:

(فقال: "هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد؟" قالوا: لا، قال: "فهل كان فيها عيدٌ من أعياده؟" قالوا: لا) هل كان فيها؛ يعني: هل كان في ذلك المكان الذي هو بوانة؛ هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية؟ إما صنم أو حجر أو شجر كانوا يعبدونه في ذاك المكان؟

---

(١) جاء في رواية أخرى: عن ثابت بن الضحاك قال: (نذر رجلٌ أن ينحر إبلاً ببوانة؛ فسأل الرجل النبي ﷺ, فقال عليه الصلاة والسلام : هل كان فيها وثن ؟ ....) إلى آخره فهنا تبين بالرواية الثانية أن الرجل هو الذي سأل النبي ﷺ فتكون- هنا- كلمة: (النبي) منصوبة؛ فسألَ الرجلُ النبيَ ﷺ.

وفي رواية أبي داود(٣٣١٣): "نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ.

وأخرج ابن ماجة حديثين؛ أحدهما عن ابن عباس(٢١٣٠) والثاني عن ميمونة بنت كردم (٢١٣١)، يبينان أن السائل هو الرجل، والثاني أخرجه أحمد(٢٧٠٦٦)، وفيه: "كنت ردف أبي؛ فسمعته يسأل النبي.."

يريد النبي ﷺ أن يصل إلى: لماذا اخترت هذا المكان بالذات؟ هل فيه معنى من المعاني المذكورة هنا أم لا؟ فقالوا: لا؛ لم يكن فيها وثن يعبد، ثم قال: "فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم" العيد: هو يوم يعود في كل أسبوع، أو في كل سنة؛ فيسمى عيداً، يجتمعون فيه، ويحتفلون به في ذاك المكان، فقالوا: لا.

(فقال رسول الله ﷺ: "أوفِ بنذرك؛ فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله") قال رسول الله ﷺ: أوفِ بنذرك بعد أن علم أنه ليس لهم فيه عيدٌ، ولا كان فيه وثن من أوثانهم يعبدونه هناك؛ ثم قال: "فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله" فبين بذلك أن المكان لو كان فيه وثن من الأوثان، أو كان فيه عيد من أعياد المشركين؛ لكان ذبحه في ذاك المكان معصية، فعلّل؛ فقال: (فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله) لماذا قال له: "أوفِ بنذرك"؟ لأنه علم أنه ليس فيها وثنٌ يعبد، ولا فيها عيد من أعيادهم، ولما سأل هذين السؤالين؛ بيّن لماذا سأل؛ فقال: (فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله) فبين أن الذبح في مكان فيه وثن من الأوثان، أو فيه عيد من أعياد المشركين: معصية؛ وهذا دلالته واضحة؛ دلالته لفظية، تلك الآية دلالتها بالقياس، هذا دلالته لفظية، إذاً هنا يتبين لنا أن الذبح في مكان فيه وثن، أو يذبح فيه أهل الجاهلية؛ يعتبر معصية لله سبحانه وتعالى وإثم، يؤدي إلى الشرك.

("ولا فيما لا يملك ابن آدم") يعني: لا نذر فيما لا يملك ابن آدم يعني، فلو أنك مثلاً نذرت أن تذبح شاة لزيدٍ من الناس، هذه الشاة ليست لك، ليست مملوكة لك؛ إنما هي لزيد؛ نذرت أن تذبحها؛ هذا النذر باطل لأنك نذرت أن تذبح شيئاً ليس هو من ملكك؛ هذا معنى الحديث.

إذاً الشاهد عندنا من الحديث: هو قول النبي ﷺ: "فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله) سبحانه وتعالى، يعني: لو كان المكان فيه وثن، أو كان فيه عيد؛ لكان النذر بالنحر فيه معصية؛ هذا الشاهد الذي نريده.

وخلاصة البابين- التاسع والعاشر-: أن الذبح قربةً وتعظيماً لغير الله: شرك، والذبح قربة وتعظيم لله سبحانه وتعالى؛ توحيد وعبادة، وإذا ثبت أن الذبح عبادة بالنصوص التي ذكرها المؤلف؛ فلا يجوز صرفها لغير الله تبارك وتعالى، ولا يجوز أيضاً الذبح في مكان كان يذبح فيه المشركون لأوثانهم، أو يتعبَّدون لأوثانهم فيه، أو لهم فيه عيدٌ؛ لا يجوز لأن ذلك يُفضي ويؤدي إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى؛ فيُغلَق هذا الباب تماماً.

قال: (رواه أبو داود[1] وإسناده على شرطهما) الحديث صحيح.

(١) أخرج هذه القطعة من الحديث أبو داود في "سننه" (٣٣١٣)، وأصله في الصحيحين.
وفي الباب عن ابن عباس وكردم بن سفيان.

الباب الحادي عشر: باب مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ

قال المؤلف رحمه الله: (**باب من الشرك النذر لغير الله**)

أولاً: قبل أن نتحدث عن صرف النذر لغير الله؛ ينبغي أن نعرف ما هو النذر ؟

أصل النذر في اللغة: بمعنى الإنذار، التخويف والإيجاب.

وفي الشرع: إلزام المكلَّف نفسه عبادةً لم يُلزِمه الله تبارك وتعالى بها؛ هذا تعريفه بشكل ميسّر: إلزام المكلف نفسه بعبادة لم يلزمه الله تبارك وتعالى بها؛ بمعنى أن تلزم نفسك مثلاً بأن تصوم يوم الأربعاء القادم، أو يوم الخميس القادم؛ نافلة لله تبارك وتعالى؛ فتقول: نذر عليّ أن أصوم يوم الخميس، هنا تكون أنت قد أوجبت على نفسك صيام يوم الخميس، ولم يُلزمك الله سبحانه وتعالى بذلك، ولا أوجب عليك هذا؛ هذا معنى النذر: أن تلزم نفسك بعبادة لم يُلزمك الله تبارك وتعالى بها.

والنذر عبادة وقربة لله تبارك وتعالى، وسيذكر المؤلف رحمه الله من الأدلة ما يدل على أن النذر عبادة، والقاعدة عندنا: أن العمل إذا ثبت أنه عبادة؛ فصرفه لغير الله شرك؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه}[(١)]، {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً}[(٢)]؛ هذا معنى هذه الآيات: أن العبادات لا تكون إلا لله تبارك وتعالى- هذا الواجب- ومن صرف شيئاً من العبادات لغير الله؛ فقد أشرك، فيكفينا أن نثبت أن هذا الفعل- وهو النذر- عبادة، فإذا أثبتنا ذلك؛ إذاً نقول: صرفه لغير الله شرك، والواجب أن يكون العمل خالصاً لله في ذلك؛ لذلك قال المؤلف هنا: "باب من الشرك النذر لغير الله"، يعني: من أنواع الشرك أن تنذر لغير الله تبارك وتعالى، كما كان يفعل أهل الجاهلية؛ فهؤلاء عبّاد الأصنام، وعبّاد القبور، وعبّاد الأشجار؛ ينذرون تقرّباً لهذه

---

(١) [الإسراء:٢٣]

(٢) [النساء:٣٦]

الأشياء، يصرفون لهم أنواع النذور؛ تقرباً بها إليهم ليقضوا لهم حوائجهم، أو ليشفعوا لهم؛ هذا معنى الشرك في عبادة الله تبارك وتعالى.

نأتي الآن إلى ما ذكره المؤلف رحمه الله من أدلة تدل على أن النذر عبادة.

قال المؤلف: (**وقول الله تعالى: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً}**[١])

هذه الآية تدلّ بشكل واضح على أن النذر عبادة وطاعة، {يوفون بالنذر} فأثنى الله سبحانه وتعالى ومدح أهل الإيمان والطاعة: بأنهم يوفون بالنذر؛ فدلّت الآية على وجوب الوفاء بالنذر؛ لأن الله سبحانه وتعالى مدح من فعل ذلك طاعةً لله سبحانه وتعالى ووفاء بما تقرّب به إليه.

قال رحمه الله تعالى: (**وقوله: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ}**[٢])

يعني: أيّ نفقة تنفقونها لوجه الله تبارك وتعالى، أو أيّ نذر تنذرونه لله تبارك وتعالى؛ فإن الله يعلمه، وإذا علمه أثابكم عليه- وهو يعلمه ولا شك- إذاً: يثيبكم على هذه النفقات وهذه النذور، وإذا أثابنا الله سبحانه وتعالى على عمل؛ فهو طاعة وقربة لله تبارك وتعالى؛ فهذه الآية تدل على أن النذر عبادة وقربة لله تبارك وتعالى؛ لأن الله يُثيب على هذه القربة؛ النفقة؛ {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ}؛ أيُّ نفقة تنفقها؛ النفقة على أبنائك، النفقة على زوجك، الصدقات، الزكوات؛ كلها يعلمها الله سبحانه وتعالى ويأجرك عليها، وكذلك النذور؛ إذاً فالنذر عبادة وقربة لله؛ فلا يجوز صرفه لغيره تبارك وتعالى.

---

(١) [الإنسان:٧]

(٢) [البقرة:٢٧٠]

قال المؤلف رحمه الله: (**وفي "الصحيح"[1] عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطيعَ اللهَ؛ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصي اللهَ؛ فلا يَعْصِهِ"**)

"من نذر أن يطيع الله فليطعه"؛ هذا أمر من النبي ﷺ بالوفاء بالنذر؛ إذاً: الوفاء بالنذر قربة؛ فالنذر طاعة لله تبارك وتعالى، هذا النذر في أمر فيه عبادة، فيه طاعة؛ تنذر نذر صيام، نذر صلاة، نذر ذبح؛ هذه النذور نذور طاعة؛ لكن هناك نذر معاصي؛ كأن يُنذر الشخص أن يشرب خمراً، أو أن يلعب قماراً، أو أن يتعامل بالربا؛ هذه النذور نذور معصية؛ وهذه لا يجوز الوفاء بها؛ قال: "من نذر أن يعصي الله فلا يعصه؛ فهذا نهي من النبي ﷺ عن العصيان بنذر المعصية؛ فالوفاء يكون لنذر الطاعة لا لنذر المعصية؛ نذر المعصية لا يوفي به صاحبه، لا يجوز له أن يفعل.

هل على من نَذَرَ نَذْرَ معصيةٍ كفارة يمين؟

في المسألة نزاع بين العلماء؛ بعضهم يقول: عليه كفارة يمين، والبعض يقول: لا يلزمه؛ والصحيح أنه لا يلزمه؛ لأن الدليل الذي استدلوا به على كفارة اليمين ضعيف لا يصح[2]، وهذا الحديث الصحيح لم يُلزمه فيه النبي ﷺ بكفارة يمين؛ ولكن نهاه عن الوفاء به فقط.

---

(١) أخرجه البخاري(٦٦٩٦).

(٢) وهو ما روي عن عائشة عن النبي ﷺ: "لا نذر في معصية، وكفارته كفارة يمين" ، أخرجه أحمد وأصحاب السنن، وجاء الحديث من طريقين عن أبي سلمة عن عائشة، أحدهما فيه انقطاع بين الزهري وأبي سلمة، فالزهري لم يسمعه من أبي سلمة، والثاني فيه سليمان بن أرقم الراوي عن يحيى بن أبي كثير: متروك الحديث، وخالفه أصحاب يحيى بن أبي كثير في هذا الحديث؛ كذا قال النسائي.

وجاء أيضاً من طريق القاسم بن محمد عن عائشة، بزياد كفارة المعصية التي ليست في الصحيحين، وقد تكلم الطحاوي في "مشكل الآثار"(٤/١٧٠-١٧١) عن علة هذه الزيادة . وانظر تتمة الكلام على الحديث وطرقه في "البدر المنير" (٩/٤٩٥).

إذاً: النذر قسمان: نذر طاعة، ونذر معصية.

نذر الطاعة: أنت مأمور أن توفي به، ونذر المعصية: أنت منهيٌّ عن الوفاء به.

هذان نوعان من أنواع النذور، والنذور أنواعها كثيرة، تعرفون التفصيل فيها في كتب الفقه.

فهذه الأدلة التي ذكرت كلها؛ تدلّ على أن النذر طاعة؛ إذا كان النذر في طاعة من طاعات الله، والنذر طاعة لله سبحانه وتعالى؛ فصرفه لغير الله يُعتبَر شركاً.

هذا المراد من هذا الباب. والله أعلم.

فكبقية الأبواب: أيُّ شيء؛ أيُّ عمل يثبت أنه عبادة؛ فصرفه لغير الله شرك، وفي هذا الباب الذي عقده المؤلف هنا ذكر لنا الأدلة التي دلّت على أن النذر عبادة؛ فصرفه لغير الله شرك. والله أعلم.

الباب الثاني عشر: باب مِنَ الشِّرْكِ الاسْتِعاذَةُ بِغَيْرِ اللهِ

قال المؤلف رحمه الله: (**باب من الشرك: الاستعاذة بغير الله**)

الاستعاذة: هي الالتجاء والاعتصام، الألف والسين والتاء تأتي في لغة العرب أحياناً كثيرة للطلب، الاستعاذة: طلب العوذ؛ يعني: طلب دفع الشر؛ هذا معنى الالتجاء والاعتصام؛ تلتجئ إلى الشيء أو تعتصم بالشيء كي يحميك من الشر، ويدفع عنك شراً؛ هذا معنى الاستعاذة، فعندما تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ معنى ذلك: أنك تلتجئ إلى الله سبحانه وتعالى، وتعتصم به؛ كي يدفع عنك شر الشيطان، والاستعاذة عبادة وقربة، وسيأتي من كلام المؤلف ما يدلّ على ذلك؛ فصرفُها لغير الله شرك، لكن هل هذا الكلام على إطلاقه؟

لا؛ الاستعاذة قسمان:

القسم الأول: الاستعاذة من أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله، فهذا النوع؛ صرفه لغير الله شرك.

والقسم الثاني: الاستعاذة من أمر يقدر عليه المخلوقون- هنا في هذا القسم الثاني- الاستعاذة بالمخلوق: جائزة، أما القسم الأول؛ فالاستعاذة بالمخلوق تكون شركاً؛ فعلى ذلك يُقال: الاستعاذة بالمخلوق فيها تفصيل؛ أهي شركٌ أم لا؟

فإن كان المخلوق لا يقدر عليه؛ فهي من الشرك؛ لأنه لا يعصمك من الشر الذي لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى فقط؛ هو الذي يعصمك من هذا، ومن ذلك: الاستعاذة بأصحاب القبور؛ فإنهم لا ينفعون ولا يضرّون، ولا يقدرون على شيء؛ فالاستعاذة بهم شركٌ أكبر، وأنت لو لاحظت الذي يأتي ويستعيذ بصاحب القبر؛ لا يستعيذ به إلا وقد اعتقد أن صاحب القبر له تصرف، وله قدرة على أشياء لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى؛ لذلك يستعيذ به؛ فالاستعاذة بهم شرك أكبر؛ سواءٌ ذهب الشخص واستعاذ بهم عند قبورهم، أو كان بعيداً عنها.

أما الاستعاذة بمخلوق فيما يقدر عليه؛ فهي جائزة، وقد ذكر أهل العلم من الأدلة على جواز ذلك: لمّا ذكر النبي ﷺ الفتن؛ قال: "ومن وجد من ذلك ملجأً أو مَعاذاً؛ فَلْيَعُذْ به"[1]، كذلك ما جاء في "الصحيحين": أن امرأة من بني مخزوم سرقت، فعاذت بأم سلمة زوج النبي ﷺ؛ فقال عليه الصلاة والسلام: "وايمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[2]؛ فلم ينكر النبي ﷺ ما حصل من المرأة المخزومية مِن عَوذها بأم سلمة؛ لكن ردّ الشفاعة في حدٍّ من حدود الله، وكذلك لو كنت في مكان ورأيت أسداً يهاجمك وأمامك رجل معه بندقية، وقادرٌ على قتله، فعُذْتَ به؛ لا يقال هذا شرك؛ هذا جائز؛ لأنك عُذت بمخلوق مِن أمرٍ هو قادرٌ عليه

فخلاصة القول: أن الاستعاذة شرك فيما لا يقدر عليه إلا الله، أما فيما يقدر عليه المخلوق؛ فهذا ليس من الشرك.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (**وقول الله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً}**[3])

كان الناس في الجاهلية إذا نزلوا وادياً من الوديان، وخافوا من الجنّ الذين فيه؛ صرخ أحدهم يعوذ بعظيم ذلك المكان من الجانّ؛ فيقول: أعوذ بسيّد هذا الوادي من سفهاء قومه- يريد كبير الجن-؛ كي يحميه من سفهاء قومه، يعني من الجن الآخرين؛ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية: {وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن} فماذا كانت النتيجة؟ قال: {فزادوهم رهقاً} يعني أن الجن، بدل أن ينفعوهم؛ زادوهم رهقاً؛ يعني: ذعراً وخوفاً، فما نفعوهم شيئاً؛ بل بالعكس: زادوهم خوفاً وذعراً؛ لذلك قال أهل العلم: لما رأت

(١) أخرجه البخاري(٣٦٠١)، ومسلم(٢٨٨٦) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري(٣٤٧٥)، ومسلم(١٦٨٨) عن عائشة، وأخرجه مسلم(١٦٨٩) عن جابر.

(٣) [الجن:٦]

الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم؛ زادوهم رهقاً، أي: زادوهم خوفاً وإرهاباً وذعراً؛ حتى يبقوا أشدّ منهم مخافة؛ وأكثر عوذاً بهم، يبقون دائماً خاضعين ومتذللين لهم؛ هذا ما يريدونه؛ فهذا يدل على تحريم الاستعاذة بالجن.

قال أهل العلم: وجه الاستشهاد بالآية: "ذمّ المستعيذين بغير الله، والمستعيذ بالشيء؛ لا شكّ أنه قد علّق رجاءه به، واعتمد عليه؛ وهذا نوعٌ من الشرك"[1]؛ هذا الشاهد من الآية.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**وعن خولة بنت حكيم؛ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً؛ فقال: أعوذُ بكلماتِ الله التّاماتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ؛ لَمْ يَضُرُّهُ شيءٌ؛ حتى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذلك "رواه مسلم**)

(خولة بنت حكيم) السُّلَمِيَّة؛ يقال لها: أم شريك، كانت صالحة فاضلة؛ كما قال ابن عبد البر[2]، وهي صحابية.

(قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من نزل منزلاً") أيَّ منزل، أيَّ مكان نزلته؛ سواء كان قرية، أو مدينة؛ أو بيتاً، أو غير ذلك؛ المهم أنّك نزلت مكاناً؛ سواء نزلته للإقامة الدائمة أو الطارئة.

("فقال: أعوذ بكلمات الله التامّات") هنا عاذ بكلمات الله؛ وهي صفة لله تبارك وتعالى؛ فلذلك جاز الاستعاذة بها- أي: بكلمات الله تبارك وتعالى؛ لأنها صفة لله تبارك وتعالى-، فالمراد من هذا: الكلمات الشرعية والكلمات الكونية، القرآن كله كلام الله سبحانه وتعالى، والكلمات الكونية: يقول الله سبحانه وتعالى للشيء: "كن"؛ فيكون؛ هذه صفة لله سبحانه

---

(١) "القول المفيد على كتاب التوحيد" للشيخ ابن عثيمين (٢٥٢/١)

(٢) "الاستيعاب"(٣٣٢١)

وتعالى- الكلمات-؛ فلذلك يجوز الاستعاذة بها؛ ومن هنا أخذ العلماء أن القرآن صفة لله وليس بمخلوق؛ لماذا؟ لأنه لا يجوز الاستعاذة بالمخلوق.

(التامّات): قال أهل العلم: تمام الكلام بأمرين: الصدق في الأخبار، والعدل في الأحكام؛ كما قال الله سبحانه وتعال: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}[1]، فإذا كان خبراً؛ فالله سبحانه وتعالى صادق في أخباره، وإذا كان حُكماً؛ فالله سبحانه وتعالى عادل في أحكامه؛ هذا معنى تمامها.

("من شر ما خلق") لخلقُه فيه خير وفيه شرٌّ، فأنت تلجأ إلى الله سبحانه وتعالى وتعتصم به؛ كي يدفع عنك شرور الخلق.

("لم يضرّه شيء حتى يرحل من منزله ذلك") لا تلدغه أفعى، ولا عقرب ولا شيء من هذه الأمور؛ لأن هذه من شر ما خلق؛ فيندفع عنه كل ذلك؛ "لم يضرُّه شيء حتى يرتحل من منزله ذلك"

قال: (رواه مسلم) في "صحيحه"[2].

إذاً: الاستعاذة بصفة لله سبحانه وتعالى؛ استعاذةٌ بالله تبارك وتعالى؛ فهي عبادة وقربة لله تبارك وتعالى؛ حيث إن النبي ﷺ قد حثّ على هذا القول؛ فَصَرْفُ الاستعاذة في أمر لا يقدر عليه إلا الله؛ صرفه لغير الله يُعتبر شركاً بالله تبارك وتعالى، على ما ذكرنا من تفصيلٍ.

وجاء في الحديث أيضاً: "أعوذ بعزّة الله وقدرته من شر ما أجد وأُحاذر" الحديث في صحيح مسلم[3]، هذا الدعاء علّمنا إياه النبي ﷺ؛ إذاً: الاستعاذة تكون بالله، والاستعاذة بصفته هي استعاذة به تبارك وتعالى في كل شيء.

---

(١) [الأنعام:١١٥]

(٢) (٢٧٠٨)

(١) (٢٢٠٢) عن عثمان بن أبي العاص، ولفظ مسلم: "أعوذ بالله وقدرته..."

هل تجوز الاستعاذة بالمخلوق؟

أما الاستعاذة بالمخلوق؛ فجائزة، فيما يقدر عليه المخلوق فقط، وفي غيره يُعتبر شركاً. والله أعلم، والحمد لله.

الباب الثالث عشر: باب مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغيثَ بِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعو غَيْرَهُ

قال المؤلف رحمه الله: (باب من الشرك: أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره) الاستغاثة والدعاء؛ صرفها لغير الله شركٌ أيضاً، لكن في المسألة تفصيل.

أولاً: الاستغاثة: هي طلب الغوث، أي: طلب إزالة الشدة، كأن يكون شخص -مثلاً- غريقاً، ويرى على الشاطئ شخصاً يقدر على مساعدته؛ فيناديه، فإذا ناداه فتسمى هذه استغاثة؛ لأنه يناديه كي ينقذه من الغرق، أو يزيل عنه الشدة؛ هذا معنى الاستغاثة: طلب الغوث: يعني طلب إزالة الشدة.

وهذه كما ذكرنا في المثال: لو أن الشخص كان غريقاً واستغاث بشخص قادرٍ على إخراجه؛ هذا لا يكون شركاً.

متى لا تكون الاستغاثة شركاً:

التفصيل في الاستغاثة كالتفصيل الذي تقدّم في الاستعاذة: إذا استغاث بشخص أو بمخلوق في أمر لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى؛ فهذا يعتبر شركاً، وأما إذا استغاثه في أمر يقدر عليه؛ فهذا لا يعتبر شركاً؛ كالتفصيل الذي ذكرناه في الاستعاذة تماماً؛ لذلك لا نطيل.

أقسام الدعاء:

قال: (أو يدعو غيره) الدعاء قسمان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة.

دعاء عبادة: جميع العبادات التي نتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بها؛ هي من دعاء العبادة؛ ومنها دعاء المسألة.

وأما دعاء المسألة: فهو الطلب؛ نطلب من الله سبحانه وتعالى أن يرحمنا، وأن يغفر لنا؛ هذا دعاء المسألة: سؤال؛ نسأل الله سبحانه وتعالى، {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[1]، إذاً: الدعاء عبادة، فصرفه لغير الله شرك، {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} عن ماذا؟ {عن عبادتي} إذاً فالدعاء عبادة؛ فصرفه لغير الله شرك، كذلك قال النبي ﷺ: "الدعاء هو العبادة"[2].

هل كل دعاء لغير الله شرك؟

لكن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله قسّم الدعاء إلى قسمين- الدعاء الذي هو دعاء مسألة-؛ قال: ما يقع عبادة: وهذا صرفه لغير الله شرك؛ وهو المقرون بالرهبة والرغبة والحب والتضرع- هذا كلامه رحمه الله-، ثم ذكر القسم الثاني؛ قال: ما لا يقع عبادة؛ فهذا يجوز أن يوجَّه إلى المخلوق؛ قال النبي ﷺ: "من دعاكم فأجيبوه"[3]، وقال: "وإذا دعاك فأجبه"[4]، وعلى هذا فمراد المؤلف بقوله : "أو يدعو غيره" دعاء العبادة، أو دعاء المسألة فيما لا يمكن للمسؤول إجابته"[5]؛ يعني: ما لا يمكن للمسؤول أن يلبي الطلب الذي طُلب منه؛ هذا كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله وتفصيله في هذه المسألة.

---

(١) [غافر:٦٠]

(٢) أخرجه أحمد(١٨٣٥٢)، والترمذي(٢٩٦٩)، وأبو داود(١٤٧٩)، وابن ماجه(٣٨٢٨) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد(٥٣٦٥)، والنسائي(٢٥٦٧)، وأبو داود(٥١٠٩) عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم(٢١٦٢) عن أبي هريرة، وأصله عند البخاري

(٥) "القول المفيد" باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره.

قال المؤلف رحمه الله: (وقول الله تعالى : **{وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)}**[(١)])

({ولا تدع من دون الله}) هذا نهيٌ؛ نهي عن دعاء غير الله سبحانه وتعالى.

({ما لا ينفعك ولا يضرك}) وحقيقة: النفع يصلك من الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى بيده كل شيء؛ والذي يقدر على منفعتك ويقدر على مضرتك هو الله سبحانه وتعالى، أما غيره فلا؛ إذاً: فيكون التجاؤك بالدعاء لمن؟ لمن يملك النفع والضر؛ وهو الله سبحانه وتعالى؛ لذلك قال: {وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ}.

({فإن فعلت فإنك من الظالمين}) الظلم في القرآن يُطلق على الفسق، ويطلق على الشرك أيضاً، إن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك؛ {فإنك إذاً من الظالمين}، وهنا المقصود بالظلم: الشرك، كما في قول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[(٢)].

الشاهد: أن الدعاء يجب أن يكون لله خالصاً؛ سواء كان دعاء العبادة أو دعاء المسألة، على التفصيل الذي تقدّم.

قال الله سبحانه وتعالى: ({وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو}) إن يصبك بضر كمرض وفقر وما شابه؛ من الذي يرفع عنك ذلك؟ من الذي يرفع عنك المرض ويشفيك منه؟ من الذي يغنيك من الفقر؟ هو الله سبحانه وتعالى {وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو}؛ لا أحد يستطيع أن يكشف عنك هذا الضرَّ، كما قال النبي ﷺ في حديث ابن عباس: "واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء

---

(١) [يونس:١٠٦-١٠٧]

(٢) [لقمان:١٣]

قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك؛ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"[1]، إذاً: من الذي يستحق منا العبادة والدعاء والخضوع والتذلل؟ هو الذي بيده النفع والضر.

قال المؤلف رحمه الله: (**وقوله: {فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}**[2])

({فابتغوا عند الله الرزق}) يعني: اطلبوا الرزق من الله سبحانه وتعالى، الجؤوا إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء لطلب الرزق؛ لأن الرزق لا يكون إلا من الله سبحانه وتعالى، هو الذي يرزقنا؛ فهو الذي يستحق منا الدعاء، الدعاء يجب أن يكون لله تبارك وتعالى لا لغيره؛ هذا المقصود من الآية.

قال: (**وقوله: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ}**[3])

({ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة}) من أضل من إنسان أو شخص يدعو من دون الله؛ كهؤلاء الذين يذهبون ويلجؤون إلى أصحاب القبور- موتى لا ينفعون ولا يضرون- يذهب إلى صاحب القبر، ويدعو، ويستغيث، ويلجأ إليه: يا سيدي فلان ارزقني الولد، يا سيدي فلان ارزقني المال، ارفع عني الداء؛ هكذا يكون حاله، وهو يلجأ إلى من لا يستجيب له إلى يوم القيامة؛ لأنه ليس بيده شيء؛ لا يسمع، وإن سمع؛ لا يستطيع أن يفعل شيئاً، هو غير قادر على أن يخرج نفسه من قبره؛ فكيف

---

(١) أخرجه أحمد(٢٦٦٩)، والترمذي(٢٥١٦).

(٢) [العنكبوت:١٧]

(٣) [الأحقاف:٥-٦]

ينفعك أنت؟ أناس لا عقول لهم؛ {ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة}.

إذاً الدعاء يجب أن يكون لله تبارك وتعالى وحده لا لغيره.

{ومن أضل} يعني لا يوجد أضل من هذا الإنسان الذي يفعل هذا الفعل

قال: (**وقوله: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ}**[1]

({أمن يجيب المضطر}) يعني: من هذا الذي يجيب المضطر؟ المضطر الذي أصابه الضرر الشديد، وصار بحاجة ملحة إلى رفع هذا الضرر.

{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ} من هذا الذي يجيب المضطر؟ الإنسان إذا كان في سفينة في عُرض البحر، وكادت السفينة أن تُهْلِكَهُ، وانقطع زاده؛ يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى عند الشدائد، والله سبحانه وتعالى هو الذي يكشف عنه السوء، وهو الذي يستجيب له إذا دعاه.

كان المشركون في السابق، في مثل هذه المواقف؛ يخلصون الدعاء لله تبارك وتعالى، واليوم؛ كثير من الناس هم أشد كفراً من أولئك؛ لأنهم لا يخلصون لله الدعاء؛ لا في هذه الحالة ولا في غيرها، {أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء}؛ {أإله مع الله}؟ كيف تعبدون شيئاً مع الله سبحانه وتعالى لا ينفعكم ولا يضركم؟ وإذا كنتم في حالة اضطرار لا تلجؤون إليه؛ بل تلجؤون إلى الله سبحانه وتعالى؟

إذاً: فالذي يستحق منكم الدعاء، ويستحق منكم العبادة: هو الله سبحانه وتعالى.

---

(١) [النمل:٦٢]

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**وروى الطبراني بإسناده: أنه كان في زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنافِقٌ يُؤْذي المُؤْمنينَ؛ فقال بَعْضُهُمْ: قوموا بنا نَسْتَغيثُ برسول الله ﷺ مِنْ هذا المُنافِقِ، فقال النبي ﷺ: "إنه لا يُسْتَغاثُ بي؛ وإنما يُسْتَغاثُ بالله"**)

ذكر المؤلف هذا الحديث هنا بمناسبة الاستغاثة؛ لأنه يتحدث عن كونه من الشرك أن يستغاث بغير الله أو يُدعى غيره تبارك وتعالى.

وهذا الحديث أخرجه الطبراني -كما قال المؤلف- وفي سنده ابن لهيعة، وابن لهيعة ضعيف؛ فالسند ضعيف، وكذلك أخرجه أحمد[1] بلفظٍ آخر، وفي سنده ابن لهيعة وفي سنده أيضاً رجل مبهم، فالحديث قد حصل خلاف في إسناده؛ هل هذا الرجل المبهم الصواب ذِكره في الإسناد أم عدم ذكره؟ وأيضاً في سنده ابن لهيعة، والظاهر أن الخلاف أصلاً نتج من سوء حفظ ابن لهيعة رحمه الله.

على كلٍّ: الحديث ضعيف لا يصحُّ؛ فلا ننشغل به، لكن المؤلف يريد منه: أن النبي ﷺ قال: "إنه لا يستغاث بي"؛ مع أن ما ذُكر في الحديث يقدر عليه النبي ﷺ، وقد قرّرنا آنفاً: أن الاستغاثة بشخصٍ في أمر يقدر عليه؛ جائز؛ وهذا منها؛ يعني ينبغي أن تكون من هذا الباب؛ لذلك فالعلماء الذين رأوا صحة هذا الحديث تأوّلوه؛ فقالوا : المراد من ذلك: أن النبي ﷺ قال: "إنه لا يُستغاث بي" في مثل هذا الموطن مع أنه مما يقدر عليه ﷺ؛ قالوا: أراد من ذلك حماية جناب التوحيد وسداً لذرائع الشرك، وفعل ذلك أيضاً أدباً وتواضعاً لربه تبارك وتعالى، وتحذيراً للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال؛ ذكر هذا من يذهب إلى صحة الحديث- يعني تأوّلوه-، وبما أن الحديث ضعيف عندنا؛ فلا نحتاج إلى هذا

هذا المقصود من هذا الباب والله تبارك وتعالى أعلم، ونسأل الله أن يوفّقنا وإياكم لطاعته.

---

(١) (٢٢٧٠٦) عن عبادة بن الصامت.

الباب الرابع عشر: باب قول الله تعالى: {أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ}

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "لمّا ذكر المؤلف رحمه الله الاستعانة والاستغاثة بغير الله تبارك وتعالى؛ ذكر البراهين الدالّة على بطلان عبادة ما سوى الله" يعني ذكر المؤلف الأدلة التي تدلّ على بطلان عبادة غير الله تبارك وتعالى، على بطلان عبادة الأصنام، بطلان عبادة الملائكة وما شابه، فلما كانت الاستغاثة والاستعانة من أنواع العبادات، وصرفها لغير الله شرك على التفصيل الذي تقدّم معنا؛ أراد أن يؤكد لنا في هذا الباب أن عبادة غير الله تبارك وتعالى باطلة، وهي عبادة قد صُرفَت لغير الله بغير وجه حق؛ فذكر الآية مباشرة؛ وهي دليلٌ على ما ذَكَر.

قال المؤلف: (**باب: قول الله تعالى: {أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ}**[١])

السؤال أو الاستفهام في هذه الآيات: هو استفهامٌ للتوبيخ والتعنيف؛ يعني كيف يُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ؟ كيف يفعل أهل الشرك هذا؟ يذهبون إلى مخلوقات كالأصنام والأوثان وغيرها؛ فيعبدونها مع الله تبارك وتعالى، وهذه الأصنام لا تستطيع أن توجد شيئاً من العدم- وهذا معنى الخلق- فهي غير قادرة على خلق شيء وإيجاده من العدم؛ وهذا نقصٌ في قدرتها، وفي نفس الوقت هي مخلوقة؛ يعني هي احتاجت إلى غيرها كي يوجدها؛ وهذا نقص آخر فيها؛ فكيف يكون الناقص على هذا النحو إلهاً يُعبَد مع الله تبارك وتعالى؟ هو لا يستطيع أن يَخلُق، وهو نفسه أصلاً مخلوق؛ إذاً هو ناقصٌ من الجهتين: عدم قدرته على الخلق؛ هذا نقصٌ في قدرته، وكونه هو مخلوق أصلاً كان معدوماً؛

---

(١) [الأعراف:١٩١-١٩٢]

فهو بحاجة إلى من يخلقه؛ هذا أيضاً نقصٌ في حقه؛ فكيف يكون الناقص بهذا الوصف وهذه الصورة؛ إلهاً يُعبَد مع الله تبارك وتعالى؟ أما لهم عقول؟

قال: {أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ} يعني كيف يفعلون ذلك؟ كيف يفعل المشركون أمراً كهذا؟ {وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ} يعني انظر إلى أي قَدْرٍ هم ضعفاء!! - الذين يعبدونهم ويتضرّعون إليهم ويخضعون ويتذلّلون لهم- الذي يُعبَد ينبغي أن يكون كاملاً قادراً على كل شيء؛ قادراً على نصرتك، قادراً على حمايتك عندما ترفع يديك إليه وتدعوه، قادراً على أن يستجيب دعاءك؛ هذا هو الذي يستحق أن يُعبَد، لا الذي لا يقدر على شيء من ذلك، وعنده نقصٌ كبير وضعف؛ هذا على ماذا يُعبَد؟! { وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً } يعني لو جاءهم عدو، أو نزل بهم ما يحتاجون إلى نُصرة هذه الآلهة التي يعبدونها؛ لا تستطيع هذه الآلهة أن تنصرهم، وأن تذبّ عنهم، وأن تحميهم، لا تستطيع ذلك؛ إذاً لماذا تُعبَد؟ لماذا تُدعى مع الله تبارك وتعالى؟ بل ليس هذا فحسب؛ حتى إنهم غير قادرين على نصرة أنفسهم، لو جاء عدو يعتدي عليهم أنفسهم؛ ما استطاعوا أن ينصروا أنفسهم؛ لذلك عندما جاء الأنبياء وحطّموا هذه الأصنام؛ هل استطاعت هذه الأصنام أن تدافع عن نفسها من التحطيم؟ وعندما جاء المؤمنون الموحّدون وحطّموا هذه الأصنام؛ ما استطاعت الأصنام أن تدافع عن نفسها، ما استطاعت أن تنصر نفسها.

يدعون الأصنام ليلَ نهار، يخضعون ويتذلّلون لها، يعبدون القبور، يخضعون لأصحابها ويتذلّلون لهم؛ هل استطاع أحد من أصحاب القبور أن يلبّي دعاءهم؟ أن يرزقهم؟ أن يحفظهم؟ أن يرفع عنهم البلاء؟

ما يستطيع إلا بإذن الله تبارك وتعالى فقط؛ عندما يأذن الله سبحانه وتعالى يكون ذلك؛ إذاً مَن الذي يُدعى؟ مَن الذي يُعبَد؟

هو الله سبحانه وتعالى الذي بيده ملكوت كل شيء.

ثم قال المصنّف رحمه الله تعالى: (**وقوله: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ}**[1]**، {وما يستوي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ}**[2])

آيات كلها مغزاها واحد؛ تدل على أن هذه الآلهة التي تعبدونها مع الله وتشركون بها في عبادتكم: لا تملك شيئاً، غير قادرة على منفعتكم بشيء، لا تسمع، وإذا سمعَت؛ لا تستطيع أن تستجيب لكم، ولا أن تنفعكم؛ لأنها لا تملك شيئاً.

({وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ}) يعني: الذين تعبدونهم سوى الله سبحانه وتعالى، من غير الله تبارك وتعالى: ({مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ}) يعني: لا يملكون حتى القطمير، والقطمير: هي اللفافة التي تكون على نواة التمرة مثل النايلون؛ رقيقة جداً بعد ما تزيل الذي يؤكل من التمر؛ تجد شيئاً مثل النايلون؛ رقيق شفاف، شيء حقير تافه؛ لا يملكونه، فإذا كانوا ما استطاعوا أن يملكوا مثل هذا؛ فما هو أعظم منه من باب أولى؛ إذاً فَهُم لا يملكون شيئاً، والذي لا يملك شيئاً لو دعوته ليل نهار ماذا سيعطيك؟ فاقد الشيء لا يعطيه، هو لا يملك شيئاً فماذا سيعطيك؟ لن يعطيك شيئاً؛ إذاً الذي يستحقّ أن يُدعى هو الله سبحانه وتعالى؛ تخضع، تتذلّل بين يديه بحاجتك؛ فيعطيك الله سبحانه وتعالى طلبك.

قال الله سبحانه وتعالى: {إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ }[3]؛ لأنهم إما جمادات: أصنام، أو موتى، أو غائبون؛ هذه المعبودات التي تُعبَد من غير الله تبارك وتعالى؛ فلا يسمعون، {وَلَوْ سَمِعُوا}، لو قدّرنا أن منهم من يسمع وسمعوا؛ {مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ}؛ لأنهم لا يقدرون على أن يستجيبوا، لا يستطيعون أن يُلبّوا شيئاً، الأمور ليست بأيديهم؛ إنما هي بيد الله تبارك وتعالى {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ} يعني أنتم تعبدونهم، تتضرّعون إليهم، تخضعون، تتذلّلون، تتقربون إليهم بأنواع القُرب، تدعونهم، ومع ذلك؛ فإنهم يوم القيامة يتبرَّؤون منكم ومما كنتم تفعلونه معهم مِن عبادة، لا يعترفون بكم أصلاً، {وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ

(١) [فاطر:١٣]
(٢) [فاطر:٢٢]
(٣) [فاطر:١٤]

خَبِيرٍ} يعني: لا يُخبرك بالخبر ويُعلِمك بالحقائق مِثلُ خبيرٍ بها؛ وهو الله سبحانه وتعالى، والخبير هو العالم ببواطن الأمور وحقائقها.

أما الآيات الأخرى: ({وَمَا يَسْتَوِي الأَحْياءُ وَلا الأَمْواتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ...}) كثير من نسخ كتاب "التوحيد" ليس فيها ذِكر لهذه الآيات، على كلٍّ: { وما يستوي الأحياء ولا الأموات} الأحياء الذين هم المؤمنون، والأموات الذين هم الكفار؛ فالمؤمن حيٌّ؛ فهو سميع بصير يمشي بنور من الله سبحانه وتعالى على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة إلى أن يصل إلى جنّات الخُلد، والكافر أعمى أَصَمّ في ظلماتٍ يمشي، لا خروج له منها؛ فهو في تِيه وفي ضياع وفي ضلال إلى أن يأتي يوم القيامة؛ فيكون في جهنم - نسأل الله السلامة-، فالمؤمن حيٌّ بإيمانه، والكافر ميّتٌ بكفره.

قال الله سبحانه وتعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الأَحْياءُ وَلا الأَمْواتُ} الفرق بينهم كبير؛ فالأحياء في فلاح وفي نجاح، والكفّار في خُسران - نسأل الله العافية والسلامة -، {إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ} إن الله يُسمِع: أي يهدي اللهُ سبحانه وتعالى إلى سماع الحجّة وقَبولها والانقياد إليها من يشاء من خلقه،{وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} أي: كما أن الذين في القبور لا ينتفعون ولا يسمعون؛ كذلك الكفار، الكفار مهما أعطيتهم من أدلّة وبراهين؛ فلا ينفعهم ذلك؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يهديهم ولا يوفّقهم لطاعته تبارك وتعالى.

هذا معنى الآيات المذكورة هنا، وكما ذكرنا: هذه الآيات ليست موجودة في كثير من نسخ كتاب التوحيد، ولعلّ عدم وجودها هو الأنسب؛ فالشاهد والمراد في الآيات التي سبقت من سورة فاطر.

ثم قال المؤلف رحمه الله: (**وفي الصحيح عن أنس؛ قال: "شُجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ؛ فقال: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ؟"؛ فنزلت: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}**[١])

قال: (في الصحيح): الحديث موجود في البخاري ومسلم؛ إلا أنه عند مسلم موصول[٢]، وعند البخاري معلّق[٣].

(عن أنس بن مالك، قال: شُجَّ النبي ﷺ يوم أحد) شُجَّ يعني: ضُرب على رأسه، وشُقّ رأسه يوم غزوة أحد.

(وكسرت رباعيته) كُسِرَ سنٌّ من أسنانه.

(فقال): أي النبي ﷺ: ("كيف يفلح قوم شجوا نبيهم") يعني: يستبعد هذا الأمر، بعد أن ضربوا نبيهم؛ كيف يكون لهم الفلاح؛ لقومه: هم قريش؟

(فنزلت: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ})؛ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية؛ فكان هذا القول من النبي ﷺ سبباً لنزول الآية.

والشاهد هنا: أن الله تبارك وتعالى قال لنبيّه -وهو صاحب المكانة المعروفة ونبيُّ الله تبارك وتعالى على جلالة قدره ومكانته - قال له ربنا تبارك وتعالى :{لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}، يعني: يتوب الله سبحانه وتعالى عليهم أو يُضلّهم؛ هذا الأمر بيد الله سبحانه وتعالى، والأمر يرجع إلى الله تبارك وتعالى، وأنت امض في شأنك وفي دعوتك؛ هذا المقصود.

فمعنى ذلك: إذا كان النبي ﷺ وهو صاحب المكانة المعلومة، وهو نبيّ الله تبارك وتعالى وسيّد ولد آدم؛ ومع ذلك يقول له ربنا تبارك وتعالى: {ليس لك من الأمر شيء}؛ إذاً غيره ماذا لهم؟ الأصنام، الأحجار، الأشجار، الملائكة؛ كل من يُعبَد مع الله تبارك وتعالى؛ ماذا

---

(١) [آل عمران:١٢٨]

(٢) (١٧٩١) عن أنس، ولفظه: " أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ؟»، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}

(٣) (باب: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} (٩٩/٥).

لهم؟ ليس لهم من الأمر شيء؛ الأمر كله بيد الله سبحانه وتعالى؛ إذاً فالذي يستحقّ أن يُعبَد هو الله سبحانه وتعالى؛ لأن الأمر كله بيده تبارك وتعالى؛ هذا المقصود، وهو المراد من الحديث.

ثم قال المصنف رحمه الله: (**وفيه: عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول - إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: "اللهم الْعَنْ فُلاناً وفُلاناً"، بعدما يقول: "سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد"؛ فأنزل الله: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}، وفي رواية[1]: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام؛ فنزلت: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}**)

قال: (وفيه) يعني في "الصحيح"، والحديث في "صحيح البخاري"[2]

(عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول - إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر) يعني في القنوت؛ قنوت الفجر، وهذا عند النوازل؛ قنوت النوازل: كان يقنت في الخمس أوقات.

("اللهم العن فُلاناً وفُلاناً") يُسمي أشخاصاً

(بعدما يقول: "سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد") يعني يرفع من الركوع- من ركوع الركعة الثانية-، فيقول: سمع الله لمن حمده؛ ثم يبدأ بالقنوت؛ فيقول: "اللهم العن فلاناً وفلاناً"؛ فأنزل الله: {ليس لك من الأمر شيء}.

قال: (وفي رواية) في رواية ثانية: (يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام) هنا قد صرَّح بالأشخاص الذين كان ﷺ يدعو عليهم

---

(١) علقها البخاري في "صحيحه" (٤٠٧٠)، وانظر كلام الحافظ ابن حجر في "تغليق التعليق" (٤/١٠٩) حول هذا الحديث.

(٢) (٤٠٦٩)

(فنزلت: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}) هذه الآية سبق أن نزلت لسببٍ ثانٍ؛ لا يمنع من نزول الآية لأكثر من مرة سبب، لا مشكلة في هذا؛ فالآية نزلت بالسبب الأول وبالسبب الثاني أيضاً.

والشاهد نفس الشاهد: إذا قال الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ:{ليس لك من الأمر شيء}، الهداية والتوفيق والإضلال كله بيد الله سبحانه وتعالى، فأنت ليس لك من الأمر شيء؛ تمضي فيما أمرك الله سبحانه وتعالى به، وهذه الأمور مرجعها إلى الله سبحانه وتعالى، فإذا كان النبي ﷺ ليس له من الأمر شيء؛ فغيره من باب أولى أنه ليس له من الأمر شيء.

إذاً فالذي يستحق أن يُعبَد هو الذي بيده الأمر وهو الله سبحانه وتعالى.

هذا المراد من الحديثين؛ وهو الشاهد.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (**وفيه: عن أبي هريرة قال: قامَ رسولُ الله ﷺ حينَ أَنْزَلَ اللهُ عليه: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ}**[1]**، قال: "يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ!- أو كلمة نحوها- اشْتَرَوا أَنْفُسَكُمْ؛ لا أُغْني عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شيئاً، يا عباسُ بن عبد المطلب! لا أُغْني عَنْكَ مِنَ الله شيئاً، يا صَفية عمةُ رسول الله! لا أُغْني عَنْكِ مِنَ الله شيئاً، يا فاطمةُ بنت محمد! سَليني مِنْ مالي ما شِئْتِ، لا أُغْني عَنْكِ مِنَ اللهِ شيئاً"**)

قال: (وفيه) أي: في "صحيح البخاري"[2].

("اشتروا أنفسكم") اشتروا أنفسكم بالطاعة؛ يعني أطيعوا الله سبحانه وتعالى، والجؤوا إليه وارجعوا إليه، واعبدوه، ووحّدوه؛ كي تشتروا أنفسكم من الله سبحانه وتعالى، وتدخلوا الجنة، وتُنجّوا أنفسكم من نار جهنم.

---

(١) [الشعراء:٢١٤]

(٢) أخرجه البخاري(٢٧٥٣)، ومسلم(٢٠٦)، وفي البخاري زيادة: "يا بني عبد مناف"، وفي مسلم زيادة: "يا بني عبد المطلب"

("لا أغني عنكم من الله شيئاً") يعني: أني لا أستطيع أن أنفعكم بشيء إذا متّم على الشرك، إذا لم تشتروا أنفسكم من الله بالتوحيد والطاعة؛ فلن أغني عنكم من الله شيئاً، أي: لن أستطيع أن أنفعكم بشيء عند الله سبحانه وتعالى، وسيكون مآلكم إلى جهنم.

("يا عباس بن عبد المطلب") عباس هذا عم النبي ﷺ، فالنبي ﷺ ذكر الأقربين الأبعد؛ ثم صار يقرّب؛ فالعباس أقرب من عموم قريش.

("لا أغني عنك من الله شيئاً") إذا كان النبي ﷺ لا يغني عن عمّه شيئاً، ولا يغني عن قريش الذين هم أقرباؤه شيئاً إذا ماتوا على الشرك.

("يا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئاً ") صفية عمّته ﷺ.

("يا فاطمة بنت محمد: سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً") أي: بنته؛ بنت النبي ﷺ لا يغني عنها من الله شيئاً، إذا مات أحدهم على الشرك؛ فلن ينفعه النبي ﷺ بشيء يوم القيامة، حتى الشفاعة لا تكون للمشركين؛ إنما تكون للمؤمنين فقط؛ فلا ينفعهم النبي ﷺ إذا لم يشتروا أنفسهم بأنفسهم؛ فبالتوحيد وطاعة الله سبحانه وتعالى ينجون.

الشاهد أنه قال لهم: " لا أغني عنكم من الله شيئاً " وهو نبي الله؛ فالأمور كلها بيد الله تبارك وتعالى، فالذي يستحقّ أن يُدعى وأن يُعبد وأن تخلص العبادة له هو الذي بيده كل شيء وهو الله سبحانه وتعالى؛ وهذا هو الشاهد. والله أعلم، والحمد لله رب العالمين.

الباب الخامس عشر: باب قول الله تعالى: {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}

ثم قال المؤلف رحمه الله: (**باب: قول الله تعالى: {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}**[(١)])

قال أهل العلم: هذا الباب يدل على أنه لا يستحق أحد أن يكون شريكاً مع الله؛ لماذا ؟ الآية التي ذكرها المؤلف في الملائكة، فإذا كان الملائكة -وهم الذين لهم القرب المعروف من الله تبارك وتعالى- يحصل منهم الفزع عند سماع كلام الله تبارك وتعالى؛ وذلك لعلمهم بالله تبارك وتعالى وبعظمته؛ فهو سبحانه الذي يستحق أن يُعبَد وحده؛ لأنه المتّصف بالعظمة الكاملة، ومتّصفٌ بصفات الكمال، وهو الذي يجب أن يُهاب وأن يُخاف كما خافته الملائكة؛ فهو سبحانه الذي يستحق أن يُعبَد لا غيره، فلا يجب أن يُخاف من أحدٍ أو أن يُهاب بالطريقة التي يُخاف من الله تبارك وتعالى بها؛ لأنه لا أحد له العظمة الكاملة، والصفات الكاملة غير الله سبحانه وتعالى.

({حتى إذا فُزّع عن قلوبهم}) عندما تسمع الملائكة كلام الله تبارك وتعالى، يصيبهم الخوف ويُغشى عليهم، فإذا زال عنهم الفزع؛({قالوا ماذا قال ربكم})، ({قالوا الحق وهو العلي الكبير})؛ وسيأتي تفسيرها من نفس الأحاديث.

قال المؤلف رحمه الله: (**في "الصحيح" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إذا قَضى اللهُ الأَمْرَ في السَّماءِ؛ ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِها خَضَعَاناً لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ على صَفْوانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}؛ فَيَسْمَعُها مُسْتَرِقُ السَّمْعِ - وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هكذا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَصَفَهُ سفيانُ بِكَفِّهِ؛ فَحَرَّفَها وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ؛ فَيُلْقيها إلى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقيها الآخرُ إلى مَنْ تَحْتَهُ، حتى يُلْقيها على لسانِ السَّاحِرِ أَو الكاهِنِ؛ فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهابُ قَبْلَ**

---
(١) [سبأ:٢٣]

أَنْ يُلْقِيها، وَرُبَّمَا أَلْقاها قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ؛ فَيَكْذِبُ معها مِائَةَ كِذْبَةٍ؛ فيقالُ: أَلَيسَ قَدْ قالَ لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ التي سُمِعَتْ مِنَ السَّماءِ")

قال: (في الصحيح): "صحيح البخاري"[1]

(عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إذا قضى الله الأمر في السماء") أي: إذا تكلم الله بالأمر الذي يوحيه إلى جبريل بما أراده.

("ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله") يعني من الخضوع؛ تخضع لله تبارك وتعالى؛ تخضع لقول الله تبارك وتعالى.

("كأنه سلسلة على صفوان") يعني كأن الصوت المسموع سلسلة على صخرة، أو على حجر أملس؛ تجر السلسلة على الصخرة.

("يَنفذهم ذلك") أي: يخلُص ذلك القول إلى الملائكة، ويمضي فيهم؛ حتى يفزعوا منه.

({حتى إذا فزع عن قلوبهم}) يعني إذا زال الفزع عنهم؛ ({قالوا ماذا قال ربكم})، يسأل بعضهم بعضاً: {ماذا قال ربكم}؟ ({قالوا الحق وهو العلي الكبير})، يقولون: قال الحق وهو العلي الكبير.

("فيسمعها مسترق السمع") يعني يسمع الكلمة التي قضاها الله سبحانه وتعالى مسترقي السمع من الجن، من الشياطين؛ كما جاء في حديث آخر أن النبي ﷺ ذكر: أن الجن يصعد بعضهم على بعض؛ يرتقي بعضهم على بعض، يسترِقون السمع من السماء؛ فيأتيهم شهاب، فإما أن يسبق الشهاب قبل أن يأخذ الجنّي الكلمة من السماء ويلقيها للذي بعده؛ يأتيه الشهاب فيقتله ويحرقه قبل أن يُلقي الكلمة، أو أنه يلقي الكلمة ثم يأتيه الشهاب فيأخذها الكاهن، طبعاً يأخذها هؤلاء الشياطين ويلقونها إلى الكهنة، ثم يأخذها الكاهن ويكذب عليها مائة كذبة؛ هذا جاء في حديث آخر عن النبي ﷺ، وفي نفس الحديث هذا، في آخره؛ سيذكر هذا الأمر.

---

(١) (٤٧٠١)

("فيسمعها مسترق السمع- ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، وصفه سفيان بكفّه فحرّفها وبدّد بين أصابعه) حرّفها يعني مال بكفّه، لم يجعل الكف قِبَل الأرض؛ بل جعلها واقفة؛ الإبهام إلى السماء، وفرّج بين أصابعه؛ يعني: يصعد بعضهم على بعض، وصفه سفيان بكفّه، فحرّفها وبدّد بين أصابعه.

("فيسمع الكلمة") يعني يسمع مسترق السمع- الشيطان، الجنّيّ- الكلمة.

("فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته") يعني يتناقلونها فيما بينهم إلى أن تصل إلى من هو على الأرض.

("حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن") فيأخذها الشيطان الأخير فيوصلها إلى الساحر أو الكاهن.

("فربّما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه ") هذا الأول الذي يسترق الكلمة، ربما يصل إليه الشهاب فيحرقه قبل أن يلقي الكلمة إلى من بعده، وربما يلقي الكلمة قبل أن يصله الشهاب.

("فيكذب معها مئة كذبة") يعني الكاهن.

("فيقال") يعني الناس الذين يسمعون الكاهن يقولون

("أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا") يعني يركّزون على الكلمة التي صدق فيها وينسون له المائة كذبة.

("فيصدّق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء")، فيأتي بعد ذلك الحديث الآخر: "من أتى كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد"[1]؛ وسيأتي إن شاء الله موضوعه. الشاهد من الحديث أن الملائكة عندما تسمع الصوت؛ يأخذها الفزع؛ لعلمهم بعظمة الله تبارك وتعالى، فلا يستحق أحد أن يكون شريكاً مع الله في عبادته وطاعته؛ لأنه ليس لأحدٍ العظمة التي لله تبارك وتعالى.

---

(١) أخرجه أحمد (٩٥٣٦)، والترمذي(١٣٥)، وأبو داود(٣٩٠٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه

ثم قال المصنف رحمه الله: **"وعن النواسِ بنِ سَمْعان قال : قال رسول الله ﷺ: "إذا أرادَ اللهُ تعالى أن يُوْحِيَ بالأَمْرِ؛ تكَلَّمَ بَالوَحْيِ؛ أَخَذَتِ السماواتُ مِنْهُ رَجْفَةً- أو قال: رَعْدَةً شَديدَةً؛ خَوْفاً من الله عز وجلّ، فإذا سَمِعَ ذلكَ أَهْلُ السماواتِ؛ صُعِقوا وَخَرُّوا للهِ سُجَّداً؛ فَيَكونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ: جِبْريلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِما أَرادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جبريلَ على الملائكةِ، كُلَّما مَرَّ بسماءٍ سألَهُ ملائِكَتُها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قالَ الحقَّ، وهو العَلِيُّ الكَبيرُ؛ فيقولونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ ما قالَ جِبْريلُ، فَيَنْتَهي جبريلُ بالوحي إلى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ عزّ وجلّ"**[(١)]

قال: ("أخذت السماوات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خفاً من الله عز وجل") تصوّر: حتى السماوات تخاف من الله سبحانه وتعالى هذا الخوف المذكور أمامنا؛ لأنها كلها تعرف عظمة الله تبارك وتعالى.

("فإذا سمع ذلك أهل السماوات صُعقوا وخروا لله سجداً")، أهل السماوات: الملائكة.

("فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة") يعني يوحي الله سبحانه وتعالى ما أراد له من وحي؛ ثم يمر جبريل على الملائكة.

("كلما مر بسماءٍ سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال الحق، وهو العلي الكبير") هذا فيه إيضاح لما سبق؛ من الذي يسأل؟ الملائكة، من الذي يجيب؟ جبريل عليه السلام.

("فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عزّ وجلّ") يأخذ جبريل الوحيَ إلى أين ما أمره، ربما ينزل به إلى النبي ﷺ - محمد- أو غيره. الشاهد: أن السماوات وأن الملائكة كلها تُصعق وتفزع من عظمة الله تبارك وتعالى، فلا يستحق أحد أن يكون شريكاً مع الله تبارك وتعالى.

---

(١) "السنة" لابن أبي عاصم(٥١٥)، "التوحيد" لابن خزيمة(١/٣٤٨)، "الشريعة" للآجري(٦٦٨)، "العظمة" لأبي الشيخ(٢/٥٠٠)، "الأسماء والصفات" للبيهقي (٤٣٥) ، كلهم من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبد الله بن أبي زكريا عن رجاء بن حيوة عن النواس بن سمعان.

قال أهل العلم: والآيات المذكورة في هذا الباب والأحاديث؛ تقرّر التوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله؛ يعني الذي دلت عليه هذه الشهادة، فإن المَلِك العظيم الذي تُصعق الأملاك من كلامه خوفاً منه ومهابة، وترجف منه المخلوقات، الكامل في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته وملكه وعزّه وغناه عن جميع خلقه وافتقارهم جميعهم إليه، ونفوذ قدَره، وتصرّفه فيهم لعلمه وحكمته؛ لا يجوز شرعاً ولا عقلاً أن يُجعل له شريك من خلقه في العبادة التي هي حقه عليهم؛ فكيف يُجعل المربوب ربّاً، والعبد معبوداً؟ أين ذهبت عقول المشركين؟ سبحان الله عما يشركون.

هذا توضيح لمراد المؤلف من عقد هذا الباب، والحمد لله رب العالمين.

الباب السادس عشر: باب الشفاعة

هذا الباب من الأبواب المهمّة جدّاً في هذا الكتاب؛ لأن الشفاعة هي السبب الذي جعل الكثير من المشركين يشركون بالله تبارك وتعالى ويعبدون غيره؛ فالمشركون كانوا في الجاهلية يعبدون الأصنام؛ يطلبون شفاعتها، والمشركون اليوم- عُبّاد القبور- كذلك يعبدون الأولياء؛ يطلبون منهم الشفاعة؛ فهي السبب التي لأجلها عُبد غيرُ الله سبحانه وتعالى.

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ}، ثم قال الله سبحانه وتعالى: {قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}(١)،فالشاهد أنهم يعبدون ما لا يضرّهم ولا ينفعهم ولكنهم يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله؛ أي: هم الذين سيشفعون لنا عند ربنا تبارك وتعالى.

وقالوا أيضاً: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}(٢)، إذاً هذه هي حجّة المشركين في عبادة الأصنام: كي تشفع لهم هذه الأصنام وتقرّبهم إلى الله سبحانه وتعالى.

ما المقصود بالشفاعة؟

الشفاعة في اللغة: اسمٌ مِن شفع يشفع، إذا جعل الشيء اثنين؛ ومنه الشفع.

واصطلاحاً: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرّة، ونحن اليوم نسمي هذه الشفاعة -عندنا فيما بيننا- نسميها: الواسطة، يقول لك: انظر واسطة من أجل أن تحصل على عمل، ابحث عن واسطة من أجل أن تمشّي المعاملة الفلانية؛ هذا هو المقصود بالشفاعة؛ فالشفاعة هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرّة.

مثال الشفاعة التي تكون عند الله تبارك وتعالى: شفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة ليدخلوا الجنة، فأهل الجنة عندما يصلون إليها لا يدخلونها إلا أن يستفتح لهم النبي ﷺ، فهو

(١) [يونس:١٨]

(٢) [الزمر:٣]

يطرق باب الجنة ويستفتحها لهم؛ فيشفع لهم بدخول الجنة، هذا توسّط النبي ﷺ للمؤمنين من أجل أن يجلب لهم منفعة، وكذلك شفاعة النبي ﷺ فيمن استحقّ أن يدخل النار من الموحّدين؛ يشفع فيهم النبي ﷺ من أجل أن لا يدخلوا النار؛ وهذا توسّطٌ للغير لدفع مضرّة؛ هذا هو معنى الشفاعة.

ردُّ شبهة الكفار في عبادة غير الله ليشفعوا لهم:

نأتي لردّ شبهة الكفار والمشركين الذين يعبدون من يعبدونه مع الله تبارك وتعالى من أجل أن يشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى، هذه الذريعة التي أوصلتهم إلى الشرك؛ ردّها الله سبحانه وتعالى وأبطل دعواهم؛ كيف؟

الله سبحانه وتعالى لما ردّ على الكفار والمشركين، لم يُبطل الشفاعة من أصلها؛ ما قال: لا يوجد شفاعة والشفاعة باطلة؛ لا؛ إنما أبطل الله نوعاً من أنواع الشفاعة؛ وهو النوع الذي يتعلّق به المشركون، وأبقى نوعاً آخر، والأدلة التي ستأتي وسيسوقها المؤلف كلها ستدل على التفصيل الذي سنذكره، ونحن الآن سنذكر لكم الخلاصة في الموضوع.

خلاصة الموضوع في إبطال هذه الذريعة التي تعلّق بها المشركون: أن الشفاعة قسمان: شفاعةٌ منفيةٌ، وشفاعة مثبتة.

الشفاعة المنفية: هي الشفاعة التي كان يتعلّق بها المشركون، وضابطها سيأتي إن شاء الله.

الشفاعة المثبتة: هي الشفاعة التي تكون للأنبياء، وللملائكة، وللصالحين عند الله تبارك وتعالى، والتي ورد فيها أدلة كثيرة متواترة، تبيّن وجود الشفاعة وأنها حق.

إذاً ما الفرق بين الشفاعة المنفية والشفاعة المثبتة؟

الشفاعة المنفية: هي الشفاعة التي تكون بغير إذن الله ولا رضاه؛ بمعنى : ألا يأذن الله سبحانه وتعالى لزيدٍ من الناس بالشفاعة، ولا يرضى أن يشفع في عمرو من الناس، فيشفع زيد عند الله حتى وإن لم يأذن له، ويشفع في عمرو وإن لم يرض الله سبحانه وتعالى بالشفاعة في عمرو، إذاً الشفاعة المنفية هي الشفاعة التي تكون بغير إذن الله ولا رضاه؛ بغير إذنه للشافع أن يشفع ولا رضاه عن المشفوع أن يُشفَع فيه؛ هذه الشفاعة هي الشفاعة

المنفية، فعندما يأتي المشرك يريد أن يعبد الصنم من أجل أن يشفع له الصنم عند الله سبحانه وتعالى؛ نقول له: الصنم هذا لا ينفعك؛ لماذا؟

لأن الله سبحانه وتعالى لم يأذن له بالشفاعة؛ لم يأذن له أن يشفع لك أنت عنده يوم القيامة.

طيب: نترك هذا؛ إذاً نعبد محمداً ﷺ؛ ألستم تقولون بأن النبي ﷺ له شفاعة يوم القيامة؟

الجواب: نعم، الأولياء -كما يعبدهم أصحاب القبور – يقولون: الأولياء والصالحون لهم شفاعة عند الله تبارك وتعالى؛ نعم لهم شفاعة وقد أخبر النبي ﷺ بشفاعة الصالحين، وفي كتاب الله سبحانه وتعالى الشفاعة مثبتة للأنبياء والصالحين وللملائكة، وكذلك في سنة رسول الله ﷺ كل هذا مثبَت.

قالوا: إذن نحن نعبد الأولياء أو نعبد القبور من أجل أن يشفع لنا أصحابها؛ نقول لهم: أين أنتم عن الشرط الثاني؟ فقد قلنا:

الشرط الأول: أن يأذن الله للشافع أن يشفع.

قلتم لنا الأصنام.

قلنا لكم: لم يأذن الله سبحانه وتعالى لها أن تشفع.

قلتم لنا: الأنبياء.

قلنا لكم: نعم أذِنَ الله لهم أن يشفعوا؛ لكن بقي عندنا الشرط الثاني: أن يرضى الله لهم أن يشفعوا فيك؛ وأنت مشرك تعبدهم مع الله سبحانه وتعالى، هل رضي الله سبحانه وتعالى بذلك؟

لا؛ لأن الشفاعة لا تكون إلا للموحّد؛ الشفاعة للموحّدين فقط، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه: قيل: يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ ماذا قال النبي ﷺ؟ قال: "أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة: من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو من نفسه"[1]؛ فالشفاعة لا تكون إلا لأهل الإخلاص، إلا لأهل التوحيد، وأنت عندما عبَدْتَ الولي الفلاني أو الصنم الفلاني؛ أخللت بكلمة التوحيد، نقضتها، أفسدتها؛ فأنت

(١) أخرجه البخاري(٩٩)

مشرك ولست موحّداً؛ فليست لك شفاعة، وإن طلبت الشفاعة من الأنبياء فلا قدرة لهم على أن يشفعوا فيك؛ لأنه قد أُذِنَ لهم أن يشفعوا في الموحدين لا في غيرهم؛ إلا في حالة خاصة واحدة فقط: وهي شفاعة النبي ﷺ في أبي طالب؛ لِمَا صنعه للنبي ﷺ من نصرة؛ حالة خاصة هذه، منفردة، أما الباقي؛ فقد ذكر الأدلة الشرعية على أن الشفاعة لا تكون إلا للموحّدين.

إذاً الشفاعة المثبتة هي: الشفاعة التي تكون بإذن الله وبرضاه؛ بأن يأذن للشافع أن يشفع، ويرضى عن المشفوع أن يُشفَع فيه.

والشفاعة المنفية هي: الشفاعة التي تكون بغير إذن الله ولا رضاه، ولا يوجد شيء من هذا القبيل؛ لا توجد شفاعة هذه صورتها أبداً؛ هذه الشفاعة المنفية في شرع الله سبحانه وتعالى.

الآن نأتي إلى الأدلة التي ذكرها المؤلف، والتي تدلّنا على التفصيل الذي ذكرناه، نحن أتينا بتفصيل؛ لكن دائماً نقول: هات الدليل، أين الدليل؟ لأن مجرّد القول بدون دليل يُحسنه كل أحد؛ لكن الأدلة هي الفاصلة في الموضوع.

يقول المؤلف: (**باب الشفاعة**)

يعني: ما هي الشفاعة المثبتة؟ والشفاعة المنفية؟ وذِكْرُ أدلّتها.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**وقول الله عز وجل: {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}**[1])

({وأنذر به}): أنذر يا محمد، الكلام للنبي ﷺ: أنذر يا محمد.

ما معنى الإنذار؟

الإنذار: إعلامٌ مع تخويف، أنذرك بالشيء: أُعلِمك بأنك إن فعلت كذا فأنت على خطر، {وأنذر به}: يعني أنذر بالقرآن؛ وأنذر يا محمد بالقرآن.

---

(١) [الأنعام:٥١]

({الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ}) من هؤلاء الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم؟ هم المؤمنون، المؤمنون هم الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم، أما الذين هم من الكفار؛ فهؤلاء لا يبالون؛ لأنهم غير مؤمنين بذلك.

({ليس لهم من دونه وليّ ولا شفيع}) ليس لهم من غير الله تبارك وتعالى وليٌّ ينصرهم؛ فالولي هنا هو الناصر، فليس لهم من دونه- يعني من دون الله تبارك وتعالى- وليٌّ: يعني ناصر ينصرهم، ولا شفيع يشفع لهم.

({لعلهم يتقون}): لعلهم يرجعون إلى الله سبحانه وتعالى؛ فذكّرهم بذلك وخوِّفهم وبيِّن لهم: بأنهم يوم المحشر ليس لهم نصير ولا لهم شفيع.

وهنا الشاهد: نفي الشفاعة من دون الله؛ شفاعة منفية، وقد ذكرنا ضابطها، والآن ستأتينا أدلة تدل على نفي الشفاعة، وأدلة تدل على إثبات الشفاعة، وستأتي أدلة مفصّلة، فهذه الآية المتقدمة، فيها نفيٌ، ثم الآية التي بعدها:

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**وقوله: {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً}**[1])

({قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً}) هل أثبت شفاعة أم لم يثبتها؟ أثبت شفاعة، ولكنه أثبت شفاعة مملوكةً لله تبارك وتعالى، فأيُّ شفاعةٍ؛ جميع الشفاعات مملوكة لله سبحانه وتعالى، والشفاعة أنواع -وتفصيلها في كتب الاعتقاد-:

شفاعة للنبي ﷺ؛ شفاعة خاصة به، وشفاعة عامة له وللمؤمنين، وشفاعته خاصة به كشفاعته في أهل الموقف، وشفاعة عامة للجميع كإخراج العصاة من النار، وأنواع كثيرة؛ محل التفصيل فيها كتب الاعتقاد؛ أما هنا في التوحيد-الذي يهمنا-: التفريق بين الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية؛ فقال الله هنا: {قل لله الشفاعة جميعاً} يعني الشفاعة كلها مملوكة لله تبارك وتعالى، فليس لمن تُطلَب منه شيء منها؛ هذا المراد من هذه الآية، أنتم تذهبون وتطلبونها ممن؟ من الأصنام؛ تعبدونها كي تشفع لكم؛ ليس للأصنام شيء منها؛ إنما هي لله

---

(٢) [الزمر:٤٤]

سبحانه وتعالى، فإنها إذا كانت مملوكة لله؛ فتُطلب من الله تبارك وتعالى لا من غيره؛ فاعبدوه هو ووحدوه هو؛ كي تنالوا الشفاعة إذا أردتم الشفاعة.
إذاً هنا عندنا إثبات للشفاعة؛ لكن إثبات لشفاعةٍ مملوكةٍ لله تبارك وتعالى؛ وهي التي تكون بإذنه ورضاه، كما ستأتي أدلة تدل على ذلك أيضاً.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقوله: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}[1])
بدأ المؤلف الآن بالتفصيل
({من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}) هذا سؤال، لكن ليس المراد منه الاستفهام؛ وإنما المراد منه النفي، كأن تكون أنت مثلاً مميّزاً في جانب من الجوانب، تكون مثلاً رجلاً مفتول العضلات، قوياً، مصارعاً، وتعلم أنه لا أحد يستطيع أن يغلبك؛ ماذا تقول؟ تقول: من الذي يستطيع أن يصرعني؟ من هذا الذي يستطيع أن يصرعني؟ ماذا تريد من هذا؟ تريد أنه لا يوجد أحد يقدر على ذلك؛ هذه طريقة تستعمل في اللغة العربية، المخرج مخرج سؤال؛ لكن المراد منه النفي، {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}؟ لا أحد؛ هذا الجواب: لا أحد يستطيع أن يشفع عند الله سبحانه وتعالى إلا بإذنه، فهنا إثبات ونفي للشفاعة؛ شفاعة منفية وشفاعة مثبتة في هذه الآية، {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}، أي أنه: لا أحد يستطيع أن يشفع عند الله سبحانه وتعالى إلا بعد إذنه؛ نفيٌ للشفاعة التي تكون بغير إذن الله، وإثبات للشفاعة التي تكون بإذنه تبارك وتعالى، إذا أذن الله سبحانه وتعالى للشافع أن يشفع ورضي عن المشفوع أن يُشفَع فيه؛ عندئذٍ تكون الشفاعة ثابتة؛ وإلا فلا، كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى}[2] يعني حتى من أذن له بالشفاعة لا يشفع إلا لمن ارتضى، {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه } لا أحد يستطيع أن يشفع عنده إلا أن يأذن له بالشفاعة، ولا يمكنه أن يشفع لأحد إلا أن يرضى الله سبحانه وتعالى بذلك {ولا يشفعون إلا لمن ارتضى} كما قال تبارك وتعالى، وهذه الآية:{من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه} كقوله تبارك وتعالى: {يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ

(١) [البقرة:٢٥٥]
(٢) [الأنبياء:٢٨]

الشَّفَاعَة}، هذا نفي للشفاعة، إلا ماذا؟ قال: {إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا}[(١)]؛ معنى واحد.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقوله: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى}[(٢)])

({ وكم من ملك في السماوات }) هذا الأسلوب أسلوب تكثير، وهذه "كم" التي تسمّى بـ:"كم" الخبرية للتكثير، يعني هناك ملائكة كُثُر في السماوات.

{وكم من ملك} الحديث عمن؟ عن الملائكة الذين لهم قدرٌ عند الله تبارك وتعالى، ومع ذلك: لا تغني شفاعتهم شيئاً، إذا أرادوا أن يشفعوا؛ فلا يمكنهم الشفاعة إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء أن يشفع ليشفع، ويرضى بالشفاعة؛ يرضى بأن يشفع الشافع ويرضى في المشفوع أن يشفع فيه؛ هؤلاء الملائكة الذين هم مقربون إلى الله تبارك وتعالى؛ فما بالك بالأصنام؟ اللات والعزى، والولي الفلاني، والقبر الفلاني؛ كلها من باب أولى.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقوله: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}[(٣)])

هذه الآية آية عظيمة؛ قطعت جميع أسباب الشرك، أغلقت أسباب الشرك كلها؛ هي أربع نفاها الله سبحانه وتعالى نفياً مرتّباً، بدأ من الأعلى وانتقل إلى الأدنى؛ قال:

({قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله}) ادعوهم دعاء مسألة، {الذين زعمتم من دون الله}: الذين تزعمون فيهم الشفاعة، تزعمون لهم الأسباب التي تجعلكم تعبدونهم مع الله تبارك وتعالى؛ هل سيستجيبون لكم لو دعوتموهم؟ لن يحصل؛ فلا قدرة لهم على الاستجابة لما سيأتي إن شاء الله.

---

(١) [طه:١٠٩]

(١) [النجم:٢٦]

(٢) [سبأ:٢٢-٢٣]

{قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله} ماذا سينفعكم لو دعوتموهم؛ وهم لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض؟ تدعو الولي الفلاني؛ تأتي عند قبره وتتضرع إليه: ارزقني، اهدني، وفقني، اشفني؛ هو لا يملك شيئاً، لا يملك نفعاً ولا ضراً؛ ({لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض}) وزن ذرة؛ الذرة التي هي النملة الصغيرة، وهذا يُذكر لتقليل الشيء، لتقليل الوزن، أقل وزن ممكن.

{لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ يعني: لا يملكون شيئاً البتّة؛ هذه واحدة؛ لأن الذي يُدعى ويُعبد ويُتضرّع إليه؛ لماذا يُفعل معه هذا؟ من أجل أن يُعطي، لكنه فاقد لهذا الشيء فكيف يعطيه؟ لا يملك شيئاً.

قد تقول: هو ما يملك؛ لكن قد تكون له شراكة ولو ضئيلة في الموضوع؟ قال الله:({وما لهم فيهما من شرك})؛ ليسوا شركاء لا في قليل ولا كثير، لا يملكون، وليست لهم شراكة.

يقول: قد لا يكون لهم شراكة ولا ملك لكن لهم معونة؛ يعينون، يساعدون في شيء؛ فجاءت تتمة الآية؛ فقال الله: ({وما له منهم من ظهير}) أي: ليس لله من معبوداتكم التي تعبدونها، من أصنامٍ وغيرها من مُعين، يعني: لا يعينه لا صنم ولا ولي ولا غير ذلك، ما أعانه أحد على خلق السماوات والأرض، وعلى كل ما يملك سبحانه وتعالى، وما لله مما تعبدون من ظهير: من معين؛ لأنك ربما تقول: والله إذا كان قد أعان؛ فربما يكون له نصيب في الأمر؛ كونه أعان، فيعطيه الله سبحانه وتعالى شيئاً من التصرّف؛ فهنا يبين الله لنا: أنه ما له إعانة أصلاً.

({ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذِنَ له}) تقول: هو لا يملك، وليست له شراكة، ولا هو معين في شيء؛ بقيت الشفاعة؛ ربما يشفع لي؛ فقال الله سبحانه وتعالى: {وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}، وهل أذن الله للأصنام التي تعبدونها أيها المشركون؟ لم يأذن.

تتبيَّن فائدة الآية بما نقله المؤلف رحمه الله عن ابن تيمية رحمه الله:

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**قال أبو العَبَّاس: نَفَى اللهُ عَمّا سِواهُ كُلَّ ما يَتَعَلَّقُ بِهِ المُشْرِكونَ؛ فَنَفَى أَنْ يَكونَ لِغَيْرِهِ مِلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ، أَوْ يَكونَ عَوْناً لله، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفاعَةُ؛ فَبَيَّنَ أَنَّها لا تَنْفَعُ إلا لمن أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ، كما قال: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى}؛**

فهذه الشَّفاعَةُ التي يَظُنُّها المُشرِكونَ: هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ القِيامَةِ كما نَفاها القُرْآنُ، وأَخْبَرَ النبي ﷺ: أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ، لا يَبْدَأُ بِالشَّفاعَةِ أَوَّلاً، ثُمَّ يُقالُ له: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ"[(١)]

وقال له أبو هريرة: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشفاعَتِكَ؟ قال: "مَنْ قالَ: لا إله إلا الله خالِصاً مِنْ قَلْبِهِ"، فَتِلْكَ الشَّفاعةُ لأَهْلِ الإِخْلاصِ بِإِذْنِ الله، ولا تَكونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بالله، وحَقيقَتُها: أَنَّ اللهَ سبحانه وتعالى هُوَ الذي يَتَفَضَّلُ على أَهْلِ الإِخْلاصِ؛ فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِواسِطَةِ دُعاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ؛ لِيُكْرِمَهُ، وَينالَ المَقامَ المَحْمودَ، فالشَّفاعَةُ التي نَفاها القُرْآنُ: ما كانَ فيها شِرْكٌ؛ ولِهذا أَثْبَتَ الشَّفاعَةَ بِإِذْنِهِ في مَواضِعَ، وَقَدْ بَيَّنَ النبيُّ ﷺ أنها لا تكونُ إلا لأَهْلِ التَّوْحيدِ والإِخْلاصِ)

قال: (قال أبو العباس) هو ابن تيمية رحمه الله.

(نفى الله عما سواه) يعني نفى الله عن غيره

(كل ما يتعلق به المشركون) أي: نفى الله سبحانه وتعالى الأسباب التي يتعلق بها المشركون من أجل أن يعبدوا غيره معه؛ فما أبقى لهم حجة ولا عذراً أبداً.

(فنفى أن يكون لغيره ملكٌ) أي: لا يوجد غير الله سبحانه وتعالى مالك لشيء من هذا الكون؛ السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما.

(أو قسطٌ منه) أي: ولا حتى جزءً من الملك بشراكة.

(أو يكون عوناً لله) نفى الله سبحانه وتعالى أن يكون أحد من الذين تعبدون عوناً لله تبارك وتعالى.

(ولم يبق إلا الشفاعة؛ فبيّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب) تبارك وتعالى.

(كما قال: {ولا يشفعون إلا لمن ارتضى}) حتى من أذن الله تبارك وتعالى له أن يشفع؛ فلا يمكنه أن يشفع إلا لمن رضي الله سبحانه وتعالى أن يشفع فيه، ولا يرضى الله إلا في أهل التوحيد.

(١) أخرجه البخاري(٧٤١٠) عن أنس رضي الله عنه، وأخرجه البخاري(٤٧١٢)، ومسلم(١٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون: هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده) يعني النبي ﷺ؛ وهذا في أهل الموقف كما جاء في "الصحيحين" عندما يُبعَث الناس من قبورهم، يجتمعون في أرض المحشر، تقترب منهم الشمس، وتبعد عنهم قدر ميل، فيغوصون في عرقهم؛ كلٌّ على حسب ذنوبه؛ منهم من يبلغ به العرق إلى الكعبين، ومنهم إلى الركبتين، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً- يعني: يغطّيه كاملاً- حسب الأعمال، ولا ينجو من هذا إلا السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، من حرارة الشمس هذه؛ فيطول بهم الوقوف، فيأتون الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة؛ أن يشفعوا عند الله من أجل أن يبدأ بالحساب، يأتون لآدم فيذكر ذنباً ويقول: نفسي نفسي، ويأتون نوحاً وموسى وعيسى؛ وكل واحد يذكر ذنباً ويقول: نفسي نفسي، حتى يرشدوهم إلى النبي ﷺ ويقولون لهم: ذاك رجلٌ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ فعليكم به، فيذهبون إليه، فيذهب النبي ﷺ فيخرّ عند العرش؛ يسجد ويحمد الله سبحانه وتعالى ويثني عليه.

(لا يبدأ بالشفاعة أولاً) يأتي فيسجد لربه ويحمده، ما يبدأ مباشرة بالشفاعة؛ لا؛ إنما يقدم ثناءً عريضاً على الله سبحانه وتعالى.

(ثم يُقال له: ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تُعط، واشفع تشفّع) فما استطاع النبي ﷺ أن يشفع حتى أُذن له بالشفاعة؛ هذا الذي يدل عليه الحديث.

(وقال له أبو هريرة) والكلام لابن تيمية رحمه الله: (من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: "من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه") إذاً تعرف عندئذٍ من الذي يرتضي الله سبحانه وتعالى أن يُشفَع فيه؛ وهو المخلص الموحد، "من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه"؛ قالها وهو يعتقدها ويدين لله بها؛ هذا هو الذي تنفعه، لا مجرد أن يتلفّظ بها.

قال ابن تيمية رحمه الله: (فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله، وحقيقتها: أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع) حقيقةً في النهاية: هي رحمة من الله تبارك وتعالى: أن أذن للشافع أن يشفع، وأذن للمشفوع أن يُشفع فيه.

(ليكرمه) أي ليكرم من أذن له بالشفاعة كالنبي ﷺ.

(وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن: ما كان فيها شرك؛ ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص) انتهى كلام ابن تيمية؛ هل بقي عذر للمشركين أن يُشركوا؟ ما بقي لهم شيء؛ فأغلق الله تبارك وتعالى عليهم جميعاً الأسباب التي يمكن أن يتعلقوا بها، فيعبدوا غير الله سبحانه وتعالى ويخضعون له، اليوم الذي نعيش فيه نحن تماماً كما كان المشركون يفعلون؛ المشركون كانوا مع أصنامهم، ومشركو زماننا مع القبور، مع الأولياء؛ يعبدونهم، يخضعون لهم، الذبح الذي نذبحه لله هم يذبحونه للقبور، الدعاء الذي ندعوه نحن لله ونخلص فيه لله تبارك وتعالى هم يدعونه للقبور، النذر الذي ننذره لله تبارك وتعالى هم ينذرونه للقبور؛ وهكذا، أيّ عبادة أعظم من هذه؟! يتقربون بها إلى أوليائهم من أجل أن يشفعوا لهم عند الله تبارك وتعالى؛ هذا الذي كان يفعله المشركون تماماً بنصوص هذه الآيات التي ذكرها المؤلف في هذا الباب

الباب السابع عشر: باب قول الله تعالى: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}

قال المؤلف رحمه الله: (**باب قول الله تعالى: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينِ}**[1])

هذا الباب يريد منه المؤلف أن يبين لنا أن النبي ﷺ مع حرصه على أن ينفع عمه بالهداية، بالاستغفار له؛ ومع ذلك لم يستطع؛ فغيره من باب أولى، فإذا كان البشر والخلق جميعاً لا قدرة لهم على منفعة أحد ومضرته إلا بإذن الله تبارك وتعالى؛ إذاً فاللجوء يكون إلى الله تبارك وتعالى، والعبادة تكون لله تبارك وتعالى؛ هذا المراد من هذا الباب.

قالوا: والآية نزلت في قصة أبي طالب، وقد ذكرها لنا المؤلف؛ فقال رحمه الله تعالى:

(**في "الصحيح"[2] عن ابن المسيّب، عن أبيه؛ قال: لما حَضَرَتْ أبا طالبٍ الوَفاةُ؛ جَاءَهُ رسولُ الله ﷺ وعِنْدَهُ عبدُالله بنُ أبي أمية وأبو جَهْلٍ؛ فقال له: يا عم، قل: لا إله إلاّ الله؛ كلمة أحاجّ لك بها عند الله فقالا له: أترغب عن ملّة عبد المطلب؟، فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: هو على ملّة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلاّ الله.**

فقال النبي ﷺ: "لأستغفرن لك ما لم أنه عنك" فأنزل الله سبحانه وتعالى: { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } .

وأنزل الله في أبي طالب: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ})

انظروا بارك الله فيكم: أبو طالب على فراش الموت جاءه النبي ﷺ وكان عنده رفقته؛ أصحابه، وانظروا إلى رفقة السوء وما تفعل بالإنسان، أصحابه هؤلاء هم: عبدالله بن أبي أمية وأبو جهل؛ رؤوس الكفر؛ فقال النبي ﷺ لعمّه: ("يا عم قل لا إله إلا الله؛ كلمة أحاجّ لك بها عند الله")؛ يحثه على الإسلام؛ أن يسلم كي يموت موحداً؛ فيقول له: اذكر

(١) [القصص:٥٦]

(٢) أخرجه البخاري(١٣٦٠)، ومسلم(٢٤).

هذه الكلمة؛ كلمة لا إله إلا الله، لتكون لك حجة عند الله تبارك وتعالى؛ فتتخلص من الخلود في نار جهنم؛ قال: قل لا إله إلا الله؛ كلمة أحاجّ لك بها عند الله.

(فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب) الكلام الآن لعبد الله بن أبي أمية وأبي جهل؛ قالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ يعني يا أبا طالب! أتزهد في الدين الذي كان عليه عبد المطلب أبوك؟ دين الآباء والأجداد؟ هذا الدين كان معظّماً عندهم؛ فذكّروه بهذا.

(فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا) من حرصه على إسلامه، أعاد النبي ﷺ وكرر، وهم يعيدون ويكرّرون نفس الكلام.

(فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب) إذاً مات على الكفر؛ مات كافراً، هو على ملة عبد المطلب.

(وأبى أن يقول: لا إله إلا الله) هذا النوع من الكفر: كفر الإباء والاستكبار؛ لأنه جاء في روايات: أنه أبى أن يقول ذلك كي لا تعيّره قريش[1]، وكي لا يقال بأن استه قد علته[2].

(فقال النبي ﷺ: "لأستغفرن لك مالم أُنه عنك") هذا هو الشاهد، النبي ﷺ يستغفر؛ يطلب له المغفرة من الله تبارك وتعالى، أراد أن يشفع فيه بدعائه له.

(فأنزل الله عز وجل: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ولو كانوا أولي قربى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}) ما كان لهم هذا، ولا يجوز هذا الفعل: أن يستغفروا للمشركين.

انظروا إلى حال الضُّلّال من دعاة السوء اليوم؛ عندما يموت بعض رؤوس وصناديد الكفر في هذا الزمن يترحّمون عليهم مخالفين لهذه الآية صراحة.

---

(١) كما أخرج مسلم في "صحيحه" (٢٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَمِّهِ: " قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ "، قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ، يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}

(٢) أخرجه أحمد(٧٧٦) عن حبة العرني؛ قال: قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيًّا، ضَحِكَ عَلَى الْمِنْبَرِ لَمْ أَرَهُ ضَحِكَ ضَحِكًا أَكْثَرَ مِنْهُ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: ذَكَرْتُ قَوْلَ أَبِي طَالِبٍ، ظَهَرَ عَلَيْنَا أَبُو طَالِبٍ، وَأَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَنَحْنُ نُصَلِّي بِبَطْنِ نَخْلَةَ، فَقَالَ: مَاذَا تَصْنَعَانِ يَا ابْنَ أَخِي؟ «فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْإِسْلَامِ» ، فَقَالَ: مَا بِالَّذِي تَصْنَعَانِ بَأْسٌ، أَوْ بِالَّذِي تَقُولَانِ بَأْسٌ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا تَعْلُوَنِي اسْتِي أَبداً.."

{ولو كانوا أولي قربى} حتى ولو كان الكافر هذا قريباً لك؛ {مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} خلاص بعد ما تبين لك أنه مات على الكفر؛ فليس لك أن تستغفر له.
(وأنزل في أبي طالب: {إنك لا تهدي من أحببت}) إنك يا محمد، لا تهدي من أحببت له الهداية؛ ({ولكن الله يهدي من يشاء}) قال بعض أهل العلم: لا تهدي من أحببت له الهداية، وقال بعضهم: لا تهدي من أحببته؛ وليس هذا موضوعنا الآن.
إذاً فالهداية في هذه الآية: {ولكن الله يهدي من يشاء} منفية عن النبي ﷺ ومثبتة لله تبارك وتعالى؛ فهو الذي بيده الهداية، فما أذن الله تبارك وتعالى لنبيه أن يستغفر له بعد ذلك، فإذا كان النبي ﷺ -وهو النبي صاحب المقام الرفيع عند ربنا تبارك وتعالى- يقول له الله سبحانه وتعالى: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء}؛ فغيره من باب أولى؛ هذا الشاهد من ذكر هذه القصة مع هذه الآية التي ذكرها المؤلف.
فمعنى ذلك: المطلوب منك: أن تكون عبادتك خالصة لله تبارك وتعالى الذي بيده كل شيء. أسأل الله أن يوفّقنا وإياكم إلى طاعته.

الباب الثامن عشر: باب ما جاءَ أنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وتَرْكَهُمْ دِينَهُمْ: هو الغُلُوُّ في الصَّالِحينَ

قال المؤلف رحمه الله:(**باب ما جاءَ أنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وتَرْكَهُمْ دِينَهُمْ: هو الغُلُوُّ في الصَّالِحينَ)**

هذا الباب معقود للتحذير من السبب الرئيسي الذي جعل الناس يشركون بالله تبارك وتعالى؛ وهو الغلو في الصالحين؛ إذاً: هذا الباب معقود للتحذير من الغلو في الصالحين؛ لأنه يؤدي إلى الشرك بالله تبارك وتعالى.

ما المقصود بالغلو؟

المقصود بالغلو: الإفراط؛ مجاوزة الحد؛ المبالغة في الأمر، تعطي الشخص أكثر من حدّه، أكثر مما يستحق، تمدحه، تثني عليه، تعطيه مقاماً عالياً لا يستحقه؛ هذا معنى الغلو؛ الإفراط في التعظيم، في المدح، في الثناء.

الغلو في الصالحين: مجاوزة الحد فيهم، الصالحون نحبهم؛ أهل الصلاح، أهل الطاعة؛ طاعة الله سبحانه وتعالى، هم الصالحون الذين يجتنبون المعاصي والذنوب، ويُقبِلون على طاعة الله سبحانه وتعالى؛ هؤلاء هم الصالحون، هؤلاء واجبهم علينا: أن نحبّهم، ونتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى بحبّهم؛ لأنهم قريبون من الله سبحانه وتعالى، مطيعون له؛ فنحن نحبهم ، ونتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بحبّهم، ونعلَم، ونعتقد فيهم أنهم لا ينفعون ولا يضرّون، وأنهم لا يستحقّون شيئاً من أنواع العبادة؛ فلا نتقرّب إليهم بشيءٍ من أنواع العبادة، هم لا يملكون نفعاً ولا ضراً؛ فنعطيهم ما جعل الله سبحانه وتعالى لهم من حقوق، ولا نتجاوز الحدّ فيهم؛ لأن مجاوزة الحدّ فيهم تؤدي إلى عبادتهم؛ إلى جعلهم آلهة مع الله سبحانه وتعالى؛ فهذا الباب عُقِد لهذا الغرض.

فيريد المؤلف: أن هذا باب ما جاء من أدلة تبيّن أن سبب كفر بني آدم وسبب تركهم لدينهم: هو مجاوزتهم الحدّ في الصالحين من عباد الله؛ هذا معنى الباب.

قال المؤلف رحمه الله: (**وقول الله عز وجل: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ}**[(١)])

أهل الكتاب هم اليهود والنصارى؛ نهاهم الله تبارك وتعالى عن الغلو في الدين؛ مجاوزة الحد في كل أمرِ شرعِ الله؛ فربنا سبحانه وتعالى ينهى عن الإفراط والتفريط؛ الإفراط: الغلو، والتفريط: التقصير، الإفراط: أن تأتي بما أوجب الله عليك في شرعه وزيادة من عندك؛ تتجاوز الحد، والتفريط: التقصير: لا تأتي بما أوجب الله عليك في شرع الله، فربنا سبحانه وتعالى ينهى عن الإفراط والتفريط، ويأمر بالاعتدال في الأمور كلها؛ وهذا موجود في كل باب من أبواب العلم؛ الإفراط والتفريط، قال موسى بن أبي عائشة - وهو أحد التابعين-: "ما أمر الله عز وجل بأمر إلا وكان للشيطان فيه نزغتان؛ إحداهما إلى إفراط، والثانية إلى تفريط، ولا يبالي بأيتهما ظفر"؛ يعني: إبليس لا يهتمّ سواء أخذ منك الإفراط أو التفريط؛ كلاهما مَكسَبٌ له؛ هذا كلام السلف رضي الله عنهم.

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم محذّراً أهل الكتاب: ({يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم}) هذا نهي لهم عن الغلو في الدين- مجاوزة الحد.

({ولا تقولوا على الله إلا الحق}) وهذا الحق الذي تعلمناه من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ؛ هذا هو الحق.

({إنما المسيح عيسى ابن مريم}) لاحظ هنا: ينبهم الله على منزلة عيسى الذي غلوتم فيه؛ تجاوزتم الحد وجعلتموه ابناً لله: {إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله} أي: ليس إلا رسولاً لله سبحانه وتعالى وليس ابناً لله ولا هو الله.

({وكلمته ألقاها إلى مريم}) كلمة: "كن"؛ فكان، {ألقاها إلى مريم}.

({وروح منه}) أي: روح من خلقه، من إيجاده، هو خلقها وأضافها إلى نفسه تشريفاً لها.

فهذا نهي من الله تبارك وتعالى لأهل الكتاب عن الغلو في الدين؛ لأن غلوّهم في عيسى عليه السلام هو الذي أدّى بهم إلى الشرك بالله تبارك وتعالى.

(١) [النساء:١٧١]

هذا الشاهد الذي يريده المؤلف رحمه الله: ما الذي جعل النصارى يشركون، يقولون في عيسى ما قالوا من أكاذيب؟

غلوّهم فيه.

والاعتدال أن تقول: هو عبدٌ ورسولٌ لله تبارك وتعالى، ليس هو ابن الله، ولا هو الله، ولا ابن زنا كما تقوله اليهود.

هذا هو حال الناس: بين إفراط وتفريط، انظروا الآن قضية عيسى عليه السلام؛ الناس فيه بين إفراط وتفريط ووسط- اعتدال-:

الإفراط: الغلو، وقع فيه النصارى؛ فقالوا: ابن الله، وبعضهم يقول: هو الله، وثالث ثلاثة.

التفريط: وقع فيه اليهود؛ قالوا هو ابن زنا - نعوذ بالله.

وأهل الاعتدال؛ هم أهل الإسلام: قالوا: هو عبدٌ لله ورسولٌ له، خلقه الله من غير أب كما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

الشاهد: أن سبب كفر النصارى هو غلوّهم في عيسى عليه السلام؛ فيجب الحذر من الغلو.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**في "الصحيح ": عن ابن عباس في قول الله تعالى: {وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً}[١]، قال: هذه أسماءُ رِجالٍ صالِحينَ مِنْ قَوْمِ نوحٍ، فلَمَّا هَلَكوا أوْحى الشيْطانُ إلى قَوْمِهِمْ: أنْ انْصُبوا إلى مَجالِسِهِمْ التي كانوا يَجْلِسونَ فيها أَنْصاباً، وسَمُّوها بأسْمائِهم، فَفَعلوا، ولَمْ تُعْبَدْ، حتى إذا هَلَكَ أولئكَ وَنُسِيَ العِلْمُ؛ عُبِدَتْ**)

قال: (في الصحيح): "صحيح البخاري"[٢].

({لا تذرن آلهتكم}): لا تتركوا آلهتكم، ما هي آلهتهم؟ آلهتهم هي: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر؛ هذه أسماؤها.

---

(١) [نوح:٢٣]

(٢) (٤٩٢٠)

يقول ابن عباس رضي الله عنه: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم، عبدت.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**وقال ابن القيم: قالَ غَيْرُ واحدٍ مِنَ السَّلَفِ: لما ماتوا عَكَفُوا على قُبورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّروا تَماثِيلَهُمْ، ثُمَّ طالَ عليهِمُ الأَمَدُ؛ فَعَبَدوهم**)

المعنى واحد؛ ابن عباس يقول : هذه الأسماء التي ذُكرت في كتاب الله هي أسماء رجال صالحين من قوم نوح: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، يقول ابن عباس بأن الناس كانوا على التوحيد سابقاً- قديماً- من أيام آدم عليه السلام فما بعده؛ حتى زمن قوم نوح عليه السلام، فماذا حصل فيهم ؟

كان فيهم رجال صالحون- هذه أسماؤهم- مات هؤلاء الرجال؛ فعظّموهم، وأوحى إليهم الشيطان- يعني وسوس لهم-: أن اجعلوا لهم تماثيل؛ صوراً؛ أنصاباً- والأنصاب: جمع نُصب: والمراد به هنا الأصنام المصوَّرة على صور أولئك الصالحين-، فجعلوا لهم هذه الأصنام، ووضعوها في ناديهم؛ يتذكرون الرجال الصالحين ويعبدون الله كما كان أولئك الرجال يعبدون الله- هكذا وسوس لهم الشيطان-؛ ففعلوا، وسمّوا هذه الأصنام بأسماء هؤلاء الرجال، ففعلوا ذلك ولم تُعبَد هذه الأصنام؛ فما زال فيهم أهل علم؛ لأن دين الله يُحفَظ بالعلماء؛ فإن الجاهل ما يدريه الحق من الباطل، والشرك من التوحيد؟ وما يعلم من أسباب الشرك، وأسباب التوحيد شيئاً حتى ينبّهه العالم ويعلمه؛ لذلك فالإمام البخاري رحمه الله عندما جاء حديث: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق"؛ قال: "وهم أهل العلم"[1]، ولا يعني بهم أيَّ علماء؛ إنما العلماء عند السلف وفي كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، الذين يأتي ذكرهم في مقام المدح: هم علماء أهل السنة العاملين بعلمهم؛ هذا المقصود بهم؛ لذلك فإن الإمام البخاري رحمه الله لما فسّر في موضع آخر من كتبه هؤلاء القوم ذكَر أهل الحديث أهل السنة.

---

(١) (١٠١/٩)

الشاهد: أن العلماء هم الطائفة المنصورة؛ لأنهم هم الذين يعرفون الحق من الباطل وهم الذين يعلّمون الناس أمر دينهم، هنا يقول ابن عباس: "ففعلوا ولم تُعبَدْ"، جعلوا هذه الأصنام في ناديهم كي يتذكروا الرجال الصالحين، ويعبدوا الله كما كانوا يعبدونه، حتى إذا هلك أولئك: هلك الجيل الذي كان موجوداً عند صناعة تلك الأصنام، قال ابن عباس: "ونُسي العلم " لاحظ كيف! حتى نعرف قيمة العلماء وقدرهم، ونحترمهم ونقدرهم ونعطيهم مقامهم الذي أعطاهم الله تبارك وتعالى؛ فالكلام في العالم والطعن فيه أمره خطير؛ ليس سهلاً؛ لذلك يُرجَع في هذه الأمور إلى العلماء أيضاً.

الشاهد: قال: "ونسي العلم" دين الله يبقى عزيزاً، يبقى قوياً ظاهراً بالعلماء؛ هذه سنة الله في خلقه؛ فالعلماء سبب لذلك، قال: "ونُسي العلم" فلما نسي العلم ما الذي حصل؟ قال: "عُبِدَت"؛ جاءهم الشيطان ووسوس لهم أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الأصنام فعبدوها.

وفيما نقله ابن القيم رحمه الله أنهم عكفوا على قبورهم، ما اكتفوا فقط بصنع الأصنام؛ بل عكفوا على قبورهم أيضاً، فالعكوف: هو المكث في ذاك المكان والاستمرار فيه عبادة وتعظيماً لهم، تعظيماً ومحبة لهم تؤدي بهم إلى عبادتهم، وهذا الذي حصل في قوم نوح هو الذي حصل في زمننا في القبور؛ تأتي تحدّث عابد القبر يقول لك: هذا رجل صالح، يعبده ويعظّمه ويسأله مسألة لا تُسأل إلا لله تبارك وتعالى، هو نفس الذي حصل مع قوم نوح تماماً، وهذا الذي حصل في هذه الأمة إنما حصل لمَّا نُسي العلم في أماكن كثيرة، وصار في الناس أشباه علماء وليسوا هم بعلماء حقيقةً؛ لأنهم لا علم لهم في مسائل التوحيد والشرك؛ هؤلاء ليسوا علماء وإن سُمُّوا كذلك، فلما حصل ذلك؛ عُبِدَت الأوثان، عبدت القبور.

الشاهد الذي يريده المؤلف من هذا: أن الغلو في الصالحين هو الذي أدى إلى الشرك بالله تبارك وتعالى؛ وهذا باقٍ إلى زمننا هذا.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (**وعن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: "لا تُطْروني كما أَطْرَتِ النَّصارى ابنَ مَرْيَمَ؛ إنَّما أنا عَبْدٌ؛ فقولوا: عَبْدُ اللهِ ورَسولُهُ" أخرجاه**)

قوله: (أخرجاه) يعني هو مخرّج في البخاري ومسلم، لكن الحديث موجود عند البخاري[1] فقط .

(عن عمر): هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، صحابي مشهور معروف.

(أن رسول الله ﷺ قال : "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ") الإطراء: هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه؛ هكذا قالوا في تعريفه، فنهى عنه النبي ﷺ فقال: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم " لأن النصارى مدحوا عيسى عليه السلام وذكروه بما ليس فيه وليس هو أهل له؛ فجعلوه إلهاً، وجعلوه ابن إلهٍ؛ هذا الإطراء هو الذي نهى عنه النبي ﷺ، وقال: لا تفعلوا بي كما فعلت النصارى بعيسى عليه السلام"، أي: لا تغلوا بي كما غلت النصارى بعيسى عليه السلام؛ هذا المقصود من هذا الحديث؛ لذلك قال:("إنما أنا عبدٌ")؛ يعني لست إلهاً ولا ابن إله؛ فقولوا ماذا ؟ ("فقولوا: عبد الله ورسوله") هو عبدٌ كبقية العباد، لا هو إله ولا ابن إله، وإنما يَفضُل على العباد بأن الله اصطفاه بالرسالة؛ فهو عبد الله ورسوله كعيسى عليه السلام: عبد الله ورسوله:

الشاهد منه: التحذير من سبب الشرك وهو الغلو؛ لذلك نهى عن الإطراء الذي فعلته النصارى.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (**قال: قال رسول الله ﷺ: "إِيَّاكُم والغلو؛ فإنما أَهْلَكَ مَنْ كان قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ"**[2])

إذاً الغلو داء مستفحل خطير؛ لذلك حذرَناه النبي ﷺ:

(" إياكم والغلو") يعني: احذروا من الغلو؛ لماذا نحذر من الغلو ؟

قال: (" فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو") فتحذرون من الغلو؛ لأنه سبب هلاك من قبلكم؛ اليهود والنصارى ومن شابههم.

---

(١) (٣٤٤٥)

(١) أخرجه أحمد(١٨٥١)، والنسائي(٣٠٥٧)، وابن ماجه(٣٠٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنه.

انظروا إلى خطورة الغلو؛ فهو كان السبب في شرك بني إسرائيل وفي شرك النصارى وغيرهم من الأمم.

"إياكم والغلو؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو" وهذا نهي وتحذير عامٌّ من الغلو، ليس فقط الغلو في هذا الباب؛ بل هو تحذير من الغلو في جميع أبواب الدين والشريعة؛ لذلك قال ابن تيمية رحمه الله[1]: "هذا عام في جميع أنواع الغلو؛ في الاعتقاد والأعمال"، ثم قال: "وسبب هذا اللفظ العام: رمي الجمار، وهو داخلٌ فيه" يعني لماذا قال النبي ﷺ هذا الذي قاله؟ قاله في رمي الجمار في الحج، وهو لا شك داخل في هذا اللفظ، لكن اللفظ جاء عامّاً، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قال: "فالغلو فيه: مثل الرمي بالحجارة الكبار ونحو ذلك؛ بناءً على أنه أبلغ من الصغار"، فالسنة في الحجارة التي تُرمى بها الجمرات أن تكون مثل حبة الحمص الكبيرة قليلاً، فيأتي شخص مثلاً ويأخذ صخرة ويرمي بها؛ بناءً على أن الحجارة الكبيرة أبلغ من الصغار؛ هذا من الغلو، فلا يجوز مثل هذا؛ لأن الشرع جاء بوصفٍ معيّن؛ فتقف عنده، ومجاوزته إلى هذه الزيادة غلوّ.

فكيف لو رأى النبي ﷺ الذي يُفعل اليوم: أحذية -أعزكم الله-، حجارة، صخور، بصاق يُصق في الجمرات؛ أنواع غريبة عجيبة، أحياناً تخطر على بالك، وأحياناً لا تخطر؛ من شدة الجهل الذي عند الناس.

الغلو هذا الذي حذّر منه النبي ﷺ، والذي جاء بالتحذير منه هذا الحديث، والقصة التي كانت سبباً لهذا الحديث تقع بين الناس وبكثرة؛ هذا خطأ، هذه عبادة- رمي الجمرات عبادة والواجب أن تقف في العبادة عند قدر ما ورد؛ لا تتجاوز الحد.

قال ابن تيمية: " ثم علل ذلك" - يعني النبي ﷺ، أي: بيّن العلة- بأن ما أهلك من قبلنا إلا الغلو في الدين، كما تراه في النصارى، وذلك يقتضي أن مجانبة هديهم مطلقاً" أي: هدي من كان قبلنا؛ يعني: مجانبة طريقة من كان قبلنا من الغلو؛ "أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا"؛

---

(٢) "اقتضاء الصراط المستقيم"(١/٣٢٩)

هلكوا بماذا؟ بالوقوع بالغلو، "وأن المشارك لهم في بعض هديهم يُخاف عليه أن يكون هالكاً"؛ كما هلكوا هم.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (ولمسلم عن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: "هَلَكَ الْمُتَنَطِّعونَ" قالها ثلاثاً[١])

المتنطع: هو المتعمّق في الشيء، واليوم الناس تسميه: متشدّد؛ هذا هو المتنطّع، متعمق؛ يتشدد في الأمور، ويتعمق فيها ويبحث عن أشياء لا علاقة له بها، ويدخل في أشياء لا ينبغي له أن يدخل فيها، ويتكلم في أشياء لا ينبغي له أن يتكلم فيها تشدداً وتعمقاً وغلواً؛ كالذي يترك الزواج لأجل التفرّغ للعبادة، وكالذي يترك أكل اللحم والخبز وما شابه؛ هذا كله تشدّد، تعمق؛ هذا معنى التَّنَطُّع.

الناس اليوم يرمون أهل الحق به؛ يقولون: أنتم متشددون؛ فقل له: وأنت مميّع، مفرّط في حقوق الله وواجباته عليك، مَن المنصف وصاحب العدل؟ أنا أم أنت؟ أنا أرميك بهذا وأنت ترميني بهذا؛ فإلى مَن نرجع؟ نرجع إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ؛ { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ }[٢]، تعال ونتحاكم إلى كتاب الله وإلى سنة الرسول ﷺ؛ عندئذ نعرف المتشدد المتنطع مِن المفرّط المقصّر، والمميّع مِن المعتدل، وستجد نفسك أنت الضائع الذي لا يعرف دينه، ويظن ما لا يوافق هواه أو لا يركب على عقله أو لم يكن في البيئة التي هو فيها؛ يظن أنه ليس بشرع ولا بدين وهو تشدد، بجهله يحكم على أصحاب العلم؛ لذلك دائماً ندندن ونقول: لا تحكم على أهل العلم بجهلك، تعلم قبل أن تتكلم، لا تبادر إلى الإنكار، إذا رأيت شيئاً أو سمعت فتوى من أحد ممن يُثنى عليه بخير؛ فلا تبادر إلى الإنكار، تعلم قبل أن تتكلم، اعرف المسألة: هل فيها قول واحد؟ أم أقوال؟ هل فيها نصوصٌ أم لا؟ هل فيها إجماعٌ أم لا؟ قبل أن تتكلم بكلمة، وربما تُنكر ما هو حق ودين وأنت لا تدري، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياكم التقوى، وأن يُجنّبنا الغلو وأن يُجنّبنا الشرك.

---

(١) (٢٦٧٠)

(١) [النساء:٥٩]

الباب التاسع عشر: باب ما جاءَ مِنَ التَّغْليظِ فيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صالحٍ؛ فَكَيْفَ إذا عَبَدَهُ؟

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (**باب ما جاءَ مِنَ التَّغْليظِ فيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صالحٍ؛ فَكَيْفَ إذا عَبَدَهُ؟**)

(باب ما جاء في التغليظ): يعني في التشديد في هذا الأمر، وعدم التسهيل والتخفيف فيه، يعني: ما جاء من أدلة تدل على التشديد في هذا الأمر.

(فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح) انظر عبدَ من؟ عَبَد الله سبحانه وتعالى، لم يعبد غيره، ما وقع في الشرك.

عبدَ اللهَ؛ لكن محل العبادة كان أين؟ عند قبر الرجل الصالح، التغليظ في فعلٍ كهذا، هو يتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى لا يتقرّب إلى غيره، لكن لمّا كان المحلّ عند قبر رجل صالح، يؤدي إلى عبادة الرجل الصالح؛ غُلّظ في هذا الأمر، وأُغلق الباب، وسُدّ الطريق على الناس؛ حتى لا يقعوا في الشرك الأكبر؛ فهذا طريقٌ للوقوع في الشرك الأكبر، تحرّي الصلاة عند قبر الرجل الصالح يؤدي إلى الشرك الأكبر؛ إلى عبادة الرجل الصالح؛ لذلك جاء التشديد في هذا الأمر؛ وهذا الذي يسمى في الشرع بسدّ الذرائع، يعني: إغلاق الطرق الموصلة إلى المحذور؛ هذا هو المراد.

المؤلف ذكر في الباب الماضي الغلو في الصالحين، وأنه سببٌ للوقوع في الشرك؛ في الكفر الأكبر، وهنا أيضاً؛ هذا مثله؛ فيه تحذير من الغلو في قبور الصالحين؛ فهو نوع من أنواع الغلو أيضاً، فجاء في الشرع ما يدل على تحريم الصلاة عند قبر رجل صالح؛ أما إذا عبد الرجل الصالح؛ فهذا شرك أكبر، الكلام هنا ليس فيمن عبده؛ إنما الباب جاء في التغليظ أو التشديد في عبادة الله- لا عبادة غيره- عند قبر الرجل الصالح، فإذا كان التشديد قد جاء في هذا؛ فما بالك بشخص قد عبد الرجل الصالح أصلاً؟ هذا أعظم شراً؛ لأن العبادة عند قبر الرجل الصالح هو أصلاً قد شُدّد فيه من أجل ألّا يوقع في عبادة الرجل الصالح، فإذا عبد الرجل الصالح؛ فقد وقع في المحذور الأعظم، الرجل الصالح عبادته شرك أكبر؛ لأنك جعلته ندّاً لله.

وعبادة الله عنده وسيلة إلى عبادته، يعني وسيلة توصلك إلى عبادة الرجل الصالح، ووسائل الشرك محرّمة؛ لأنها تؤدي إلى الشرك الأكبر، وهو أعظم الذنوب.

هذه خلاصة موضوع بابنا.

سيبدأ المؤلف الآن بِذِكْرِ الأدلة التي دَلَّتْ على تغليظ عبادة الله عند قبر رجلٍ صالح.
الدليل الأول:

قال المؤلف رحمه الله: (**في "الصحيح: عن عائشة: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لرسولِ الله ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْها بِأَرْضِ الحَبَشَةِ وما فيها مِنَ الصُّوَرِ، فقال: "أُولئِكَ إذا ماتَ فيهم الرَّجُلُ الصَّالِحُ- أو العَبْدُ الصَّالِحُ - بَنوا على قَبْرِهِ مَسْجِداً، وصَوَّروا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ؛ أُولئِكَ شِرارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ"، فَهؤلاءِ جَمَعوا بين الفِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةِ القُبورِ، وفِتْنَةِ التَّماثِيلِ**)

(في الصحيح) الحديث موجود في الصحيحين[١].

(عن عائشة) أم المؤمنين؛ عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما، مات النبي ﷺ وهي ما زالت صغيرة في السن- تقريباً في الثامنة عشر من عمرها- رضي الله عنها وأرضاها، وهي زوجته في الدنيا وفي الآخرة؛ كما صحّ بذلك الحديث.

(أن أم سلمة) أم سلمة هذه هي هند بنت أبي أمية المخزومية القرشية، وهي زوج أبي سلمة، هاجرت هي وزوجها الهجرة الأولى إلى الحبشة، والهجرة الثانية إلى المدينة، في بداية الأمر كانت الهجرة الأولى؛ هاجر بعض المسلمين إلى الحبشة، وكانت أم سلمة وزوجها من ضمنهم- والحبشة الآن: أثيوبيا وبعض الدول التي حولها- ثم بعد ذلك رجعوا وهاجروا إلى المدينة، ومات أبو سلمة وتزوجها النبي ﷺ، فهي إحدى زوجات النبي ﷺ.

(ذكرت للنبي ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة) الكنيسة للنصارى كالمسجد للمسلمين: محل العبادة للنصارى؛ يجتمعون فيها يوم الأحد لعبادتهم، واليهود عندهم معابد، وعند المسلمين مساجد.

فذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، لما هاجرت إليها.

(وما فيها من الصور) وهي صور الصالحين التي سبق ذكرها، هذا عمل أهل الشرك؛ اتخذوا هذه الأسباب التي أدت بهم إلى الشرك فكانت وسيلة، تصوير الصور هذه وصناعة التماثيل؛ كانت وسيلة إلى عبادتها، فكما ورد في الباب السابق: أن أول ما بدأ قوم نوح: بدؤوا بعبادة الصالحين؛

(١) أخرجه البخاري(٤٣٤)، ومسلم(٥٢٨)

صنعوا لهم تماثيلاً، ثم أدى بهم هذا بعد ذلك إلى عبادة تلك التماثيل، ومن ها هنا أمر النبي ﷺ بتحطيم التماثيل، وعدم إقرارها عندما أرسل علياً رضي الله عنه؛ فقال له: " أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ "[1]، وفي رواية: "ولا صورة إلا طمستها"[2]؛ لماذا؟ لأن رفع القبور وتصوير الصور ذريعة إلى الشرك؛ وسيلة، كهذه الذريعة التي معنا وهي عبادة الله عند قبر رجل صالح، هذه الذرائع كلها قد أغلقها الشارع وحرّمها؛ لأنها توصل إلى المحذور الأكبر وهو الشرك الأكبر.

(فقال: "أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح") شك الراوي: أقال: الرجل الصالح أو: العبد الصالح؟ ولا فرق من حيث المعنى المراد.

("بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور") ماذا فعلوا؟ "بنوا على قبره مسجداً"؛ فصاروا يصلّون عند قبره أو على قبره، جمعوا بين شرّين ووسيلتين من وسائل الشرك العظيمة:

الأولى: بناء المساجد على القبور.

والثانية: تصوير الصور؛ يعني: صناعة التماثيل.

("أولئك شرار الخلق عند الله") هكذا وصفهم نبينا ﷺ؛ شرار الخلق؛ يعني: أشر الخلق عند الله تبارك وتعالى، كان لهم دورٌ عظيم في الشرك بالله تبارك وتعالى ونشر الشرك بين الناس، سبحان الله! بعض الناس يستحْلُون مخالفة شرع الله ويتلذّذون بالكفر وبوسائله، هذه أحاديث صريحة واضحة في تحريم البناء على القبور؛ بناء المساجد على القبور، وفي تحريم صناعة التماثيل، وتصوير الصور وتعظيمها؛ ومع ذلك تجدهم يصنعون ذلك ويعظّمونها ويعبدونها مع الله تبارك وتعالى، ويصلّون في تلك المساجد ويبرّرون لأنفسهم بأنواع من المبرّرات، قد تمكّن الشرك من قلوبهم - نعوذ بالله – {وأُشربوا في قلوبهم العجل}[3] بماذا؟ بكفرهم، الإنسان عندما يقع في الشرك ولا يبالي بشرع الله سبحانه وتعالى وبأحكامه؛ تُقذَف محبة الشرك في قلبه - نعوذ بالله-، لا يستغني عنه ولا يتركه؛ وهؤلاء قد وجدوا وانتشروا بكثرة في مجتمعاتنا اليوم وفي السابق- منذ زمن- ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خرجت لمحاربة مثل هذه الأمور التي انتشرت بكثرة في

---

(١) أخرجه مسلم(٩٦٩) عن علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجها النسائي(٢٠٣١) بلفظ: "ولا صورة في بيت إلا طمستها"

(٣) [البقرة:٩٣]

زمنه، وأرسله الله سبحانه وتعالى مُجَدِّداً لهذا الدين؛ على رأس كل مائة سنة يرسل الله لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها؛ فتجد لهؤلاء المجددين أثراً عظيماً في أمة محمد ﷺ، انظر إلى الأئمة الأربعة في زمننا هذا: ابن باز والألباني والعثيمين وشيخنا مقبل؛ تجد لهم أثراً عظيماً، وكانوا على رأس المائة- رحمهم الله-، انظر إلى الحال قبل مجيئهم وإليه بعد ظهورهم؛ ستجد الفرق واضحاً جداً، ستجد وتلتمس الخير الذي نشره الله سبحانه وتعالى على أيديهم؛ فنشروا التوحيد ونشروا السنة في هذا الزمن، جزاهم الله عنا خيراً.

"أولئك شرار الخلق عند الله"؛ هذا هو الشاهد: أن من يفعل ذلك هو من شرار الخلق عند الله تبارك وتعالى.

البناء على القبور هو شاهدنا الذي بوّب المؤلف رحمه الله بابه لأجله: عبادة الله عندها؛ فجاء التشديد في ذلك؛ فما بالك لو أن الشخص عبَد صاحب القبر كما يحصل اليوم من عُبّاد القبور؟ يصلون لها، يركعون، يسجدون، يخضعون، يتذلّلون بين يدي صاحب القبر، يذبحون له، أنواع النذور تُصرَف له، يستغيثون به، يسألونه الولد، يسألونه الرزق، يسألونه رفع الضرّ وجلب النفع ويعتقدون فيه؛ هذا كلّه نحن نفعله لله، وهم يفعلونه لأوليائهم؛ هذا معنى الشرك.

قال: (فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل) فتنة القبور، وفتنة التماثيل؛ أعظم الفتن التي توصل إلى عبادة غير الله تبارك وتعالى؛ وهذا الكلام من كلام ابن تيمية رحمه الله؛ قال: "فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور وفتنة التماثيل"، من هم؟ هم النصارى، قال النبي ﷺ: " لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ"، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: "فَمَنْ"[(١)]؛ وهذا ما حصل؛ تجد اليوم بين المسلمين التماثيل والصور المُعظّمة، وتجد القبور في المساجد. والله المستعان.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (**ولهما عنها- أي: عن عائشة-؛ قالت: "لما نُزِلَ بِرَسولِ اللهِ ﷺ؛ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ على وَجْهِهِ، فإذا اغْتَمَّ بِها كَشَفَها؛ فقال - وهو كذلك -: "لَعَنَ اللهُ اليهودَ**

---

(١) أخرجه البخاري(٣٤٥٦)، ومسلم(٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

والنَّصارى؛ اتَّخَذوا قُبورَ أَنْبيائِهِمْ مَساجِدَ"؛ يُحَذِّرُ ما صَنَعوا، ولولا ذلك أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِداً " أخرجاه)

(لهما) أي: للبخاري ومسلم.

(عنها): أي عن عائشة رضي الله تعالى عنها.

(قالت: لما نُزل برسول الله ﷺ): يعني لما نَزل به الموت.

(طفق يطرح خميصةً له على وجهه) طفق: يعني جعل؛ جعل يضع خميصة، والخميصة: كساء له خطوط، فجعل يضعه على وجهه.

(فإذا اغتم بها كشفها) يعني: إذا اختنق بسبب وجودها على وجهه؛ أزالها عن وجهه.

(فقال وهو كذلك) على هذه الحال.

(لَعَنَ الله اليهود والنصارى) اللعن: يعني الطرد من رحمة الله، طردهم الله سبحانه وتعالى من رحمته؛ لماذا؟

قال: ("اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد") هذا ما يدلّ عليه الحديث؛ لماذا؟ لإغلاق وسيلة الشرك؛ كي لا يُعظَّم أصحاب القبور، حتى يُعبَدوا مع الله سبحانه وتعالى؛ وهذا الشاهد من الحديث: "اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد".

تقول عائشة رضي الله عنها: ("يحذّر ما صنعوا") يعني لم يقل هذا ليحكي لنا قصة أو يروي لنا رواية يسلينا بها؛ لا؛ إنما ذكر لنا ذلك كي نتّعظ ونعتبر، وهذا تتعظون وتعتبرون به حتى في القرآن؛ الله سبحانه وتعالى يذكر لنا القصص في القرآن واليهود فعلوا والنصارى فعلوا والأقوام الذين قبل فعلوا وفعل الله بهم كذا وكذا، هذا ليس للتسلية؛ إنما يقوله الله سبحانه وتعالى لنا كي نعتبر ونتعظ؛ لذلك يذكر في آخر كثير من الآيات:{لعلكم تتقون}،{في ذلك موعظة للمتقين} وهكذا؛ يعني: انتبهوا: هذه القصص ليست للتسلية؛ بل هي موعظة وعبرة لكم؛ فاحذروا أن تفعلوا كفعلهم فتهلكوا كما هلكوا، والواجب عليكم أنّ تطيعوا الله، وأن تتقوه، وأن تبتعدوا عما وقعوا فيه من ضلال، فعندما تُذكَر لنا أخبار الأوّلين نركّز على هذا: لماذا يذكر الله لنا ذلك؟ كي نحذر ما وقعوا فيه من ضلال؛ فنجتنبه، وما فعلوه من طاعة؛ لنفعله إذا لم يُخالف شرع الله سبحانه وتعالى؛ إذا لم يأتِ شرعنا بما ينسخه.

قالت عائشة رضي الله عنها: "يحذّر ما صنعوا" لذلك ذكر لنا هذا؛ يعني: إياكم من بناء المساجد على القبور.

كأن النبي ﷺ لم يحذّر ولم يتكلم ولا فعل شيئاً، ذهبنا وبنينا المساجد على القبور وصلينا فيها، وعبدنا القبور مع الله سبحانه وتعالى!

قالت رضي الله عنها: (ولولا ذلك أُبرز قبره) يعني: لولا الخوف من أن يتخذ الناس قبره مسجداً؛ لجعل قبره مع المسلمين في مقبرة البقيع، ولكن جُعِل قبره في بيته؛ لاجتناب الغلو فيه.

(غير أنه خشي أن يُتّخذ مسجداً) يعني أن يبنوا عليه مسجداً كما فعل اليهود والنصارى مع أنبيائهم.

(أخرجاه) في الصحيحين.

ثم قال رحمه الله: (**ولمسلم[1] عن جُنْدُبِ بنِ عبد الله؛ قال: سمعت النبي ﷺ قَبْلَ أَنْ يَموتَ بِخَمْسٍ، وهو يقول: "إنِّي أَبْرَأُ إلى اللهِ أَنْ يَكونَ لي مِنْكُمْ خَليلٌ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدِ اتَّخَذَني خَليلاً، كَمَا اتَّخَذَ إبراهيمَ خليلاً، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتي خَليلاً؛ لاتَّخَذْتُ أبا بكرٍ خَليلاً، ألا وإِنَّ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ كانوا يَتَّخذونَ قُبُورَ أَنْبيائِهِمْ مَساجِدَ، ألا فلا تَتَّخِذوا القُبورَ مَساجِدَ؛ فإِنِّي أَنْهاكُمْ عَنْ ذلك". فقدْ نَهى عنه في آخرِ حَياتِهِ، ثُمَّ إنَّهُ لَعَنَ- وهو في السِّياقِ- مَنْ فَعَلَهُ، والصَّلاةُ عِنْدَها مِنْ ذلكَ، وإنْ لم يُبْنَ مَسْجِدٌ، وهو معنى قَوْلِها: خَشي أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدَاً؛ فإِنَّ الصَّحابَةَ لَمْ يكونوا ليبْنوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدَاً، وكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتْ الصَّلاةُ فيهِ؛ فَقَدِ اتُّخِذَ مَسْجِداً؛ بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فيهِ؛ يُسَمَّى مَسْجِدَاً، كما قال ﷺ: "جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدَاً وطَهُورَاً"**)

(جندب بن عبد الله) هو البَجلي رضي الله تعالى عنه؛ أحد الصحابة الكرام.

(سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمسٍ) الظاهر أنها خمسة أيام؛ لأن تحذيره من البناء على القبور كان في آخر حياته كما جاء عن عائشة؛ فركّز تلك المدة على ذلك.

("إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل") البراءة: المقصود بها هنا نفي الشيء والابتعاد عنه؛ أي: أبتعد عن ذلك وأجتنبه، والخُلّة: هي أعلى درجات المحبّة، والمحبّة أنزل منها؛ فلا يصح أن يكون الله سبحانه وتعالى خليله، وأن يكون أحدٌ من البشر كذلك؛ فتبرّأ النبي ﷺ من ذلك.

---

(١) (٥٣٢)

("فإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً ") هنيئاً له عليه الصلاة والسلام، هذه نعمة وفضيلة عظيمة من الله سبحانه وتعالى امتنّ بها عليه وعلى إبراهيم؛ فالله سبحانه وتعالى ما اتخذ أحداً خليلاً إلا إبراهيم عليه السلام ومحمداً ﷺ، بقية الأنبياء يحبهم؛ لكن إبراهيم ومحمد ﷺ لهم مكانة خاصة؛ لهم الخُلّة.

("ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً ")" لو كان هذا يصلح؛ ("لاتخذت أبا بكرٍ خليلاً ") هذه من أعظم مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وليخسأ أعداؤه؛ هذه درجته، لو كان النبي ﷺ متخذاً خليلاً لاتخذ أبا بكرٍ خليلاً.

("ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد") هذا هو الشاهد؛ فقد ذكر المؤلف هذا الحديث هنا لأجل هذا، ينبّه النبي ﷺ: لا تفعلوا كفعلهم: "من كان قبلكم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد"؛ هذا كلام صريح.

("فإني أنهاكم عن ذلك") إذاً لا تصحّ الصلاة في مقبرة؛ لأن النبي ﷺ قد نهى عنها.

لماذا ؟

كي لا توصل إلى عبادة صاحب القبر؛ هذا هو الصحيح في العلة؛ علة النهي عن الصلاة في القبور.

(فقد نهى عنه في آخر حياته) كما جاء في حديث جندب أنه سمع هذا من النبي ﷺ قبل خمسٍ، وفي حديث عائشة: لمّا نُزِل به- يعني نزل به ملك الموت.

وهذا الكلام الآن الذي سيسوقه المؤلف كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

قال: (ثم إنه لُعن وهو في السياق) في سياق الموت كما في حديث عائشة الذي سبق؛ فقال: "لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد".

(والصلاة عندها من ذلك) الصلاة عند ماذا ؟ الصلاة عند القبور.

(وإن لم يُبنَ مسجدٌ) يعني ليست القضية متوقفة على بناء المسجد فقط؛ لا؛ حتى لو ذهبت وصليت عند القبر وإن لم تَبنِ مسجداً؛ فأنت داخل في النهي.

(وهو معنى قولها: خشي أن يُتّخذ مسجداً) يعني أن يُصلّى عندها؛ عند القبور.

(فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً) لأنهم يعلمون نهي النبي ﷺ وهم أشد الناس امتثالاً لأمره، إذ ذاك: بناء المساجد على القبور ما تجده في القرون الأولى أبداً، التي كان التوحيد فيها قائماً، والسنة قوية، وأهل السنة قادرين على إنكار المنكر، وعلى فعل ما يجوز والنهي عما لا يجوز؛ لا تجده في القرون الثلاثة الأولى؛ إنما تجده بعد ذلك، لما انتشرت البدع والضلالات وأهل الانحراف.

(وكل موضع قُصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً) يعني لا يذهب ذهنك فقط إلى بناء مسجد على القبر؛ لا؛ هذا نعم داخل في النهي، لكن أيضاً: حتى تعمُّد الصلاة في ذاك المكان هو اتخاذ لها مسجد؛ كيف؟

قال: (بل كل موضع يُصلى فيه يسمى مسجداً) من هنا جاء كلامه

وما الدليل؟

قال:(كما قال ﷺ: "جُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً"[1]) إذاً الأرض كلها مسجد، فأي مكان تصلي فيه؛ فهو مسجد، إذاً لا يجوز لك أن تصلي عند القبر ولا إلى القبر ولا على القبر؛ هذا كله قد جاء فيه النهي؛ لأنه يؤدي إلى المحذور.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (**ولأحمد**[2] **بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعاً: "إنَّ مِنْ شِرارِ النَّاسِ: مَنْ تُدْرِكُهُم السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْياءٌ، والذينَ يَتَّخِذونَ القُبورَ مَساجِدَ". رواه أبو حاتم ابن حبان في "صحيحه "**[3])

الشاهد منه قوله: ("والذين يتخذون القبور مساجد")؛ فجعلَهم من شرار الناس وقد تقدّم معناه.

قوله هنا: ("إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء") جاء في الحديث: أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق[4]؛ وذلك لأنه في آخر الزمان وبعد أن يظهر عيسى عليه السلام ويظهر المهدي ويظهر الدجال ويأجوج ومأجوج وكل هذه الأمور، وعلامات الساعة، تأتي ريح طيبة- كما

---

(١) أخرجه البخاري(٤٣٨)، ومسلم(٥٢١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) (٣٨٤٤)، وعلقه البخاري في صحيحه(٧٠٦٧)

(٣) (٦٨٤٧)

(٤) أخرجه مسلم(١٩٢٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

جاء في الحديث- فتأخذ نفس كل مؤمن فلا يبقى على ظهرها إلا شرار الخلق؛ هؤلاء هم شرار الخلق: الذين تدركهم الساعة وهم أحياء؛ يعني تقوم الساعة وهم موجودون.

وأيضاً من شرار الخلق: الذين يتخذون القبور مساجد؛ لماذا؟

لأنهم قد فتحوا الباب للشرك الأكبر الأعظم، فتحوا الباب لعبادة غير الله تبارك وتعالى؛ هذا الأمر الذي نهى عنه النبي ﷺ وحذّر منه في أحاديث كثيرة، ومع ذلك: تركوا أوامر النبي ﷺ ونواهيه وذهبوا وفعلوا ما يحلوا لهم. نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لطاعته.

الباب العشرون: باب ما جاءَ أنَ الغُلُوَّ في قُبورِ الصَّالِحينَ يُصَيِّرُها أَوْثاناً تُعْبَدُ مِنْ دونِ الله

قال المؤلف رحمه الله: (**باب ما جاءَ أنَ الغُلُوَّ في قُبورِ الصَّالِحينَ يُصَيِّرُها أَوْثاناً تُعْبَدُ مِنْ دونِ الله**)

يعني مجاوزة الحد في قبور الصالحين وتعظيمها؛ يؤدي ذلك إلى أن تصير هذه القبور أوثاناً تعبد من دون الله.

والوثن: هو ما عُبد من دون الله؛ سواء كانت له صورة أو ليست له صورة.

(يصيرها أوثاناً تُعبد من دون الله) مجاوزة الحدِّ في تعظيم الشيء؛ يؤدي إلى ذلك؛ وهذا معنى الذي تقدّم معنا في الغلو.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**روى مالك في "الموطأ"[1]: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: "اللهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْري وَثَناً يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ على قَوْمٍ اتَّخَذوا قُبورَ أَنْبيائِهِمْ مَسَاجِدَ"**)

(مالك) بن أنس: إمام دار الهجرة، الإمام المعروف صاحب المذهب المالكي.

(الموطأ) في كتابه الموطأ؛ والموطأ: المسهَّل؛ وهو من الكتب النفيسة.

("اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبَد") دعاء من النبي ﷺ؛ دعا به ربه أن يحفظ قبره من الغلو فيه حتى لا يُعبد؛ والحمد لله قد استجاب الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ.

("اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد") لما غلوا في قبور أنبيائهم؛ اتخذوا عليها المساجد وعبدوا أنبياءهم وعبدوا صالحيهم، فغلوا في الأنبياء والصالحين حتى عبدوهم مع الله تبارك وتعالى؛ وهذا الشاهد الذي يريده المؤلف رحمه الله.

---

(١) (٢/٢٤٠) مرسلاً من رواية عطاء بن يسار عن النبي ﷺ ، وأخرجه أحمد في "مسنده" (٧٣٥٨) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ

قال المؤلف رحمه الله: (**ولابن جرير**[1] **بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَى}**[2] **قال: كان يَلُتُّ لَهُم السَّوِيقَ، فَمَاتَ؛ فَعَكَفُوا على قَبْرِهِ"، وكذا قالَ أبو الجوزاء عن ابن عباس: "كانَ يَلُتُّ السَّويقَ للحاجِّ"**[3])

تقدمت الآية وتقدم شرحها لكن الشاهد هنا: أن غلوّهم في هذا الرجل لأجل ما كان يفعله من خير؛ أدى بهم إلى عبادة قبره؛ فصار قبره وثناً يُعبد لأجل الغلو فيه؛ هذا الشاهد الذي يريده.

قال: (وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج) يعني هذا الرجل كان يلت السويق للحاجّ؛ يصنع للحُجاج طعاماً؛ فعظُم في نفوس الناس، فلما مات؛ اتخَذوا قبره مسجداً وعكفوا عنده.

قال المؤلف رحمه الله: (**وعن ابن عباس؛ قال: "لَعَنَ رسولُ الله ﷺ زائِراتِ القُبورِ، والمُتَّخِذينَ عليها المَساجِدَ والسُّرُجَ" روا أهل السنن**[4])

هذا من الغلو؛ من الغلو في القبور الذي أدّى إلى الشرك بها وعبادتها، البناء على المساجد، اتخاذ السرُج، تزيينها، زخرفتها؛ كل هذا نهى عنه النبي ﷺ؛ لأن هذا من الغلو فيها، الذي أدى بالناس إلى عبادتها؛ لذلك قال عليه الصلاة والسلام: "لا تدعنّ قبراً مُشرفاً إلا سوّيته"[5]، فمن الغلو فيها: البناء عليها وتزيينها وإضاءتها بالسُرُج؛ وهذا المقصود من قوله: "المتخذين عليها المساجد والسرج"، والسراج يعني المصباح؛ تُضاء، ومساجد؛ يصلون فيها أو عندها؛ هذا كله من الغلو فيها الذي أدى إلى عبادتها مع الله تبارك وتعالى.

---

(١) "تفسير الطبري" (٥٢٣/٢٢)

(٢) [النجم:١٩]

(٣) "تفسير الطبري" (٥٢٣/٢٢)، وأخرجه البخاري(٤٨٥٩) موقوفاً بلفظ: "كان اللات رجلاً يلت سويق الحاج"

(٤) أخرجه أبو داود(٣٢٣٦)، الترمذي(٣٢٠)، والنسائي(٢٠٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم(٩٦٩) عن علي رضي الله عنه.

لكن هذا الحديث بهذا اللفظ ضعيف[1]؛ "زائرات القبور"، وصوابه في زيارة القبور: "زوّارات القبور"[2]؛ هذا اللفظ الذي صحّ، والنهي عن اتخاذها مساجد؛ قد مرّ معنا في أحاديث كثيرة، وتنويرها قربةً لأصحابها: شرك.

(١) في إسناده: أبو صالح باذام مولى أم هانئ،

(٢) جاء من حديث أبي هريرة وحسان بن ثابت ورواية عن ابن عباس، أما حديث أبي هريرة ففيه: عمر بن أبي سلمة ، وأما حديث حسان بن ثابت فلم يرويه إلا عبد الرحمن بن بهمان عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه، وعبد الرحمن بن بهمان مجهول العين، وأما حديث بن عباس فقد رواه عنه أبو صالح مولى أم هانئ مرة بلفظ: "زائرات"، ومرة بلفظ: "زوارات"، كذلك جاء في "مصنف عبد الرزاق"(٦٧٠٤) عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ: "زوارات"

الباب الحادي والعشرون: بابُ ما جاءَ في حِمايَةِ المُصْطَفى ﷺ جَنابَ التَّوْحيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَريقٍ يُوْصِلُ إلى الشِّرْكِ

قال المؤلف رحمه الله: **(باب: ما جاءَ في حِمايَةِ المُصطفى ﷺ جَنابَ التَّوْحيدِ وسَدِّهِ كُلَّ طَريقٍ يُوْصِلُ إلى الشِّرْكِ)**

(ما جاء من أدلة تدل على حماية المصطفى) المصطفى: هو النبي ﷺ، ومعنى المصطفى: المُختار الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لتبليغ رسالته.

(جناب التوحيد) أي: جانب التوحيد؛ يعني: عندما يُغلق السبل التي توصل إلى الشرك؛ يكون قد حفظ جانب التوحيد حتى لا يحصل الخلل فيه.

(وسدّه كل طريق يوصل إلى الشرك) يعني : تحريم الوسائل التي توصل إلى الشرك؛ كتحريم الصلاة عند القبور، وتحريم الذبح في مكان كان يُذبح فيه لغير الله وما شابه، وهذه الأمور قد تقدمت معنا، وهنا المؤلف يزيدها بياناً وإيضاحاً؛ لأن هذا أمرٌ عظيم، والتهاون في الوسائل التي توصل إلى الشرك؛ يؤدي بالناس إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى، وهذا ما حصل، تهاوَنَ الناس في البناء على القبور، تهاونوا في الذبح عند القبور، في الدعاء عند القبور؛ حتى أدى بهم الأمر إلى عبادة القبور؛ هذا الذي حصل، وقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة عند القبور، وعن الذبح عندها من أجل إغلاق هذه الوسائل، لكن الناس تركت هذه النواهي التي نُهينا عنها؛ لذلك وقعوا في الشرك؛ فهذا الذي يريد أن يبيّنه المؤلف هنا: أن النبي ﷺ قد سد الطرق التي توصل إلى الشرك؛ خشيةً على الناس أن يقعوا في الشرك، وهذا الباب- كما ذكرنا -كالتوضيح للأبواب التي سبقت، والأدلة التي سبقت كثير منها يدل على هذا الأمر؛ كتحريم البناء على القبور، وتحريم الصلاة عند القبر أو عليه، وكذلك تحريم الذبح في محلٍ يُذبح فيه لغير الله؛ هذه كلها من سد الذرائع التي توصل إلى الشرك.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وقول الله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}[1])**

({لقد جاءكم رسول من أنفسكم}) الرسول كما تقدم معنا: هو من بعثه الله سبحانه وتعالى برسالة ليبلغها للناس؛ بُعث للناس بشريعة يبينها لهم؛ فهو من أوحي إليه بشرعٍ وأُمِر بتبليغه.

{من أنفسكم} يعني منكم؛ هو من العرب، أصله معروف، قبيلته معروفة، لسانه عربي، هو معروف بينهم بالصدق والصفات الكريمة.

({عزيز عليه ما عنتّم}) {ما عنتّم} أي: ما يشقّ عليكم؛ يشق عليه ويكون عزيزاً عليه؛ يعني: شاقاً عليه؛ فلا يحب لكم المشقة، لا يحب أن تلحق بكم المشقة، وأيُّ أمرٍ فيه مشقة يحاول أن يدفعه عنكم، كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة"، وكما جاء أيضاً في فرض الصلاة عندما أُسريَ به إلى السماء؛ فأول ما فرضت الصلاة: خمسين صلاة، وكان ينزل إلى موسى وموسى يقول له أن يرجع إلى ربه ويطلب التخفيف حتى وصلت إلى خمس صلوات؛ هذا من شفقته على أمته ﷺ وحرصه على هدايتهم.

({حريص عليكم}) يعني يحرص عليكم، يحرص على هدايتكم وعلى طاعتكم لربكم، ويخاف عليكم من الوقوع في الشرك، والوقوع فيما لا يرضي الله سبحانه وتعالى؛ هذه صفة محمد ﷺ الذي أرسله الله تبارك وتعالى إلينا، وهذا من نعمة الله علينا؛ هذه نعمة من الله سبحانه وتعالى علينا تحتاج منّا إلى شكر، فلو أنه أرسل إلينا نبيّاً فظاً غليظاً لا يبالي بنا ولا يهتم بما يشق علينا؛ لكان في ذلك علينا تبعات عظيمة، لكن من رحمة الله تبارك وتعالى وفضله ومنّه علينا أن أرسل إلينا نبيّاً بهذه الأوصاف.

وهذه الصفات تقتضي محبة النبي ﷺ وتعظيمه التعظيم الذي يليق به.

({بالمؤمنين رؤوف رحيم}): هذه صفته مع المؤمنين: {رؤوف رحيم}؛ وهذا خاص بالمؤمنين وليس بالكافرين.

---

(١) [التوبة:١٢٨]

والرأفة: هي شدة الشفقة؛ فهو يشفق عليهم جدّاً، والرحيم: عظيم الرحمة؛ هذا مع المؤمنين، أما مع الكفار؛ فـ: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}(١)؛ هذا وصفهم، فمع المؤمنين شيء ومع الكفّار شيء آخر.

مهم جداً أن نفهم ما يجب علينا ناحية الكفار، اليوم قد حصل خلط شديد عند الناس؛ البعض يدعو إلى قتلهم بدون أي تفصيلات، والبعض الآخر يقابلهم؛ فيدعو إلى المحبة وإلى الإلف فيما بيننا وبينهم وإسقاط عقيدة الولاء والبراء، ويحارب الكراهية- هكذا يزعمون- الكراهية مِن ديننا ومن شرعنا، من أحب فليحبّ ومن كره فليكره؛ فمن أصول ديننا الكراهية، الولاء والبراء، الحب في الله والبغض في الله؛ وهي أوثق عرى الإيمان، قال رسول الله ﷺ: "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله"(٢)، والكفار ليس لهم عندنا إلا البغض؛ هؤلاء مجرمون مع الله سبحانه وتعالى، ظالمون لأنفسهم، يشتمون الله سبحانه وتعالى ليل نهار، يحاربون ربنا تبارك وتعالى ليل نهار؛ هل بعد ذلك تريد منا أن نحبهم؟ كيف؟ أنت عندما تحب إنساناً وتجد شخصاً يؤذيه؛ تغار عليه وتنصره وتبغض من يعاديه، هذا في البشر، والأصل في المؤمن أن تكون محبته لله وبغضه لله وفي الله، إذا كنت حقيقة تحب الله سبحانه وتعالى؛ فأنت تحب من يحب الله وتبغض من يبغض الله سبحانه وتعالى، وهؤلاء يشتمون الله سبحانه وتعالى، يسبّونه، يكفرون به ليل نهار؛ فكيف تريد مني أن أحبهم؟ عندما تموت عقيدة الإسلام في نفسك؛ فإنك عندئذٍ تحبهم ولا تبالي بهذه القضايا؛ أن يقول: الله ثالث ثلاثة، وعيسى ابن الله، أو ما شابه؛ لن تهتم؛ وهذا تكذيب لله سبحانه وتعالى؛ يقول الله: ليس له ولد؛ وهم يقولون له ولد، ويشتمونه؛ كما قال تبارك وتعالى: "يشتمني ابن آدم"، "يكذّبني ابن آدم"؛ كيف ترضى بهذا؟ عقيدتنا عقيدة الولاء والبراء، لكن بغضهم شيء ومعاملتهم شيء آخر؛ الكفار عندنا أصناف، وكل صنف له معاملة تخصّه، ومحلّ هذا كتب الفقه.

الشاهد من هذه الآية؛ أي: لماذا ذكرها المؤلف؟

---

(١) [الفتح:٢٩]

(٢) أخرجه أحمد (١٨٥٢٤) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

كأنه يقول: إذا كان الرسول ﷺ متّصفاً بهذه الصفات التي هي أنه عربي، يتكلم بلساننا، ونفهم لغته، وأنه يشقّ عليه ما يشقّ علينا، وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم؛ يتصف بكل هذه الصفات؛ فهل يليق بمن هذه صفاته أن يترك الأمة تقع في الشرك الذي يبعدها عن الله، ويسبب لها دخول النار، ولا يبيّن لهم ولا يوضّح، ولا يغلق السبل التي توصلهم إلى الشرك؟

لا يمكن ذلك، رسول موصوف بهذه الصفات: لا بد أن يبين لهم الشرك ويحذّرهم منه، ويحذّرهم من الوسائل التي توصلهم إليه؛ هذا الذي يريده المؤلف من ذكر هذه الآية في هذا الموطن.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تَجْعَلوا بُيُوتَكُمْ قُبوراً، ولا تَجْعَلوا قَبْري عِيداً، وصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُني حَيْثُ كُنْتُمْ" رواه أبو داود بإسناد حسن، رواته ثقات)**

(لا تجعلوا بيوتكم قبوراً) هذا نهيٌ عن ترك الصلاة والذكر وقراءة القرآن والدعاء في البيت؛ فينبغي على المسلم أن ينوّر بيته بفعل هذه الأمور فيها؛ عبادة الله سبحانه وتعالى وطاعته في بيتك، ولا تجعل بيتك كالقبر.

لماذا شبّهه بالقبر؟

لأن القبور لا يُصلّى فيها، ولا يُقرأ القرآن فيها، ولا يُذكر الله سبحانه وتعالى فيها، ولا يذهب المرء إليها يدعو لنفسه فيها؛ القبور ليست محلاً لهذه العبادات والطاعات؛ إنما محل الطاعات: المسجد والبيت وفي أي مكان لم يَنهَ الله سبحانه وتعالى عن الصلاة فيه.

وقوله: " لا تجعلوا بيوتكم قبوراً" كالحاصل اليوم من كثير من الناس؛ كثير من الناس تدخل بعض البيوت عندهم؛ تجدهم لا يصلون فيها، لا يقرؤون القرآن، لا يذكرون الله، لا يدعون الله في بيوتهم؛ هذا ليس بيتاً؛ هذا خراب، هذا قبر، يصلح هذا البيت أن يُسمى مقبرة وليس بيتاً، الله سبحانه وتعالى يبارك في البيت الذي يكون فيه ذكره سبحانه وتعالى.

لماذا تسلطت الشياطين على كثير من الإنس في زمننا هذا بالذات؟

لبعد الناس عن دينهم؛ الكثير من المسّ يحصل بين الناس اليوم؛ تسمع به بشكل ما كان على عهد السلف رضي الله عنهم، وما كانوا يَشْكون من هذا الأمر بهذه الصورة الموجودة عليها؛ لأننا اتخذنا بيوتنا قبوراً.

قال: (ولا تجعلوا قبري عيداً) وهذا الشاهد؛ لذلك ذكره المؤلف هنا.

ما معنى العيد؟

قالوا: العيد هو اسمٌ لما يعود من الاجتماع العام على وجهٍ مُعتاد؛ مأخوذ من العَود، يعود؛ يجتمعون فيه في كل عام مرة، أو في كل شهر مرة، أو في كل أسبوعٍ مرة، الجمعة مثلاً عيدٌ لنا؛ يومٌ نجتمع فيه في كل أسبوع، عيد الفطر عيدٌ لنا، عيد الأضحى عيد لنا؛ نجتمع فيه في كل سنة.

والأعياد قسمان: أعيادٌ زمانية، وأعياد مكانية.

الأعياد الزمانية: التي تتعلق بالزمن؛ بالوقت، كعيد الفطر وعيد الأضحى والجمعة؛ هذه أعياد زمانية متعلقة بالوقت.

أعيادٌ مكانية متعلقة بالمكان؛ كالمسجد: مكانٌ نجتمع فيه؛ فهذا يسمّى عيداً مكانياً، القبر الذي يُزار عيدٌ مكاني؛ لكن المسجد عيد مكاني مشروع، والقبر عيد مكاني ممنوع: محرم.

عيد الفطر: عيد زماني مشروع، عيد الوطن أو عيد الاستقلال: عيد زماني؛ لكنه ممنوع؛ لأن الأمر كما قال النبي ﷺ حين قد المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: ما هذان اليومان: قالوا: كنا نلعب بهما في الجاهلية؛ فقال رسول الله ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ"[1]؛ فمنع النبي ﷺ من العيد الذي كان على عهد الجاهلية؛ فالأعياد تعبدية، وما ثبت في الشرع نثبته، وما لم يثبت فلا يجوز.

إذاً الأعياد قسمان: زمانية ومكانية، والأعياد الزمانية منها مشروع ومنها ممنوع، والأعياد المكانية منها مشروع ومنها ممنوع كما مثّلنا، وهنا يقول النبي ﷺ: "لا تجعلوا قبري عيداً"، يعني عيد مكاني تجتمعون في هذا المكان؛ عنده.

(١) أخرجه أحمد (١٣٦٢٢)، وأبو داود(١١٤)، والنسائي(١٥٥٦) عن أنس رضي الله عنه.

لماذا تجتمعون عند القبر؟ لعبادة صاحب القبر، وإن لم يُعبَد؛ فإن مجرد أن تجعلوه عيداً؛ هو وسيلة وذريعة توصل إلى عبادته؛ لذلك نهى عنه ﷺ؛ وهذا المراد: لماذا نهى النبي ﷺ عن أن يُجعل قبره عيداً؟ حتى لا يؤدّي ذلك إلى عبادة النبي ﷺ؛ هذا هو المراد.

قال: (وصلوا علي) عليه وعلى آله الصلاة والسلام، الأمر بالصلاة عليه جاء في كتاب الله؛ قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[١] عليه وعلى آله الصلاة والسلام؛ فنحن نصلي ونسلم عليه.

(فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) يعني لا حاجة لأن تتكلّفوا وتأتوا إلى قبري كي تصلوا علي؛ لا؛ لستم بحاجة إلى هذا، صلِّ أينما كنت؛ فالملائكة تسمع وتنقل للنبي ﷺ الصلاة، تنقل له الصلاة فقط؛ هذا الذي ورد، وهذه أمور غيبية، لا حكم فيها للعقل بالقياس وما شابه؛ هو أمر غيبي، أخبر النبي ﷺ أن الصلاة هي التي توصله؛ توصل الملائكة الصلاة إلى النبي ﷺ وتبلغه، نصلي عليه وتبلغه هذه الصلاة عليه وعلى آله الصلاة والسلام، "حيثما كنتم" يعني لا فرق أن تكون عند القبر أو بعيداً عن القبر؛ فلا داعي أن تتكلف وتذهب إلى القبر، وتجتمعوا هناك من أجل أن تصلوا عليه؛ فإن الأصل فيك أن تكون غايتك هي الصلاة على النبي ﷺ والدعاء له؛ وهذا يحصل في مكانك الذي أنت فيه؛ فلست بحاجة إلى أن تشد الرحال إليه، وشد الرحال منهيٌّ عنه إلا إلى ثلاثة مساجد للتعبد، قال النبي ﷺ: "لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد"، فأنت إن شددت الرحال إلى المسجد النبوي لتصلي فيه وتحصل على الأجر؛ فلا بأس أن تكون نيتك هذا، ثم تذهب وتزور قبر النبي ﷺ- أما أن تكون نيتك هي شد الرحال إلى قبر النبي ﷺ؛ فلا: هذا محرّم-، وتشد الرحال إلى بيت الله الحرام- إلى مكة-، وتشد الرحال إلى بيت المقدس؛ هذه المساجد الثلاث التي أُذن لنا شرعاً أن نشد الرحال إليها، فللتعبّد لا تشد الرحال إلا إلى هذه المساجد الثلاثة كي تصلي فيها.

(١) [الأحزاب:٥٦]

قال المؤلف: (رواه أبو داود[1] بإسناد حسن، ورواته ثقات).

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وعن علي بن الحسين، أنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرْجَةٍ كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو؛ فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ؛ قال: "لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم". رواه في "المختارة"[2])**

(علي بن الحسين) هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

(فرجة) فتحة صغيرة

وهو ضعيف، وما قبله يغني عنه.

---

(١) أخرجه أحمد(٨٨٠٤)، وأبو داود(٢٠٤٢)، وأصله عند مسلم(٧٨٠) بلفظ: " "لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ"

(٢) (٤٢٨)، وقال الضياء المقدسي في نفس الموضع: "في إسناده لين"

الباب الثاني والعشرون: باب ما جاءَ أَنَّ بَعْضَ هذهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأَوْثانَ

أي: باب ما جاء من أدلة تدل على أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان؛ لا كلّها؛ لقول النبي ﷺ قال: "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك"[1]، فالإسلام باقٍ إلى قرب قيام الساعة، إلى أن تأتي تلك الريح الطيبة فتأخذ نفس كل مؤمن، الإسلام باقٍ وباقية هذه الطائفة إلى آخر الزمان؛ لكن لا يعني ذلك أن الشرك لا يقع في بعض هذه الأمة؛ بل يقع، والأدلة القادمة تدل على ذلك.

والوثن: كل ما عبد من دون الله فهو وثن.

إذاً سيأتي أو سيحصل في هذه الأمة أن يكون منها من يرتد عن دينه، وينقلب إلى عبادة الأوثان، والأدلة التي سيذكرها المؤلف كافية في ذلك.

لكن ما مراده من هذا التبويب؟

مراده الرد على بعض أهل التصوّف في وقته، الذين قاتلهم - رحمه الله- حينما كان ينكر عليهم الشرك الذي كانوا فيه- عبادة القبور وأصحاب القبور- كانوا يقولون: لا يمكن أن نكون نحن مشركين، لماذا؟ لأن النبي ﷺ أخبر أن إبليس قد أيس أن يُعبَد في جزيرة العرب؛ إذاً لا يمكن للشرك أن يقع في هذه الجزيرة.

وهذا استدلالٌ باطل؛ الأدلة التي ذكرها المؤلف هنا تدل على أن الشرك يقع، وجاء في حديثٍ أن النبي ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوسٍ على ذي الخَلَصَة"[2]، ذي الخَلَصَة هذا صنم كان يُعبد في الجاهلية، فلا تقوم الساعة حتى يُعبد من جديد؛ هذا نص صريح واضح في وقوع الشرك في هذه الأمة.

---

(١) أخرجه مسلم(١٩٢٠) من حديث ثوبان.

وأخرج البخاري نحوه من حديث المغيرة بن شعبة، وكذا مسلم من حديث جابر.

(٢) أخرجه البخاري(٧١١٦)، ومسلم(٢٩٠٦) عن أبي هريرة.

وأما الحديث الذي ذكروه فيأس الشيطان لا يدل على عدم الوقوع؛ يئس من كثرة ما رأى من الخير والتوحيد الذي دبّ في البلاد؛ يئس أن يُعبد في جزيرة العرب، ورضي بالتحريش بينهم؛ لكنه سيقع، متى وجد فيهم فرصة سيعود، وقد عاد ووجد فيهم فرصة، ودخل.

والحديث الذي ذكرناه دليلٌ على وقوع الشرك في هذه الأمة، والذي سيذكره المؤلف هنا كذلك يدل على ذلك؛ فاستدلال المؤلف يتم بجميع الأدلة التي ذُكرت في الباب.

وسيذكر المؤلف أدلة تدل على وقوع أهل الكتاب في الشرك؛ ما مراده من هذا؟

مراده أن يُثبت أن ما وقع فيه أهل الكتاب؛ لابد أن نقع فيه نحن؛ لأن النبي ﷺ قال: "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة"، فيذكر لنا أدلة تدل على وقوع أهل الكتاب في الشرك، ثم يذكر لنا هذا الحديث، أي: أنكم ستفعلون ما فعل اليهود والنصارى؛ لأن النبي ﷺ قال: "حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه"؛ فمِن باب أولى أن يكون الشرك داخلاً في ذلك، فبما أنهم قد عبدوا الأوثان؛ فستقع فينا عبادة الأوثان كما أخبر النبي ﷺ ولا بد، وقد حصل؛ بل وقع في زمننا هذا ما لا يختلفون هم معنا أيضاً في أنه شرك: صار في هذه الأمة من يعبد الأوثان صراحة، وفي هذه الأمة من ألحد أصلاً، ومن هذه الأمة من وقع في أنواعٍ من الكفر؛ فكيف يزعمون ما يزعمونه؟ زعمهم هذا من أبطل الباطل؛ بل قد ارتد بعض الناس في زمن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، ورجعوا إلى ما كانوا عليه.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان. وقول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}[1])**

{ألم تر} يا محمد، أي أنك قد رأيت؛ هذا يسمّى: استفهام تقرير.

({إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً}) أوتوا حظاً؛ النصيب: هو الحظ ({مِنَ الْكِتَابِ}) وهو التوراة، والمقصود بهم هنا: اليهود.

---

(١) [النساء:٥١]

({يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}) الجبت: الذي هو السحر، والطاغوت من الطغيان، وهو: مجاوزة الحد، وكل ما عُبد من دون الله وهو راض؛ فهو طاغوت، وسيأتي تفصيل الطاغوت إن شاء الله، وأقوال العلماء فيه.

{وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً}) هذه تتمة الآية؛ يقول اليهود للمشركين بأن طريقتكم التي أنتم عليها ومنهجكم أهدى من منهج محمد ﷺ؛ وهم كَذَبة في ذلك.

الشاهد: أنهم يؤمنون بالجبت، ويؤمنون بالطاغوت، هم عبدوا الأوثان؛ وقع فيهم عبادة العجل وغيره؛ إذاً أثبتنا هنا بأن الشرك قد وقع في أهل الكتاب؛ هذا الذي نريده الآن.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وقوله تعالى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}[(١)])**

هذه الآية في الرد على الذين يسخرون من المسلمين ومن دينهم، هؤلاء الذين يسخرون كانوا من اليهود والنصارى والوثنيين.

يقول الله سبحانه وتعالى رداً عليهم: ([هل أنبئكم}) أخبركم

({بشرٍّ من ذلك}) الذي زعمتم فينا

({مثوبة}) جزاء عند الله سبحانه وتعالى

({من لعنه الله}) ومَن هؤلاء الذين لعنهم الله- طردهم وأبعدهم من رحمته تبارك وتعالى- بسبب كفرهم؟

هم اليهود والنصارى.

({وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ}) هم اليهود؛ مسخهم قردة وخنازير.

({وعبد الطاغوت}) يعني: جُعل منهم من عبد الطاغوت؛ هذا الشاهد: أن من أهل الكتاب من عبد الطاغوت؛ فأثبت وقوع عبادة الأوثان في أهل الكتاب.

---

(١) [المائدة:٦٠]

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وقوله تعالى: {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً}[(١)])**

المراد أنهم فعلوا مع الفتية بعد موتهم ما يُذَمّ فاعله، فهؤلاء الذين بنوا على الفتية- الذين هم أصحاب الكهف- لما ماتوا بنوا على قبرهم مسجداً، مَن الذي بنى المسجد؟

({الذين غلبوا على أمرهم}) وليس أهل العلم فيهم؛ فلا يُستدلّ بذلك عل جواز البناء على القبور، نترك الأدلة المحكمة ونأتي لمثل هذه المتشابهات!! أو أن يقال: بأن الله أقرّهم ولم ينكر عليهم؛ هذا باطل وكذب؛ ما بُيّن من أدلة في الكتاب والسنة هو إنكارٌ لهذا الفعل؛ فلا يلزم أن يكون الإنكار مرافقاً للقصة؛ فالموضوع ليس هذا؛ لكن وردت أدلة في الكتاب والسنة تنكر هذا الفعل، انتهى الأمر؛ فالإنكار حاصل بالأدلة الأخرى التي وردت، ودعوى عدم الإنكار: باطلة كذب، لكن هذا حال أهل الباطل؛ يتركون الأدلة المحكمة ويتعلقون بالمتشابهات، عندما تجد عندك أدلة محكمة كهذه في المسألة- كمسألة البناء على القبور- : "لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد؛ يحذّر ما صنعوا"؛ أدلة واضحة وصريحة تصرخ صراخاً، عندما تجد شخصاً يترك مثل هذه الأدلة القوية في ثبوتها، القوية في دلالتها وصراحتها، ويذهب إلى المتشابهات كهذه؛ فاعلم أنه مريض القلب، من الذين قال الله سبحانه وتعالى فيهم: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ}[(٢)].

الشاهد من هذه الآية: أنه قد وقع مثل هذا المحذور في الأمم الماضية.

فبجميع تلك الأدلة المتقدمة؛ ثبت عندنا أن اليهود والنصارى قد وقعوا في عبادة الأوثان.

قال المصنف رحمه الله: **(وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلوا جُحْرَ ضَبٍّ؛ لَدَخَلْتُموهُ"، قالوا: يا رسول الله: اليهودُ والنَّصارى؟ قال: "فمن؟ " أخرجاه[(٣)])**

---

(١) [الكهف:٢١]

(٢) [آل عمران:٧]

(٣) أخرجه البخاري(٣٤٥٦)، ومسلم(٢٦٦٩) بلفظ: " لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع..."

هذا الحديث دليلٌ من أدلة نبوّة محمد ﷺ؛ أخبر النبي ﷺ عن أمرٍ واقعٍ بدقة متناهية؛ قال: (لتتبعن) أي: أمرٌ هذا حاصل ولا بد، الاتباع: أنهم يضعون أقدامهم على خطوة؛ فنضع نحن أقدامنا على نفس الخطوة التي وضعوها؛ هكذا يكون الاتباع الدقيق.

(سَنن من كان قبلكم) السَّنَن: هي الطريق، والسُّنَن: هي الطُّرُق؛ والسَّنَن أصح هنا؛ هي طريقٌ واحدة يسيرون عليه ونحن نسير خلفهم؛ وكلاهما صحيح.

(حذو القذة بالقذة) القذة: ريش السهم، انظر دقة ريش السهم هذا؛ فنحن سنتّبعهم في كل ما فعلوه؛ فانظر ريش السهم، كم تكون الريشة تشابه الريشة؟ كذلك نحن.

(حتى) يعني: لو وصل الأمر.

(لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه) ضب : حيوان يحفر جحراً في الأرض، من أصعب الجحور، يعني حتى: لو كان في فعلهم مشقة، وصعوبة، ولا فائدة منه؛ للحقناهم وتبعناهم على ذلك؛ وهذا هو الواقع الحاصل تماماً؛ ما نراه أمامنا؛ ومِن ذلك: الشرك، فبما أن الشرك قد وقع بينهم وفيهم؛ فالشرك واقع فينا ولا بدّ أيضاً؛ فمنّا من سيمضي على هذا الطريق وسيُشرك كما أشركوا، ومنا من لا يصل معه الأمر إلى الشرك، لكن إذا قصّوا شعورهم قصّةً معوجّة قص مثلهم، إذا حلقوا لحاهم؛ حلق مثلهم، إذا أطلقوا لحاهم؛ أطلق مثلهم، إذا خرجوا عراةً؛ خرج عارياً... وهكذا؛ هذا الحاصل اليوم والذي نراه أمامنا، اليوم اللحية أصبحت موضة، بالأمس كان إطلاق اللحية معيباً عند الكثيرين، وإذا رأوا شخصاً بلحية؛ يُصبح إرهابياً، واليوم صارت اللحية شيئاً مستحسناً، يطلق الشباب الرُّعن الذين في الطرقات لحاهم؛ لماذا؟ لأن الغرب فعل ذلك، انظر كيف؟!! "حذو القذّة بالقذّة"، صارت الموضة الآن إعفاء اللحية، صار أبناء الشوارع والطرقات الذين لا يعرفون من دين الله شيئاً يطلقون لحاهم؛ لماذا يفعلون ذلك؟ لأن الغرب صار هذا عندهم من الموضة؛ " حذو القذة بالقذة"، ما نراه عند الغرب يحصل عند المسلمين ولا بد، تسمع به في الغرب؛ ثم تراه أمامك بعد مدة وجيزة؛ هذا من أدلة نبوة نبينا ﷺ، أخبر بذلك تماماً، ووقع كما أخبر عليه الصلاة والسلام.

الشاهد: أن الشرك وقع في اليهود والنصارى؛ فهو واقع في هذه الأمة ولا بد، وقد وقع، وما زال يقع كل ما وقع فيهم، حتى لو وقع فيهم من أتى أمّه؛ وقع في هذه الأمة من أتى أمّه. أسأل الله أن يسلمنا وإياكم ويرحمنا وإياكم برحمته.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(ولمسلم عن ثوبان: أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله زَوى لِيَ الأَرْضَ؛ فَرَأَيْتُ مَشارِقِها وَمَغارِبِها، وإِنَّ أُمَّتي سَيَبْلُغُ مُلْكُها ما زُوِيَ لي مِنْها، وَأُعْطِيْتُ الكَنْزَيْن: الأَحْمَرَ والأَبْيَضَ، وإِنّي سَأَلْتُ ربي لأُمَّتي أَنْ لا يُهْلِكها بِسَنَةٍ عامَّةٍ، وأَنْ لا يُسَلِّطَ عليها عَدُوّاً مِنْ سِوى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبيحُ بَيْضَتَهُمْ، وإِنَّ ربي قال: يا مُحَمَّد، إذا قَضَيْتُ قَضاءً؛ فإِنَّهُ لا يُرَدُّ، وإني أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عامَّةٍ، وأَنْ لا أُسَلِّطَ عليهم عَدُوّاً مِنْ سِوى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبيحُ بَيْضَتَهُمْ، ولَوْ اجْتَمَعَ عَلَيهم مَنْ بأَقْطارِها، حتى يكون بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً، ويَسْبي بَعْضُهُمْ بعضاً". ورواه البرقاني في "صحيحه"؛ وزاد: "وإنما أخافُ على أُمَّتي الأئمَّةَ المُضلين، وإذا وَقَعَ عليهمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إلى يومِ القيامةِ، ولا تقومُ السَّاعَةُ حتى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتي بالمشركِينَ، وحتى تَعْبُدَ فِئامٌ مِنْ أُمَّتي الأوثانَ، وإِنَّهُ سَيكونُ في أُمَّتي كَذَّابونَ ثلاثون؛ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وأنا خاتَمُ النَّبيينَ، لا نبيَّ بعدي، ولا تزالُ طائِفَةٌ مِنْ أُمَّتي على الحَقِّ مَنْصورةٌ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حتى يأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تبارك وتعالى").**

هذا الحديث طويل، وفيه فوائد كثيرة، وقد أخرجه مسلم في "صحيحه"[1] من حديث ثوبان.

(ثوبان) مولى رسول الله ﷺ، والمقصود بالمولى هنا: العتيق، كان عبداً مملوكاً ثم أُعتِق؛ فيصير مولى.

("إن الله زوى لي الأرض") يعني جمعها وطواها حتى صار النبي ﷺ يراها، والله على كل شيء قدير.

("فرأيت مشارقها ومغاربها") رآها من المشرق ومن المغرب.

("وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها") وقد بلغ، فوصل ملكه إلى الناحية الغربية إلى المغرب والأندلس، ومن الناحية الشرقية وصل إلى الهند والسند؛ البلاد الشرقية من بعد إيران؛ كالهند وباكستان وأفغانستان وما شابه من هذه الدول؛ كلها وصل ملكه إليها.

("وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض") الأحمر: الذي هو الذهب، والأبيض: الفضة، وهذا عبارة عن أموال الفرس والروم؛ ففيه خبر من النبي ﷺ أن الفرس ستُفتَح وأن بلاد الروم ستُفتَح،

(١) (٢٨٨٩)

وأن كنوزهما سترجع إلى المسلمين؛ وهذا ما حصل؛ وهو دليل على صدق نبوّة نبينا ﷺ، فما يُخبر به؛ يأتي كما أخبر عليه الصلاة والسلام، لا ينخرم منه شيء أبداً.

("وإني سألت ربي لأمتي") سألت ربي؛ يعني: دعوته، وهذا من شفقته ﷺ على أمته.

("ألا يهلكها بسنة عامة") المراد بالسنة الجدب؛ القحط، يعني ألا يصيب الله سبحانه وتعالى بلاد المسلمين جميعاً بقحطٍ وجدبٍ فيهلك الناس؛ وقد أعطاه الله سبحانه وتعالى ذلك؛ لذلك من يوم أن بعث النبي ﷺ إلى يومنا هذا؛ لم يحصل هذا الأمر.

("وأن لا يسلط عليها عدواً من سوى أنفسهم") ألا يسلط الله عليهم عدوّهم من الكفّار.

("فيستبيح بيضتهم") البيضة التي هي حوزة المسلمين، يعني: لا يستبيح بلادهم كلها وجماعتهم فيهلك المسلمون؛ وهذا من يوم بُعث النبي ﷺ إلى اليوم لم حصل ولن يحصل، ربّما تُحتلّ بعض بلاد الإسلام وترجع، يسيطر الكفرة على بعض بلاد الإسلام؛ لكن لن يكون لهم القدرة على السيطرة على جميع بلاد الإسلام والقضاء على المسلمين أبداً؛ ولو اجتمع مَن بأقطارها، ولو اجتمع جميع كفار الأرض عليهم؛ فلن يستطيعوا أن يصلوا إلى ذلك.

("وإن ربي قال يا محمد! إذا قضيت قضاء فإنه لا يُردُّ") إذاً: إذا كتب الله عز وجل الأمر عنده وقضاه أن يقع؛ فلا يرد ولا يتغير.

("وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة") فأعطاه الله سبحانه وتعالى هذه، والحمد لله.

("وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم؛ فيستبيح بيضتهم") والحمد لله

("ولو اجتمع عليهم من بأقطارها") يعني لو اجتمع جميع الكفار الذين هم على وجه الأرض اليوم، بكل ما عندهم من صواريخ ونووي ودبّابات وكل شيء؛ ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فليفعلوا ذلك؛ فلن يستطيعوا؛ وهذا دليلٌ على نبوّة نبينا ﷺ.

("حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً") إذاً هلاك هذه الأمة بماذا ؟

بأن يُسلَّطَ بعضهم على بعض؛ هلاكها بهذا، وأنتم ترون اليوم، هذا الذي أخبر به النبي ﷺ؛ واقع أمامكم، انظروا إلى الحال في ليبيا، انظروا إلى الحال في مصر، انظروا إلى الحال في سورية، وإن كان يوجد قتال بين المسلمين والكفار؛ لكن أيضاً هناك قتال بين المسلمين بعضهم في بعض؛ يقتل بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً، ابتلانا الله بجماعات التكفير المنفلت؛ تكفّر المسلمين وتقتلهم

وتسبيهم؛ هكذا يكون قتلُ بعضهم بعضاً، يستبيح بعضهم دماء بعض، وأموال بعض، وأعراض بعض؛ هذا الواقع كما أخبر عليه الصلاة والسلام.

(ورواه البَرقاني في صحيحه ") يعني هذا الحديث رواه البرقاني في صحيحه، والبرقاني عنده مستخرج على صحيح مسلم، روى فيه هذا الحديث، وزاد فيه: "وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين... ".

("وإنَّما أخاف على أمتي الأئمة المضلّين") مَن الذي يهلك الأمم؟ مَن يأتيها يتكلم باسم الإسلام، من أتاها يتكلم باسم الدين؛ الأئمة المضلين الذين يُضلون عباد الله سبحانه وتعالى عن طريق الحق والهداية؛ تجده إماماً لكنه إمامٌ في الضلال كالقرضاوي ومن شابه؛ هؤلاء ينحرفون بالناس عن جادّة الصواب، هؤلاء أشد خطراً من الكافر، الكافر عندما يأتي ويتكلم ما أحد يبالي به لأنه كافر؛ يأتيك يقول لك الإسلام ليس هكذا، الإسلام هكذا؛ تقول: أنت كافر، ما أدراك بالإسلام؟!! فأمره سهل؛ لكن المصيبة عندما يأتيك من هو بثوب الإسلام؛ بل ربما بثوب السنة أيضاً، ويتكلم باسم السنة؛ هذا أشد خطراً من أولئك؛ لماذا؟

لأن الاغترار بهم أعظم؛ فلذلك تجد بعض علماء السنة الذين عندهم حُرقة على الدين: يشنّعون على هؤلاء ويحذّرون منهم أكثر من غيرهم؛ لأن الخطر مِن قِبَلهم أعظم على عقائد المسلمين وعلى دينهم.

("وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلى يوم القيامة") كما أخبر النبي ﷺ في حديث حذيفة، لما سأل عمر حذيفة عن الفتنة الكبرى التي تموج كموج البحر؛ قال حذيفة: (مالك ولها؟! بينك وبينها باب) قال: (أيُفتَح أم يُكسَر؟) قال: (يُكسَر) قال: (إذاً لا يُغلَق أبداً)، وكان الباب عمر، فبعد أن قُتل عمر؛ وقع السيف في هذه الأمة، ولن يرفع إلى قيام الساعة، كما أخبر عليه الصلاة والسلام.

كلها أدلة تدل على نبوة المصطفى ﷺ.

("ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان") هذا الشاهد؛ فنركز عليه، و(فئام): يعني جماعات.

إذن هل يقع الشرك في هذه الأمة أم لا يقع؟

نعم يقع؛ والأدلة واضحة وصريحة.

("وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون؛ كلهم يزعم أنه نبي") ثلاثون كذّاباً يدعي أنه نبي من عند الله سبحانه وتعالى؛ وقد خرج منهم الكثير، من عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وإلى ما بعد هذا اليوم، وما زال يخرج، وقبل أيام خرج في مصر واحد جديد.

("وأنا خاتم النبيين") أنا آخرهم، خاتم النهاية؛ يعني: انتهى: "وأنا خاتم النبيين"؛ يعني آخرهم.

("لا نبي بعدي") تصريح واضح.

("ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة") مع كل ما يحصل من ضلال ومن ضياع في هذه الأمة؛ إلا أن هذه الطائفة تبقى موجودة في هذه الأمة.

من هم هؤلاء؟ هؤلاء أهل العلم من أهل السنة، الذين يقدّمون كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ومنهج السلف الصالح على كل شيء، ولا يبالون بأي شيء؛ إلا نصرة هذا الدين، ونصرة هذا المنهج بالاعتدال، ربما يكون بعض الناس عندهم إخلاص في هذا الأمر؛ لكن عندهم غلو؛ إفراط أو تفريط؛ فيُفسدون، أما أهل الحق؛ فأهل اعتدال؛ تجدهم يدعون إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ وإلى منهج السلف الصالح باعتدال؛ كما كان عليه علماؤنا الأكابر؛ هذه هي الطائفة المنصورة؛ العلماء هؤلاء ومن اتبعهم هم الطائفة المنصورة، ينصرهم الله، فهم يجاهدون بالكلمة وباللسان، وإذا دعت الحاجة؛ فبالسيف أيضاً، حتى ينصروا الحق، ويبينوا للناس الهدى من الضلال؛ هذا الذي عليهم، وهذا ما يفعلونه، وهو واجبهم، وتبقى كلمتهم لها قوتها في نفوس الناس؛ وهذا الواقع الذي نشاهده.

("لا يضرهم من خذلهم") من ترك نصرتهم لا يضرهم؛ مخذّل يترك نصرة أهل الحق، وإذا وصل به الحال إلى معاداتهم ومناصرة أهل الباطل؛ فهو من أهل الباطل، أما المخذّل الذي يترك نصرة أهل الحق وهو قادرٌ على ذلك؛ ولكنه لا يضرّهم شيئاً.

("حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى") وهي الريح الطيبة التي تكون في آخر الزمن، بعد خروج الدجال، وبعد خروج المهدي، وبعد خروج عيسى عليه السلام؛ تأتي ريحٌ طيبة فتأخذ نفس كل مسلم، ولا يبقى على وجه الأرض إلا شرار أهلها، وعليهم تقوم الساعة كما جاء في الأخبار.

الشاهد: قوله: "ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين"، ويصبح مشركاً مثلهم، "وحتى تعبد فئامٌ من أمتي الأوثان"؛ إذاً هذا نصٌّ صريح واضح في أن الشرك يقع في هذه الأمة؛

فخاب وخسر أولئك الدعاة الكَذَبة الذين يعبدون القبور ويقولون نحن لا نعبدهم، كما قال المشركون: {ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى} هؤلاء يعبدونهم ويقولون نحن لا نعبدهم؛ كيف هذا؟ ما فهموا حتى العبادة ما هي، الله المستعان؛ أبو جهل أفقه وأفهم منهم في هذه القضايا؛ فإنه يعرف معنى هذا الكلام؛ فنسأل الله العافية من أناسٍ أبو جهل أفهم منهم وأفقه منهم في هذه المسائل.

الباب الثالث والعشرون: باب ما جاءَ في السِّحْرِ

قال المؤلف رحمه الله: **(باب ما جاء في السِّحْرِ)**

باب ما جاء في السحر: أي من أدلة تبيّن حكم السحر والساحر.

السحر لغة: هو عبارة عما خفي ولطف سببه؛ أي: كان سببه لطيفاً دقيقاً، يخفى على الناس؛ لا يظهر.

أما من الناحية الشرعية؛ فكما عرّفه أبو محمد المقدسي: السحر هو عزائم ورقى، تؤثّر في القلوب والأبدان؛ فيُمرِض، ويَقتل، ويفرّق بين المرء وزوجه؛ فله تأثير حقيقي على الإنسان.

قال أبو محمد المقدسي في تتمة كلامه: (قال الله تعالى: { فيتعلمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه}، الذي يتعلم السحر؛ يتعلم هذا الأمر، وهو التفريق بين المرء وزوجه، وقال سبحانه وتعالى: {ومن شر النفاثات في العقد}، تعقد العقدة- حبل، خيط، شعر؛ أشياء مثل هذه- يعقدون العقدة، وينفثون عليها نفثاً، ويتكلمون بكلمات، يتكون منها السحر، قال: "يعني: السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن"، والنفث الذي هو النفخ مع شيء من الريق، ولولا أن للسحر حقيقة؛ لم يأمر بالاستعاذة منه، ولا شك أن السحر حقيقة، وقد ثبت في الصحيحين[1]: أن النبي ﷺ سُحِر، وفُكّ عنه السحر؛ جاءت الملائكة وفكّت السحر عنه بالمعوّذات.

(١) البخاري(٣٢٦٨)، ومسلم(٢١٨٩) عن عائشة رضي الله عنها.

أما حكم السحر؛ فهو كفر؛ بدليل قول الله تبارك وتعالى: {وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر}؛ فالسحر كفر؛ قال الله تبارك وتعالى: { وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }[1]؛ لذلك قال المؤلف رحمه الله:

(وقول الله تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ})

يريد أن يبيّن بهذه الآية حكم السحر؛ علمَ أهل الكتاب أن من يأخذ بالسحر ويتعلّمه لا خلاق له في الآخرة؛ يعني: لا نصيب له في الآخرة؛ لأنه يكفر بذلك.

قال القرطبي رحمه الله في "تفسيره": "قوله تعالى: { وما كفر سليمان } تبرئة مِنَ اللَّهِ لِسُلَيْمَانَ، وَلَمْ يَتَقَدَّمْ فِي الْآيَةِ أَنَّ أَحَدًا نَسَبَهُ إِلَى الكفر"؛ لا يوجد أحد قال: إن سليمان كفر؛ فلماذا إذاً جاءت هذه الآية، وقال: {وما كفر سليمان}؛ فلم يرمه أحد بهذا؟

قال: "وَلَكِنَّ الْيَهُودَ نَسَبَتْهُ إِلَى السِّحْرِ"؛ فكانت النسبة إلى السحر لا إلى الكفر؛ مع ذلك؛ قال ربنا تبارك وتعالى: {وما كفر سليمان}؛ إذاً فالسحر كفر.

قال: وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ السِّحْرُ كُفْرًا؛ صَارَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ نَسَبَهُ إِلَى الْكُفْرِ"

ثُمَّ قَالَ رحمه الله: "{وَلَكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا}؛ فَأَثْبَتَ كُفْرَهُمْ بتعليم السحر"؛ هذا كلام القرطبي رحمه الله في "تفسيره".

---

(١) [البقرة:١٠٢]

وقال أيضاً: "وقال بعض العلماء: إن قال أهل الصناعة إن السحر لا يتم إلا مع الكفر والاستكبار أو تعظيم الشيطان؛ فالسحر إذاً دالٌّ على الكفر على هذا التقدير. والله تعالى أعلم".

وقال الجصاص في "أحكام القرآن": "وقولهما: {فلا تكفر} يدل على أن عمل السحر كفر".

وقال أبو بكر بن العربي في "أحكام القرآن": "وما كفر سليمان قطُّ ولا سَحَر؛ ولكن الشياطين كفروا بسحرهم وأنهم يعلّمونه الناس، ومعتقِد الكفر كافرٌ، وقائله كافرٌ، ومعلّمه كافر"، وقال أيضاً: "وقد أوردْنا في كتاب المشكلَين القول في السحر وحقيقته ومنتهى العمل به على وجهٍ يشفي الغليل، وبيّنّا أن من أقسامه: فعلُ ما يُفرَّق به بين المرء وزوجه، ومنه ما يجمع بين المرء وزوجه؛ ويسمى التِّوَلة وكلاهما كفر، والكلّ حرامٌ كفرٌ؛ قاله مالك" وهو مذهب الإمام أحمد وأبي حنيفة رحمهم الله جميعاً، أما الإمام الشافعي؛ فعنده تفصيل.

وقال أبو الحسن الأشعري في "مقالات الإسلاميّين" عند ذكره لما عليه أصحاب الحديث أهل السنة؛ قال: "ويصدّقون بأن في الدنيا سحَرَة وأن الساحر كافر كما قال الله تعالى، وأن السحر كائنٌ موجودٌ في الدنيا" ونقلَه عنه ابن تيمية رحمه الله.

هذا كله يدل على أن الآية تدل على كفر السحرة؛ والأمر واضح.

أما الشافعي رحمه الله؛ فتفصيله يقول: إذا تَعَلَّم السحر قلنا له صِف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر، مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرّب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يُلتمَس منها؛ فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته؛ كفر. انتهى.

أي: من اعتقد إباحة السحر كفر.

لكن السحر بالمعنى الذي ذكره ابن قدامة رحمه الله؛ هذا لا يكون إلا كفراً، أما بالمعنى الذي ذكره الشافعي رحمه الله- المعنى الثاني الذي لا كفر فيه- فهذا ليس بسحر؛ فحقيقةً لا يمكن للساحر أن يسحر أو أن يتعلم السحر إلا بالكفر. والله أعلم.

على كلٍّ؛ الآية واضحة: {وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر}؛ فالساحر كافرٌ، والسحر كفرٌ؛ هذا هو الصحيح، وهو الذي عليه المحقّقون من أهل العلم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وقوله: {يؤمنون بالجبت والطاغوت})**

هذه الآية تقدّمت وذكرنا أن السحر من الجبت؛ قد ذكره المصنف رحمه الله.

قال المصنف رحمه الله: **(قال عمر: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان")**

الشيطان هو سبب الطغيان؛ لذلك قال عمر: الطاغوت الشيطان؛ يوسوس للعبد ويغره بنفسه حتى يطغى.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وقال جابر: "الطواغيت كُهّان؛ كان ينزِلُ عليهم الشيطان، في كلِّ حيٍّ واحد")**

يعني أن الكهان من الطواغيت.

(كان ينزل عليهم الشيطان في كل حيٍّ واحد) يعني تنزل عليهم الشياطين وتوسوس لهم، في كل حي من أحياء العرب- في قبائلها- يأتي لشخصٍ منهم؛ من كهّانهم الذين يدّعون

معرفة الغيب؛ يأتيه الشيطان، ويوسوس له، ويتحاكم الناس إليه في الجاهلية؛ هذا كان حالهم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "اجْتَنِبوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ"، قالوا: يا رسول الله، وما هُنَّ؟ قال: "الشِّرْكُ بالله، والسِّحرُ، وقَتْلُ النَّفسِ التي حَرَّمَ اللهُ إلا بالحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليتيمِ، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ الغافِلاتِ المُؤمِناتِ"[١])**

(الموبقات) أي: المهلكات؛ سبع أشياء مُهلكة، من وقع فيها؛ هلك إلا أن يرحمه الله برحمته، يستغفر ويتوب ويرجع إلى الله.

(قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: "الشرك بالله") هذا إذا لقي الله بذلك؛ هلاكه هلاك تام.

والشرك أن تجعل لله نداً وهو خلقك؛ وقد تقدّم.

(والسحر) وهذا الشاهد: أن النبي ﷺ قد جعل السحر من الموبقات؛ من المهلكات، وقد تقدّم تفسيره.

(وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق) سفك الدم سواء كان الدم المسلم، وإن كان المقصود دم المسلم أو دم الذمي أو المعاهَد أو المستأمَن؛ كل هؤلاء يدخلون؛ بما أن قتله ليس بحق، وما يفعله الخوارج من قتل المسلمين والمعاهدين والذمّيّين؛ كل هذا بغير حق،

(١) أخرجه البخاري(٢٧٦٦)، ومسلم(٨٩).

وإن تأوّلوا؛ فتأويلاتهم هذه لا تنفعهم؛ لأنهم يتّبعون أهواءهم، أعرضوا عن الأدلة المحكمة وكلام العلماء وكلام السلف واتّبعوا أهواءهم.

(وأكل الربا) الربا أبوابه كثيرة؛ منه ربا القروض وربا البيوع، ومحلّه كتب الفقه، وآكل الربا محاربٌ لله سبحانه وتعالى ولرسوله {فأذنوا بحرب من الله ورسوله}[١]، فآكل الربا من الذنوب العظيمة. نسأل الله السلامة والعافية.

(وأكل مال اليتيم) اليتيم الذي لم يبلغ من الذكر والأنثى ومات أبوه؛ مات أبوه ولم يبلغ، أما إذا ماتت أمه؛ فهذا لا يسمّى يتيماً، وإذا مات أبوه وهو بالغ، أو بلغ بعد موت أبيه؛ فهذا لا يسمى يتيماً أيضاً؛ اليتيم الذي لم يبلغ ومات أبوه، بهذين القيدين؛ هذا يسمى يتيماً، أما غيره؛ فليس بيتيم.

واليتيم ضعيف، يحتاج إلى من يقوم على ماله، ولمّا كان أكله سهلاً، ومن يقوم على ماله ربّما يأكله من غير خوف الله سبحانه وتعالى؛ هدّد الله سبحانه وتعالى فاعل ذلك، وجعل ذنبه من أعظم الذنوب؛ ليحفظ مال اليتيم.

(والتولي يوم الزحف) أي: الفرار في المعارك؛ أن تهرب، الهروب هنا لا يجوز في المعركة؛ هذا من الموبقات؛ من المهلكات؛ إلا متحيّزاً إلى فئة، يعني: تريد أن تذهب إلى جماعة يعينونك، عندك خطة تريد أن تفعلها؛ فلا بأس، كذلك إذا كان العدو أكثر من الضِّعف.

(وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) رمي المؤمنات العفيفات بالزنا؛ هذا أيضاً من كبائر الذنوب.

---

(١) [البقرة:٢٧٩]

الشاهد في الموضوع هو قوله: "والسحر"، اجتنبوا السبع الموبقات؛ ومنها السحر؛ فهذا يبين خطورة السحر وأنه من المهلكات؛ بل هو من الكفر كما تقدّم معنا.

عرَفنا بهذا السحر، وعرفنا حكم السحر، وحكم الساحر في الآخرة؛ فما حكمه في الدنيا، أو ما هو حدّه الذي يقيمه عليه ولي الأمر؟

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وعن جندب مرفوعاً: حَدُّ السَّاحِرِ: ضَرْبَةٌ بالسَّيْفِ" رواه التِّرْمِذي، وقال: الصحيح أنه موقوف)**

(وعن جندب مرفوعاً) يعني يرفعه إلى النبي ﷺ، وجندب؛ هو: ابن عبد الله البَجلي، صحابي.

(حد الساحر: ضربة بالسيف) فالساحر كافر يُقتل؛ ردّة.

(رواه الترمذي[1]، وقال: الصحيح أنه موقوف) يعني الصحيح أنه من قول جندب لا من قول النبي ﷺ، وجندب صحابي.

قال المصنّف رحمه الله تعالى: **(وفي "صحيح البخاري"[2] عن بَجَالَةَ بن عَبَدة؛ قال: "كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن اقْتُلوا كُلَّ ساحِرٍ وساحِرَةٍ"؛ قال: فقتلنا ثلاث سَواحِرَ)**

---

(١) (١٤٦٠)

(٢) أخرجه أبو داود(٣٠٤٣)، وأصله عند البخاري(٣١٥٦) من غير موضع الشاهد.

وهذا عن عمر بن الخطاب- وهو أحد الخلفاء الراشدين- يأمر بقتل السحرة، والأمر بقتل السحرة؛ لِعِظَم شرّهم وفسادهم في المجتمعات؛ لهم فسادٌ عظيمٌ وعريضٌ، ولا يمكن القضاء على فسادهم إلا بقتلهم؛ لذلك كان الحد الشرعي فيهم: القتل، وهذا- كما سيأتي- ثابت عن مجموعة من الصحابة، ولا يُعرف لهم مخالف منهم؛ من أصحاب النبي ﷺ.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وَصَحَّ عن حَفْصَةَ: أنَّها أَمَرَتْ بِقَتْلِ جارِيَةٍ لها سَحَرَتْها؛ فَقُتِلَتْ. وكذا صحَّ عن جُنْدُب)**

(حفصة) هي بنت عمر بن الخطاب.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ)**

يعني هذا ثابت؛ أي: صحّ قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ؛ عن عمر، وعن حفصة، وعن جندب.

إذاً حد الساحر: ضربةٌ بالسيف؛ أي: أن يُقتَل.

لكن من الذي يفعل ذلك؟

يفعله ولاة الأمر؛ لأن الحدود إذا أقامها غير ولاة الأمور؛ أدّت إلى فوضى؛ يأتي الشخص ويقتل الآخر ثم يقول: والله كان ساحراً، أو سبّ الرب، أو سبّ الدين؛ يفتري عليه، يقتله كي يتخلص منه؛ صارت الأمور فوضى، يقطع يده ويقول: رأيته يسرق؛ هذا لا يصلح؛ تصبح الأمور فوضى، أو ربّما يقتل فعلاً ويذهب شخص آخر يقتله ويقول: قتلت

القاتل؛ فتقوم عشيرة هذا لتطالب بدمه وتقوم عشيرة هذا لتدافع عنه؛ فتدبّ الفوضى بين المسلمين؛ لذلك جُعِلت الحدود لولاة الأمور فقط، الذين عندهم المُكنة والقدرة على ضبط الناس وعلى تأديبهم.

الباب الرابع والعشرون: بابُ بيانِ شيءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قال المؤلف رحمه الله: **(باب بيان شيء من أنواع السحر)**

السحر له أنواع مختلفة، وسيذكر لنا المؤلف أنواع السحر؛ حتى نحذرها.

قال رحمه الله: **(قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، حدثنا حيان بن العلاء، حدثنا قَطَنُ بن قبيصة، عن أبيه؛ أنه سمع النبي ﷺ قال: "إن العِيَافَةَ، والطَّرْقَ، والطِّيرةَ مِنَ الجِبْتِ".**

قال عوفٌ: العِيافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ، والطَّرْقُ: الخَطُّ يُخَطُّ في الأَرْضِ، والجِبْتُ، قال الحسن: رَنَّةُ الشيطان، إسناده جيدٌ، ولأبي داود، والنسائي، وابن حبان في "صحيحه": المُسْنَدَ منه)

(إن العيافة والطَّرْق والطيرة من الجبت) يعني: من السحر، ثلاث أشياء ذكرها، وذكر أنها من السحر؛ العيافة، والطرق، والطيرة؛ فسَّرها أحد رواة الحديث؛ فقال:

(قال عوف: العيافة: زجر الطير) يعني: تأخذ الطير وتطيّره، وكانوا يتفاءلون ويتشاءمون بها؛ فجُعِلَت من السحر.

(والطرق: الخطُّ يُخطُّ في الأرض) يعني: يريدون بذلك التَّكهُّن.

(والجبت؛ قال الحسن: "رنة الشيطان" إسناده جيد، ولأبي داود[1]، والنسائي[2]، وابن حبان في "صحيحه"[3]: المسند منه) يعني: المرفوع فقط.

---

(١) (٣٩٠٧)
(٢) في "السنن الكبرى" (١١٠٤٣)
(٣) (٦١٣١)

من الجبت، يعني: من السحر، وهذا الحديث ضعيف لا يصح[١].

قال المصنف رحمه الله: **(وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "من اقتبس شعبةً من النجوم؛ فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد" رواه أبو داود[٢] بإسناده صحيح)**

(من اقتبس) أي: من أخذ شيئاً من النجوم.

(شعبة): طائفة؛ يعني: جزء.

(من اقتبس شعبة من النجوم) يعني : تعلم شيئاً من علم النجوم.

(فقد اقتبس شعبة من السحر) أي: قد أخذ شيئاً من علم السحر.

(زاد ما زاد) يعني: كلّما زاد في تعلُّم علم النجوم؛ زاد في تعلُّم علم السحر، وزاد في الإثم.

والمقصود به: علم النجوم الذي كان في الجاهلية؛ يستدلون بحركة النجوم على أشياء تحدثُ في الأرض؛ وهو نوع من أنواع الكهانة والتأثير والتعلُّق بالشياطين، أمّا علم النجوم الآخر وهو علم التسيير- وسيأتي إن شاء الله الكلام فيه- كأن تستدل بالنجوم على القبلة مثلاً، أو على الطريق؛ فهذا جائز، وسيأتي إن شاء الله التفصيل في ذلك.

وهذا الحديث الذي ذكره المصنف ها هنا: كلّه ضعيف[٣].

---

(١) ضعفه الشيخ الألباني، وقال: فيه حيان بن علاء، وهو مجهول

(٢) (٣٩٠٥)

(٣) كذا قلت في الشرح؛ والصواب أن حديث ابن عباس: "من اقتبس علما من النجوم.." حديث صحيح، عبد الله بن خنيس ثقة، وأثبت الإمام البخاري سماع يوسف بن ماهك من ابن عباس. انتهى

قال المصنف رحمه الله: **(وللنسائي[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "من عقد عقدة، ثم نفث فيها؛ فقد سحر، ومن سحر؛ فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً؛ وكِل إليه).**

وهذا الحديث- أيضاً- ضعيف.

والمقصود بذلك: أنك إذا عقدت عقدة، ونفثت- أي: نفخت نفخاً مع شيء من الريق-؛ فقد سحرت؛ والسحر شركٌ.

(ومن تعلَّق شيئا وكِل إليه) وهذا قد تقدم شرحه فيما مضى.

وكما ذكرنا؛ فهذا الحديث ضعيف، ولكن هذا العقد والنفث والتمتمة ببعض أنواع الكلام؛ هو نوع من أنواع السحر؛ كما قال الله: {من شرِّ النَّفَّاثات في العقد}.

قال المصنف رحمه الله: **(وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: "ألا أنبئكم ما العَضْه؟ هي: النميمة؛ القالَّة بين الناس". رواه مسلم[2])**

(ألا أنبئكم): أي ألا أخبركم؟

(ما العضْهُ؟) فسّرها نفسها؛ فقال: هي النميمة، والنميمة: هي المشي بين الناس بنقل الكلام للإفساد، تنقل الكلام بين الناس للإفساد؛ تذهب إلى زيد تقول له: عمرو يقول فيك كذا وكذا- من أنواع المَذَامِّ- كي توقع بينهم، وهذا ذنب عظيم وهو من الكبائر؛ لإنه فسادٌ.

---

(١) (٤٠٧٩)، قال الذهبي في "ميزان الاعتدال" (٣٧٨/٢): "لا يصح للين عباد بن ميسرة، وانقطاعه. انتهى وضعفه الألباني رحمه الله.

(٢) (٢٦٠٦)

(القالة بين الناس) هذه هي النميمة: القالة بين الناس؛ تنقل الأقوال ما بين الناس، وهذه في الغالب لا تنفك عن الكذب، وعن البهتان، ولشدِّة إفساد النَّمَّام؛ عُدَّ فعله مثل فعل السحر؛ لإنه يفسد كما يفسد السحر؛ بل ربما يكون إفساده أعظم، وأنتم تعرفون ما يحدث إذا مشى شخص بالنميمة بين الناس؛ يفسد إفساداً عظيماً.

والنميمة- كما ذكرنا- كبيرة من كبائر الذنوب، ويدل على ذلك الحديث الذي في "الصحيح"[1]؛ لما مرَّ النبيُّ ﷺ بقبرين فقال: "إنهما يُعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتزه من البول" إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير؛ يعني: الأمر الذي يعذبان عليه كان من السهل البعد عنه والتخلص منه فهما يعذبان عليه.

قال المصنف رحمه الله: **(ولهما عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: "إن مِنَ البيانِ لَسِحْراً")**

(لهما) الظاهر أنه يريد: للبخاري ومسلم، والحديث عند البخاري[2].

(أن رسول الله ﷺ قال: "إن من البيان لسحراً") يريد المؤلف من ذلك أن يدخل البيان في نوع من أنواع السحر؛ لذلك ذكره هنا، والمقصود بالبيان: البلاغة والفصاحة في الكلام؛ وقد اختلف العلماء في هذا الحديث أهو ذمٌّ للبيان؟ أم مدحٌ له؟
يعني: كأن تأتي تقول: والله فلان يتكلم بكلام مثل السحر؛ يسحرك من جماله وورونقه؛

(١) البخاري(٢١٦)، ومسلم(٢٩٢)
(٢) (٥٧٦٧)، وأخرجه مسلم (٨٦٩) من حديث عمار رضي الله عنه.

هذا من حمله على المدح، وأما من حمله على الذم؛ فقال : شبّه البيان بالسحر؛ وذلك بأنّ الشخص يكون الحق عليه، ولبلاغته وفصاحته يقلب الأمر على صاحبه؛ كما قال أحد المبتدعة: والله إني قادر أن أقلب الحق باطلاً، والباطل حقاً- عنده لسان-، فتحذر من أمثال هؤلاء.

وللأسف؛ كثير من الجهال يغتر بأمثال هؤلاء الذين أوتوا بياناً، فيسمع كلامه المنمّق والمزوّق؛ فيغتر به، ويظن أن الرجل على حق، ولا يدري أنه يضع السُّم في العسل.

الشاهد: بعض العلماء قال: إن هذا الحديث- إن من البيان لسحراً- مذمّة للبيان، الذي يستغله صاحبه في الباطل، فلأن السحر مذموم؛ صار البيان مذموماً، والبعض قال: لا؛ بل المقصود منه: المدح للبيان، لكن لا شكّ أنه إذا حُمل على المدح؛ فالمقصود بالبيان: الذي يستعمل في طاعة الله وفي الخير، لا في الشرّ وقلب الحق باطلاً؛ سوقُ المؤلف له يدل على أنه حمله على الذم؛ فالمقصود أن البيان هذا يعمل عمل السحر؛ فيجعل الحق في قالب الباطل؛ هذا ما أراده هنا. والله أعلم.

لكن- لا شك- هنا: أنه لا يكفر صاحب البيان كما يكفر الساحر؛ فالمقصود من ذلك كله بيان خطر هذه الأشاء؛ خطر النميمة، خطر البيان الذي يحصل به قلب الحقائق؛ هذا المقصود؛ لذلك شبهه بالسحر؛ لما له من مفاسد وإفساد.

أما أن يقال: يأخذ نفس حكم الساحر؟

لا طبعاً؛ ليس هذا المقصود. والله أعلم.

الباب الخامس والعشرون: باب ما جاءَ في الكُهَّانِ ونَحْوَهم

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(باب ما جاء في الكهان ونحوهم)**

(ما جاء في الكهان) أي: من أدلة في الكهان.

(ونحوهم) ممن يدعي معرفة الأمور الغيبية؛ الكاهن، والمنجم، والرّمّال، وغيرهم؛ كما سيأتي- إن شاء الله- كل هؤلاء يجتمعون في ادعاء معرفة الأمور الغيبية، وسيأتي تعريف الكاهن والعرّاف وغيرهم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى، المهم في الأمر: أن نعرف أنَّ الكاهن: هو من يدعي معرفة الأمور الغيبية؛ أمور الغيب لا يعلُمها إلا الله سبحانه و تعالى، كما قال الله سبحانه و تعالى في كتابه الكريم: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ}[1]، وقال تبارك وتعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ...}[2] وقال أيضاً: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ}[3]؛ فالأمور الغيبية لا يعلمها إلا رب العالمين تبارك وتعالى، وقد نصت هذه الآيات بدلالة واضحة لا خفاء فيها على ذلك، فمن ادّعى معرفة الأمور الغيبية؛ فقد كذب بهذه الآيات، ومن صدّقه؛ كذلك كذّب بهذه الآيات، ومن ادعى معرفة الأمور الغيبية؛ فقد جعل نفسه نداً لله تبارك وتعالى في ذلك؛ فلذلك: الكاهن والعرّاف والمنجم؛ هؤلاء كفرة، وكما ذكرنا: فإن معرفة الأمور الغيبية خاصٌّ بالله سبحانه وتعالى، فمن نازعه شيئاً من ذلك، وادّعى معرفة الأمور الغيبية؛ فقد جعل نفسه نداً لله تبارك وتعال.

---

(١) [الأنعام:٥٩]

(٢) [الجن:٢٦]

(٣) [النمل:٦٥]

قال المصنف رحمه الله وتعالى: **(روى مسلم في "صحيحه" عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ؛ قال: "مَنْ أَتى عَرَّافاً، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيء، فَصَدَّقَهُ بِما يَقول؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْماً" [(١)])**

(من أتى عرَافاً): بحث عن عَرَّافٍ وذهب إليه، ذهبت له ناقة، أو سُرقت منه سيارة، أو ضاع له ولد؛ يذهب إلى العَرَّاف؛ الذي يدعي معرفة الأمور الغيبية؛ كي يرشده إلى محلها؛ هؤلاء العرَافون والكُهَان يتعاملون مع الجنِّ، إذا كان أمراً مفقوداً؛ ربَّما الجنّ يعرف مكانه؛ فيذكره للكاهن أو للعرَّاف، والكاهن والعراف يخبر مطيعه بذلك، ويأمره قبل ذلك طبعاً أن يقرِّب قرباناً؛ إما أن يذبح شاةً، أو ديكاً، أو يدفع مالاً قدرِ كذا...؛ يقرِّب قرباناً للجنّ؛ فيقع في الشرك- نسأل الله السلامة والعافية-، وهذا واقع من الناس كثيراً؛ رأيناه وسمعناه من الناس؛ يفعلون ذلك؛ وهذا من الشرك بالله سبحانه وتعالى. نسأل الله العافية والسلامة.

يقول المؤلف هنا: ذكر في "صحيح مسلم": "من أتى عرافاً" من جاءه؛ فسأله عن شيء من الأمور التي يريد أن يعرفها؛ من الأمور الغيبية؛ قال:

(فصَّدقه بما يقول) هذه الزيادة في هذا الحديث: زيادة مقحمة ليست منه؛ ليست في "صحيح مسلم"، المؤلف يذكر الحديث في "صحيح مسلم"، وهذه الزيادة ليست موجودة في "صحيح مسلم"؛ إنما في "صحيح مسلم": "من أتى عرافاً، فسأله عن شيء؛ لم تقبل له صلاة أربعين يوماً"؛ وهكذا تستقيم الأحاديث على ما سيأتي إن شاء الله.

فمن أتى العرَّاف وسأله- مجرد سؤال؛ حتى وإن لم يصدقه-؛

(١) (٢٢٣٠) من غير زيادة: "فصدقه بما يقول"

(لم تقبل له صلاة أربعين يوماً) ومعنى لا تقبل له صلاة أربعين يوماً: أنه لا يؤجر عليها، ويأثم على فِعْله ذلك؛ لكنه لا بدَّ أن يصلِّي، وإذا صلَّى؛ سقط عنه الطلب؛ هذا لا بدَّ منه بإجماع العلماء، كما نقل النووي رحمه الله؛ قال: "العلماء متَّفقون على أنه لا يلزم من أتى العرَّاف إعادة صلاة أربعين ليلة؛ لكنه لا يؤجر على ذلك، ويأثم على فعله"، فهذه مصيبة؛ أنْ لا تُقْبل له صلاة أربعين يوماً؛ مشكلة؛ فهذا يدلّ على عدم جواز إتيان العرَّاف؛ حتَّى لمجرد السؤال المحض، الذي ليس معه تصديق، أما إذا أتى العرّاف فصَدَّقه؛ فالمصيبةُ أعظم؛ لذلك قال المصنف رحمه الله تعالى:

(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من أتى كاهناً فصَّدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ". رواه أبو داود[1]).

(من أتى كاهناً) يدَّعي معرفة الأمور الغيبية؛ من جاءه لذلك.

(فصدّقه بما يقول) هنا تأتي هذه الزيادة، في هذا الحديث؛ لأنَّ ما يترتب على ذلك هنا؛ يختلف عمّا ترتّب عليه في الحديث السابق؛ فهناك قال: "من أتى ..." و هنا قال: "فصدقه"، هناك كانت العقوبة: أنه لا تقبل له صلاة أربعين يوماً، وهنا: كفر بما أُنزل على محمد ﷺ؛ فنستنتج من ذلك: أن مجرد السؤال- من غير التصديق- لا تقبل له صلاة أربعين يوماً، لكن إذا حصل التصديق؛ قد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ؛ يعني: مكذب بكتاب الله تبارك وتعالى، الذي فيه النصوص التي ذكرنا: أن الأمور الغيبية لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى؛ فالآيات واضحة، فمن أتى الكاهن و صدَّقه؛ فقد كذب بهذه الآيات، ولم يصدق بها.

---

(١) (٣٩٠٤) بلفظ: "فقد برئ مما أنزل على محمد"

والصحيح من أقوال أهل العلم: أنَّ منْ صدَّق الكاهن: كفر، إذا كان يعلم هذه الآيات ويعلم الحكم الشرعي؛ فهذا يكفر؛ يخرج من ملِّة الإسلام؛ لأنه مكذِّب لكتاب ربه تبارك وتعالى، هذا غير تقريبه قرباناً للكاهن؛ فهذا يُشرك شركاً آخر؛ فشرك في عبادة الله سبحانه وتعالى، وتكذيبٌ بكتاب الله تبارك وتعالى؛ فيكون قد جمع بين طامَّتين.

قال المصنف رحمه الله: **(وللأربعة، والحاكم- وقال: صحيح على شرطها- عن...: "مَنْ أَتى عَرَّافاً أو كاهِناً، فَصَدَّقَهُ بِما يقول؛ فقد كَفَرَ بِما أُنْزِلَ على مُحَمَّدٍ ﷺ")**

(الأربعة): المقصود بهم: أبو داود في "سننه"، والترمذي في "سننه"، والنسائي في "سننه"، وابن ماجه في "سننه"[1]؛ هذه تتمة الستة؛ فالستة: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه؛ هذه تسمى الكتب الستة، والأربعة منها: أبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، وترتيبها من حيث الأَصَحيَّة: النسائي، وأبو داود، والترمذي، و ابن ماجه؛ النسائي أصح هذه الكتب الأربعة، ثم يأتي بعدها أبو داود، ثم الترمذي ثم ابن ماجه؛ هذا ترتيبها من حيث الأصحية، وليس كل ما فيها صحيح؛ فلم يشترط واحد من الأربعة الصحة في كتابه؛ لكن النسائي كان أشد انتقاء من غيره؛ وأما البخاري ومسلم؛ فقد اشترطوا الصحة، فما في كتابيهما: صحيح؛ على خلاف يسير في بعض الأحاديث القليلة.

إذن فالمقصود بالأربعة هنا: ما ذكرناه.

(١) أخرجه أحمد(٩٥٣٦)، والحاكم(١٥) عن أبي هريرة، وأصله عند الأربعة.

(والحاكم) في "المستدرك"، الحاكم له كتاب اسمه: "المستدرك"، وسمي مستدركاً؛ لأنه استدرك على البخاري ومسلم أحاديث لم يخرّجاها في "صحيحهما"، ويدعي الحاكم أنها على شرطهما، ويخرجها في كتابه هذا، ويقول: هي على نفس شرط البخاري ومسلم، كان ينبغي عليهما أن يخرجاها؛ بناء على مذهبه من أن البخاري ومسلم اشترطا أن يُخرجا جميع الأحاديث الصحيحة التي على شرطهما.

وكلامه غير صحيح لا من حيث شرط البخاري ومسلم؛ لأنهما لم يشترطا هذا الشرط، ولا من حيث أن ما يضعه في كتابه أصلاً يكون على شرطهما- غالباً- من فعله.

(وقال: صحيح على شرطهما) هذا قوله ودندنته دائماً بهذه الطريقة؛ لكنْ هذا لا يسلّم للحاكم؛ فأوهامه كثيرة في كتابه؛ على كل حال: هذا موضوع حديثي.
(عن) أي: عن أبي هريرة؛ لكنْها ليست موجودة عندي في المتن.

(من أتى عرافاً أو كاهناً، فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ) يعني هنا قد رويت بالشكِّ؛ "من أتى كاهناً أو عرفاً"؛ وكلاهما ينطبق عليه ادعاء معرفة الأمور الغيبية، وسيأتي تعريفهم، ويأتي أيضاً الفصل بين الكاهن والعراف- بإذن الله تعالى.

الشاهد من هذا كلّه أنَّ إتيان الكُهان أمره عظيم، مخالف لشرع الله؛ إما أن يكون ناقضاً لأصل التوحيد، أو لكماله؛ على التفصيل الذي ذكرنا.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(ولأبي يعلى[1] بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً)**

---

(١) (٥٤٠٨) نحوه

(لأبي يعلى) يعني: صاحب المسند؛ له مسند: "مسند أبي يعلى"، وله مسندان: كبير وصغير؛ مطبوع بين أيدينا أحدهما.

(بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً) يعني: من كلام ابن مسعود، وليس مرفوعاً

قال المصنف رحمه الله: **(وعن عمران بن حصين مرفوعاً: "ليس منا من تطَّير أو تُطيرَ له، أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ له، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له، ومن أتى كاهناً فَصَدَّقَهُ بما يقولُ؛ فقد كفرَ بما أُنْزِلَ على محمد ﷺ". رواه البزار[1] بإسناد جيد، ورواه الطبراني[2] بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: "ومن أتى كاهناً ..." إلى آخره)**

(من أتى كاهناً فصدقه بما يقول ..." إلى آخره) قد تقدم شرحه.

(ليس منا) هذه تدل على الوعيد الشديد، ويدل على أن هذا العمل من الأمور العظيمة، وكان السلف لا يحبون تفسيرها، ويتركونها كما هي؛ كي يبقى لها وقع في النفوس؛ لأنها إذا فسرت؛ ربما تفسر بأمر يُهَوِّن وقعها في نفوس الناس؛ فلذلك ما كان السلف يحبون تفسيرها؛ فيتركونها كما هي.

(ليس منا من تطير) تطير؛ أي: تشاءم؛ ذلك بأنهم كانوا قديماً يأخذون الطير فيطيرونه، فإذا طار يميناً؛ تفاءلوا خيراً، وإذا طار شمالاً؛ تشاءموا شراً، فالذي يُمسكَ هذا الطيرَ ويطيره؛ فهذا يتطيرُ للناس، وينظرُ لهم فألهم؛ هذا ليس منا.

---

(١) (٣٥٧٨).

(٢) "الأوسط" (٤٢٦٢).

(أو تُطُيِّرَ له) أي: من فُعل له ذلك؛ يأتي الشخص إلى آخر، ويقول له: افعل لي هذا؛ فيفعله له؛ فليس منا؛ لا هذا الفاعل، ولا المفعول له.

(أو تَكَهَّنَ أو تُكِهِّنَ له) كذلك نفس الشيء، تَكَهَّنَ؛ يعني: الكاهن، الذي يعمل الكهانة، (وتُكُهِّنَ له): الذي جاء يسأل الكاهن.

(أو سَحَرَ أو سُحر له) الذي يسحر هو الساحر، و (سُحِرَ له) الذي طلب من الساحر السحر

كل هؤلاء داخلون في قوله: "ليس منَّا".

فيه زجر شديد عن هذه الأفعال- التطير، والكهانة- وسيأتي موضوع التطير إن شاء الله، والسحر، والكهانة: الذي نحن فيه الآن.

ثم سنأتي الآن إلى تعريف الكاهن والعرَّاف والرمَّال

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(قال البغويُّ: "العَرَّافُ: الذي يَدَّعي مَعْرِفَةَ الأُمورِ بِمُقَدِّماتٍ يَسْتَدِلُّ بها على المَسْروقِ ومكان الضَّالة، ونحو ذلك.**

وقيل: هو الكاهِنُ، والكاهنُ: هو الذي يُخبِرُ عنِ المغيَّباتِ في المستقبل، وقيل: الذي يُخْبِرُ عَمَّا في الضَّميرِ.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العرَّاف اسم للكاهن والمنجِّمِ والرمَّال ونحوهم ممن يتكلم في مَعْرفةِ الأمورِ الغَيْبِيَّةِ)

(العَرَّافُ: الذي يَدَّعي مَعْرِفَةَ الأُمورِ بِمُقَدِّماتٍ يَسْتَدِلُّ بها على المَسْروقِ ومكان الضَّالة، ونحو ذلك) يعني: يدعي معرفة الأمور الغيبية؛ بالنسبة له، وبالنسبة للسائل؛ أمور غيبية لا يدري عنها؛ كمكان المسروق، هو لا يدري عنه، وكذلك الذي جاء يسأله؛ لا يدري

عنه، فعنده مقدمات وأشياء يفعلها؛ يستدل بها على معرفة هذه الأمور، فيُفَرَّقُ بينه وبين الكاهن: في أن العرَّاف يدعي معرفة أمور قد وقعت في السابق، أما الكاهن فيدعي معرفة أمور مستقبلية؛ هكذا فَرق بينهما بعض أهل العلم.

(وقيل: هو الكاهن) يعني: قول من أقوال العلماء أنه لا فرق بين العرَّاف والكاهن؛ وهما واحد.

(والكاهن: هو الذي يُخبرُ عن المغيبات في المستقبل) يُخبر عن الأمور الغيبية في المستقبل، التي ستحصل؛ لم تحصل بعد.

(وقيل: الذي يُخبر عمَّا في الضمير) يعني: عمَّا في النفس؛ وكلها أمور غيبية.

(وقال أبو العباس ابن تيمية: العرَّاف : اسم للكاهن والمنجِّم والرَّمال ونحوهم) يعني العراف اسم عامٌّ؛ يجمع الجميع، فإذا قلت: العراف؛ شمل كل من يدعي معرفة الأمور الغيبية؛ مِنْ كاهن، أو منجِّم أو الرمال ونحوهم، والمنجم: الذي ينظر في النجوم، ويستدل بالأحوال الفلكِّية على الحوادث الأرضية؛ وقد تقدم الحديث عنه، والرَّمال : الذي يخطُّ على الرَّمل، ويدعي بذلك معرفة أشياء غيبية أيضاً، ونحوهم : أمثال هؤلاء؛ كلهم يُطلق عليهم اسم العرَّاف عند ابن تيمية؛ فكلمة العرَّاف كلمة عامة تشمل الجميع، وكلمة الكاهن كلمة أخصَّ منها؛ فهي تختصُّ بمعرفة الأمور المستقبلية؛ هذا المعنى الذي يريده ابن تيمية رحمه الله.

(ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق) أي: معرفة الأمور الغيبية بهذه الطرق؛ طرق الرمل، وطرق النظر في النجوم، وما شابه.

هذه خلاصة ما جاء في تعريف الكاهن والعراف.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وقال ابن عباس- في قَوْمٍ يَكْتُبونَ: أبا جاد، ويَنْظرونَ في النجوم-: ما أرى مَنْ فَعَلَ ذلكَ لهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلاقٍ)**

(ابن عباس) هو الصحابي المعروف، ابن عم النبي ﷺ.

(في قوم يكتبون: أبا جاد) أبا جاد: حروف الجمل؛ التي هي: أبجد، هوز، حطِّي، كَلَمَن ... لكن هذا ترتيب، وذاك ترتيب آخر؛ هذا الترتيب: (أ، ب، ت، ث): يسمونه ترتيباً هجائياً، أما ذاك الترتيب؛ فيسمونه: ترتيباً أبجدياً: أبجد، هوز، حطي، كلمن .. إلى آخره، فحين تفكفك: (أبجد، هوز ...) أ، ب، ج، د، ه، و، ز، إلى آخره؛ هذه نفس الحروف العربية؛ ولكن لها ترتيب آخر؛ الترتيب الأبجدي؛ هذه الحروف يرتبونها على ترتيب الجمل، يفرقون بها بين الجمل للتميز، ويتنبأ بها بعض الكهنة؛ يستعملون ذلك في الكهانة.

(وينظرون في النجوم) ليس المراد هنا النظر الجائز الذي يستدلون به على الطريق، ومعرفة القبلة، ومعرفة الاتجاهات؛ لكن هم ينظرون إلى النجوم للاستدلال بها على الحوادث الأرضية، ودعوى معرفتها بالنظر إلى النجوم، وأنها تؤثر فيما يقع على الأرض؛ هذا الذي يدعونه؛ وهو صنف من أنواع التكهن.

(ما أَرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق) هذا موقوف على ابن عباس، وهو صحيح عنه؛ وهذه الفتوى لابن عباس رضي الله عنه؛ فالمراد هنا: "يكتبون أبا جاد" يكتبون بهذه الطريقة ليدعوا معرفة الأمور الغيبية بها، وقوله: "ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق" يعني: ماله عند الله من نصيب، ليس لمن يدعي معرفة الأمور الغيبية نصيب عند الله؛ فهذا يؤكد ما ذكرناه في السابق: بأن الكاهن- حقيقة- خارج من ملة الإسلام، مكذب لكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وكذلك من صدَّقه؛ فالراجح من كلام العلماء: أن من صدَّق الكاهن كفر، فهو مكذب بكتاب الله سبحانه وتعالى؛ لما ذُكر من الآيات

السابقة؛ وإن كان بعض العلماء قال: هو كفر دون كفر؛ لكن ليس صحيحاً؛ لأنه تكذيبٌ لكتاب الله تبارك وتعالى، إذا كان معه قربة للجن أو للكاهن؛ فهذا يكون أيضاً كفراً آخر؛ وهو شرك بالله سبحانه وتعالى، إضافة إلى جعلهِ الكاهن نداً لله تبارك وتعالى في معرفة الأمور الغيبية؛ فهو أيضاً يجعله نداً لله تبارك وتعالى في عبادته.

الباب السادس والعشرون: باب ما جاء في النُّشْرَةِ

ذكر المؤلف في السابق : السحر، والكهانة، وما يتعلق بذلك من الأمور؛ وخصوصاً السحر؛ و هو أمر واقع، بيَّن المؤلف حكمه، وحكم من يفعله؛ لكن هناك أُناس لا يبالون، ومن الكفرة من يمارسه أيضاً؛ وخصوصاً: اليهود؛ معروف عنهم هذا- يهود السّامرة- هؤلاء خصيصاً؛ معروف عنهم، وكذا هو معروف في بلاد المغرب العربي- خصوصاً المغرب- وغيرها، والسحر موجود في أي بلاد تذهب إليها موجود، وبكثرة- للأسف- خصوصاً في زمننا هذا الذي نعيش فيه؛ فالناس يحتاجون إلى علاج لهذا الأمر؛ لذلك ذكر المؤلف النشرة؛ والنشرة هي: حل السحر عن المسحور.

والنُشرة مأخوذة من النشر؛ وهو: التفريق- هذا الأصل اللغوي- فيفرق بين المرض وصاحبه؛ فلذلك سميت نُشرة.

قال المؤلف: **(باب ما جاء في النشرة)**

يعني: ما جاء من أدلة شرعية في حلِّ السحر عن المسحور، وخلاصة هذا الباب: أن النُّشرة تنقسم إلى قسمين: نُشرةٌ شركية كفرية، ونُشرةٌ شرعية.

النشرة الشرعية: هي التي تكون بالرقية الشرعية؛ بالقرآن والسنة، والنبي ﷺ سُحِرَ، وفكَّ الملائكة عنه السحر بالمعوذات؛ فهذه نُشرة شرعية.

ونُشرة شركية: وهي فك السحر بالسحر؛ أي: حلُّ السحر بالسحر؛ وهذا لا يفعله إلا الساحر؛ هو الذي يستطيع أن يفُكَ السحر بالسحر؛ فهذه نُشرة شركية كفرية.

نظر الآن ما جاء من أدلة في هذا:

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(عن جابر أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن النُشرة؛ فقال: "هي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ". رواه أحمد بسندٍ جيدٍ، وأبو داود. وقال: سُئل أحمد عنها؟ فقال: ابن مسعود يكره هذا)**

(النُشرة) يعني: النشرة بالسحر.

رواه أحمد[1] بسند جيد، وأبو داود[2].

(وقال: سُئِلَ أحمد عنها؛ فقال: ابن مسعود يكره هذا كله) يعني: ابن مسعود يكره النُشرة التي هي من عمل الشيطان.

قال المصنِّف رحمه الله تعالى: **(وللبخاري[3] عن قتادة: قلت لابن المسيب: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ، أو يُؤْخَذُ عنِ امْرَأَتِهِ؛ أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرُ؟ قال: لا بأسَ بهِ؛ إِنَّما يُريدونَ بهِ الإِصْلاحَ، فأما ما يَنْفَعُ؛ فَلَمْ يُنْهَ عنهُ)**

(قتادة) وهو أحد أئمة التابعين؛ قتادة بن دِعامة.

(لابن المسيِّب) هو سعيد بن المسيِّب؛ تابعي جليل.

(رجلٌ به طِبٌّ) يعني: به سحر؛ كانوا يسمُّونه: طِبّاً؛ قال طِبَّ الرجُل؛ إذا سُحِرَ، هذه عادة العرب: يسمُّون بعض الأشياء بأسماء طيبة؛ من باب التفاؤل، كما يفعل إخواننا في المغرب العربي اليوم؛ يسمون النار: العافية؛ من باب التفاؤل؛ فيغضبون حين تقول لأحدهم:

---

(١) (١٤١٣٥)
(٢) (٣٨٦٨)
(٣) (١٣٧/٧)

يعطيك العافية، وعندنا: يعطيك العافية، يعني: يعطيك الصَّحة، يعطيك القوَّة؛ فيغضب لأن يعطيك العافية عندهم؛ أي: يعطيك النار، فإذا تكلَّمت مع أخ من المغرب؛ فانتبه من هذه الألفاظ؛ وهذه مثلها؛ وهذه فقط استطراديَّة.

فقوله: رجل ٌ به طِبٌ؛ يعني: سِحر، سُمِّيَ طِبًّا للتفاؤل.

(أو يُؤَخَّذُ عن امرأته) يعني: يمتنع عنها؛ لا يستطيع أنْ يقرب زوجته؛ لا يستطع أن يجامعها؛ هذا نوع من أنواع السِّحر؛ يُحبسُ الرجل عن امرأته، والحبسُ هذا: يريدون منه التفريق؛ التفريق بين الرجل وامرأته: {يفرِّقون به بين المرء وزوجه}؛ كيف؟

إذا حبسوا الرجل عن امرأته، ما استطاع أن يجامعها؛ يكون هذا من أسباب الفُرقة والنزاع والخصام بين الزوجين.

(أيحلُّ عنه أو يُنشَّر؟) يعني: هل يجوز أن نفكّ عنه هذا السحر؟

(قال: لا بأس به) هذا سعيد بن المسيِّب؛ يسأله قتادة، وهو يُجيب؛ فقال: "لا بأس به".

(إنما يريدون به الإصلاح؛ فأما ما ينفعُ؛ فَلَم ينهَ عنه) مقصودُهُ هنا: النُّشرة الشرعية، وأنه لا بأس به أن يكون بالنشرة الشرعية، لا النشرة المحرَّمة؛ فلا يُفهمُ هذا عن سعيد بن المسيِّب رحمه الله.

يريدون به الإصلاح؛ أي: يريدون به إزالة السحر.

قال المصنِّف رحمه الله: **(ويُروى عن الحسن أنه قال: لا يَحُلُّ السِّحْرَ إلا ساحِرٌ)**

يعني: بالسحر؛ أي: لا يحلُّ السحر بالسحر إلا ساحر، أما بالرقية الشرعية؛ فقد حلَّها الملائكة رضي الله عنهم.

قال المصنِّف رحمه الله تعالى: **(قال ابن القيم: النُّشرة: حَلُّ السحر عن المسحور؛ وهي نوعان: أحدهما: حَلٌّ بسِحرٍ مثله؛ وهو الذي مِنْ عَمَلِ الشيطان؛ وعليه يُحْمَلُ قول الحسن، فيتقرب الناشرُ والمُنْتَشِرُ إلى الشيطان بما يُحِبُّ؛ فَيُبْطِلُ عمله عن المسحور، والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة؛ فهذا جائز).**

يعني: حلُّ السحر بسحر مثله، ابن القيم سيعطيك الخلاصة الآن؛ هؤلاء المحقِّقون كابن القيِّم، وابن تيمية رحمهما الله يعطونك خلاصة المسائل:

(وهي نوعان: أحدهما: حلٌّ بسحر مثله) أي: حل السحر بسحر مثله.

(وهو الذي من عمل الشيطان) الآن جمع بين الأدلة المذكورة؛ الأدلة التي ذكرها المؤلف منها ما يحرَّم، ومنها ما يُجيز، سواء كانت من كلام النبي ﷺ، أو من كلام السلف رضي الله عنهم، الجمع بين الأمور؛ فأعطاك الخلاصة بكلام ابن القيّم رحمه الله؛ قال:

(وعليه يُحملُ قولُ الحسن) وهو قوله: "لا يحلُّ السحر إلا ساحر".

(فيتقرب الناشِرُ والمنتشر) يتقرَّب الناشر؛ يعني: الساحر الذي يحلُّ السحر، والمنتشر: المسحور.

(إلى الشيطان بما يُحب) من أنواع القُرب؛ وهذا كثير؛ يأتي إلى الساحر، ويقول له: عندي سحر؛ يقول: اذهب واذبح ديكاً، اذهب واذبح ماعزاً، اذبح دجاجة ... وهكذا؛ نسمع هذا يحصل كثيراً؛ وهو قربةٌ للجن كي يفكُّ عنه السحر؛ (فيبطلُ عمله عن المسحور)

(والثاني) أي: النوع الثاني.

(النَّشرةُ بالرقية، والتعوذات، والأدوية، والدعوات المباحة؛ فهذا جائز) هذه خلاصة الموضوع؛ خلاصة هذا المبحث والله أعلم.

الباب السابع والعشرون: باب ما جاءَ في التَّطَيُّرِ

قال المؤلف رحمه الله: **(باب ما جاء في التطيّر)**

أي: ما جاء في التطيّر من أدلة شرعية تدلّ على النهي عنه، والوعيد الشديد فيه، وأنه من الشرك.

والتطيّر مأخوذ من الطير؛ كانوا يطيّرون الطير، فإذا طارت يميناً؛ تفاءلوا بها خيراً، وإذا طارت شمالاً؛ تشاءموا بها شراً، ثم توسّعوا في ذلك؛ فصاروا يتشاءمون من الأشخاص ومن الدُّور ومن الأماكن ويتشاءمون من الأيام؛ وهكذا؛ وهذا أمرٌ كان موجوداً في الجاهليّة وعند المشركين في السابق؛ كما سيأتي من كلام المؤلف رحمه الله ما يدل عليه.

والتطيّر مُنافٍ لكمال التوحيد الواجب؛ فهو مُخِلٌّ بالتوكل على الله سبحانه وتعالى، وادّعاء المنفعة والمضرّة فيه؛ وهو لا ينفع ولا يضر، واعتماد القلب يجب أن يكون على الله سبحانه وتعالى تامّاً؛ وهذا الأمر ينافي كمال التوحيد الواجب كما ذكرنا؛ فيجب أن يكون توكلك تامّاً على الله سبحانه وتعالى؛ فلا يضرّك هذا الشيء ولا تنظر إليه أبداً؛ لذلك ساق المؤلف التطير في هذا الموطن لأنه يخلّ بالتوحيد؛ وهذا منتشر اليوم بين الناس كثيراً؛ وهو التشاؤم نفسه؛ التطير هو التشاؤم، التشاؤم بأي شيء يدخل في ضمن هذه الأدلة التي سيذكرها المؤلف رحمه الله؛ فالتطيّر شرك كما قال ﷺ وكما سيأتي من كلامه.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وقول الله تعالى: {أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ}[(١)]) وقال: (وقوله: {قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ}[(٢)])** هذه الآيات في الأنبياء والرسل السابقين الذين أُرسلوا إلى أقوامهم؛ موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء والرسل؛ كان أقوامهم إذا نزل بهم قحط، أو جدب، أو لم تأتِ الأمطار، أو لم تُخرج الأرض خيراتها؛ تشاءموا بأنبيائهم ورسلهم؛ وقالوا: هذا منكم؛ يعني: إنا تطيّرنا بكم وتشاءمنا بكم؛ أنتم شؤم، أتيتم لنا بالسوء؛ هذا ما يقولونه لأنبيائهم ورسلهم؛ فردّ عليهم الأنبياء في الآية الأولى؛ قالوا:

({أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ})؛ يعني بذلك: أن ما قدّره الله لهم وما كتبه عليهم عنده تبارك وتعالى؛ {أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ}: نصيبهم وقدرهم عند رب العالمين؛ {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} والمراد من ذلك: أن ما يصيبهم من مصائب فهو بأعمالهم؛ الله سبحانه وتعالى يقدّر عليهم ذلك ويبتليهم بالمصائب من وراء أعمالهم؛ {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}[(٣)]، فحقيقةً هذه المصائب التي تنزل بكم؛ بسبب معتقداتكم وشرككم وبسبب أفعالكم الفاسدة؛ هذا معنى: {ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون}؛ جُهّال لا يعلمون حقائق الأمور؛ ينسبون الشؤم إلى الأنبياء الذين جاؤوهم بالخير، جاؤوهم بالتوحيد والخير، جاؤوهم بالصلاح، طاعة الله سبحانه وتعالى إذا انتشرت في الأرض؛ انتشر الخير، وأنزل الله سبحانه وتعالى نعيمه وفضله على الناس؛ {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا}[(٤)]؛ فطاعة الله سبحانه وتعالى تجلب الخير لا تجلب

---

(١) [الأعراف:١٣١]
(٢) [يس:١٩]
(٣) [الشورى:٣٠]
(٤) [نوح:١٠]

الشر؛ لكن هؤلاء القوم جهال لا يفهمون ولا يعقلون، فمن أراد الخير، وأراد الخصب في هذه الحياة، وأراد النعيم؛ يطيع الله سبحانه وتعالى ويوحده، انظروا إلى حال العرب قبل أن يأتيهم النبي ﷺ وبعد أن أتاهم! رحم الله المغيرة بن شعبة عندما ذهب إلى كسرى يناقشه ويقيم عليه الحجّة؛ بدأ كسرى معه؛ فقال: ما منعني أن أقتلكم أنتم العرب إلا خشية نتن جيفكم، وكنتم أقواماً متفرّقين مشتتين جوعى فقراء حالتكم يُرثى لها، المغيرة لم ينكر هذا، كان رده عليه: نعم؛ لقد كنا كما ذكرت، لكن عندما جاءنا الله سبحانه وتعالى بهذا النبي؛ أخرجَنا مما نحن فيه- أذكر لكم بالمعنى؛ اختصاراً- وذكر له الخير والنعيم الذي أصابهم بعد مجيء النبي ﷺ[1]؛ هكذا يكون الأمر، هكذا يكون الحال، فمن أراد النعيم وأراد الفلاح؛ فليطع الله، فليوحد الله سبحانه وتعالى، حتى الفرد؛ لا ينظر إلى مجتمعه الفاسد؛ بل ينظر إلى نفسه؛ أصلح نفسك، استغفر الله سبحانه وتعالى، تب إليه، أصلح حالك؛ يرزقك الله سبحانه وتعالى وينصرك ويعزّك.

وفي الآية الثانية:

({قالوا طائركم معكم})، الأنبياء يردّون عليهم: {طائركم معكم}، أنتم كَذَبَة؛ شؤمكم الذي نزل عليكم بسببكم، بسبب أعمالكم، بسبب شرككم، بسبب فسقكم وفجوركم؛ لذلك طائركم ملازمٌ لكم، فبأعمالكم وفجوركم واعتقاداتكم؛ يأتيكم شؤمكم، {أئِن ذكرتم}؛ أي: لأننا ذكرناكم بالله سبحانه وتعالى وبتوحيده؛ ترموننا بهذا وتتشاءمون بنا؟ {بل أنتم قوم مسرفون} أنتم قوم تتجاوزون الحد في شرككم وكفركم وخروجكم عن طاعة ربكم تبارك وتعالى.

الشاهد من الآيتين: أن التطيّر موجودٌ عند أهل الجاهلية، وعند المشركين من قديم إلى يومنا هذا، مازال موجوداً بين الناس، أذكر أن الكثير من عامة الناس إذا وقفت بومة على

---

(١) "صحيح ابن حبان" (٤٧٥٦)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في "الصحيحة" (٢٨٢٦)

رأس البيت؛ يطير وينزل؛ خوفاً مما سيحدث من وقوف البومة على رأس البيت؛ هذا موجود بين عامة الناس، سبحان الله! يتشاءمون من البومة، وأشياء كثيرة أخرى يتشاءم الناس منها؛ ألفاظ الأطفال، أحياناً طفل يتكلم بكلمة- مسكين، طفل بريء ما يدري ما يقول- يتكلم بكلمة؛ تقوم الدنيا في البيت بين الناس، لماذا؟

يتشاءمون من هذه الكلمة، الله المستعان! الطيرة شرك؛ هذا كله يدخل في هذا الباب الذي نحن فيه.

الشاهد أن التطير من عمل أهل الجاهلية، من عمل المشركين، وقد ذمّهم الله تبارك وتعالى به ومقتهم عليه، ونهى رسولُ الله ﷺ عن التطير كما سيأتي إن شاء الله.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "لا عَدْوى، ولا طِيَرَةَ، ولا هامَةَ، ولا صَفَرَ" أخرجاه)، زاد مسلم: "ولا نَوْءَ، ولا غُول)**

هذا نفيٌ؛ نفى الله سبحانه وتعالى هذه الأشياء؛ قال:

(لا عدوى) جاء في حديثٍ صحيح أن النبي ﷺ قال: "وفر من المجذوم كما تفر من الأسد" [(١)]، وكذلك صح عنه ﷺ أنه قال في الطاعون: "من سمعتم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه..."[(٢)]؛ لأن الطاعون مرض مُعدٍ ينتقل بين الناس؛ فاختلف العلماء في طريقة الجمع بين هذه الأحاديث؛ وأصح ما قيل: أن قوله: "لا عدوى" أي: لا عدوى مؤثرة بنفسها؛ خلافاً لما كان يعتقده أهل الجاهلية، لكن العدوى هي في نفسها موجودة، الله سبحانه وتعالى هو الذي يقدّر أثرها، فهي في نفسها لا تؤثّر؛ لكن بتقدير الله سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه أحمد (٩٧٢٢)، وعلقه البخاري في "صحيحه" (٥٧٠٧).

(٢) أخرجه البخاري(٥٧٣٠)، ومسلم(٢٢١٩) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(ولا طيرة) المقصود من قوله: "لا طيرة" أي: النفي للتطير؛ فحقيقةً التطير لا ينفع ولا يضرّ ولا يدفع شيئاً.

والطيرة قد تقدّم شرحها؛ وهو الشاهد من سوق المؤلف لهذا الحديث؛ وهو نفي التطيّر؛ فلا يجوز فعله.

(ولا هامة) الهامة: طائر من طيور الليل: وهو البومة؛ معروف عند كثير من الناس بالبومة؛ وكانوا يتشاءمون بها ولا زالوا إلى اليوم يتشاءمون بها؛ وهذا أيضاً قد نفاه النبي ﷺ؛ فلا يجوز التشاؤم بها.

(ولا صفَر) أيضاً كانوا يتشاءمون قديماً بشهر صفر؛ فنفى ذلك النبي ﷺ؛ فلا يجوز التشاؤم بشهر صفر، أو أي شهر أو يوم.

(أخرجاه) يعني البخاري[1] ومسلماً[2].

(زاد مسلم: "ولا نوء") النوء واحد من الأنواء؛ طلوع النجم وغروب آخَر، أحدهما يطلع في المشرق والآخر في المغرب، وكانوا يعتقدون أنه لا بد عنده من مطر أو ريح؛ ينسبونه إلى الطالع والغارب؛ فنفى النبي ﷺ صحة ذلك.

(ولا غُول) الغول الذي كان الناس يعتقدون وجوده؛ ولا زالوا إلى اليوم عندنا إذا أرادوا أن يخوفوا صغيراً؛ قالوا: جاءك الغول؛ وكانت العرب تزعم أن الغول يكون في الصحاري؛ تراه الناس هناك شيئاً كالظل- مثلاً-، وتتلون بصور شتّى، وتضلهم عن الطريق؛ وتهلكهم؛

---

(١) (٥٧٥٧)

(٢) (٢٢٢٠)، وحديث أبي هريرة فيه زيادة: "ولا نوء"، وأما: "ولا غول" فحديث جابر (٢٢٢٢)

فنفاه النبي ﷺ وأبطله، وأما حديث: "إذا تغولت الغيلان؛ فبادروا بالأذان"[١]؛ فضعيف لا يصح.

الشاهد: قوله: "ولا طيرة"؛ فالطيرة محرمة لا تنفع ولا تضر، ويجب التوكل على الله سبحانه وتعالى، وقد أبدلنا الله سبحانه وتعالى خيراً منها؛ نستخير الله سبحانه وتعالى في الأمر؛ فنصلي ركعتين من غير الفريضة، ثم ندعو الله ونتوكل عليه، وفي دعاء الاستخارة نفي لحولنا وقوتنا وعلمنا، وفيه توكل واعتماد على الله سبحانه وتعالى؛ بخلاف ما كان يفعله أهل الجاهلية من التطير.

قال المصنف رحمه الله: **(ولهما: عن أنس؛ قال: عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: "لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفألُ"؛ قالوا: وما الفأل؟ قال: "الكلمةُ الطيبةُ")**

(لهما): أي للبخاري[٢] ومسلم[٣]

(لا عدوى ولا طيرة) نفس المعنى المتقدّم.

("ويعجبني الفأل"؛ قالوا: وما الفأل؟ قال: "الكلمة الطيبة") فالفأل: فيما يسرّ وفيما يسوء، وأما الطيرة؛ فلا تكون إلا فيما يسوء.

والفأل فيما يسوء منهيٌّ عنه أيضا؛ لكن التفاؤل فيما يسرّ -كالكلمة الطيّبة-؛ فلا بأس به، قال بعض أهل العلم: الفرق بين التشاؤم والتفاؤل: أن التشاؤم سوء ظنٍّ بالله تعالى بغير سببٍ محقّق، والتفاؤل حسنُ ظنٍّ به، والمؤمن مأمورٌ بحسن الظن بالله على كل حال؛

(١) أخرجه أحمد(١٤٢٧٧) من رواية الحسن عن جابر بن عبد الله مرفوعا، قال أبو زرعة: الحسن لم يلق جابراً
(٢) (٥٧٥٦)
(٣) (٢٢٢٤)

فالتفاؤل جائز لا بأس به؛ كأن يكون الرجل مريضاً مثلاً فيسمع آخَر يقول: يا سالم؛ فيقع في ظنّه أنه يبرأ من مرضه؛ فهذا لا بأس به؛ يعني: التفاؤل بالخير لا بأس به، أما التشاؤم بالسوء؛ فلا، ما يجوز؛ هذا الفرق بين الأمرين.

قال المصنّف رحمه الله تعالى: **(ولأبي داوود بسند صحيح عن عقبة بن عامر؛ قال: ذُكِرت الطِّيَرَة ُعند رسول الله ﷺ؛ فقال: "أحسنها الفأل، ولا تَرُدُّ مُسْلِماً، فإذا رأى أحَدُكُمْ ما يَكْرَهُ؛ فَلْيَقُلْ: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنتَ، ولا يَدْفَعُ السيئاتِ إلا أنتَ، ولا حول ولا قوة إلا بك")**

على المعنى المتقدم: أن الفأل لا بأس به.

(ولا ترد مسلماً) يعني المسلم لا يبالي بها؛ إن طارت إلى الشمال، أو رأى شيئاً تشاءم به؛ لم يترك طريقه الذي يسلكه من أجل هذا الأمر؛ لأنه يتوكل على الله سبحانه وتعالى حق توكله؛ فلا يترك طريقه ومسيره إلى الخير من أجل أنه تشاءم بشيءٍ.

(فإذا رأى أحدكم ما يكره؛ فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك) الحديث ضعيف لا يصحّ[1]؛ فهذا الدعاء لا يصحّ.

قال المصنف: **(وعن ابن مسعود مرفوعاً: "الطيرةُ شركٌ، الطيرة شرك" وما مِنَّا إلا..؛ ولكنَّ الله يُذْهِبُهُ بالتَّوَكُّلِ. رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود)**

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩١٩)، وانظر "سلسلة الأحاديث الضعيفة" (١٦١٩)

(الطيرة شركٌ) هذا من حديث النبي ﷺ؛ مرفوع؛ فهي شركٌ بالله تبارك وتعالى، تخلّ بتوكل العبد على ربه تبارك وتعالى؛ وهذا فيه تحريم الطيرة؛ لأن فيها تعلق القلب بغير الله تبارك وتعالى؛ وهذا فيه شرك؛ نوع شرك.

(وما منا إلا ...) هذا الكلام ليس للنبي ﷺ؛ بل الكلام لابن مسعود؛ ومعناه: ما منا إلا ويحصل في قلبه شيء من ذلك.

(ولكن الله يذهبه بالتوكل) هكذا يكون المؤمن؛ أي: إذا كان معتمداً على الله بحق ومحقّقاً للتوكّل؛ فما يقع في قلبه لا يبالي به؛ يطرده.

(رواه أبو داود[1] والترمذي[2] وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود) وهذا الصحيح؛ فآخره من قوله :"وما منا إلا ..." إلى آخره؛ هذا من كلام ابن مسعود وليس من كلام النبي ﷺ.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(ولأحمد[3] من حديث ابن عمرو: "من ردته الطيرة عن حاجته؛ فقد أشرك"؛ قالوا: فما كَفَّارةُ ذلك؟ قال: "أَنْ تقولَ: اللهم لا خَيْرَ إلاَّ خَيْرُكَ، ولا طَيْرَ إلا طَيْرُكَ، ولا إله غَيْرُكَ")**

(١) (٣٩١٠)
(٢) (١٦١٤)
(٣) (٧٠٤٥)

(من ردّته الطيرة عن حاجته) مثلاً: كان يمضي في طريق فرأى شيئاً تشاءم به، أو سمع شيئاً تشاءم به؛ فرجع؛ هذا قد وقع في الشرك؛ لأنه أخلَّ بالاعتماد على الله تبارك وتعالى وتعلَّق قلبه بغيره.

(قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: "أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك") هذا كفارته؛ وهذا الحديث في إسناده ابن لهيعة، وابن لهيعة لا يُعتمد عليه.

قال المؤلف رحمه الله: **(وله من حديث الفضل بن العباس؛ قال: إنّما الطِّيَرَةُ ما أَمْضاكَ أوْ رَدَّكَ)**

(له) أي لأحمد[1].

(إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك) أي: ما كان له أثرٌ في قلبك، واستقرّ، ومضيت بناءً عليه؛ إما مضيت في شأنك، أو رجعت عنه بسبب ما حصل في قلبك من التشاؤم؛ هذه حقيقة التشاؤم الضارّة التي عليها مؤاخذة عند الله؛ وهي الشرك، أما إذا وقع في قلبك شيء وطردته واعتمدت على ربك؛ فهذه لا تضرك؛ هذا المعنى المقصود من كلام الفضل بن عباس.

خلاصة الكلام: أن الطيرة شرك؛ يعني: التشاؤم محرّم وهو من الشرك بالله تبارك وتعالى.

---

(١) (١٨٢٤) عن الفضل بن العباس مرفوعا؛ قال الإمام أحمد: (حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلاثَةَ، عَنْ مَسْلَمَةَ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمًا فَبَرِحَ ظَبْيٌ، فَمَالَ فِي شِقِّهِ فَاحْتَضَنْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَطَيَّرْتَ؟ قَالَ: " إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ، أَوْ رَدَّكَ ") ضعيف في سنده ابن علاثة، وفيه انقطاع بين مسلمة والفضل بن عباس. انظر: "الآداب الشرعية" لابن مفلح (٣٥٨/٣).

والأمر الأخير الذي أريد أن أنبه عليه: أن التشاؤم هذا من الشرك، وهو تارة يكون من الشرك الأكبر، وتارة يكون من الشرك الأصغر، فإذا كان الشخص يعتقد في الشيء الذي تشاءم به أنه هو ينفع ويضر؛ فهذا شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام، أما إذا اعتقد أنه سبب فقط للنفع أو للضر؛ فمثل هذا يعتبر من الشرك الأصغر لا من الشرك الأكبر.

هذا تفصيل التطير، وهل هو من الشرك الأكبر أم من الشرك الأصغر؛ يعني إن اعتقده سبباً فهذا من الشرك الأصغر، وإن اعتقد أنه هو يؤثر بنفسه؛ فهذا يعتبر من الشرك الأكبر. والله أعلم

الباب الثامن والعشرون: باب ما جاءَ في التَّنْجيمِ

أي: ما جاء من أدلة شرعية تدلّ على النهي عن التنجيم.

والتنجيم: الاستدلال بالنجوم على الحوادث الأرضية، ودعوى أن حركة النجوم في السماء تدلّ على أشياء تقع في الأرض- أشياء غيبية-؛ فالمُنجّم يدّعي معرفة أمور غيبية بالنظر في النجوم وحركة الأفلاك؛ هذا معنى التنجيم المراد هنا.

وعلم النجوم علمان: علم تأثير، وعلم تسيير، والذي نتحدّث عنه - الذي حرّمه الشارع -؛ هو علم التأثير الذي يدعي أصحابُه أن النجوم تؤثّر في حركة الأشياء على الأرض؛ فيدّعون معرفة الأمور الغيبية بالنجوم، هذا الاعتقاد- اعتقاد أن النجوم لها تأثير على الأرض- اعتقاد كفري، وادّعاء معرفة الغيب أيضاً بالنجوم؛ كذلك اعتقاد كفري، وادّعاء كفري، قد تقدّم معنا موضوع الكهانة وادّعاء معرفة الأمور الغيبية ؛ كذلك يُقال ما قلناه سابقاً في هذا الباب، فعلم النجوم المنهي عنه: ما يدّعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان- هكذا قال أهل العلم-كأوقات هبوب الريح، ووقت تغير الأسعار، وكيف يتغير السعر من غلاء إلى رخص؛ وما شابه من الأشياء؛ يعني: المنجّم يدّعي أنه يعرف أمور غيبية ستقع على الأرض من خلال النجوم؛ هذا العلم هو المنهي عنه؛ وهو شركي كفري.

أما العلم الآخر وهو علم التسيير: وهو الاستدلال بالنجوم على الطُّرُق؛ تعرف الشمال من الجنوب من الشرق من الغرب، وتسير في الأرض، أو تكون في البحر؛ فتعرف الطرقات من خلال النجوم؛ هذا لا بأس به وهو من الجائز شرعاً كما سيأتي في الأدلة، لكن خلاصة الموضوع: هو ما ذكرنا؛ أنّ علم التنجيم- علم التأثير-؛ هذا كفر بالله وكفرٌ مخرج من ملة الإسلام، أما علم التسيير؛ فهذا جائز.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(قال البخاري في "صحيحه": قال قتادة: خَلَقَ الله هذه النُّجومَ لِثَلاثٍ: زينَةً للسماءِ، ورُجوماً للشياطينِ، وعلاماتٍ يُهْتَدى بها، فَمَنْ تَأَوَّلَ غَيْرَ ذلِكَ؛ فقدْ أَخْطَأَ، وأضاعَ نَصيبَهُ، وتَكَلَّفَ ما لا عِلْمَ له بهِ. انتهى)**

(قتادة) ابن دِعامة أحد علماء التابعين رضي الله عنهم، والبخاري في "صحيحه" ذكره معلّقاً[1].

(خلق الله هذه النجوم لثلاث) إذاً ماذا نستفيد من النجوم؟

نستفيد منها ثلاثة أمور:

(زينةً للسماء) هذا الأمر الأول؛ زينةً للسماء؛ لقول الله تبارك وتعالى: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ}[2]، هذه الآية فيها أمران: الأول؛ أنها زينة للسماء {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ}؛ هي مثل السُّرُج، مثل الأضواء التي في بيوتنا، لها نور تتلألأ؛ سُرُج؛ فهي زينة لهذه السماء، لها منظر جميل؛ هذا الأمر الأول.

(ورجوماً للشياطين) تقدّم معنا أن الشياطين يحاولون استراق السمع، فيرقى بعضهم على بعض إلى أن يصلوا إلى السماء؛ فيحاولون سماع ما يدور بين الملائكة في السماء ويسترقون السمع؛ فيرسل الله سبحانه وتعالى عليهم هذه المصابيح- الرجوم- التي هي الشُّهُب؛ فتقضي عليهم على التفصيل الذي تقدّم معنا في الماضي، ودليله قول الله تبارك وتعالى:{ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ} يعني: يُرجَم بها الشياطين؛ فيُضربون ويُحرَقون بها؛ هذا الأمر الثاني.

الأمر الثالث؛ قال:

---

(١) (٤/١٠٧) (باب في النجوم)

(٢) [الملك:٥]

(وعلاماتٍ يُهتدى بها) علامات؛ كما قال الله سبحانه وتعالى: {وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ}[١]، "علامات"؛ أي: دلالات على الجهات، "يُهتدى بها": يعني: يَهتدي بها الناس؛ فيعرفون الطريق، يعرفون الشرق من الغرب من الشمال من الجنوب، من خلال هذه النجوم؛ فيهتدون إلى الطرق التي يريدونها، هذه الأمور الثلاثة هي التي نستفيدها من النجوم؛ وهي التي ذُكِرت أدلّتها في الكتاب.

قال قتادة:

(فمن تأول فيها غير ذلك؛ فقد أخطأ) "فمن تأوّل فيها" يعني: من اعتقد فيها غير ذلك من هذه الأمور الثلاثة التي دلّ عليها كتاب الله تبارك وتعالى؛ "فقد أخطأ.

(وأضاع نصيبه مِن الدِّين) وهذا يقتضي أنه يَكفُر.

(وتَكلَّفَ ما لا علم له به) يعني: تكلّمَ في أشياء لا علم له بها؛ تكلّمَ عن جهلٍ؛ مجرّد ظنون لا أدلة عليها؛ هذا المعنى عندما يتكلم في النجوم بأكثر مما ذُكِر من الأشياء الثلاثة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وكَرِه قتادةُ تعلُّمَ منازِلِ القمرِ، ولم يُرَخِّصِ ابنُ عيينة فيه، ذكره حربٌ عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق)**

(منازل القمر) مَداراته التي يدور فيها حول الأرض، يدور كل ليلة في أحدها؛ وهي ثمانية وعشرون، لكلٍّ منها اسمٌ معيَّنٌ، ولكلّ فصلٍ من فصول السنة سبعة منازل؛ هذا المقصود بمنازل القمر؛ وقد كَرِهَ قتادة تعلّمَ ذلك، والظاهر أن كراهيته لذلك؛ لأنه وسيلة لأن يُعتقَد فيها ما لا يجوز؛ فكره ذلك سدّاً للذريعة.

---

(١) [النحل: ١٦]

(ولم يرخّص ابن عُيَيْنَةَ فيه) كذلك منعه؛ هذا مما كان السلف رضي الله عنهم يمنعونه سدّاً للذريعة؛ لأنه يوصل إلى المحذور، وربّما مَن تعلَّمَ منازل القمر أن يؤدي به الأمر إلى أن يعتقد أنها تؤثّر في الكون؛ وهذا كفرٌ- نعوذ بالله.

(ذكره حربٌ عنهما) أي: نقله عنهما حربُ بنُ إسماعيل، أبو محمد من أصحاب الإمام أحمد.

(ورخّص في تعلُّمِ المنازل أحمد وإسحاق) أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه صاحبه؛ إمامان، رخّصوا في تعلّم المنازل إذا لم يؤدِّ بصاحبه إلى الاعتقاد الفاسد؛ فلا بأس بتعلُّمِه، فمَن عرف خطورة هذا الاعتقاد، وأنّه محرّم واجتنبه؛ فلا بأس أن يتعلّم المنازل، وأما غيره؛ لا، والأفضل: سدّ الذريعة.

خلاصة البحث: تعلُّمُ علم التسيير جائز، وتعلم علم التأثير محرّم، فالمأذون في تعلمه: علمُ التسيير، والمحرّم: علمُ التأثير؛ هذا خلاصة الموضوع، على ما تقدّمَ من التفصيل والتفريق بين العِلمين.

قال المصنّف رحمه الله تعالى: **(وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثةٌ لا يَدْخُلُونَ الجنةَ: مُدْمِنُ الخَمْرِ، وقاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بالسِّحْرِ". رواه أحمد[١]، وابن حبان في "صحيحه"[٢])**

هذا الحديث ضعيفٌ، لا يصحّ محل الشاهد منه، والمؤلف رحمه الله ذكره لقوله في آخره: "ومصدّقٌ بالسحر"، والربط بين السحر والتنجيم: أن التنجيم نوعٌ من السحر؛ لأنه جاء

(١) (١٩٥٦٩)
(٢) (٦١٣٧)

في الحديث: "من اقتبس شعبة من النجوم؛ فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد"؛ فالتنجيم نوعٌ من السحر بناء على هذين الحديثين، وهذا الحديث- كما ذكرنا-: لا يصحّ.

هذا ما يتعلق بمبحث التنجيم.

الباب التاسع والعشرون: بابُ ما جاء في الاسْتِسْقاءِ بالأنْواءِ

قال المؤلف رحمه الله: **(باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء)**

ما جاء من أدلة شرعية في الكتاب والسنة تدل على تحريم ذلك وأنه كفر.

(الاستسقاء): طلب السقيا.

(الأنواء) أي: بالنجوم، كانوا في الجاهلية يعتقدون أن حركة القمر والنجوم لها تأثير في نزول المطر وفيما يحدث على هذا الكوكب، فالباب الذي سبق في مسألة التنجيم عموماً، وهذا خاصٌّ بمسألة الاستسقاء؛ طلب السقيا- طلب المطر- من النجوم؛ لأنها هي التي تؤثّر فيما يزعمون؛ هذا هو الكفر لأن فيه ادّعاء خالق مع الله سبحانه وتعالى، رازق، مدبر مع الله سبحانه وتعالى؛ وهذا كفرٌ بالله تبارك وتعالى .

قال المؤلف رحمه الله: **(وقول الله تعالى: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}[1])**

الآية التي جاءت هذه الآية في سياقها قوله تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}، {أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ } أي: بهذا القرآن أنتم تكذّبون، وتزعمون أنه من قول محمد أو من قول فلان، {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}،

---

(١) [الواقعة]

{رزقكم} يعني المطر؛ تجعلون ما يرزقكم الله سبحانه وتعالى من المطر كذباً من عندكم بأن هذا المطر مطرتموه بالأنواء؟ بنوء كذا وكذا؛ فتنسبون المطر إلى الأنواء فلا تشكرون الله سبحانه وتعالى على نعمة المطر التي هي من أنعم عليكم بهذا؛ ولكن تنسبون المطر إلى الأنواء؟

والأنواء جمع نوء، من ناء ينوءُ؛ إذا نهض، والنوء: عبارة عن أحد منازل القمر الثمانية والعشرين؛ فكانت العرب في الجاهلية تزعم أن المطر إنما ينزل بسبب طلوع النجم، وبعضهم يقول: المطر يحصل بسبب غروب النجم الذي يغرب في الفجر؛ المهم: أنهم يضيفون نزول المطر إلى طلوع النجم أو غروبه، ويظنون أن طلوع النجم أو غروبه هو الذي يسبب نزول المطر؛ "مطرنا بنوء كذا وكذا"؛ وكذّبهم الله سبحانه وتعالى في ذلك بقوله: {وتجعلون رزقكم} يعني: المطر {أنّكم تكذّبون}؛ فتنسبونه إلى الطالع والغارب- وهي من النجوم- نجمٌ طالع ونجمٌ غارب؛ فيكذبون على الله سبحانه وتعالى وينكرون نعمة الله ويجحدونها؛ والواجب: إضافة النعمة لله تبارك وتعالى.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وعن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: "أربعٌ في أُمَّتي مِنْ أَمْرِ الجاهِلِيَّةِ لا يتركونهن: الفَخْرُ بالأَحْساب، والطَّعْنُ في الأَنْساب، والاسْتِسْقاءُ بالنُّجومِ، والنِّياحَةُ". وقال: "النَّائِحَةُ إذا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِها؛ تُقامُ يَوْمَ القِيامَةِ وعليها سِرْبالٌ مِنْ قَطِرانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ". رواه مسلم[(١)])**

(١) (٩٣٤)

هذه الأربع من أمور الجاهلية باقية في هذه الأمة؛ وإلى يومنا هذا، ومع علمهم بتحريمها؛ إلّا أنها باقية فيهم، وكانت موجودة في أهل الجاهلية، وستبقى موجودة؛ وهذا من دلائل نبوّة نبينا ﷺ؛ أخبرَ أنها ستبقى وقد بقيَت.

(الفخر بالأحساب) هذا الأمر الأول؛ يعني التعاظم على الناس بالآباء ومناقبهم ومآثرهم؛ هذا جهلٌ من فاعله؛ لأن كرم الإنسان ومنزلته ومكانته ليست بآبائه ونسبه إنّما بتقواه {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}[1]؛ فالافتخار بحق يكون بتقواك لله سبحانه وتعالى.

(والطعن في الأنساب) والطعن في الأنساب؛ يعني: الوقوع فيها بالعيب والتنقّص؛ تقول للشخص: نسبك وضيع حقير، ونسبي رفيع؛ تطعن في نسبه، تقلل من شأنه؛ هذا معنى الطعن في أنساب الناس، أو الطعن في ثبوت نسب شخصٍ من غير بيّنة ولا دليل صحيح.

(والاستسقاء بالنجوم) هذا الشاهد، وقد ساق المؤلف الحديث لأجل هذا الموضع.

والاستسقاء: طلب السقيا بالنجوم؛ نسبة المطر إلى النوء، وهو سقوط النجم؛ وهذا محرّم، فمن اعتقد أنه سبب؛ فهذا شركٌ أصغر، ومن اعتقد أن له تأثيراً- هو الذي ينزل المطر-؛ فهذا كفرٌ مخرج من ملة الإسلام.

(والنياحة): رفع الصوت بالندب على الميّت، من باب الجزع والتسخّط؛ "وا ويلاه على فلان كان ناصري، كان يفعل وكان يفعل"؛ كما تفعل كثير من الجاهلات من النساء، النياحة تسخّطٌ على قضاء الله سبحانه وتعالى وقدره؛ وذلك ينافي الصبر الواجب؛ وهذا من كبائر الذنوب.

(وقال: والنائحة): التي تنوح على الميت.

---

(١) [الحجرات:١٣]

(إذا لم تتب قبل موتها) عقابها شديد:

(تُقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قَطِران) السربال: ثياب يلطّخن بالقطران؛ فكأن الواحدة قد لبسته لباساً، والقطران الذي هو النحاس المُذاب.

(ودرعٌ من جرب) الدرع كالثوب أيضاً، والجرب: مرض جلدي؛ فتصوّر أنت هذا الشكل؛ تصوّر شدة الألم: نحاس مذاب يغلي وجَرَب. نسأل الله أن يعافينا وإياكم؛ أنواع العذاب يوم القيامة شديدة، مَن تأمَّلَها، لو اجتمع عليه عذاب الدنيا كلِّه؛ لهان أمام عذاب واحد من عذاب يوم القيامة، فعلاً كثيرٌ من الناس ما أعطَوا القيامة قدْرها، ولا فهموا حقيقة ما سيحصل فيها، ولا عرفوا جهنم معرفةً يقينيّة، وإلا؛ لَما غرّتهم الدنيا على الصورة التي نراهم عليها اليوم؛ فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحمنا جميعاً برحمته.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(ولهما: عن زيد بن خالد؛ قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صَلاةَ الصُّبحِ بالحُدَيْبِيَة على إثْرِ سَماءٍ كانتْ مِنَ الليلِ، فلما انْصَرَفَ؛ أقْبَلَ على النَّاسِ؛ فقال: "هَلْ تَدْرونَ ماذا قال رَبُّكُمْ؟" قالوا: الله ورسوله أعلم؛ قال: "قال: أصْبَحَ مِنْ عِبادي مُؤْمِنٌ بي وكافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قالَ: مُطِرْنا بِفَضْلِ الله ورَحْمَتِهِ؛ فذلك مُؤْمِنٌ بي، كافِرٌ بالكَوْكَبِ، وأما مَنْ قال: مُطِرْنا بِنَوْءِ كذا وكذا؛ فذلِكَ كافِرٌ بي، مُؤْمِنٌ بالكَوْكَبِ")** (ولهما) يعني: للبخاري[1] ومسلم[2].

(عن زيد بن خالد) هو أحد الصحابة.

---

(١) (٨٤٦)

(٢) (٧١)

(صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية) اسم مكان على حدود الحرم من جهة الغرب.

(على إثر سماء كانت من الليل) يعني: بعد نزول مطر كان قد نزل في الليل؛ إثر سماء: يعني مطر.

(فلما انصرف أقبل على الناس) لمّا انتهى من صلاته؛ أدار وجهه إلى الناس.

(فقال: "هل تدرون ماذا قال ربكم؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر") لاحِظ! قسّم العباد إلى قسمين: مؤمن به وكافر؛ مَن المؤمن؟

قال:

(فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته؛ فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب) أعاد الفضل لصاحبه؛ صاحب الفضل؛ وهو الله سبحانه وتعالى؛ فنَسَبَ المطر لله سبحانه وتعالى، وقال: مُطِرنا بفضل الله ورحمته؛ فذلك مؤمنٌ بي كافر بالكوكب، يجحد أن يكون الكوكب له أثرٌ في نزول المطر؛ يُكذّب بذلك.

(وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا) يعني مطرنا بنجم كذا وكذا.

(فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب) من اعتقد أن الكوكب هو الذي يمطر؛ فقد جعل خالقاً مع الله؛ كفر بذلك، ومن اعتقد أنه سبب؛ فقد جعل شيئاً سبباً نفاه ربنا تبارك وتعالى؛ وهذا من الشرك الأصغر؛ هذا هو تفصيل هذه المسألة وما يدلّ عليه الحديث.

قال المصنف رحمه الله: **(ولهما من حديث ابن عباس، معناه وفيه: قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا؛ فأنزل الله هذه الآيات: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ**

تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢))

(لقد صدق نوء كذا وكذا) ألفاظ يعبّرون عنها؛ "لقد صدق نوء كذا وكذا" فصدّقوه، نسبوا نزول المطر إلى النوء؛ فصدّقوه فيما نسبوه إليه.

(فأنزل الله هذه الآيات: {فلا أقسم بمواقع النجوم}) قال أهل العلم: هذا قسم، والله يقسم بما يشاء من خلقه.

({وإنه لقسم لو تعلمون عظيم}) هذا القسم قسم عظيم؛ يقسم على ماذا؟

قال:

({إنه لقرآن كريم}) على أن هذا القرآن قرآن كريم؛ فكأنه يقول: ليس الأمر كما تزعمون؛ أن القرآن هو سحر أو كهانة أو ما شابه؛ بل هو قرآن كريم.

({في كتاب مكنون}) يعني: محفوظ؛ في كتاب محفوظ؛ وهو اللوح المحفوظ.

({لا يمسّه إلا المطهرون}) يعني الملائكة؛ هم الذين يمسّونه فقط؛ فاللوح المحفوظ لا يمسّه إلا الملائكة.

({تنزيل من رب العالمين}) يعني نزل من عند الله تبارك وتعالى؛ وهو القرآن؛ نزل به جبريل إلى نبيّنا محمد ﷺ وبلغه نبينا ﷺ لأمته.

({أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذّبون}) تقدّمَ شرحها.

الباب الثلاثون: باب قول الله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ...}

قال المؤلف رحمه الله: (قول الله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ}[(١)])

هذا الباب علاقته بالتوحيد: أن المحبة التعبّدية يجب أن تكون خالصة لله سبحانه وتعالى، وإذا صُرف شيءٌ منها لغيره؛ يكون الصارف قد وقع في الشرك؛ أشرك مع الله غيره في أمرٍ هو من خصائص الله سبحانه وتعالى؛ وهي المحبة التعبدية؛ محبة العبادة، وهي التي توجب التذلل والتعظيم؛ فمحبة العبادة: ما يوجب التذليل والتعظيم؛ يعني: معها خضوع وتذلل بإطاعة الأمر واجتناب النهي؛ بهذا تكون محبّةً تعبّدية، أي: نحبّ الله سبحانه وتعالى؛ نحبه محبةً معها كمال الخضوع والتذلّل له والتسليم والطاعة لأمره واجتناب نهيه؛ هذه محبة تعبّدية، وصرْفُها لغير الله شرك، وأنت تلاحظ أن عُبّاد القبور عندهم هذه المحبة؛ يُشركون في محبّة الله تبارك وتعالى ويحبون أولياءهم؛ إما مثل محبتهم لله أو أعظم؛ فتجده يخشع ويتذلّل عند صاحب القبر، ويَذِلّ له، وينذر له، يدعوه، يستغيث به، يسجد له؛ لماذا؟

لأنه قد أحبّه محبةً عظيمة معها كمال الخضوع والتذلّل؛ هذه هي محبّة العبادة.

من المحبّة ما ليست عبادة، هي محبة طبيعية جعلها الله سبحانه وتعالى في قلوب العباد؛ كمحبة الأب لابنه، محبة الزوج لزوجته، وما شابه؛ هذه محبة طبيعية وليست تعبدية، المحبة التي نتحدث عنها هي المحبة التعبدية التي يكون معها كمال الخضوع والتذلّل، هي

(١) [البقرة:١٦٥]

توجبه؛ توجب كمال الخضوع والتذلل للمحبوب؛ هذه المحبة هي التي قال الله سبحانه وتعالى فيها:

({ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً}) يعني من الناس من يتّخذ من غير الله أنداد؛ يعني: من يجعلونه نِدّاً لله، مثيلاً له.

في ماذا؟ في المحبة؛ ولذلك قال:

({يحبونهم كحب الله})، {يحبونهم}: يحبون الأنداد الذين اتخذوهم مع الله، وجعلوهم نداً لله؛ يحبونهم كما يحبون الله، {يحبونهم كحب الله}؛ وهذا معنى الشرك: أن تحب مخلوقاً مع الله تبارك وتعالى، أن تحب شيئاً مع الله تبارك وتعالى، كحبِّك لله أو أعظم حباً؛ هذا الشرك بالله تبارك وتعالى في محبة الله تبارك وتعالى.

{ومن الناس من يتخذ من دون الله} يعني من غير الله {أنداداً} يعني: أُناساً أو مخلوقات؛ يجعلونها نداً؛ مماثلة ومشابهة لله في محبتهم لهم؛ فيحبونهم كحبّ الله أو أشد حباً؛ هذا معنى الآية، والباب معقود لهذا: أن هذه المحبة التعبدية يجب أن تكون لله خالصة، ولا يجوز صرفها لغير الله، وصرفها لغير الله شركٌ.

ما هو ضابطها؟

قلنا: المحبة التي معها كمال الخضوع والتذلل؛ فأنت تطيع المحبوب وتجتنب ما نهى عنه من أجل خضوعك وتذللك له ومحبته وتعظيمه في قلبك؛ هذا معنى المحبة التعبدية

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وقوله :{قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}[(١)])**

({قل}) يا أيها الرسول

({إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ} يعني قبائلكم {وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا} يعني اكتسبتموها {وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا} أي: تخشون عدم نفاذها {وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ}) بحيث إنكم تقدّمون الاستمتاع بهذه الأشياء وتقدمون طاعة الوالدين وطاعة القبيلة والعشيرة على أمر الله تبارك وتعالى؛ هذا يدل على أن محبتكم لهذه الأمور أعظم من محبتكم لله تبارك وتعالى؛ حيث إنكم قدمتم أوامر الوالدين وأوامر القبيلة وأطعتم الأزواج في معصية الله سبحانه وتعالى؛ هنا في هذه الحالة تكونون قد قدمتم هذه الأمور على أمر الله تبارك وتعالى، {وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ} يعني إن كانت هذه الأمور أحبّ إليكم من الله {وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ}؛ قال:

({فَتَرَبَّصُوا}) يعني إذا كانت هذه الأشياء المذكورات هي أحب إليكم من الله ورسوله فلا تطيعون الله سبحانه وتعالى؛ لكن تطيعون الوالدين أو تطيعون العشائر أو الأزواج أو تركنون إلى الدنيا وتتركون أوامر الله سبحانه وتعالى وطاعته؛ {فتربصوا} إذا كانت هذه هي الحال؛ فانتظروا عقاب الله سبحانه وتعالى.

({حتى يأتي الله بأمره}) أي بعقابه، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "فدلت الآية على أن محبة هؤلاء، وإن كانت من غير محبة العبادة" وهذه محبة طبيعية؛ كمحبة الأب، ومحبة

---

(١) [التوبة:٢٤]

الابن، والزوجة، والقبيلة؛ كلها محبات طبيعية؛ قال رحمه الله: "وإن كانت من غير محبة العبادة؛ إذا فضلت على محبة الله صارت سبباً للعقوبة، ومن هنا نعرف أن الإنسان إذا كان يهمل أوامر الله لأوامر والده؛ فهو يحب أباه أكثر من ربه، وما في القلوب- وإن كان لا يعلمه إلا الله- لكن له شاهداً في الجوارح" يعني إذا كان ما في القلب مخفياً، نحن لا نراه؛ لكن ما تفعله بجوارحك يدل عليه؛ لأن الظاهر والباطن متلازمان، فما استقر في قلبك؛ نتجت عنه أعمالك الظاهرة في الخارج سواء كان خيراً أو كان شرّاً؛ فهذا المقصود من الآية؛ قالوا: فلا بد من إيثار ما أحبه الله من عبده وأراده على ما يحبه العبد ويريده؛ فيحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله، ويوالي فيه ويعادي فيه؛ هذا كله من لوازم محبة الله تبارك وتعالى، ويتابع رسولَه ﷺ كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم:{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}[1] ، إن كنتم صادقين في محبتكم لله؛ إذاً فاتبعوا أمر رسوله ﷺ واتبعوا سنته، والنتيجة: أنكم تصلون إلى أن يحبّكم الله تبارك وتعالى، إذاً من لوازم محبّتك لله: أن تتّبع رسوله ﷺ، وأن تقدّم أمره ونهيه على هواك؛ هذا المعنى الذي تدلّ عليه الآية.

ثم قال: **(عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتى أَكُونَ أَحَبُّ إليهِ مِنَ وَلَدِهِ ووالِدِهِ والنَّاسِ أَجْمَعِين". أخرجاه)**

(١) [آل عمران: ٣١]

هنا قاعدة يجب أن تعرفها؛ وهي: أنه إذا جاءك في حديثٍ قول: (لا يؤمن) أو في آية: (لا يؤمن)؛ فاعلم أن المنفي: إما واجبٌ أو شرطٌ أو ركنٌ في الإيمان؛ يعني: لا يصح الإيمان إلا به، أو أنه واجب؛ لا يتم الإيمان الواجب إلا به؛ كما في هذا الحديث.

قال: ("لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين") هنا الآن: إما أن يقال: بأن تقديم محبة الرسول ﷺ على محبة كل شيء؛ إما أن يقال بأن الإيمان لا يصح إلا بها؛ لأن هذا ما يقتضيه النفي: "لا يؤمن"، أو أن يقال: بأن نفي الإيمان المراد به نفي الإيمان الواجب؛ يعني: أنه إذا لم يفعله يكون آثماً، ولا يكون كافراً؛ بخلاف نفي أصل الإيمان، فإذا قلنا هنا بأن النفي نفي لأصل الإيمان؛ يكون كافراً إذا لم يأت به.

فهنا الآن: عدم تقديم محبة النبي ﷺ على كل شيء؛ إما أن يكون كفراً أو أن يكون فِسقاً، يعني: إذا قلنا النفي هنا نفي لأصل الإيمان: "لا يؤمن أحدكم"؛ يكون من لم يأت به كافراً، أو أن نقول: بأن نفي الإيمان هنا نفي للإيمان الواجب- تمام الإيمان الواجب، الإيمان الواجب عنده ناقص-؛ فيكون فاسقاً؛ فهذا اللفظ: "لا يؤمن" لا يأتي إلا لأحد هذين الأمرين: إما لنفي أصل الإيمان، أو لنفي التمام الواجب للإيمان؛ هذا يجب أن يُفهَم جيّداً؛ هذه قاعدة ذكرها ابن تيمية رحمه الله، ولعلّها مذكورة عندكم في الشرح الذي شرحه الشارح في "فتح المجيد".

وهنا في هذا الموطن، المراد بالنفي: نفي كمال الإيمان الواجب، وليس نفياً لأصل الإيمان؛ يعني: أن من لم يقدّم محبة الرسول ﷺ على محبة كل شيءٍ؛ يكون فاسقاً لم يأتِ بما أوجب الله عليه- أو بكلّ ما أوجب الله عليه-.

لماذا قلنا هذا ولم نقل بأنه نفيٌ لأصل الإيمان؛ فيكون كافراً إذا لم يفعل ذلك؟

قلنا هذا لحديث عمر أنه قال للنبي ﷺ: (إنك لأحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي) لاحظ هنا؛ قال عمر: (إلا من نفسي)؛ قال النبي ﷺ: "لا والذي نفسي بيده؛ حتى أكون أحب إليك من نفسك" قال: (الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي)؛ فقال النبي ﷺ: "الآن يا عمر"[1] ؛ أي: الآن حتى أتممت الواجب؛ لذلك قلنا بأن الإيمان المنفي هنا هو كمال الإيمان الواجب؛ إلا إذا خلا القلب من محبة الرسول ﷺ تماماً؛ فهنا يكون النفي لأصل الإيمان وليست مسألة تقديم، ما خلا من محبة النبي ﷺ؛ يعني: لا يحب النبي ﷺ؛ هذا لا يكون مؤمناً.

"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"، إذا كان النبي ﷺ في نفس المؤمن بهذه الدرجة؛ سيقدّم اتّباعه على كلّ ما تهوى نفسه ولا بدّ؛ هذا من لوازمها، والمسألة تزيد وتنقص على حسب المحبة؛ محبة النبي ﷺ في القلب؛ على حسب المحبة يزيد الاتباع وينقص.

(أخرجاه)[2]

الشاهد من الحديث المتقدّم: أنه إذا كانت محبة الرسول ﷺ بها يتحقق كمال الإيمان، فلا يتحقق كمال الإيمان إلا بأن يكون الرسول أحب إلى الإنسان من نفسه ومن الناس جميعاً؛ فمحبة الله أولى وأعظم.

---

(١) أخرجه البخاري(٦٦٣٢) عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه.
(٢) البخاري(١٥)، ومسلم(٤٤).

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(ولهما عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ: أَنْ يَكونَ اللهُ ورَسولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِواهُما، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعودَ في الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّارِ" وفي رواية: "لا يَجِدُ أَحَدٌ حَلاوَةَ الإيمانِ حَتَّى ..... " إلى آخره)**

(لهما) أي: للبخاري ومسلم[1].

(عنه) يعني: عن أنس.

(قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث من كن فيه؛ وجد حلاوة الإيمان) أي: ثلاث خصال، إذا تحقّق وجودهن كاملات في نفسك؛ وجدت حلاوة الإيمان؛ أي: وجدت لذّته، للإيمان لذة عظيمة مَن وجدها في قلبه؛ عرفها، ولا يعرف تلك اللذة إلا من وجدها، وهذه الخصال الثلاث إذا حققها العبد تحقيقاً تامّاً؛ وجد هذه الحلاوة في قلبه ولا بدَّ.

(أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما) تقدّم محبة الله على كل شيء؛ فلا يُشرِك في محبة الله أحداً؛ حتى الرسول ﷺ، لا تكون محبته كمحبة الله تبارك وتعالى؛ ولكننا نحبه لأن الله تبارك وتعالى اصطفاه، ولأن الله تبارك وتعالى يحبه؛ فمحبته من محبة الله تبارك وتعالى، ولا نساوي محبته بمحبة أحدٍ؛ إلا أن محبته تابعة لمحبة الله تبارك وتعالى.

"أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما" فهذا يشمل كل شيء؛ وهذه المحبة لها لوازم: إذا أحببت الله تبارك وتعالى محبة حقيقية تامة، وأحببت الرسول ﷺ محبة حقيقية تامة؛ عندئذٍ يستلزم أن تحب طاعته تبارك وتعالى، وأن تحب طاعة الرسول ﷺ، وأن تحب التأسي به واتباعه؛ هذه لوازم المحبة، محبة ليست لها هذه اللوازم؛ ليست محبة

---

(١) البخاري(١٦)، ومسلم(٤٣)

حقيقية؛ فأعد النظر فيها؛ {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله}، إذا كانت محبّتك حقيقية تامة؛ ستولّد هذا الأمر: وهو طاعة الله تبارك وتعالى، وطاعة رسوله، والتأسي بنبيّه ﷺ، وعلى قدر المحبة؛ تكون هذه الطاعة؛ هي أمرٌ ملازم؛ هذه هي المحبة الحقيقية التي تُوْجِدُ حلاوة الإيمان في القلب.

(وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله) هذه أيضاً من لوازم محبة الله، إذا أحببت الله سبحانه وتعالى؛ أحببت أهل طاعته، أحببت أولياءه، أحببت الأنبياء والصالحين؛ لأنهم مطيعون لله تبارك وتعالى، محبوبون له؛ فأنت تحب من يحب حبيبك؛ تحبه لله، وتحبه مرضاة لله تبارك وتعالى؛ فأنت تتقرب إلى الله بحبّه، تحبه لأن الله يحبه، وتحبه قربةً لله تبارك وتعالى.

(وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه) لأن الله لا يحب الكفر، هو لا يحبه؛ فأنت لا تحب الكفر؛ لأن الله لا يحبه، وتكره أن تعود فيه؛ لأنه لا يرضي محبوبك، وفيه استنقاصٌ لحقّه؛ فلا ترضاه.

(كما يكره أن يُقذَف في النار) كراهيته للكفر ككراهيته لعذاب جهنم، من شدة محبته لله؛ فهو يحب ما يحب، ويبغض ما يبغض؛ بهذا ينال العبد حلاوة الإيمان.

(وفي رواية:" لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى..." [(١)]) يعني أن حلاوة الإيمان لا تتحقق إلا بهذه الخصال الثلاث.

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وعن ابن عباس؛ قال: "مَنْ أَحَبَّ في الله، وَأَبْغَضَ في اللهِ، ووالى في الله، وعادى في الله؛ فَإِنَّما تُنالُ ولايةُ اللهِ بِذلكِ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ**

---

(١) أخرجه البخاري(٦٠٤١)

الإيمانِ- وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُه وَصَوْمُهُ- حتى يَكونَ كذلكَ، وَقَدْ صارَتْ عَامَّةُ مُؤاخاةِ النَّاسِ على أَمْرِ الدُّنْيا؛ وذلكَ لا يُجْدي على أَهْلِهِ شيئاً". رواه ابن جرير)

هذا موقوف عن ابن عباس.

(من أحب في الله، وأبغض في الله) الحب في الله والبغض في الله، أُحِب أهل الإيمان، أهل الطاعة من أجل الله سبحانه وتعالى، وأبغض أهل الكفر، أهل المعصية والشرك؛ أبغضهم لله لأن الله يبغضهم: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}[١]، فمن أحب ربّه تبارك وتعالى؛ أحب من يحب وأبغض من يبغض، فأنت لا تحب أعداء الله؛ لأن الله لا يحبهم، فلا يمكن لعبدٍ أحب الله سبحانه وتعالى وأحب طاعته وأحب توحيده: أن يحب من يكفر بالله سبحانه وتعالى، ومن يسب الله، ومن يدّعي على الله ما لا يجوز في حقّه؛ لا يمكن أن يحصل هذا؛ محبّتك لله تبارك وتعالى تمنعك من هذا؛ أن تحب من يبغض الله تبارك وتعالى.

(ووالى في الله، وعادى في الله) الولاء: المحبة والنصرة؛ يحب الشخص لأنه قريب من الله، وينصره لذلك؛ فيقدم محبة الله تبارك وتعالى، والمحبة فيه على كل شيء؛ فتصبح إرادتك تابعة لإرادة الله تبارك وتعالى؛ فتريد ما يريده، وتحب ما يحبّه؛ هكذا تكون المحبة الحقيقية لله تبارك وتعالى، "والى في الله": أحبّ ونصر في الله، فإذا كان العبد مطيعاً لله أحبه ونصره، وإذا كان كافراً فاجراً؛ ابتعد عنه وأبغضه وعاداه.

(فإنما تنال وَلاية الله بذلك) يعني: تولّيه لعبده، كيف تريد من الله سبحانه وتعالى أن يتولّاك وأن يتكفّل بأمرك، أن يحفظك، أن ينصرك، أن يحبّك؛ كيف؟

(١) [المجادلة:٢٣]

بفعل هذا الأمر: أن تحب فيه وأن تبغض فيه وأن توالي فيه وأن تعادي فيه.

(ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان- وإن كثرت صلاته وصومه- حتى يكون كذلك) يعني يحب في الله ويبغض في الله ويوالي في الله ويعادي في الله.

(وقد صارت عامّة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا) يذكر حال الناس في ذاك الزمن، فلو جاء ونظر إلى زماننا؛ فماذا كان سيقول؟

و"مؤاخاة الناس": محبتهم، نصرتهم للشخص، موالاتهم له على أمر الدنيا، إن وجدوا منه منفعة دنيوية؛ والوه، وإن لم يجدوا منه منفعة دنيوية؛ عادوه.

(وذلك لا يجدي على أهله شيئاً) لا ينفعهم هذا الأمر عند الله تبارك وتعالى شيئاً.

(رواه ابن جرير) الطبري.

قال المصنف رحمه الله: **(وقال ابن عباس في قوله تعالى: {وتقطّعت بهم الأسباب}؛ قال: المودة)**

المودة يعني: المحبة والأُخُوّة التي تكون بينهم في الدنيا؛ خانتهم أحوج ما كانوا إليها، وتبرّأ بعضهم من بعض، {الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين}[1]، {إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب}[2]؛ هذا يكون في نهاية الأمر عند الله سبحانه وتعالى، فالذي ينفع: هي صحبة الإيمان، أخوّة الدين، الولاء في الله والبراء

(١) [الزخرف:٦٧]
(٢) [البقرة:١٦٦]

فيه، والمحبة والنصرة فيه؛ فقط هذا هو الذي ينفع عند الله تبارك وتعالى. أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يوالي فيه ويعادي فيه، وفقنا الله وإياكم لطاعته.

الباب الحادي والثلاثون: باب قوله تعالى: { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}

قال المؤلف رحمه الله عند الباب الحادي والثلاثين: **(باب قول الله تعالى {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[(١)])**

أهل السنة والجماعة يعبدون الله تبارك وتعالى ويتقربون إليه: محبةً له، وخوفاً منه، ورجاءً له؛ هذا منهجهم، أما المحبة فقد تقدمت؛ تقدم الحديث عنها، والخوف والرجاء: قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: {وادعوه خوفاً وطمعاً}[(٢)]، وقال: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا}[(٣)]، وقال: { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا}[(٤)]؛ هذه الأدلة تدل على أن العبد يجب أن يعبد الله محبةً له وخوفاً منه ورجاءً؛ يخافه، يخاف عذابه في الدنيا وفي الآخرة، ويرجوه؛ يرجو رحمته في الدنيا وفي الآخرة؛ يرجو رحمته في الدنيا بأن يُنعم عليه بأنواع النعم من صحةٍ وعافيةٍ ومأكلٍ ومشرَبٍ وغير ذلك، ويرجو رحمته في الآخرة بأن يُنعم عليه بالجنة وأن يعيذه من النار، ويخافه؛ يخاف عذابه في الدنيا بأنواع البلايا، ويخاف عذابه في الآخرة؛ عذاب نار جهنم.

---

(١) [آل عمران:١٧٥]
(٢) [الأعراف:٥٦]
(٣) [السجدة:١٦]
(٤) [الأنبياء:٩٠]

ذكر المؤلف رحمه الله سابقاً المحبة، ويذكر هنا الخوف، ويبيّن لنا بالآيات التي سيسوقها: أن الخوف عبادة، وإذا كان الخوف عبادة وقربة لله تبارك وتعالى؛ فلا يجوز صرفه لغير الله؛ لكن العلماء يقسمون الخوف إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: خوف العبادة؛ وهو الذي يكون معه كمال الخضوع والتذلل؛ كالخوف الذي يحصل من الصوفية عند عبادتهم لأوليائهم- لأصحاب القبور-؛ تجد الواحد منهم يخاف الولي كخوفه من الله تبارك وتعالى، ويرجوه كما يرجو الله تبارك وتعالى، ويحبّه كذلك؛ هذا الخوف هو خوف العبادة، معه كمال الخضوع والتذلل؛ ولذلك تجدهم يعبدون القبور ويتقرّبون إلى أصحابها؛ لأنهم قد خضعوا لهم وتذللوا وخافوهم وأحبوهم ورجَوهم، هذا الخوف هو الذي كان يحصل من كفار قريش لأصنامهم، وهو الذي يحصل من الموحّدين لربهم تبارك وتعالى؛ هذا هو خوف العبادة؛ تخاف الصنم كخوفك من الله، تخاف الولي كخوفك من الله؛ هذا خوف عبادة، معه كمال الخضوع والتذلل، فأنت تخاف الله، تعبده، تخضع وتتذلل له؛ لأنك تخافه ولأنك تحبه ولأنك ترجوه؛ هكذا يكون التوحيد؛ أن تصرف هذا الخوف لله تبارك وتعالى خاصة ولا تشرك معه فيه غيره، وقد ذكرناه وقلنا بأنه الخوف الذي معه كمال الخضوع والتذلل؛ هذا يكون خوف عبادة، وضابطه: أن يخاف مخلوقاً ليس معه سببٌ ظاهرٌ للخوف منه، فالولي في قبره؛ هل معه سبب ظاهر من الممكن أن يؤثّر في العبد؟ ليس معه شيء، ونحن جميعاً نعلم أنه لا يقدر على أن ينفع نفسه أو أن يضرّها، فليس معه سببٌ ظاهر، لا معه سلاح يستطيع أن يضربك به، ولا معه خبز، ولا معه ماء حتى يطعمك ويسقيك؛ فليس معه سبب ظاهر؛ فلماذا تخافه كخوفك من الله سبحانه وتعالى؟ لأنك تعتقد أن بيده شيئاً من تصرف بالكون، أو أن بيده ما ينفعك به كما ينفعك الله سبحانه وتعالى؛ فلذلك تخافه، أو يضرك به كما يصلك الضرر من الله

سبحانه وتعالى؛ فأنت تخافه لذلك؛ هذا هو الضابط: أن يخاف مخلوقاً ليس معه سبب ظاهر للخوف منه، فإذا حصل منه ذلك؛ فيكون قد حصل منه خوف العبادة

وهذا القسم الأول يسميه العلماء بخوف السر.

القسم الثاني من الخوف: الخوف الطبيعي؛ أن تخاف من عدو، تخاف من سبع، تخاف من إنسان معه سلاح يريد أن يقتلك؛ هذا ما فيه بأس، هذا جائز؛ لأنه أمر قد جعله الله سبحانه وتعالى في خلقه، وقد حصل من بعض أنبياء الله تبارك وتعالى كما حصل لموسى عليه السلام وغيره.

القسم الثالث: خوفك من الناس الخوف الذي يدفعك إلى ترك واجب أو فعل محرّم؛ أن تخاف من الناس بحيث يدفعك هذا الخوف إلى ترك واجب أو فعل محرّم- لا نتحدث عن الإكراه؛ الإكراه شيءٌ آخر؛ نحن نتحدث الآن عن الخوف- وهذا النوع من الخوف هو خوف شركي أيضاً؛ لكنه من الشرك الأصغر كما نصّ العلماء على ذلك؛ فهو منافٍ لكمال التوحيد الواجب، وليس منافياً لأصل التوحيد.

نرجع إلى الآية التي ذكرها المؤلف: {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين}، يثبت المؤلف بهذه الآية: أن الخوف عبادةٌ قد أمر الله تبارك وتعالى بها عباده- أن يعبدوه بها-؛ وذلك بقوله: {فلا تخافوهم وخافون}؛ إذاً: هو أمرهم بالخوف منه؛ فالخوف منه عبادة وقربة؛ فصرفها لغير الله شرك.

({إنما ذلكم}) أي: التخويف من المشركين حاصلٌ من الشيطان.

({يخوّف أولياءه}) أي: يخوفكم من أوليائه، وأولياؤه هم أنصاره وأتباعه، يخوفكم منهم.

({فلا تخافوهم}) فلا تخافوا أنصار الشيطان، لا تخافوا الكفرة، وجاهدوا في سبيل الله.

({وخافون}) خافوا الله سبحانه وتعالى؛ فاعملوا بأمره الذي أمركم به، واجتنبوا ما نهاكم عنه، ولا تخافوا الناس.

({إن كنتم مؤمنين}) حقاً.

فمن حصل منه الخوف من الناس، وترك واجباً أو فعل محرّماً؛ هذا وقع في الشرك الأصغر؛ قدّمَ خوف الناس على خوفه من الله سبحانه وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله: **(وقوله: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}[١])**

({إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}) الذين يعمرون مساجد الله هم أهل الإيمان، كيف يكون تعميرها؟

يكون تعميرها بالصلاة فيها والذكر والطاعة، وأهل الإيمان يصدقون بالله تبارك وتعالى؛ بوجوده، يؤمنون بألوهيته بربوبيته بأسمائه وصفاته، ويؤمنون بالله واليوم الأخر، وأنه حق وسيكون.

({وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ}) هذا الشاهد؛ المؤمن إيماناً تاماً لا يخشى إلا الله سبحانه وتعالى، لا يخشى البشر، ولا يخشى أحداً من الخلق؛ خشيته تكون من الله فقط.

---

(١) [التوبة:١٨]

والخشية نوع من الخوف؛ لذلك ذكر المؤلف الآية هنا كي يبين أن الخوف عبادة، لا يجوز صرفه لغير الله؛ خوف الخشوع والتذلل، خوف الطاعة؛ هذا عبادة لله لا يجوز صرفه لغيره؛ لذلك قال هنا: ({ولم يخشَ إلا الله})

({فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ}) أي: أن أولئك هم الذين يكونون من المهتدين؛ لأن (عسى) في القرآن واجبة؛ أي: الأمر واقع لا محالة

{عسى أن يكونوا من المهتدين}؛ هداية توفيق، وهداية بيان؛ قد تبين لهم الحق ووفقهم الله سبحانه وتعالى إليه.

الشاهد قوله: {ولم يخشَ إلا الله}؛ هذه خشية التعظيم، خشية العبادة، خشية الطاعة؛ يجب أن تكون لله وحده، وصرفها لغير الله: شركٌ.

قال المؤلف رحمه الله: **(وقوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ}[1])**

أحدنا إذا آمن واستقام؛ لا يريد أن يؤذى؛ يريد أن يبقى في سلام وفي اطمئنان وفي أمن ويريد أن يكون بعيداً عن الاختبار والامتحان والابتلاء؛ وهذا مستحيل؛ قد وعد الله تبارك وتعالى باختبار وابتلاء كل من أمن؛ فقال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[2] الآية، وكذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَحَسِبَ

---

(١) [العنكبوت:١٠]
(٢) [البقرة: ١٥٥-١٥٦]

النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[1]؛ هذا مستحيل؛ لابد من الفتنة- الاختبار-، لابد من الامتحان، فإذا أصابتك أذية؛ فاصبر، أنت مأمور بهذا؛ مأمور بالصبر على هذا الأذى الذي يقع عليك، خصوصاً الذي يقع عليك بسبب الدين، لابد منه، ولابد لك من الصبر، ولا تجعل فتنة الناس كعذاب الله؛ تخاف من الناس أن يؤذوك؛ فتترك الاستقامة، أو تترك الدين لأجل أن لا تؤذى؛ فتجعل فتنة الناس كعذاب الله.

﴿ومن الناس من يقول أمنّا بالله فإذا أوذي في الله﴾ اختُبر وامتُحن ونزل به البلاء ﴿جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ جعل أذيتهم له كعذاب الله؛ فيفر من أذيتهم- هو محتاج لهذا الآن- يفر من أذيتهم بموافقة أهوائهم؛ فيترك أمر الله تبارك وتعالى، أو يقع فيما نهى الله تبارك وتعالى عنه؛ فيكون قد جعل خوفه من الناس كخوفه من الله تبارك وتعالى؛ وهذا المحذور الذي أراد المؤلف رحمه الله أن يشير إليه عند ذكره لهذه الآية؛ هذا غير جائز أن يخاف من الناس كخوفه من الله تبارك وتعالى أو أشد؛ فإنه يقع في الشرك.

قال المؤلف رحمه الله: **(عن أبي سعيد مرفوعاً: "إِنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقِينِ: أَنْ تُرْضِي النَاسَ بِسَخَطِ الله، وأَنْ تَحْمَدَهُمْ على رِزْقِ الله، وأَنْ تَذُمَّهُمْ على ما لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ، إنَّ رِزْقَ اللهِ لا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، ولا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كارِهٍ")**

(عن أبي سعيد مرفوعاً) يعني يرفعه إلى النبي ﷺ.

(١) [العنكبوت:٢]

هذا الحديث حديث ضعيف[1]، والشاهد منه قوله: "أن تُرضي النَّاس بسخط الله".

قال المؤلف رحمه الله: **(وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "مِنِ الْتَمَسَ رِضى اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللهُ عنهُ وأَرْضى عَنْهُ الناسَ، وَمَنِ التَمَسَ رِضى النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ؛ سَخِطَ اللهُ عليهِ وَأَسْخَطَ عليهِ النَّاسَ". رواه ابن حبان في "صحيحه"[2])**

والله هذا أمرٌ مجرب يا إخوة، هذا أمرٌ مجرب، في بداية الاستقامة؛ تعرضنا لأنواع من الضغوطات بسبب اللحية، وبسبب الثوب القصير؛ وغير ذلك من أحكام شرع الله تبارك وتعالى، خصوصاً أنها كانت في زمن ما زالت السنة فيه غير معروفة عند الناس، وكنا بين أمرين: إما أن نطيعهم ونترك ما أمر الله تبارك وتعالى به، أو أن نصبر على أذيتهم وعلى سخطهم وسينالنا من وراء ذلك ما ينالنا من الأذى؛ فصبرنا وطلبنا العلم، ووفقنا الله تبارك وتعالى إليه، وصار الناس الذين يحاربوننا بالأمس، يرجعون اليوم إلينا في أمور دينهم، أنا أذكر لكم ذلك- بارك الله فيكم-؛ كي تصبروا وتعلموا أن العاقبة خيرٌ لكم إذا صبرتم على أذية من حولكم، خصوصاً الأهل والأقارب، نحن نعيش في بيئة متشابهة، وما وقع لي نفسه ما وقع لزيد، ووقع لعمرو، ويقع لكم أيضاً؛ فاصبروا بارك الله فيكم، واثبتوا وتعلموا؛ وستجدون إن شاء الله عاقبةً طيبة .

(١) أخرجه أبو نعيم في "الحلية"(١٠٦/٥)، والبيهقي في "شعب الإيمان"(٢٠٣)، وقال الشيخ الألباني رحمه الله: في "السلسلة الضعيف"(١٤٨٢): "موضوع".
(٢) (٢٧٦)، وأخرج الترمذي (٢٤١٤) نحوه.

(من التمس رضى الله بسخط النَّاس؛ رضي الله عنه وأرضى عنه الناس) هذا هو الذي نتحدث عنه: أن تثبت على ما أمرك الله به وما نهاك عنه، ولا تبالي بعداء من يعاديك من أهلك أو أقاربك أو غيرهم؛ وسترى عواقب الأمور بعد ذلك، والله ستتفاجأ عندما ينقلب سخط الناس عليك إلى رضى؛ إذا صبرت وثبت.

(ومن التمس رضى النَّاس بسخط الله) وهذا قد رأيناه من بعض الإخوة هداهم الله وأصلح حالهم وردهم إلى دينه رداً جميلاً؛ كان الشاب يستقيم معنا مدة، فيتعرض لمضايقات من أهله وأقاربه؛ فلا يصبر ويذهب معهم على ما يريدون؛ ولا والله ما يحصل على رضاهم؛ بل يبقون ساخطين عليه.

(سخط الله عليه وأسخط عليه الناس) وهذا حق والله، ولعل الكثير منكم مر بهذا وما زال.

والشاهد بارك الله فيكم من هذا: أن العبد يجب أن يخاف الله سبحان وتعالى، وأن لا يخاف الخلق معه، وخوف العبادة يجب أن يكون خاصاً بالله تبارك وتعالى، ولا يخاف من الناس كخوفه من الله تبارك وتعالى وأشد خوفاً، ولا يقدم رضى الناس على رضى الله سبحانه وتعالى.

الشاهد من الباب: هو أن الخوف منه عبادة، وخوف العبادة هذا عمل قلبي؛ يجب أن يكون خالصاً لله تبارك وتعالى، وأن لا يشرك به مع الله تبارك وتعالى أحداً.

الباب الثاني والثلاثون: باب قول الله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}

قال المؤلف رحمه الله: **(باب قول الله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[(١)])**

التوكل: هو اعتماد القلب على الله تبارك وتعالى، فمعنى: تتوكل على الله؛ أي: تعتمد بقلبك على الله سبحانه وتعالى؛ يكون يقينك في قلبك في الداخل بأن الله تبارك وتعالى هو الذي سيقضي لك غرضك، فاعتمادك عليه لا على غيره، وغيره أسباب في قضاء الحوائج.

({وعلى الله فتوكلوا}) هنا يوجد تقديم، لم يقل الله: توكلوا على الله؛ بل قال: {وعلى الله فتوكلوا} وهذا يفيد الحصر؛ يعني: توكلوا على الله، ولا توكّلوا على غيره.

({إن كنتم مؤمنين}) إن كنتم صادقين في إيمانكم؛ فاعتمادكم يجب أن يكون على الله تبارك وتعالى لا على غيره؛ هذا معنى هذه الآية: {وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين}؛ فالتوكل هو اعتماد القلب، واعتماد القلب يجب أن يكون على الله تبارك وتعالى لا على غيره؛ إذاً التوكل من أعمال القلوب، وهو قربة لله تبارك وتعالى، يجب عليك أن تعتمد على الله لا أن تعتمد على غيره، وإذا صرفت هذا التوكل إلى غير الله؛ فتكون قد أشركت.

يقول شارح كتاب التوحيد: "لكن التوكل على غير الله قسمان: أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلاّ الله، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من نصر، أو حفظ أو رزق أو شفاعة؛ فهذا شرك أكبر" الاعتماد على الأولياء أو على الإنس والجن فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ هذا شركٌ أكبر.

---

(١) [المائدة:٢٣]

قال: "الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله تعالى عليه"؛ وهذا واقع فيه كثير من الناس اليوم، خصوصاً في قضية الرزق، لو تركّزون على الناس وتعلّقهم بالأشخاص الذين يأخذون منهم رواتبهم؛ ستجدون هذا النوع في قلوبهم؛ يعتمدون عليهم في رزقهم، قال: "الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله تعالى عليه من رزق، أو دفع أذى ونحو ذلك، فهو نوع شرك أصغر"؛ هو لم يعتمد عليه اعتماداً تامّاً، ولا اعتقد أنه هو الذي يرزقه؛ لكن في قلبه تعلّق بهذا الشخص الذي بيده رزقه، فيه نوع اعتماد؛ فهذا شركٌ أصغر.

قال: "والوكالة الجائزة؛ هي: توكيل الإنسانِ الإنسانَ في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه" أي إنه أفعال في الظاهر، أفعال في الجوارح، أما الاعتماد القلبي؛ فيعتمد على الله، أما إعانة في جوارحه؛ فهذه لا بأس بها؛ كأن تُوكِّل شخصاً أن يشتري لك غرضاً، أو أن يذبح لك شاةً مثلاً؛ أن يفعل لك أمراً؛ فلا بأس بهذا؛ هذه الوكالة وكالة جائزة؛ لأن اعتمادك القلبي على الله في قضائها لا على هذا الشخص؛ لكن هو سبب؛ فأنت تتخذه سبباً؛ هذه وكالة جائزة.

قال: "والوكالة الجائزة هي توكيل الإنسان الإنسانَ في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه، لكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وكله عليه" يعني: الاعتماد القلبي؛ فالاعتماد القلبي يكون على الله وليس على الإنسان؛ هذا سبب فقط، يريد أن يأخذ بالأسباب؛ فهو عنده شغل، أو غير قادر، وهذا الشخص يقدر، ليس عند شغل بل هو متفرغ، يعطيه كي يفعل له هذا الشيء، كما وكل النبي ﷺ أحد الصحابة أن يشتري له شاة.

قال: " بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه" يعني يطلبه بنفسه أو يطلبه عن طريق نائبه هذا الذي وكله.

قال: "وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها، ولا يعتمد عليها؛ بل يعتمد على المسبِّب" الذي هو الله "الذي أوجد السبب والمسبَّب".

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وقوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}[1])**

({إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}) يعني خافت

({وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً}) يركزون على الآيات التي تتلى عليهم، يفهمون معانيها، ويؤمنون بها؛ فتزيدهم إيماناً وقربة لله سبحانه وتعالى.

({وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}) هذا الشاهد؛ المؤمن حقاً هو الذي يعتمد على الله تبارك وتعالى لا يعتمد على غيره؛ وكيف يكون ذلك؟

إذا تأملتَ قول النبي ﷺ لابن عباس: "واعلم أن الناس لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"، من آمن بهذا الحديث حقّ الإيمان؛ كان اعتماده كلُّه على الله تبارك وتعالى لا على غيره.

الشاهد من الآية: قوله تعالى: {وعلى ربهم يتوكّلون} يعني: يعتمدون على ربهم بقلوبهم ولا يعتمدون على غيره

---

(١) [الأنفال:٢]

قال المؤلف: **(وقوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}[(١)])**

يعني: الله كافيك وكافي من اتّبعك من المؤمنين، فإذا كان الله هو الكافي؛ إذاً فالاعتماد يكون على الله سبحانه وتعالى؛ هذا الشاهد من الآية.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وقوله: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}[(٢)])**

من يتوكل على الله فهو كافيه؛ إذاً الاعتماد يكون على الله تبارك وتعالى لا على غيره، والشاهد هنا: قوله {ومن يتوكّل على الله فهو حسبه}، والذي لا يعتمد على الله؛ فلا يكفيه الله سبحانه وتعالى؛ فيضلُّ.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وعن ابن عباس قال: "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ"، قالها إبراهيم ﷺ حين أُلْقِيَ في النَّارِ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}". رواه البخاري[(٣)])**

(حسبنا الله ونعم الوكيل) حسبنا الله؛ أي: الله كافينا، ونِعْمَ من نعتمد عليه في كفاية أمرنا كله. "

(قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار) إبراهيم عليه السلام النبي قالها حين ألقي في النار؛ فكفاه الله سبحانه وتعالى، وجعلها باردة عليه.

---

(١) [الأنفال:٦٤]
(٢) [الطلاق:٣]
(٣) (٤٥٦٣)

(وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}"[١]) أي: الله سبحانه وتعالى كافينا، وهو نِعم من نتوكل عليه، وقد قالها النبي ﷺ بعد مُنصرَف قريش والأحزاب من أُحُد؛ فكفاه الله سبحانه وتعالى شرّهم.

إذاً المقصود من هذا الباب: هو اعتماد القلب على الله تبارك وتعالى في كل أمرك؛ وهذا أمر خاص بالله، لا يجوز صرف هذا الاعتماد على غيره؛ فهذه من أعمال القلوب: المحبة والخوف والتوكّل؛ كلها من أعمال القلوب، وهي عبادات؛ لكنها من أعمال القلوب لا من أعمال الجوارح، مثلاً: الصلاة، الصيام، الزكاة؛ هذه من أعمال الجوارح، هي عبادات لكنها من أعمال الجوارح، وهذه الأخرى: المحبة والخوف والرجاء والتوكل والإنابة ..إلى آخره؛ هذه أيضاً عبادات؛ ولكنها من أعمال القلوب، وكلها ثبتت بأنها عبادات بالآيات التي ذكرها المؤلف، وصرْفها لغير الله شرك بالله تبارك وتعالى؛ لأنك تكون قد صرفت عبادة من العبادات لغيره تبارك وتعالى. أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لطاعته.

---

(١) [آل عمران:١٧٣]

الباب الثالث والثلاثون: باب قول الله تعالى: {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}

قال المؤلف رحمه الله: **(باب قول الله تعالى: {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}[١])**

هذا الباب عقده المؤلف؛ ليبين عِظَم هذا الذنب؛ وهو الأمن من مكر الله، وهذا الأمن من مكر الله هو سببٌ لارتكاب المعاصي والذنوب والاستمرار عليها؛ فمعنى الأمن من مكر الله: أن يعطيك الله سبحانه وتعالى من الخيرات، وأن ينعم عليك، وأن يمن عليك بأنواع الفضل، وأنت مستمر في معصيته، ومستمر على الذنب، ومستمر على الشرك ولا تبالي، وأنت قد أمنت من أن ينزل الله عليك عذاباً، أو أن يقطع عنك النعمة التي أنعم بها عليك؛ هذا معنى الأمن من مكر الله؛ تبقى على الذنب ويعطيك الله وينعم عليك بأنواع النعم وأنت باقٍ على الذنب، مستمرٌّ عليه، آمنٌ من أن يعذّبك الله سبحانه وتعالى؛ هذا معنى الأمن من مكر الله؛ وهو سبب في ارتكاب الذنوب، سبب في الاستمرار عليها، سبب في الوقوع في الشرك، سبب في الاستمرار على ذلك؛ كل هذا لأنك أمنت من مكر الله، فمتى أمنت من مكر الله؛ وقعت في كل هذا؛ وكما ذكرنا: هو ذنب عظيم منافٍ لكمال التوحيد، التوحيد الواجب لا يتم إلا بعدم الأمن من مكر الله، أما إذا أمن الشخص من مكر الله؛ فهذا ما أتمّ التوحيد الواجب، فالأمن من مكر الله مخلٌّ بالتوحيد؛ لذلك المؤلف رحمه الله ذكره هنا؛ إذاً ينبغي على العبد أن يكون خائفاً من الله دائماً، إن أعطاك وأنعم عليك؛ تبقى خائفاً منه سبحانه وتعالى، حتى وإن لم يعطك ولم ينعم عليك في بعض الجوانب؛ فنعم الله دائماً موجودة على العباد؛ لكن في بعض الجوانب أيضاً تبقى في

---

(١) [الأعراف:٩٩]

حال خوف من الله سبحانه وتعالى أن ينزل عليك العذاب، أو أن يقطع عنك النعمة، أو أن لا يوفقك للهداية؛ يبقى دائماً خوفك من الله موجوداً؛ فالمؤمن يجب أن يكون سائراً إلى الله تبارك وتعالى بالخوف والرجاء؛ فتخاف من الله ولا تأمن من مكره، وترجو خير ما عنده، وترجو نعمته، ولا تقنط من رحمة الله؛ فالأمن من مكر الله يخالف الخوف من الله، الخوف من الله واجب، والأمن من مكر الله محرم؛ وهما ضدّان، وكذلك القنوط من رحمة الله؛ محرم كذلك؛ والواجب هو: الرجاء؛ أن ترجو رحمة الله تبارك وتعالى كما سيأتي في الباب الذي بعده.

وهذه الآية فيها: أن الله تبارك وتعالى ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل، ثم بيّن أن الذي حملهم على التكذيب- وعلى الشرك-: هو الأمن من مكر الله وعدم الخوف منه؛ فقال: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ}[1] يعني: أمنوا من أن ينزل الله تبارك وتعالى عليهم العذاب وهم نائمون في الليل، { أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} يعني الهالكون؛ هذا معنى الآية، إذاً: الأمن من مكر الله ذنب عظيم يؤدي إلى الشرك، ويؤدي إلى أنواع المعاصي والذنوب؛ لذلك هو مخلّ بكمال التوحيد.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وقوله: {وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ}[2])**

هنا الآن القسم الثاني الذي يقابله؛ القسم الأول: الأمن من مكر الله، والذي يقابله: هو القنوط من رحمة الله، الناس الذين هم ضدّ أولئك الذين يأمنون مكر الله؛ عكسهم: الذين يقنطون من رحمة الله، ييأسون من رحمة الله؛ يعتبر أن رحمة الله بعيدة عنه تماماً، لن

---

(١) [الأعراف:٩٧]

(٢) [الحجر:٥٦]

تصل إليه؛ وهذا أيضاً يؤدي به إلى ترك العمل، ترك الطاعة؛ لأنه يقنط من رحمة الله؛ يقول: رحمة الله لن تصلني على جميع الأحوال؛ فيدفعه ذلك أيضاً إلى المعاصي والذنوب والشرك، والاستمرار عليها؛ هذا هو القنوط من رحمة الله؛ فهما ذنبان عظيمان: الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، الأمن من مكر الله ينقض الخوف؛ يعني إذا لم تخف من الله تبارك وتعالى؛ كنت من الذين يأمنون من مكر الله سبحانه وتعالى، وإذا قنطت من رحمة الله؛ كنت من الذين لا يرجون رحمة الله تبارك وتعالى؛ فالخوف والرجاء واجبان؛ ينقضهما: الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، والواجب على العبد أن يعيش بينهما؛ بين الخوف والرجاء، ويقول أهل العلم: ينبغي أن يكونا من المرء بمنزلة جناحي طائر، انظر كيف يكون جناحا الطائر متساويين؟ كذلك الخوف والرجاء؛ لا يغلب هذا ولا يغلب هذا، حتى تبقى دائماً مع الله تبارك وتعالى، إذا رأيت نفسك في حالٍ من الخوف شديدة تكاد توصلك إلى القنوط من رحمة الله تبارك وتعالى؛ عندئذٍ تغلّب جانب الرجاء، وتستذكر آيات الرحمة وصفات الرحمة، وإذا رأيت من نفسك أن جانب الرجاء قد علا وارتفع وغلب جانب الخوف حتى كدت أن تقع في الأمن من مكر الله؛ عندئذٍ تغلّب جانب الخوف من الله تبارك وتعالى، وتستحضر آيات العذاب وصفات القوة والشدة؛ عندئذ تصل إلى إحداث التوازن في نفسك بين الخوف والرجاء؛ حتى تسلَمَ من الأمن من مكر الله ومن القنوط من رحمة الله؛ هذا هو الواجب على العبد.

والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله كلاهما ينافيان كمال التوحيد، وربما يؤديان إلى انتفاء أصل التوحيد، فالقنوط من رحمة الله هو استبعاد الفَرَجَ؛ اليأس من رحمة الله، تستبعد أن تصل إليك رحمة الله تبارك وتعالى {ومن يقنط من رحمة ربه} يعني: ييأس {إلا الضالون}؛ الضال فقط هو الذي يصل إلى هذه الدرجة، أما أهل طاعة الله تبارك وتعالى؛ فهؤلاء لا يصلون إلى هذه الدرجة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وعن ابن عباس: "أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنِ الكَبائِرِ؟ فقال: "الشِّرْكُ بالله، واليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، والأَمْنُ مِنْ مَكْرِ الله"[1])**

(اليأس من روح الله) يعني القنوط من رحمة الله تبارك وتعالى.

والشاهد فيه قوله: "اليأس من روح الله، والأمن من مكر الله".

وهذا الحديث جمعَ بين الأمرين؛ لكنه حديثٌ رجّح ابن كثير رحمه الله الوقف فيه؛ فقال: "في إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً".

قال المصنف رحمه الله: **(وعن ابن مسعود؛ قال: "أَكْبرُ الكبائِرِ: الإشراكُ باللهِ، والأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، والقُنوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، واليَأْسُ مِنْ رَوْحِ الله". رواه عبد الرزاق[2])**

أي من كلام ابن مسعود موقوفاً عليه.

(الأمن من مكر الله) عرفناه.

(والقنوط من رحمة الله) أيضاً عرفناه.

(واليأس من روح الله) بنفس معنى القنوط من رحمة الله؛ إلا أن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله فرّق بينهما: بأن القنوط يستبعد حصول المطلوب؛ يعني المطلوب في المستقبل؛ قال:

---

(١) أخرجه البزار في "زوائده"(١٠٦)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥٢٠١) من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً.

وأخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"(٢٨٧)، والطبراني في "المعجم الكبير"(١٠٢٣) من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة موقوفا على ابن عباس.

(٢) وجدته في "جامع معمر بن راشد" (١٩٧٠١) من رواية عبد الرزاق عنه

واليأس يستبعد زوال المكروه؛ أي: شيء قد حصل ووقع يستبعد زواله، أما الأول؛ فيستبعد حصوله؛ أي: أنه ما وقع بعد؛ هكذا فرّق بينهما الشيخ رحمه الله.

الباب الرابع والثلاثون: باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله

قال رحمه الله تعالى: **(باب من الإيمانِ بالله: الصَّبْرُ على أَقْدَارِ اللهِ)**

الصبر في اللغة بمعنى: الحبس، والصبر في الشرع ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الصبر على طاعة الله: يعني حبس النفس على طاعة الله تبارك وتعالى؛ ترويضها على ذلك، ما يسميه البعض بالرياضة؛ أن تريّض نفسك على طاعة الله تبارك وتعالى وتصبر عليها.

والصبر عن معصية الله: أي: حبس النفس عن معصية الله؛ يعني: منع النفس من المعصية.

والصبر على أقدار الله- وهذا الذي ذكره المؤلف-؛ أي: حبس النفس عن الجزع والتسخّط، وحبس اللسان عن التشكّي، وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب وغيرها؛ هذا ما ذكره ابن القيم رحمه الله، وهذا معنى الصبر على أقدار الله: حبس النفس عن الجزع؛ لا يحصل في قلبك تسخط على ما حصل، تصبر، تحمد الله وتصبر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، تعلم أن كل مصيبة تنزل عليك وتصبر عليها؛ فلك بها أجر عند الله سبحانه وتعالى؛ حتى الشوكة يشاكها العبد المؤمن له بذلك أجر عند الله سبحانه وتعالى، فإذا علم ذلك واحتسب؛ يكون من الصابرين، ويعلم أن البلاء لا بد حاصل على كل مؤمن، قال الله عز وجل: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}(١)، {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ

---

(١) [العنكبوت:٢]

وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ }[(١)]، فهنا بارك الله فيكم إذا علم الشخص أنه لا بد له من الابتلاء في هذه الدنيا، وأن المسألة ليست مسألة دعوى؛ تدعي أنك من أهل الإيمان وأنك من أهل الطاعة ومن أهل الاستقامة، وتُترَك على ذلك، إذا علم أنه لا بدّ مبتلى، فإذا أصابه بلاء صبر؛ عندئذ يكون من الصابرين على أقدار الله تبارك وتعالى؛ فالصبر على أقدار الله هو: الحبس؛ حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكّي والتسخّط، وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما من الأعمال المحرّمة التي تدلّ على التسخط؛ هذا معنى الصبر على أقدار الله تبارك وتعالى؛ وهذا واجب أمر الله تبارك وتعالى به كما سيأتي في الأدلة التي يذكرها لنا المؤلف رحمه الله.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وقول الله تعالى: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}**[(٢)].

قال علقمة: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمَ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيَرْضى وَيُسَلِّمَ)

من أصابته مصيبة، فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب؛ جازاه الله بهداية قلبَه التي هي أصل كل سعادة وخير في الدنيا والآخرة، وقد يخلف الله عليه في الدنيا ما كان أخذه أو خيراً منه؛ هكذا قالوا في شرح هذه الآية؛ المعنى الذي يذكره علقمة:" هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم "؛ فيجازيه الله تبارك وتعالى بهداية قلبه.

---

(١) [البقرة:١٥٥-١٥٦]

(٢) [التغابن:١١]

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وفي "صحيح مسلم"[1] عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: "اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، والنِّيَاحَةُ على المَيِّتِ")**

هاتان الخصلتان من أعمال كفّار الجاهلية.

(هما بهم كفر) ليس كفراً مخرجاً من الملة؛ ولكنها خصلة من خصال الكفار تكون فيهم؛ فهو كفرٌ أصغر.

(الطعن في النسب) يعني: عيبه والغمز فيه، والطعن: كأن يقال: فلان ليس ابن فلان أو ليس من العشيرة الفلانية.

(والنياحة على الميت) وهذا الشاهد: النياحة على الميت؛ وقد وصفها بأنها من الكفر، وهذا الذنب ذنب عظيم، وهو ناتج عن عدم الصبر على أقدار الله تبارك وتعالى؛ فهو تسخط عملي ناتج عن تسخط قلبي سابق له.

والنياحة على الميت: رفع الصوت بالندب: (يا ويلاه على فلان، يا ويلتي مات فلان، يا ساند ظهري، يا فاعل كذا يا فاعل كذا ....) هكذا تكون النياحة، وتبدأ بِعَدِّ فضائله وماذا كان يفعل، وما المصائب التي جنتها من وراء موته؛ إلى آخره، وترفع النائحة صوتها بذلك؛ فهذا محرّم؛ لأن فيه تسخطاً على أقدار الله وعدم الصبر؛ وهو الشاهد.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: (ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدودَ، وَشَقَّ الجُيوبَ، وَدَعا بِدَعْوى الجَاهِلِيَّةِ")

---

(١) (٦٧)

(لهما) يعني: للبخاري ومسلم[1].

هذه كلها أعمال تدل على التسخط على قضاء الله وقدره؛ أعمال جوارح، تسخط في الجوارح، سبقه تسخط بالقلب.

(ليس منا) نتركها كما هي أفضل كما قال أهل العلم: لا تفسَّر؛ حتى تبقى هيبتها موجودة في النفوس، فإنها إذا فُسِّرَت؛ ضعُفت هيبتها من النفوس.

(من ضرب الخدود) حسرةً وندامةً على ما وقع.

(وشق الجيوب) أي: مزّق ثيابه، والجيب: الموضع الذي تُدخِل رأسك فيه من الثياب؛ هذا يسمى جيباً، وعند المصيبة أول ما يبدأ الشخص بأن يمسك بهذا وينزعه ويمزقه؛ هذا الذي يحصل عند كثير من الناس عند المصيبة.

(ودعا بدعوى الجاهلية) دعا على نفسه دعاءً بالويل والثبور: يا ويلاه، يا مصيبتاه؛ وأمثال هذا الكلام؛ وهذه كلها أعمال تسخط بالجوارح تدل على تسخط القلب، وفي بعض البلاد الإسلامية في هذا الوقت إذا حصلت مصيبة؛ بدأ أهل البيت من النساء بالولولة ورفع الصوت بالبكاء، ويأتين بشيء كالطاولة أو الطبل ويضربن عليه، ويكون لهن أظافر يمزّعن خدودهن، ويمزّقن ثيابهن؛ هذا حاصل اليوم وموجود؛ وكله من هذا القبيل، وهو من الذنوب العظيمة؛ وهو تسخطٌ على أقدار الله تبارك وتعالى، مخلٌّ بكمال التوحيد؛ لذلك ذكره المؤلف رحمه الله في كتاب التوحيد.

---

(١) البخاري(١٢٩٤)، ومسلم(١٠٣)

قال المؤلف رحمه الله: **(وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: "إِذا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ؛ عَجَّلَ لَهُ العُقوبَةَ فِي الدُّنْيا، وإِذا أَرادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ؛ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ"[1])**

يعني من نعمة الله تبارك وتعالى: أن يبتليك؛ وهذا يحفّزك على الصبر، يدفعك إلى الصبر على أقدار الله؛ بل ربما تفرح لو عَظُمَ إيمانك بالمصاب؛ لأن الله ابتلاك كي يصفّيك من ذنوبك ويخلّصك منها.

(إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا) وهذا من رحمة الله بالعبد، ولو عفا الله سبحانه وتعالى عنه، فلم يعاقبه لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ فهو الأفضل، والذي نرجوه من الله تبارك وتعالى؛ لكن ربما يفعل ذلك، وربما يعاقب بالذنب في الدنيا؛ وهذا أيضاً أفضل من الحالة الثانية.

(وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة) يأتي بذنبه يوم القيامة على ظهره ويعذّب به. نسأل الله العافية والسلامة.

إذاً هذا يدفعك إلى الصبر على أقدار الله تبارك وتعالى، وتحمد الله على أن اصطفاك بأن يعذّبك في الدنيا وألا يأتيك بذنبك يوم القيامة؛ فيحاسبك عليه ويعذبك عليه؛ فيدفعك ذلك إلى الصبر، ويثاب العبد على ذلك.

---

(١) أخرجه الترمذي(٢٣٩٦).

.

قال المؤلف رحمه الله: **(" وقال النبي ﷺ: "إن عِظَمَ الجَزاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاءِ، وَإنَّ الله إذا أَحَبَّ قَوْمَاً؛ ابتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ؛ فَلَهُ الرِّضا، وَمَنْ سَخِطَ؛ فَلَهُ السَّخَطُ". حسنه الترمذي)**

كلما عظم البلاء عظم الجزاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، إذاً لا بد من الابتلاء، وعظم البلاء؛ يكون على قدر الإيمان كما قال النبي ﷺ: "أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل"؛ الأمثل: الأقرب إلى الأنبياء: الصديقون- مثلاً- أعظم بلاءً من الصالحين الذين لم يصلوا إلى درجة الصديقين؛ لأنهم أعظم إيماناً؛ وهكذا.

(وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي؛ فله الرضا) الرضا هذه مرتبة هي أعظم من مرتبة الصبر؛ وهي مستحبة، الصبر واجب على أقدار الله، والرضا مستحب، ولكن هنا الظاهر أنه يريد من ذلك ألا تتسخّط فتصبر؛ لأنه قرنها بالتسخّط؛ فقال: "ومن سخط فله السخط". حسنه الترمذي[1].

الشاهد: أن الصبر واجب على أقدار الله تبارك وتعالى، وإذا استحضر العبد أن البلاء نعمة عليه وفضل؛ حَمِدَ الله وصبر على ذلك؛ فكان له الرضا، وإذا تسخط واعترض على حكم الله فله السخط من الله تبارك وتعالى. نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الصبر والثبات إلى أن نلقاه. وفّقنا الله وإياكم لطاعته.

---

(١) (٢٣٩٦) عن أنس.

الباب الخامس والثلاثون: باب ما جاء في الرِّياءِ

قال المؤلف رحمه الله: **(باب ما جاء في الرِّياءِ)**

الرياء: مأخوذ من الرؤية؛ والمقصود به: أن تعمل العمل ليراك الناس، تعمل العمل الذي هو العبادة، الذي هو قربة إلى الله سبحانه وتعال؛ تعمله كي يراك الناس؛ هذا معنى الرياء؛ كأن تصلي ليراك الناس ويثنوا عليك ويمدحوك، تصوم كي يثنوا عليك بالصيام؛ عبادات، لا نتكلم عن الأمور الدنيوية؛ إنما نتكلم عن العبادات؛ القُرَب التي تتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى، تفعلها لا لكي يرضى الله سبحانه وتعالى عنك فقط؛ بل أيضاً كي يمدحك الناس ويثنوا عليك؛ هذا معنى الرياء.

والفرق بين الرياء والسمعة: أن الرياء من الرؤية، يصح إطلاقه على الأعمال التي تُرى، أما السمعة؛ فيصح إطلاقه على الأعمال التي تُسمَع كقراءة القرآن مثلاً والذكر وما شابه.

والرياء والسمعة حكمها واحد، إذا تحدثنا عن الرياء؛ فالسمعة داخلة فيه.

(باب ما جاء في الرياء) أي: ما جاء من أدلة تدل على تحريمه، تدل على النهي عنه، وعلى التحذير منه، وعلى قدر خطره على عبادة العبد، وعلى قربه من ربه تبارك وتعالى، مهمٌّ جداً هنا أن نستحضر الحديث الذي قال فيه النبي ﷺ: "قال الله سبحانه وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري؛ تركتُه وشركَه"، لا يقبل الله سبحانه وتعالى عملاً مشتركاً؛ فيه نية قربى لله سبحانه وتعالى، وفيه نية أيضاً بأن تنال ثناء الناس ومدحهم؛ هذا من الرياء، فهنا الآن أنت جعلت الناس شركاء مع الله في عملك؛ فعملك هذا مردود؛ لذلك - بارك الله فيكم - الرياء خطير على العمل إذ إنه يبطله، إذا بدأت عملك بالرياء؛ فالعمل من أصله باطل، إذا ذهبت تصلي ركعتين فقط بدايةً من

أجل أن يراك الناس، هذه كانت نيّتك: أن تصلي ركعتين من أجل أن يراك الناس؛ عملك هذا من أصله باطل.

لكن إذا بدأتَ ركعتين خالصاً لله سبحانه وتعالى، ثم دخل عليك الرياء بعد ذلك:

لكَ في هذه الحالة صورتان:

الأولى: أن تستمر مع هذا الرياء الذي دخل على قلبك، وتحسّن عملك من أجل أن يثني الناس عليك؛ فهنا يبطل عمك إذا كان العمل متّصلاً مع بعضه كصلاة ركعتين مثلاً، أما إذا كان العمل منفصلاً- كصوم اليوم الأول من رمضان وصوم اليوم الثاني من رمضان-؛ فيبطل اليوم الذي دخل عليه الرياء، أما اليوم الثاني فلكونه منفصلاً عن اليوم الأول؛ فلا يبطل إذا لم يدخله رياء الآخر.

إذاً العمل إذا كان متّصلاً بحيث إذا أبطلنا جزأه أبطلناه كله، هذا إذا دخل عليه الرياء واستمر معه؛ يبطل.

أما إذا كان العمل منفصلاً؛ فيبطل الجزء الذي دخل عليه الرياء؛ ومثَّلْنا بالصلاة والصيام.

الحالة الثانية: إذا كان المرء قد دخل عليه الرياء لكنه لم يسترسل معه؛ بل قطعه- وهذا يحصل مع الجميع-؛ يدخل عليك الرياء من حيث تشعر أو لا تشعر، ثم تنتبه لنفسك، إذا جاهدت نفسك وانصرفت عنه وطردته؛ فهنا عملك صحيح، لا يؤثر هذا الرياء الذي دخل عليك شيئاً؛ لأنك لم تسترسل معه.

وهذا حكم العمل الذي يدخل عليه الرياء، والمهم أن نعرف الآن أن الرياء محرّم، مفسد للعمل إذا استمر الإنسان معه، أو إذا بدأ العمل أصلاً بالرياء؛ وهو نوعٌ من الشرك؛ نوع

من الشرك الأصغر؛ وهو الشرك الخفي كما ستأتي الأدلة، وتقدم معنا الكثير منها؛ فينبغي الحذر من الرياء.

قال المؤلف رحمه الله: **(وقول الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}[1])**

({قل}) يا أيها الرسول لهؤلاء المشركين.

({إنما أنا بشر}) فليس بإله ولا ابن إله ولا شيئاً من هذا القبيل.

({مثلكم}) لا أختلف عنكم، ولست ملكاً ولا شيءٍ من هذه الأمور، {إنما أنا بشر مثلكم} لا أختلف عنكم إلا بماذا؟

قال: ({يوحى إلي}) إذاً يختلف عنا بالرسالة؛ لأن الله اصطفاه للنبوة، للرسالة؛ فأوحى إليه.

بماذا أوحى إليه؟

قال: ({أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}) هذه هي دعوة النبي ﷺ، وبهذا أوحى الله له: معبودكم الذي يجب أن تعبدوه هو معبودٌ واحدٌ، فاعبدوه وحده ولا تعبدوا معه غيره؛ هذه هي دعوة الأنبياء؛ هذا الذي أريده منكم: أن تتركوا عبادة الأصنام، تتركوا عبادة الأشجار والأحجار والأوثان، وتتجهوا إلى عبادة واحدٍ وهو الله سبحانه وتعالى.

---

(١) [الكهف:١١٠]

({فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ}) من كان يخاف من ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته.

({فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً}) ما هو العمل الصالح؟

أن يكون خالصاً لله تبارك وتعالى، وأن يكون على سنة النبي ﷺ؛ هذا العمل الصالح؛ دلت على ذلك الأدلة الشرعية، فليعمل عملاً خالصاً لله تبارك وتعالى، عملاً صالحاً يعني: خالصاً لله تبارك وتعالى، على هدي النبي ﷺ؛ فالعمل لا يكون صالحاً إذا كان فيه شرك، فإذا عملت عملاً رياءً وسمعة؛ هذا يكون فيه شرك لا يكون عملاً صالحاً، لا يكون مقبولاً عند الله سبحانه وتعالى.

({وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}) إذاً الشرك محرّم سواءً كان شركاً أصغر أو شركاً أكبر؛ كله محرّم ممنوع مفسدٌ للعمل.

{وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} إذاً أيّ أحدٍ يكون مقصوداً بهذا؛ فلا تشرك بعبادة ربك أحداً من الخلق؛ إنما العبادة تكون لله وحده.

الشاهد من ذلك: أن العمل كي يكون مقبولاً عند الله؛ يجب أن يكون خالصاً لله، ليس فيه شيء من الرياء والسمعة، ويجب أن يكون لله وحده وليس فيه شيء من الشرك، والرياء شرك؛ ولا يكون العمل خالصاً إذا كان فيه رياء.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وعن أبي هريرة مرفوعاً: قال الله تعالى: "أنا أغنى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعي فيهِ غَيْري؛ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ". رواه مسلم[١])**

---

(١) (٢٩٨٥)

(أنا أغنى الشُّركاء عن الشرك) يعني: أنا لا أقبل الشرك، أنا غنيّ عن الشرك، الله سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى أحد، وكل شيء ملكه؛ فهو غنيٌّ عن كل شيء، غني عن الشرك، لا يريد منك عملاً تشرك معه فيه غيره.

(من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري) عمل عملاً يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى وتقرَّبَ به إلى غير الله تبارك وتعالى؛ هذا العمل يكون مردوداً عند الله.

(تركته وشركه) فلا يقبله الله منك، تركك الله وترك شركك، إذا عملت عملاً أردت به وجهه وأردت به غيره أيضاً.

ومن ذلك الرياء: عندما تصلي لله وتصلي من أجل أن يراك الناس وأن يثنوا عليك ويمدحوك؛ عندئذٍ يكون عملك قد دخله الشرك، والله غنيٌّ عن عملك هذا؛ لا يريده.

قال المؤلف رحمه الله: **(وعن أبي سعيد مرفوعاً: أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسيحِ الدَّجالِ؟" قالوا: بلى، قال: "الشِّرْكُ الخَفِي: يَقومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلاتَهُ؛ لما يَرى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ". رواه أحمد[1])**

(عن أبي سعيد) يعني أبي سعيد الخدري.

(مرفوعاً) يعني مرفوعاً إلى النبي ﷺ، يعني من قول النبي ﷺ.

(ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟) يعني أخبركم بشيء أنا أخافه عليكم أكثر من خوفي من المسيح الدجال عليكم.

(١) (١١٢٥٢) وابن ماجه (٤٢٠٤)

انظروا خطورته إلى أين!! المسيح الدجال الذي فتنته عظيمة ومن عِظَمِها أنه ما جاء نبي إلا وحذّر أمته منه؛ ومع ذلك هذه الفتنة أعظم من فتنة الدجال.

(قالوا: بلى. قال: "الشرك الخفي") الشرك الخفي: يخفى على الناس، يسري إلى القلب وأنت لا تشعر أحياناً، وصاحبه يُظهِر أن عمله لله، ويكون في قلبه شيءٌ آخر؛ فالشرك يكون خفيّاً؛ غير ظاهر.

(يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته) هل عرفت معنى الرياء؟ هذا هو؛ هذا تفسيره: يقوم الرجل يصلي ثم يحسّن صلاته، يزيّنها، يحسّنها، يطيل ركوعها، يطيل سجودها، يطيل قيامها، يتخشّع فيها، يزيّنها؛ هذا معنى التزيين.

(لما يرى من نظر الرجل) أي: لماذا زيّنها؟

لأنه يرى أن رجلاً ينظر إليه؛ هذا سبب تزيينها، وهذا معنى الرياء؛ عَمِل العمل ليراه الرجل ويثني عليه.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياكم الإخلاص وأن يجنبنا الرياء والسمعة وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه.

الباب السادس والثلاثون: باب مِنَ الشِّرْكِ: إرادَةُ الإنْسانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيا

قال المؤلف رحمه الله: **(باب من الشرك إرادةُ الأنسانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيا)**

هو نوع من أنواع الشرك: أن تعمل العبادة لأجل الدنيا؛ تريد نصيباً من الدنيا، لا تفكر بالآخرة ولا بأجرها، ولاهم لك بذلك؛ المهم عندك: الدنيا، أن تأخذ نصيباً منها، أن تعمل عملاً أخروياً تعبديًّاً، تتقرب به إلى الله تبارك وتعالى؛ لكنك لا تريد الأجر والمثوبة من الله تبارك وتعالى في الآخرة؛ إنما تريد من ذلك الدنيا؛ هذا المقصود من هذا الباب، وهذا من الشرك أيضاً، وعدَّه بعض العلماء من الشرك الأصغر؛ فأنت حقيقة تعبد الله سبحانه وتعالى، لكن الأجر الذي تنتظره هو الأجر من الدنيوي؛ من أمور الدنيا.

مثاله: شخص يستلم إمامة المسجد من أجل الراتب، وأنا ضربت مثالاً منتشراً بين الناس، يوجد أئمة مساجد لولا المال ما وقفوا للإمامة، ويوجد مؤذنون، لولا المال ما أذنوا؛ هذا هو الضابط: أن يعمل العمل، إذا قُطِعَ عنه نصيبه من الدنيا؛ تركه؛ فهذا يعمل لأجل الدنيا.

لكن لو وقف الإمام إماماً وصلى بالناس، ولم يعط راتباً مقابل هذا، ولكنه أُعْطِيَ مالاً مقابل تفرغه؛ تشجيعاً له، ولا يبالي إن انقطع المال أو استمر؛ فهو يؤدي عبادة وقربة لله تبارك وتعالى؛ فلا بأس بذلك.

وكذلك في الأذان، إذا أذن لله، ويريد الأجر والمثوبة من الله، ولا ينتظر أجراً من ذلك دنيوياً، وجاءه أحدهم وأعطاه شيئاً من المال، كي يستعين به على قضاء حوائجه، لا أُجرة

على ذلك الأذان؛ فلا بأس بذلك أيضاً، لكن، إذا صلى إماماً، أو أذن مقابل أن يأخذ المال، وإذا انقطع المال انقطع عنه؛ هذا هو الذي يعمل لأجل الدنيا.

وكذلك عدَّ بعض العلماء من ذلك: أن يعمل العمل يريد بذلك أن يدفع الله عنه الأذى، والأمراض، والآفات، ولا همَّ له بالآخرة؛ إنما يريد ذلك؛ مثل هذه الأشياء هي المقصودة هنا، وذكر المؤلف رحمه الله الآية؛ كي يستدل على ما ذكر.

قال رحمه الله: **(وقوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[(١)])**

({من كان يريد الحياة الدنيا}) يعني: ثوابها.

({وزينتها}) من مال وبنين.

({نُوَفِّ إليهم أعمالهم فيها}) يعني: نعطهم ما أرادوا من أموال وبنين وخيرات.

({وهم فيها لا يُبخسونْ}) يعني: لا ينقصون.

لكن قال أهل العلم: هذه مخصوصة، يعني: ظاهر الآية أن الله سبحانه وتعالى يعطي أهل الدنيا ما يشاؤون، ونحن نرى أن من أهل الدنيا من الكفرة، وغيرهم من المتكالبين على الدنيا مَنْ لا يأخذ منها ما يأخذه بعض أهل الصلاح؟

قالوا: هي مخصوصة بقول الله تبارك وتعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ}[(٢)]، فلا يعطيهم كل شيء؛ بل على حسب حكمته تبارك وتعالى.

---

(١) [هود: ١٥-١٦]

(٢) [الإسراء: ١٨]

({أولئك ليس لهم في الآخرة إلا النار}) إذاً: في الآخرة خسروا كل شيء؛ لأنها ليست همهم.

({وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون}) أبطل الله سبحانه وتعالى أعمالهم، والحبوط هو الزوال؛ فزالت أعمالهم، وبطلت، ذهبت.

وجاء في الحديث: أن النبي ﷺ قال: "بشر أمتي بالسناء والرفعة والتمكين في البلاد ، مالم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة ، فمن طلب الدنيا بعمل الآخرة لم يكن له في الآخرة من نصيب" أخرجه الحاكم وأحمد[1] وهو مناسب جداً لهذا الباب.

قال المؤلف رحمه الله: **(وفي "الصحيح"[2] عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَميصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَميلَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضيَ، وإنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانْتُكَسَ، وإذا شيكَ فلا انْتَقَشَ، طُوبى لِعَبْدٍ آخِذٌ بِعَنانِ فَرَسِهِ في سَبيلِ الله، أشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٌ قَدماهُ، إنْ كانَ في الحِراسَةِ كانَ في الحِراسَةِ، وإن كان في السَّاقَةِ كانَ في السَّاقَةِ، إنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وإنْ شَفِعَ لَمْ يُشَفَّعْ")**

(تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم) الدينار والدرهم: أموال المسلمين في السابق، الدينار: قطعة من الذهب، والدرهم: قطعة من الفضة، وتعسَ: دعاء بالتعاسة؛ يعني: خاب وهلك؛ لماذا؟

---

(١) أحمد (٢١٢٢٠)، والحاكم (٧٨٦٢) ، وابن حبان(٤٠٥) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.
(٢) (٢٨٨٧)

لأنه تعلق بالدرهم والدينار؛ تعلق العبد بالرب؛ فكان أكبر همه، وقدمه على طاعة ربه، وهذا يحصل من كثير من الناس اليوم؛ يكون همه المال أن يحصل عليه بأي طريقة، حتى لو كانت فيها معصية لله، حتى لوكان فيها شرك بالله تبارك وتعالى وكفر به، فيأتيه أناس كالرافضة يدفعون له مقابل أن يقول، وأن يعتقد ما هم عليه، فإذا أخذ المال؛ قال واعتقد؛ وهذا اليوم كثير، من حب الدنيا، تمكن حبها من قلبه، وأشربه قلبه حتى صار هذا حاله: عبد الدرهم والدينار، عبد خاضع له يمشي خلفه أينما ذهب، وأينما ساقه ينساق؛ هذا حاله؛ وهؤلاء كثر اليوم، كما قال النبي ﷺ؛ فإن الفتن ستأتي في آخر الزمان حتى: "يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا"[1]؛ هذا خطير جداً على الناس، وواقع فيه الكثير منهم.

"تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم" أي: هو عبد المال.

(تعس عبد الخميصة) الخميصة: ثوب من صوف.

(تعس عبد الخميلة) هو أيضاً نوع آخر من أنواع الثياب؛ ثياب لها خمل، وكل هذه من أمور الدنيا: الدرهم، الدينار، الطعام، الثياب، والشراب.

(تعس وانتكس) دعاء عليه بالخيبة، والانتكاس: الرجوع؛ ينقلب رأساً على عقب.

(وإذا شيك) إذا أصابته شوكة.

(فلا انتقش) يعني: فلا يقدر على إخراجها بالمنقاش؛ قالوا: أن من كانت هذه حاله؛ فإنه يستحق أن يدعى عليه بما يسوءه في العواقب، ومن كانت هذه حاله؛ فلابد أن يجد أثر هذه الدعوات بالخيبة والسوء، ومن إذا أصابه شر؛ لم يخرج منه ولم يفلح؛ لكونه تعس

(١) أخرجه مسلم(١١٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وانتكس؛ فلا هو نال المطلوب، ولا تخلص من المكروه؛ فهذه خيبة من يلهث خلف الدنيا.

(طوبى لعبد) قالوا: طوبى هي شجرة في الجنة.

(آخذ بعنان فرسه في سبيل الله) يعني: آخذ بالحبل الذي يقود فرسه به.

انظر المقارنة بين الأول والثاني؛ الأول مشغول بالدنيا، والثاني هذا مشغول بطاعة ربه.

"آخذ بعنان فرسه في سبيل الله" أي: في جهاد المشركين.

(أشعث رأسه) يعني: لم يمشط شعره بالمشط، بل شعره مبعثر؛ شعرة عن يمين، والأخرى شمالاً؛ وهكذا.

(مغبرة قدماه) يجري راكباً على الحصان، ويجري على قدميه؛ يصول ويجول في المعارك.

(إن كان في الحراسة، كان في الحراسة) أي: إذا وضع في موضع؛ كان أهلاً لذاك الموضع، فلا يُقَصِّرُ ولا يغفل ويقوم بواجبه، والحراسة: أن يحرس الجيش.

(وإن كان في الساقة كان في الساقة) يعني: في مؤخر الجيش، أينما وضعوه؛ قام بواجبه الذي أُسند إليه، فيكون في مصلحة الجيش، وفي الجهاد في سبيل الله.

(إن استأذن لم يؤذن له) لا يبالي الناس به، انظر إلى منظره: أشعث أغبر ما أحد يبالي به، جندي من الجنود؛ بخلاف إنسان يكون عليه هيئة الترف، وهيئة المال والحسن؛ وكذا؛ هذ الناس ينظرون إليه ويعطونه ما يريد ويلبون له رغباته؛ بخلاف هذا: إن استأذن لم يؤذن له؛ يعني: إذا استأذن على الأمراء لأجل حاجة؛ ما ينظر إليه أحد.

(وإن شفعَ لم يُشَفَّع) إذا توسط لعمل مصلحة أو لدفع مفسدة؛ ما أحد ينظر إليه أو يبالي بوساطته.

الشاهد: أنه رجل صالح قائم بطاعة الله تبارك وتعالى، وشاغل نفسه بمرضاته؛ بخلاف الأول: عبد الدرهم والدينار؛ انظر إلى المقارنة.

وسماه النبي ﷺ عبداً للدرهم والدينار؛ وهذا الشاهد من الحديث.

الباب السابع والثلاثون: مَنْ أطَاعَ العُلَماء والأُمَراءَ في تَحْريمِ ما أحَلَّ الله أُو تَحْليلِ ما حَرَّمَ الله؛ فقدِ اتَّخَذَهُمْ أرْباباً مِنْ دونِ الله

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(باب من أطاعَ العلماءَ والأُمراءَ في تَحْريمِ ما أَحَلَّ اللهُ أو تحليلِ ما حَرَّمَ اللهُ؛ فقدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْباباً مِن دونِ اللهِ)**

هذا الباب معقود لبيان نوع من أنواع الشرك؛ لأن فيه صرفاً لأمر خاص بالله تبارك وتعالى لغيره؛ وهو التشريع.

والتشريع: التحليل والتحريم؛ وهو حق خالص لله تبارك وتعال؛ فلا يجوز لأحد أن يحرم أو أن يحلل، فإذا جعلت شخصاً مخلوقاً مُشرعاً مع الله، يحلل ويحرم؛ فقد اتخذت شريكاً مع الله سبحانه وتعالى في هذه الخاصية لله تبارك وتعالى؛ فهذه خصوصية له تبارك وتعالى ليست لأحد معه، فإذا اتخذت غيره مشرعاً معه؛ فقد جعلته شريكاً لله سبحانه وتعالى في حق خالص لله؛ هذا حق من حقوق الربوبية، هذا من ربوبية الله سبحانه وتعالى، فأنت إذا جعلت مشرعاً مع الله سبحانه وتعالى؛ فقد اتخذت رباً مع الله تبارك وتعالى؛ لأن التشريع من أفعال الله تبارك وتعالى الخاصة به؛ هذا ما يريد أن يذكره المؤلف في هذا الباب.

(من أطاع العلماء والأمراء) الذين يأمرون الناس: هم العلماء والأمراء، ويجب على الناس أن يطيعوهم، ولكن في طاعة الله تبارك وتعالى.

العالم: هو الذي يقول لهم: هذا حلال وهذا حرام؛ بمعنى: أن هذا أحله الله، وهذا حرمه الله تبارك وتعالى.

والأمير: هو الذي يأمر وينهى- يأمرك أن تفعل، وينهاك عن أن تفعل-؛ هؤلاء إذا أحلوا لك ما حرم الله، أو حرموا عليك ما أحل الله، وأنت اعتقدت حِلَّ ذلك أو حرمته، مع معرفتك بتغييرهم لشريعة الله تبارك وتعالى؛ فقد اتخذتهم أرباباً مع الله تبارك وتعالى، مشرعين؛ كما حصل مع بني إسرائيل؛ فإن بني إسرائيل كان علماؤهم يحللون لهم ما حرم الله، ويحرمون عليهم أشياء أحلها الله سبحانه وتعالى لهم، وكان الناس تبعاً لهم، يمضون على هذا- مع علمهم أنهم يغيرون في شريعة الله سبحانه وتعالى؛ ولكن كانوا يمضون معهم-، هذا التغيير هو الذي يعنيه ربنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم في الآيات التي ستأتي إن شاء الله وسيأتي تفسيرها من حديث عدي بن حاتم.

فالمقصود من التحليل والتحريم هنا: اعتقاد الحل لما حرم الله، واعتقاد التحريم لما أحل سبحانه وتعالى، وليس مجرد الفعل؛ انتبهوا وركزوا على هذه المسألة؛ خشية أن تقعوا فيما وقع فيه الخوارج الذين كفروا المسلمين بمجرد طاعة علمائهم وأمرائهم فيما أمروهم به؛ وإن لم يقولوا: هذا من شرع الله سبحانه وتعالى، أو هو تغيير لشرع الله سبحانه وتعالى، ولم يعلموا منهم ذلك، فمجرد الفعل إذا أمرك الأمير وقال لك: اشرب الخمر، لم يقل لك: الخمر حلال، ولم يقل لك: الله سبحانه وتعالى شرع حله؛ ولكن قال لك: اشرب الخمر، وأنت ذهبت وشربت؛ فهذا ليس من الباب الذي نحن فيه؛ هذه معصية وذنب.

لكن إذا قال لك: الخمر حلال اشربه؛ فقلت: نعم حلال، وشربته؛ هنا تكون قد اتخذت هذا الأمير أو العالم رباً مع الله تبارك وتعالى؛ هذا المقصود هنا.

ونقرأ لكم- بارك الله فيكم- من كلام ابن تيمية رحمه الله ما يوضح لكم المراد من هذا الباب؛ قال رحمه الله في "مجموع الفتاوى"[١]:

---

(١) (٧٠/٧)

(وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً) الأحبار: هم العلماء، والرهبان: هم العباد.

قال: (وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً حيث) كيف اتخذوهم أرباباً؟

قال: (حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله) ركز هنا: في تحليل ما حرم الله؛ فصاروا يطيعونهم في ذلك ويعتقدون أن هذا حلال؛ هذا معنى التحليل والتحريم: أن تعتقد أنه حلال وأن تعتقد أنه حرام.

قال: (يكونون على وجهين) ركزوا الآن هنا.

قال: (أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله) بدلوا دين الله: تحريم الخمر، هم أحلوه؛ هكذا صار تبديلاً لشريعة الله تبارك وتعالى، دين الله: تحريم الربا، هم أحلوه؛ فيعتقد أنه حلال ويمضي خلفهم على هذا، دين الله: تحليل لحم الإبل، هم يعتقدون حرمته، دين الله: تحليل لبن الإبل؛ هم يعتقدون حرمته؛ هكذا يكون تبديل شرع الله سبحانه وتعالى.

قال: (أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله؛ فيتبعونهم على التبديل) انظروا! هم علموا أنهم قد غيروا شريعة الله سبحانه وتعالى، وأحلوا ما حرم الله، وحرموا ما أحل الله، علموا ذلك منهم.

قال: (فيعتقدون تحليل ما حرم الله) ماذا يعتقدون؟ (تحليل ما حرم الله) لاحظ كيف أنه ركز على مسألة الاعتقاد هنا.

قال: (فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله)؛ يعتقدون ذلك (اتباعاً لرؤسائهم).

قال: (مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل؛ فهذا كفر) كفر واضح بواح.

قال: (وقد جعله الله ورسوله شركاً، وإن لم يكونوا يصلّون لهم، ويسجدون لهم) يعني: وإن لم يكن عندهم صلاة لهم ولا سجود لهم، لكن مجرد أنهم أحلوا لهم ما حرم الله واتبعوهم عليه، مع علمهم أنهم بدلوا شريعة الله؛ هؤلاء قد وقعوا في الشرك.

قال: (فكان من اتبع غيره في خلاف الدين، مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك، دون ما قاله الله ورسوله) ماذا فعل هو؟ قال: (واعتقد ما قاله ذلك، دون ما قاله الله ورسوله مشركاً مثل هؤلاء) يعني هذا يكون مشركاً.

(من كان هذا حاله) يعني خلاصة الموضوع: هنا المسألة ترجع إلى الاعتقاد؛ أي: اعتقد تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله؛ اتباعاً لرؤسائه، وهو يعلم أنهم قد بدلوا دين الله وشرعه؛ فهذا كافر كفراً مخرجاً من الملة.

ثم القسم الثاني؛ قال:

(والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً) انظر! هذا القسم الثاني: (أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً) يعني: يعتقدون أن الذي أحله الله هو حلال، والذي حرمه رؤساؤهم هو حلال؛ لأن الله أحله، ويعتقدون أن ما حرمه الله هو حرام، وما أحله رؤساؤهم هو حرام؛ لأن الله سبحانه وتعالى حرمه.

قال: (لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص) يعني يشرب الخمر وهو يعتقد أنه حرام؛ وإن أمره الأمير بشرب الخمر، وأطاعه في ذلك مع اعتقاده وبقي اعتقاده سليماً؛ فهذا لا يشرك.

قال: (فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب؛ كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "إنما الطاعة في المعروف"[1]، وقال: " السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب كره؛ مالم يؤمر بمعصية"[2]، وقال: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" [3]، وقال: "من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه" [4]...) إلى آخر ما تكلم ابن تيمية رحمه الله، وفي هذا المرجع كلام نفيس له رحمه الله وأجزل له المثوبة؛ وبذلك يكون قد اتضح عندنا هذا الباب، وما المراد منه، ومتى يكون الشخص قد اتخذ العالم أو الأمير رباً مع الله تبارك وتعالى. والله أعلم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وقال ابن عباس: (يُوْشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عليكُمْ حِجارةٌ مِنَ السَّماءِ؛ أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!)** [5]

ذكر المؤلف هنا هذا الأثر كي يبين لنا أن قول الله وقول رسوله ﷺ لا يقدم عليه قول أحد من البشر، أيًّاً كان، بما أنها قد استبانت لك السنة؛ فلا يجوز لك أن تعدل عنها لقول أحد من البشر؛ خشية أن تقع فيما ذكر ها هنا في هذا الباب من تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله سبحانه وتعالى؛ لكن هذا متى يكون منك؟

---

(١) أخرجه البخاري(٧٢٥٧)، ومسلم(١٨٤٠) عن علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري(٧١٤٤)، ومسلم(١٨٣٩) عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (١٠٩٥)، وأصله في "الصحيحين" بلفظ: "إنما الطاعة في المعروف".

(٤) أخرجه أحمد(١١٦٣٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الخطيب في "الفقيه والمتفقه" (١/١٤٥).

إذا علمت أن قول العالم مخالف للدليل وللشرع واتبعته عليه؛ فيخشى عليك من ذلك؛ لذلك ذكر لنا المؤلف رحمه الله هذا الأثر في هذا الموطن؛ لكن لابد من تقييد ذلك بأمر سنذكره عند شرح الأثر:

ابن عباس رضي الله عنه كان يقول بمسألة فقهية، أنا لا أريد أن أتطرق إليها الآن؛ لأن كثيراً منكم لا يعرفها؛ فلا أريد أن أدخله في متاهات، كان يقول بمسألة فقهية وعارضه البعض بأن أبا بكر وعمر كانا يخالفانه؛ فقال لهم: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء) يعني: عذاب؛ يعذبكم الله سبحانه وتعالى بها؛ لماذا؟

لأنكم تردون قول رسول الله ﷺ؛ لأنه كان يرى أن معه سنة النبي ﷺ؛ (أقول قال رسول الله ﷺ، وتقولون قال أبو بكر وعمر) الكلام الذي ذكره ابن عباس حق؛ لكن الكثير من الناس يريدون به الباطل عندما يذكرون هذا الكلام؛ إما بقصد أو بغير قصد؛ كيف ذلك؟

يأتي الشخص إلى نص في الكتاب، أو في سنة النبي ﷺ ويفهمه بناءً على مراده أو على عقله هو؛ ثم يلزمك بفهمه، ويقول لك: أقول لك قال الله، قال رسول الله ﷺ، وتقول لي: قال فلان، وقال فلان؟!

أنا لا أقول لك: قال فلان وقال فلان من عندهم؛ إنما أنا ألزمك بفهمهم؛ فهم السلف، فهم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما للنص، أنت عندك نص؛ نعم، لكن كيف فهمه أبوبكر وعمر؟ هذا مرادي؛ فلا تلتبس عليكم الأمور، هناك فرق بين أن تأتيني بنص صحيح من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ، وأعارضه لك بقول بشر أياً كان، وبين أن أقول لك: فهم الصحابة على خلاف فهمك؛ هل هذا واضح؟

مراد المؤلف هنا حق وصحيح، وما أراد ابن عباس أن يوصله إلينا أيضاً حق؛ وهو ألا يقدم قول بشر على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لكن لابد من الرجوع إلى فهم السلف رضي الله عنهم لكتاب الله ولسنة رسوله ﷺ، ولا تكون الأمور فوضى؛ كل شخص يفهم على مراده؛ فهذا هو الباب العريض الذي يدخل منه المبتدعة؛ لذلك كان السلف رضي الله عنهم يقولون- بمعنى كلامهم-: أنها إذا جاءت الأخبار عن رسول الله ﷺ متعارضة؛ فانظروا ما كان يفعل أبو بكر وعمر؛ هم المرجع في فهم كتاب الله وسنة الرسول ﷺ؛ أبو بكر، عمر، عثمان، علي؛ هم أولى بالصواب منا؛ لأمور فضلهم الله تبارك وتعالى بها علينا.

خلاصة القول: والمراد من هذا الأثر أنك لا تقدم قول بشر على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بعد أن ترجع في فهم الكتاب والسنة إلى فهم السلف الصالح رضي الله عنهم؛ هذا المراد، وعلى ذلك تفهم أقوال العلماء جميعاً؛ لأنهم هم هؤلاء الذين ذكروا أقوالاً مشابهةً لما قاله ابن عباس؛ هم أنفسهم الذين يعلقوننا بفهم السلف، ويعلموننا ألا نتفرد بفهم من عندنا؛ لقول الشافعي رحمه الله: (أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد) من استبانت له سنة الرسول ﷺ؛ يعني: اتضحت، ولا تتضح إلا بعد أن يرجع إلى فهم السلف الصالح رضي الله عنهم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وقال الأمام أحمد: (عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفوا الإِسْنادَ وَصِحَّتَهُ يَذْهَبونَ إلى رَأْيِ سُفْيان، اللهُ تعالى يقول: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ**

فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[1]، أَتَدْري ما الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ: الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إذا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ، أَنْ يَقَعَ في قَلْبِهِ شيءٌ مِنَ الزَّيْغِ؛ فَيَهْلَكَ)

(عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان) سفيان هو الثوري، وكان فقيهاً، وله مذهب سائد في الكوفة رحمه الله، وأصحاب المذاهب المشهورة في ذلك الوقت: سفيان الثوري في الكوفة، والأوزاعي في بلاد الشام، والليث بن سعد في بلاد مصر، وعبد الله بن المبارك في خراسان، ومالك بن أنس في المدينة، وسفيان بن عيينة في مكة؛ هؤلاء أصحاب مذاهب متبعة، كمذهب الشافعي وأحمد ومالك، قبل أن يُعرف مذهب الشافعي وأحمد؛ كانت هذه المذاهب هي المنتشرة، سفيان الثوري كان له مذهب منتشر؛ فيقول الإمام أحمد هنا:

(عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته) يعني: استطاعوا أن يميزوا السنة الصحيحة من الضعيفة، وأن يعرفوا ما ثبت عن النبي ﷺ مما لم يثبت.

(يذهبون إلى رأي سفيان) يعني: ويتركون سنة النبي ﷺ، إذا استبان لهم أن رأي سفيان مخالف للسنة؛ يتعجب منهم الإمام أحمد! كيف يكون هذا.

وهذا حال كثير من الناس، عندما يكون مذهب أحد العلماء سائداً في البلاد، إذا خالفه أحد بالسنة؛ تعجبوا واستغربوا وقاموا عليه، يعني ليس الأمر فقط أنهم يتركون السنة ويتبعون رأي فلان؛ بل ويقومون على من خالفهم أيضاً؛ هذا موجود في كل زمان، بعد القرون المفضلة.

(والله تعالى يقول: {فليحذر الذين يخالفون عن أمره}) أي: عن أمر الرسول ﷺ

---

(١) [النور:٦٣]

({أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم}، قال الإمام أحمد: (أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك) يعني -نسأل الله العافية- ربما يكون ذلك سبباً في ردته.

(لعله إذا رد بعض قوله) يعني إذا رد بعض قول النبي ﷺ.

(أن يقع في قلبه شيء من الزيغ؛ فيهلك) يكون ذلك سبباً في هلاكه؛ أن ترد شيئاً مما جاء عن النبي ﷺ؛ كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (إني أخشى إن تركت شيئاً من أمره ﷺ أن أزيغ) أو بهذا المعنى؛ وهو في صحيح البخاري[١]

الشاهد: أن تعظم أمر الله وأمر رسوله ﷺ، وأن تقدم أمر الله وأمر رسوله ﷺ على قول كل أحد، وأن لا تحلل ما حرم الله لقول رئيسك أو عالمك تعصباً له، وتحذر من ذلك أشد الحذر؛ فربما يكون سبباً لهلاكك -كما نحن نشاهد اليوم- هذا الأمر سبب لهلاك كثير من الناس.

قال المؤلف رحمه الله: **(عن عدي بن حاتم: أنه سمع النبي ﷺ يقرأ بهذه الآية: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[٢]، فقلت: إنَّا لسنا نَعْبُدُهم، قال: "أَلَيْسَ يُحَرِّمونَ ما أَحَلَّ الله فَتُحَرِّمونه، وَيُحِلّونَ ما حرَّمَ الله فَتُحِلّونه؟"، فقلت: بلى، قال: "فتِلْكَ عِبادَتُهُمْ". رواه أحمد والترمذي وحسنه[٣])**

---

(١) (٣٠٩٣)
(٢) [التوبة: ٣١]
(٣) انظر كلام الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٢٩٣

هذه الآية تدل على أن النصارى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.

والأحبار كما قلنا هم: العلماء، والرهبان: هم العُبَّاد.

اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، سيأتي تفسيرها؛ كيف أنهم اتخذوهم أرباباً من دون الله، وكذلك اتخذوا المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام رباً.

قال: ({وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً}) هم مأمورون بعبادة الله وحده، لا عبادة هذه الأرباب.

({لا إله إلا هو}) أي: لا معبود بحق إلا هو

({سبحانه عما يشركون}) ينزه نفسه تبارك وتعالى عن شرك المشركين.

(قال عدي بن حاتم: فقلت: إنا لسنا نعبدهم) تعجب! يعني العبادة: صلاة لهم ونذر لهم، تقرب إليهم بأنواع القرب؛ هذا أمر معلوم؛ لكنه لا يقع منا.

(قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟"؛ فقلت: بلى؛ قال: "فتلك عبادتهم") إذاً هذا أيضاً نوع من أنواع العبادة؛ بذلك اتخذتموهم أرباباً من دون الله تبارك وتعالى.

وهذا الحديث يفسر لنا الآية، ويفسر لنا المعنى المراد منها؛ كيف أنهم اتخذوهم أرباباً من دون الله؛ أحلوا الحرام فأحلوه، وحرموا الحلال فحرموه؛ اعتقاد ذلك على التفصيل الذي مر معنا من كلام الإمام ابن تيمية رحمه الله، فكلامه يبينه ويوضحه بشكل جلي جداً.

الباب الثامن والثلاثون: باب قول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ}

قال المؤلف رحمه الله: (باب قول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا}[(١)])

هذا الباب معقود لبيان حكم التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة الرسول ﷺ في أيِّ شيء، في أيِّ مخاصمة، أيِّ منازعة، في مسائل عقدية، مسائل فقهية، المخاصمة بين الناس في الأموال، في الأنفس، في الدماء؛ في كل شيء، التحاكم يجب أن يكون لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ، ولا يجوز التحاكم للأعراف، ولا يجوز التحاكم للعادات والتقاليد؛ كما يفعل كثير من مشايخ القبائل-مثلاً- وغيرهم؛ هذا كله محرم غير جائز؛ الواجب التحاكم إلى شرع الله سبحانه وتعالى فقط؛ للأدلة التي سيذكرها المؤلف رحمه الله، ومن تحاكم لغير شريعة الله تبارك وتعالى؛ فقد وقع في الكفر، وهل هو كفر أكبر أم كفر أصغر؟

(١) [النساء:٦٠-٦٢]

التفصيل فيه كالتفصيل في الحكم بغير ما أنزل الله، وقد جاء في فتوى للجنة الدائمة، عندما سئلت: فما حكم من يتحاكم إلى القوانين الوضعية، وهو يعلم بطلانها، فلا يحاربها ولا يعمل على إزالتها؟

قالت: (الواجب التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عند الاختلاف، قال تعالى: {فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً}(١)، وقال تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً}(٢)، قالوا: والتحاكم يكون إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة الرسول ﷺ، فإن لم يتحاكم إليها مستحلاً التحاكم إلى غيرهما فهو كفر، وإن كان لم يستحل التحاكم إلى غيرهما ولكنه يتحاكم إلى غيرهما من القوانين الوضعية، بدافع طمع في مال أو جاه أو منصب؛ فهو مرتكب معصية وفاسق فسقاً دون فسق، ولا يخرج من دائرة الإيمان...) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة الشيخ: عبد العزيز ابن باز رحمه الله، والشيخ عبد الله الغديان عضو، والشيخ عبد الله القعود عضو.

فيبين لنا ذلك أن التحاكم إلى غير شريعة الله سبحانه وتعالى فيه تفصيل؛ هل يكفر كفراً مخرجاً من الملة أو أن يكون كفراً غير مخرج من الملة؟

على التفصيل: إن استحل ذلك، ورآه جائزاً- إلى آخر التفصيل الذي ذكرناه في الحكم بغير ما أنزل الله، وما سنذكره في الحكم بغير ما أنزل الله إن شاء الله-؛ فهذا يكون كفراً مخرجاً من ملة الإسلام، أما إذا فعل ذلك وهو يعلم أنه حرام، ولا يجوز، ويعتقد ذلك، ولكن اتبع هواه في أمر ما؛ فهذا لا يكون مخرجاً من ملة الإسلام.

---

(١) [النساء:٥٩]

(٢) [النساء:٦٥]

اليوم عندنا محاكم كثيرة تحكم بغير شريعة الله سبحانه وتعالى، يضطر الإنسان أن يلجأ إليها كي يأخذ حقه؛ نقول لك: اعرف حقك من الناحية الشرعية أولاً، سل العلماء؛ علماء الإسلام الموثوق بهم، الذين يفتون بكتاب الله وبسنة الرسول ﷺ، فإذا بينوا لك حقاً ما عند أحد ولم تستطع أن تأخذه إلا عن طريق المحكمة؛ فخذه عن طريق المحكمة؛ المحكمة هنا تكون مجرد رجل شرطي يأتيك بحقك بالقوة فقط، فإذا أعطوك أكثر من حقك؛ فلا تأخذ إلا حقك؛ لأن حقك هو الذي أعطاك إياه الشرع، بعد أن ترجع إلى العالم ويفتيك بأن حقك هو كذا وكذا؛ فعندئذ لا يجوز لك أن تأخذ إلا ما قال لك هذا العالم الشرعي، وأنت تستعمل المحكمة كقوة فقط من أجل أن تأتيك بحقك فقط، وهذه الفتوى التي ذكرها الشيخ ابن باز رحمه الله، والتي ذكرها أيضاً الشيخ ابن عثيمين رحم الله الجميع.

({ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك}) يعني هذا أمر تعجبي؛ يعني: انظر! تعجب من هذا الشخص الذي يزعم؛ يدعي بأنه مؤمن؛ {يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك}، كيف تؤمن بما أنزل على نبينا ﷺ، وفيه شريعة كاملة وفيه إعطاء الناس حقوقهم؛ ثم تذهب وتتحاكم إلى غيره؟

({وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت}) يعني: يدعي أنه آمن بكتاب الله وبسنة الرسول ﷺ وآمن بالشرائع التي قبل ذلك، ثم يتركها ويذهب يتحاكم إلى الطاغوت، وكما ذكرنا: الطاغوت مأخوذ من الطغيان؛ يعني: كل من حكم بغير شريعة الله سبحانه وتعالى، وأردت أن تذهب تتحاكم عنده؛ فهو طاغوت بشرط؛ فهو طاغوت هنا في مثل هذا الموطن، فمن حكم بغير شريعة الله سبحانه وتعالى، وأردت أن تتحاكم إليه؛ فهذا طاغوت، فأنت تترك حكم كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، وتذهب إلى شخص كهذا؛ هذا يسمى طاغوتاً، وهذا من الأمر الذي يُتَعَجَّبُ منه: أن يزعم المرء أنه من أهل الإيمان وأنه

يؤمن بكتاب الله ويؤمن بشرع الله سبحانه وتعالى، ثم يتركه ويذهب يتحاكم إلى غيره؛ وهذه الآية طبعاً تدلُّ على عظم هذا الذنب وكبره، وأن الإنسان المؤمن إيماناً حقيقياً تاماً لا يقع هذا منه أبداً.

قال المؤلف رحمه الله: **(وقوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}[1])**

من الإفساد في الأرض: التحاكم إلى غير شريعة الله، عدم إقامة شرع الله سبحانه وتعالى في الأرض من الفساد في الأرض، ومن الفساد في الأرض: الفسق والفجور فيها؛ هذا من الفساد في الأرض؛ وهذا الذي يقصد في مثل هذا الأمر، لا تعصوا الله سبحانه وتعالى في أرضه؛ فهذا من الفساد في الأرض.

({وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض}) يعني: أطيعوا الله سبحانه وتعالى، لا تعصوه، لا تشركوا به، لا تعملوا بالمعاصي والذنوب، لا تتحاكموا إلى غير شريعته.

({قالوا إنما نحن مصلحون}) فيما يفعلونه من فساد وهم يزعمون أنهم مصلحون؛ وهذه من أعظم المصائب: أن تظن نفسك أنك على خير، وأنت على ضلال- نسأل الله العافية والسلامة- لذلك أكثروا من دعاء الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم إلى الحق الذي يحبه ويرضاه تبارك وتعالى.

---

(١) [البقرة:١١]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وقوله: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا}[1])**

نفس المعنى الذي تقدم: {لا تفسدوا في الأرض} أي: بالتحاكم إلى غير شريعة الله سبحانه وتعالى، وبإقامة المعاصي والذنوب والشرك وغير ذلك.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتى يَكونَ هواهُ تَبَعَاً لِما جِئْتُ به". قال النووي: حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح)**

هذا الحديث ضعيف لا يصح[2].

(لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) يعني: يكون كل ما يحبه وما يريده هو تبع لما جاء به النبي ﷺ؛ فيكون متبعاً لكتاب الله ولسنة الرسول ﷺ، ومحكماً لكتاب الله ولسنة الرسول ﷺ، ولا يُحَكِّم غير شرع الله تبارك وتعالى، والله سبحانه وتعالى يقول: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً}، فالواجب علينا أن نحكم شرع الله، وأن نتحاكم إلى شرع الله تبارك وتعالى.

---

(١) [الأعراف:٥٦]

(٢) في سنده نعيم بن حماد ضعيف، انظر "جامع العلوم والحكم" لابن رجب (٣٩٣/٢)، وتخريج كتاب السنة للألباني (١٥).

قال المؤلف رحمه الله: **(وقال الشعبي: كان بين رجلٍ من المنافقين ورجل من اليهود خُصومةٌ؛ فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد؛ عرف أنه لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جُهَينة فيتحاكما إليه؛ فنزلت: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ}الآية.**

وقيل: نزلت في رجلين اختصما؛ فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كَعْبِ بن الأشرف، ثُمَّ ترافعا إلى عمر بن الخطاب، فذكر له أحدهما القصة؛ فقال للذي لم يرضَ برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم؛ فضربه بالسيف فقتله)

(الشعبي) هو عامر الشعبي، أحد علماء التابعين، ومن المحدثين الكبار.

(كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة) كان بينهما منازعة، منافق ويهودي، المنافق: الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر؛ وهؤلاء كانوا من أهل المدينة لأن أهل المدينة عندما دخلها الإسلام فيها أسلم أكثر أهلها وصار الكفار مستضعفين؛ فأرادوا أن يحموا أنفسهم؛ فنافقوا؛ أظهروا الإيمان وهم في الحقيقة كفار، بينما المهاجرون لا تجد منهم منافقاً؛ لأنهم ما كانوا مضطرين أن يخرجوا من مكة إلى المدينة ويزعموا الإسلام، ليس فيهم أحد على هذه الصورة؛ لذلك ما تجد فيهم النفاق؛ إنما تجد النفاق في أهل المدينة الأصليين، الذين آمن منهم من آمن- وهم الأنصار-، والذين لم يؤمنوا هم المنافقون؛ أظهروا الإيمان في الظاهر، لكن في الباطن كانوا من المنافقين، ورأسهم عبدالله بن أُبَيِّ بن سلول، وخصومة؛ أي: منازعة.

(فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد؛ عرف أنه لا يأخذ الرشوة) يعني: كان الظاهر أن الحق له؛ فعرف أن النبي ﷺ لا يأخذ الرشوة؛ فيقضي له بالحق.

(وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة) عرف أن اليهود يأخذون الرشوة، يمكن أن يعطيهم ويقلبوا الحق له.

(فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه) يعني: لا إلى النبي ﷺ، ولا إلى اليهود؛ أخذوا أمراً لا يوافق هذا ولا هذا؛ وهو الكاهن، وكانوا قديماً في الجاهلية يتحاكمون إلى الكهان، وهذا المنافق يزعم أنه مؤمن في ظاهر الحال.

وجهينة: قبيلة من قبائل العرب.

(فنزلت: {ألم ترَ إلى الذين يزعمون...) الآية التي ذكرها المؤلف، وهذا وإن كان ضعيفاً؛ ولكن المراد ما ذُكر.

(وقيل نزلت في رجلين اختصما؛ فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر بن الخطاب، فذكر له أحدهما القصة؛ فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال : نعم؛ فضربه بالسيف فقتله) وهذه أيضاً قصة ضعيفة، ويستدل بها الخوارج على كفر كل من لم يرض أن يتحاكم إلى شريعة الله سبحانه وتعالى مطلقاً من غير تفصيل، وكما ذكرنا لكم: هذه القصة لا تصح أصلاً، وهذا حال أهل البدع وأهل الضلال؛ يتعلقون ولو بالمتشابهات أو بالأحاديث الضعيفة، المهم عندهم: أن يقيموا ما يريدون، وأن يقرروا عقائدهم الباطلة الفاسدة، والمسألة عند أهل السنة- بحمد الله- على التفصيل الذي ذكرنا لكم، ولا فرق بين الحكم بغير ما أنزل الله، والتحاكم إلى غير شريعة الله تبارك وتعالى؛ وكله محرم، التحاكم إلى غير شريعة الله، والحكم بغير ما أنزل الله؛ كله محرم، لكن ماحكم الفاعل؟ هل يكفر كفراً مخرجاً من الملة أم يكفر كفراً غير مخرج من الملة؟

على التفصيل الذي سنذكره إن شاء الله في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله. والله أعلم.

الباب التاسع والثلاثون: باب من جَحَدَ شيئاً مِنَ الأسماء والصفات

قال المؤلف رحمه الله: **(باب من جَحَدَ شيئاً مِنَ الأسْماءِ والصِّفاتِ، (وقول الله تعالى: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ})**

أولاً: نفرق بين الاسم والصفة: عندما يسمي شخصاً أهله باسم كريم؛ هذا اسم يدل على شخص مسمى بهذا الاسم، تسمي شخصاً آخر: زيداً، محمداً، عمراً ... إلخ؛ هذا اسم يدل على ذاتٍ تُسمى بهذا الاسم فقط، أخوك اسمه محمد، يدل على أن لك أخاً اسمه محمد فقط؛ هذا هو الاسم؛ ما دل على مسمى.

أما الصفة فتدل على معنى، عندما تصف محمداً بالكرم؛ فتقول: محمد كريم؛ هذا معنى موجود في محمد؛ هذا معنى الصفة، وهذا الفرق بين الاسم والصفة، البشر يسمون بالأسماء وربما تكون الأسماء تدل على صفات، لكن لا علاقة لصاحبها بالصفة التي تدل عليها؛ كأن تسمي شخصاً: كريم؛ هذا الاسم يدل على ذات تسمى بها هذا الاسم؛ لكن هل يلزم أن يكون هو كريم؟ لأن هذا الاسم يتضمن معنى؛ لكن ربما هذا المعنى يكون متحققاً في المسمى وربما لا يكون- وهذا في البشر-، فعندما نسميه نحن لا نلحظ هذا المعنى؛ نسمي فلاناً: كريم، وانتهى الأمر، هل سيكون كريماً، أو يكون بخيلاً؛ ليس موضوعنا.

أما في حق الله تبارك وتعالى؛ فكل اسم له سمى به نفسه في الكتاب أو في السنة؛ فهو متضمن للصفة، فيه صفة، فيه معنى موجود ومتحقق في الله تبارك وتعالى، كاسمه الرحمن؛ هو اسم سمى به نفسه: {الرحمن على العرش استوى}، {بسم الله الرحمن الرحيم}، ويدل أيضاً على صفة: صفة الرحمة، ففي حق الله: الاسم ثابت، والصفة التي تضمنها الاسم أيضاً

ثابتة له؛ فلا يوجد عنده اسم من غير صفة، في حق البشر قد يكون هذا، أما في الله سبحانه وتعالى فلا؛ لأن الله سبحانه وتعالى له الكمال.

كيف نثبت الاسماء والصفات؟

بالأدلة الشرعية، الأمور التي تتعلق بالله تبارك وتعالى كلها أمور غيبية- من الأسماء والصفات-، لا علم لنا بها، العقل يدرك بالجملة أن الله سبحانه وتعالى يستحق صفات الكمال، ولا يستحق صفات النقص، هكذا بهذه الطريقة يدرك العقل هذا الأمر، أما على وجه التفصيل؛ فهناك صفات لا يدري العقل فيها أيصح أن يوصف الله بها أم لا؟ فيتوقف حائراً، فمرجعها إلى الشرع، مرجع الأسماء والصفات إلى الشرع، إلى: قال الله، قال رسول الله، ما الذي يسمي الله سبحانه وتعالى به نفسه، وما الذي لا يسمي به نفسه؟ هذا يرجع إليه، من أين نعرفه؟ بالوحي سمى نفسه كذا في القرآن؛ سميناه، سمى نفسه كذا في السنة؛ سميناه، لم يسم؛ لا نسمي، لا نتجاوز، عندنا حدود، كذلك الصفات: وصف نفسه بكذا في القرآن؛ وصفناه، وصف نفسه بكذا في السنة؛ وصفناه، لم يصف؛ سكتنا، مع اعتقادنا أنه يستحق كل كمال، وأن كل نقص منفي عنه؛ فقط وينتهي الأمر؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، وهكذا نعتقد فيها، لا نحرف ولا نؤول ولا نلف وندور على شرع الله، ولا نُحَكِّمُ عقولنا على الله تبارك وتعالى أبداً، الحاكم عندنا الكتاب والسنة فقط.

نرجع إلى ما بوب المؤلف رحمه الله به؛ قال:

(باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات) التي ثبتت لله في الكتاب والسنة، كاسم الرحمن؛ ثبت لله تبارك وتعالى في الكتاب والسنة، كالرحيم، العزيز، الغفور... إلى آخره؛ ثبتت في الكتاب والسنة، انتهى الأمر نثبتها لله سبحانه وتعالى كأسماء، وكذلك الصفات،

كصفة الرحمة، صفة الغضب، صفة الحب، صفة اليدين، صفة العلو؛ كلها ثبتت بالكتاب والسنة؛ نثبتها لله تبارك وتعالى ولا نُعْمِلُ عقولنا الصغيرة القاصرة على الله تبارك وتعالى ونجعلها حاكماً عليه أبداً

(من جحد شيئاً) الجحود: هو الإنكار، تكذيب؛ وهذا يكون على صورتين:

الصورة الأولى: أن يجحد ويكذب صراحة، تقول له: الله سبحانه وتعالى اسمه الرحمن، متصف بصفة الرحمة؛ يقول: لا؛ اسمه الرحمن ولا يتصف بصفة الرحمة، هذا كفر مخرج عن ملة الإسلام؛ لأنه مكذب بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ.

الصورة الثانية: لا يكذب به صراحة هكذا؛ لكن يلف ويدور، يحرف، كالذين يحرفون صفة الاستواء بالاستيلاء؛ هؤلاء كذبوا بالصفة- صفة العلو-، حرفوا معناها، جحدوها حقيقة؛ لكن باللف والدوران، عندهم شبهات قامت جعلتهم ينحرفون، وهذه الشبهات منعت من تكفيرهم؛ ولكنها لا تمنع من تبديعهم؛ لأنهم خالفوا أدلة واضحة وصريحة في دلالتها، نفي ثبوتها هي قوية، وفي دلالتها صريحة، وفي إجماع السلف عليها حجة عليهم.

أما من تأول بطريقة هي بعيدة جداً، ولا تقبل عند العرب أصلاً؛ كمن يتأول البقرة في سورة البقرة بعائشة؛ هذا التأويل لا يقبل منه، ولا يكون مانعاً من تكفيره؛ لأنه في الحقيقة لا يوجد شبهة حقيقية، ولا يوجد له مسوغ في اللغة يجعله يفسر هذا التفسير؛ هذا اسمه لعب وليس تأويلاً، وهو غير معتبر نهائياً عند العلماء؛ هذه الأقسام الثلاثة احفظوها جيداً؛ فهي مهمة؛ كي تفرق وتعرف متى يكفر الشخص؟ ومتى يبدع بمثل هذه الأفعال.

قال: (باب من جحد شيئاً- أي شيء- من الأسماء والصفات) أنكرها؛ كذب بها؛ ما حكمه؟

قال:

(وقول الله تعالى: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ}[1]) عندما أنكر المشركون اسم الله سبحانه وتعالى: (الرحمن)؛ قالوا: وما الرحمن ؟ ما نعرف هذا الاسم لله سبحانه وتعالى، أنكروا ذلك وكذبوا؛ فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية: {وهم يكفرون بالرحمن}؛ قال الله تبارك وتعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}[2]، الرحمن اسم له وصفته الرحمة، وهذا من صفات كماله تبارك وتعالى، فجحود الأسماء كفر، قال تعالى: {وهم يكفرون بالرحمن}، لما جحدوا الاسم وأنكروه؛ وصفهم الله سبحانه وتعالى بالكفر به: {وهم يكفرون بالرحمن}؛ هذا حكم من جحد الاسم أو الصفة؛ على التفصيل الذي تقدم.

وموضوع الأسماء والصفات موضوع طويل، وقد أفرده العلماء بكتب خاصة لعظم الفتنة فيه وكثرة المخالفين، وكثرة أهل البدع، وكثرة شبهاتهم، أفرد العلماء هذا القسم بمصنفات، مؤلفات خاصة تؤصل عقيدة أهل السنة والجماعة، وتدحر شبهات أهل البدع، وكتأصيل لمن أراد أن يتقن هذا الباب أنصحه بـ: "القواعد المثلى: لأحد أئمة هذا العصر بحق، وإن وصف بابن تيمية الصغير؛ فحقه ذلك حقيقة؛ وهو الشيخ ابن عثيمين رحمه الله؛ ففي كتبه تأصيل وتفصيل لعقيدة أهل السنة والجماعة، ورد على أهل البدع بأسلوب سهل وميسر لا تجده عند الكثيرين، وقراءة كتبه وإتقانها ييسر لك جداً فهم كتب ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله وغفر لهم على ما قدموا للإسلام والمسلمين حقيقة، وقد استفدنا منه فوائد جمة عظيمة؛ بل أقول بحق: هذا العلم- علم الأسماء والصفات- كان لهذا الإمام الفضل الأكبر من البشر عليَّ في فهمه وإتقانه؛ فجزاه الله عنا خيراً، ورحمه وغفر له؛ فأنصحكم بهذا الكتاب: "القواعد المثلى"، كتاب ماتع، من أراد أن يتقن هذا الفن، وهذا الجانب من جوانب الاعتقاد؛ فليقرأ هذا الكتاب وليتقنه.

---

(١) [الرعد:٣٠]

(٢) [الإسراء: ١١٠]

قال المؤلف رحمه الله: **(وفي "صحيح البخاري"[1] قال علي: "حَدِّثوا الناسَ بما يَعْرِفون؛ أَتُريدونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ ورسولُهُ؟")**

(علي بن أبي طالب) فقيه عالم جليل، من أعظم مناقبه: قول النبي ﷺ فيه: أن الله ورسوله يحبونه: "يحبه الله ورسوله"[2]، وهو أحد الخلفاء الأربعة، وإمامته معلومة مشهورة، قال لنا قاعدة:

(حدثوا الناس بما يعرفون) من أمور شرع الله ولا يستنكرونه، بحيث يكون فتنة عليهم.

(أتريدون أن يُكَذَّبَ الله ورسولُه؟) يعني: يكذبون الله ورسوله؛ فيقعون في الفتنة بسبب حديثكم؟ تذكرون لهم أخباراً لا تبلغها عقولهم؛ فيؤدي ذلك إلى تكذيبهم بخبر الله أو خبر رسوله ﷺ؛ فيقعون في المحذور، العلم الذي يجب عليك أن توصله للناس يجب أن تكون عندك حكمة في إيصاله للناس، ولاتكن فتنة عليهم بأسلوبك وطريقتك المنفرة.

وقد وقع مثل هذا من بعض الشباب في بعض المجالس مع العامة عند عقد القران؛ فالعامة اعتادوا على قراءة الفاتحة في هذا الموطن، يقوم بعض الشباب صارخاً: قراءة الفاتحة بدعة، والناس تعلم أن البدعة مذمومة؛ فتأخذهم الحمية على كتاب الله؛ إذ كيف يقول في الفاتحة التي هي من كتاب الله بدعة؟ ويبدأ العراك، ما السبب؟ السبب أن هذا الشخص أساء في طريقته إيصال المعلومة؛ ففهموا عليه فهماً خاطئاً، وهم معذورون في فهمهم؛ هم لا يعلمون ماذا يعني بأن قراءة الفاتحة بدعة، وكيف تكون بدعة؟ اشرح، فصل، فَهِّم الناس ماهي البدعة؟ وكيف تكون العبادة بدعة؟ وكيف تكون العبادة ممدوحة؟ وكيف تكون مذمومة؟ يحتاج إلى أن تفصل وتشرح وتمثل بأمثلة بعيدة عن مثل هذا المثال أولاً، ثم بعد

---

(١) (١٢٧)

(٢) أخرجه البخاري(٣٠٠٩) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

أن يستوعب الناس ويفهموا، لو قلت لهم قراءة الفاتحة عند عقد القرآن بدعة؛ لقبلوا منك بكل أريحية، الناس ما عندهم عداوة مع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وشرع الله، دعنا من بعض مرضى القلوب، نحن نتحدث عن العامة بصفة عامة، بشكل مجمل، هؤلاء ما عندهم عداء، لكن أحسن إفهامهم؛ وستجد من الكثير منهم قبولاً لك ولكلامك، حدث الناس بما يعرفون؛ بما تدركه عقولهم، وإذا وجدت عندك معلومة من دين الله تحتاج ولابد أن يفهموها؛ فأحسن الأسلوب في طريقة إيصالها وكن حكيماً؛ كي لا توقع الناس في فتنة في دينهم، وربما رجع ذلك إلى تكذيبهم آيات في الكتاب أو في السنة بسبب أسلوبك؛ فتكون فتنة عليهم.

لماذا ذكر المؤلف هذا ها هنا؟

لأن بعض الصفات لا تحتملها أفهام الناس، ويفهمونها بشكل خاطئ؛ فعندئذ قبل أن تسردها عليهم، وتذكرها لهم؛ لابد من أسلوب صحيح حكيم في طريقة إيصال المعلومة؛ هذا مراده رحمه الله.

قال المصنف رحمه الله: **(وروى عبد الرزاق الصنعاني، عن مُعتمر، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس؛ أنه رأى رجلاً انْتَفَضَ لما سَمِعَ حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات؛ استنكاراً لذلك، فقال: ما فَرَقُ هؤلاءِ؟ يَجِدونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، ويَهلكونَ عِنْدَ مُتَشابِهِه. انتهى)**

(عبد الرزاق) الصنعاني في "مصنفه"[1]، له المصنف؛ كتاب كبير في أحد عشر مجلداً من غير الفهارس في طبعة المكتب الإسلامي، وهو كتاب نفيس، فيه آثار كثيرة عن السلف رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين؛ يبين لك فقه السلف، الفقه القديم الذي لم يشب بالأفكار الدخيلة.

(معمر) بن راشد، كان محدثا فقيهاً رحمه الله.

(ابن طاووس) هو عبد الله بن طاووس.

(عن أبيه) هو طاووس من كيسان تلميذ ابن عباس.

(عن ابن عباس) عبد الله بن عباس.

(أنه رأى رجلاً انتفض) أي: اهتزَّ

(استنكاراً لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات) وهذا الذي تحدثنا عنه سابقاً، تذكر بعض الصفات أمام العامة، فلا تدركها عقولهم؛ فيؤدي إلى هذا.

(فقال) أي: ابن عباس رضي الله عنه.

(ما فَرَقُ هؤلاء؟) يعني ما الذي يخوف هؤلاء؟ ما الذي يجعله ينتفض مستنكراً؟

(يجدون رقة عند محكمه) عندما تمر بهم الآيات والأحاديث التي هي محكمة؛ بمعنى: واضحة الدلالة، واضحة المعنى، لا تعطي أكثر من معنى؛ معناها واضح؛ هذا معنى المحكم، عندما تمر بهم هذه الآيات وهذه الأحاديث المحكمة يجدون رقة؛ يجدون خشوعاً، زيادة في إيمانهم.

---

(١) (٢٠٨٩٥)

(ويهلكون عند متشابهه) لكن إذا مرت عليهم الآيات والأحاديث التي فيها متشابه يهلكون.

بماذا؟

لأنهم لم يفعلوا كما فعل العلماء الراسخون في العلم، العلماء الراسخون في العلم ماذا يفعلون؟

إذا مرت بهم آيات أو أحاديث من المتشابه- ونعني بالمتشابه التي تعطيك أكثر من معنى ولا تكون واضحة الدلالة-؛ فماذا يفعلون؟

يردون المتشابه إلى المحكم؛ عندئذ يتضح معنى المتشابه، ولا يكون فتنة عليهم، أما غيرهم من كثير من العامة، وغيرهم من أهل البدع؛ فيقعون في الفتنة، فيهلكون عند المتشابه، يتخبطون في فهمه، ويتأرجحون ويضيعون.

فإذا مر بك ما يخالف الأصول الصحيحة والأدلة المحكمة عندك؛ عندئذ مباشرة تؤمن به كما جاء وترد معناه إلى المحكم.

مثال ذلك: عندك أدلة محكمة في عيسى عليه السلام؛ قال الله تبارك وتعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[1]؛ فعيسى عندك مخلوق من تراب خلقه الله تبارك وتعالى بعد أن لم يكن مخلوقاً، وخلقه من تراب كما خلق آدم من تراب، وليس هو ابن الله ولا بعضاً من الله تبارك وتعالى- تعالى الله عما يقول الظالمون-، هذا دليل محكم واضح الدلالة لا خفاء فيه ولا اشتباه البتة.

جاءك دليل آخر، اشتبه عليك، تقرأ في القرآن فمررت بآية: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا

(١) [آل عمران:٥٩]

إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ}[1]، كيف تفهم: {وَرُوحٌ مِنْهُ}؟ هل هي بعض من الله وجزء منه؟ -هكذا يلبس النصارى على المسلمين بهذه الآية- أم أنه روح منه أي مخلوق منه؟ هو الذي خلقه وليس غيره، مِنْ خلْقه وإيجاده، كما تقول: هذا الدينار مني لك؛ هل هو جزء وبعض منك؟ لا؛ لكنه كان منك عطاءً وإخراجاً؛ فابتداء خروجه منك، {روح منهْ أي: من خلقه وإيجاده تبارك وتعالى.

انظر لماذا قلنا هذا؟

لأننا رددنا هذه الآية إلى الآية المحكمة في هذا الموضوع؛ هكذا- بارك الله فيكم- يتعامل العالم الراسخ مع الأدلة الشرعية، أما أهل البدع؛ فيجعلون المتشابه هو أصل عندهم، ثم يأخذون في تحريف المحكم تحريفات سمجة ضعيفة ركيكة؛ لأن المحكمات أصلاً لا تحتمل تلك التفسيرات.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر: الرحمن؛ أنكروا ذلك؛ فأنزل الله فيهم: {وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ})**

هذا نوع من أنواع جحود الأسماء والصفات؛ وهو إنكارها، وهذه سنة أهل الجاهلية وطريقتهم.

(١) [النساء:١٧١]

الباب الأربعون: باب قول الله تعالى: {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ}

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(باب قول الله تعالى: {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ}**[١]**، قال مجاهد- ما معناه-: هو قَوْلُ الرَّجُلِ: هذا مالي، وَرِثْتُهُ عَنْ آبائي. وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فُلانٌ لَمْ يَكنْ كذا. وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعَةِ آلِهتنا)**

({يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها}) نعمت الله؛ هذه مفرد مضاف، ومن القواعد الأصولية أن المفرد المضاف يعم؛ فهو لفظ عام، عندما تقول: نعمة الله؛ يعني: نعم الله، هي نفس المعنى؛ عامة تشمل كل نعمة أنعم الله بها على عباده.

يعرفون نعمة الله؛ أي: الكفار كانوا يعرفون أن النعم التي بهم من الله؛ الرزق، الصحة، العافية، الدروع، الأسلحة؛ كل شيء، كل شيءٍ نعم من الله تبارك وتعالى، كل شيءٍ ينتفع به، فيه مصلحة للعبد؛ فهو من نعم الله تبارك وتعالى، كل شيءٍ يسره الله لك فهو من نعمة الله عليك، فهم كانوا يعرفون هذا الكلام ثم ينكرون النعمة، وسيأتي من كلام مجاهد كيف كانوا ينكرون النعم.

({وأكثرهم الكافرون}) أكثر هؤلاء القوم يكفرون بالله تبارك وتعالى.

(قال مجاهد- ما معناه-: هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي) هكذا ينكرون النعمة؛ يقول الرجل: (هذا مالي ورثته عن آبائي) هذا الكلام ربما يكون حقاً؛ ربما يكون قد نال المال بالميراث؛ هذا صحيح، فإذا أخبر مجرد خبر مع عدم تناسيه بأن الفضل من

---

(١) [النحل:٨٣]

الله تبارك وتعالى، وهو الذي قدر أن ينتقل هذا المال إليه، وهو الذي مَنَّ عليه به؛ وهو الذي شرع أن يرثه؛ عندئذٍ يكون الخبر صحيحاً ولا غبار عليه، وجائز، لكن إذا قال هذه الكلمة وتناسى أن الفضل لله تبارك وتعالى في حصوله على هذا المال؛ عندئذٍ يكون هذا الشرك: شرك نعمة؛ كفر نعمة، لكن إذا اعتقد أن المنعم عليه غير الله تبارك وتعالى؛ عندئذٍ يكون الكفر كفراً أكبر مخرجاً من الملة، شرك بالله تبارك وتعالى.

إذاً: صار عندنا هذا اللفظ- هذا مالي ورثته عن آبائي- يعطى ثلاثة أحكام:

إما أن يكون مباحاً: إذا اعتقد أن هذا المال من فضل الله تبارك وتعالى وحده، ولم يتناسَ أن الله تبارك وتعالى قد مَنَّ عليه بهذا المال بشرعه وقدره؛ عندئذٍ نقول: هذه الجملة جائزة، ولا شيء فيها، قال النبي ﷺ يوم أن سئل: أتنزل في دارك غداً؟ قال: "وهل ترك لنا عقيل من رِباعٍ أو دورٍ؟"[1]؛ فيبين ﷺ أن هذه الدور انتقلت إلى عقيلٍ بالإرث، ما ترك لنا من رباع، ومن دور؛ ما ورثوا شيئاً، ورثها عقيل؛ لأن عقيل الذي كان على دين آبائه، فالجملة في أصلها مع الاعتقاد الصحيح، وعدم تناسي فضل الله تبارك وتعالى: جائزة.

لكن إذا قالها وتناسى فضل الله تبارك وتعالى؛ فهذا يكون كفراً أصغر؛ هذا كفر النعمة.

وإذا قالها معتقداً أن غير الله هو الذي منَّ عليه بذلك- أو مع الله-؛ فهذا شرك، وهو كفرٌ أكبر مخرج من ملة الإسلام.

(وقال عون بن عبد الله) أحد أئمة السلف رضي الله عنهم.

---

(١) أخرجه البخاري(١٥٨٨)، ومسلم(١٣٥١) عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(يقولون: لولا فلان لم يكن كذا) كذلك التفصيل يأتي هنا بما فصلنا في الجملة السابقة: الخبر مع تذكر أن الله تبارك وتعالى هو المنعم والمتفضل، ومع اعتقاد أنه هو المنعم المتفضل لا غيره؛ عندئذٍ تكون العبارة جائزة: لولا فلانٌ لم يكن كذا.

لكن مع التناسي أو مع الاعتقاد الفاسد؛ فتكون شركاً إما أصغر أو أكبر كما فصلنا فيما تقدم.

(وقال ابن قتيبة: يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا) هؤلاء مشركون، يعبدون غير الله، ويعبدون هذه الآلهة، يعبدونها، يتقربون إليها كي تشفع لهم عند الله تبارك وتعالى، فإذا منَّ الله عليهم بأنواع النعم؛ قالوا: (هذه بشفاعة ألهتنا) أعوذ بالله؛ وهكذا يكون الكفر بالله تبارك وتعالى وبنعمه وفضله.

إذاً خلاصة القول: أنك يجب أن تتذكر دائماً أن المنعم عليك هو الله شرعاً وقدراً، وأن تعتقد أن الله تبارك وتعالى هو المنعم لا غيره، فإذا استحضرت الأول واعتقدت الثاني، وقلت مثل هذه العبارات؛ فلا بأس، لكن مع النسيان؛ يكون كفراً أصغر، ومع الاعتقاد الباطل؛ يكون كفراً أكبر.

قال المصنف رحمه الله: **(وقال أبو العباس- بعد حديث زيد بن خالد، الذي فيه: أن الله تعالى قال: "أَصْبَحَ مِنْ عبادي مُؤْمِنٌ بي وكافِرٌ" الحديث، وقد تقدم-: وهذا كثير في الكتاب والسنة؛ يَذُمُّ سبحانه من يُضيفُ إنعامَهُ إلى غيره ويُشْرِكُ به. قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريحُ طيّبَةً، والمَلَّاحُ حاذِقاً، ونحو ذلك مما هو جارٍ على أَلْسِنَةِ كثير)**

(أبو العباس) هو ابن تيمية رحمه الله

(بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: أن الله تعالى قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر" الحديث، وقد تقدم) وتقدم، وتقدم شرحه أيضاً.

(وهذا كثير في الكتاب والسنة؛ يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به. قال بعض السلف: هو كقولهم: كانت الريح طيبة) على نفس التفصيل الذي تقدم، وأصل هذه العبارات إذا كان معها اعتقاد صحيح، ولم يتناس المرءُ فضل الله؛ فهي جائزة، كانت الريح طيبة؛ لذلك سلكت السفينة في البحر دون مشاكل؛ لكن كله بفضل الله؛ من الذي جعل الريح طيبة؟ هو الله سبحانه وتعالى، فإذا لم تتناس ذلك؛ فلا بأس بهذه العبارات.

(والملاح حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير) كان القبطان الذي يقود السفينة متقناً لقيادته؛ لذلك نجت السفينة؛ هذا سبب، فإذا اعتقدت أنه سبب، وأنه تبارك وتعالى هو الذي تفضل وتكرم عليك؛ فلا بأس، لكن مقصودهم هنا بكفران النعم هو هذا: أن تذكر الأسباب، وتتناسى المسبب؛ تذكر الأسباب، وتعزو الفضل إليها، وتتناسى المسبب أو تعتقد أن غير الله هو الذي فعل ذلك، أو أنه فعله مع الله تبارك وتعالى.

هذا المقصود من الباب. والله أعلم.

الباب الحادي والأربعون: باب قول الله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}

قال المؤلف رحمه الله: (باب قول الله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[١])

النِدُّ: هو المثيل والنظير والشبيه؛ تقول: فلان ند لفلان: يعني مساوٍ له، فالله سبحانه وتعالى ليس له مساوٍ لا في أفعاله ولا في أسمائه وصفاته ولا في عبوديته، لا أحد يستحق العبادة معه تبارك وتعالى؛ لذلك قال: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}؛ لأنه هو الذي يستحق أن يكون واحداً، وأن لا يعبد معه غيره، وأن لا يشرك معه غيره في شيءٍ يختص به تبارك وتعالى، {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} فهذا نهي عن الشرك بجميع صوره.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وعن ابن عباس في الآية: الأنداد: هو الشرك، أَخْفى مِنْ دَبيبِ النَّمْلِ على صَفاةٍ سَوْداءَ في ظُلْمَةِ الليلِ، وهو أَنْ تقولَ: واللهِ وَحَياتُكِ يا فُلانَةُ، وحياتي، وتقولَ: لولا كُلَيْبَةُ هذا لأتانا اللصوصُ، ولولا البَطُّ في الدَّارِ لأتانا اللصوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصاحِبِهِ: ما شاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وقولُ الرَّجُلِ: لولا اللهُ وفلان؛ هذا كُلُّهُ به شِرْكٌ. رواه ابن أبي حاتم[٢])

(الأنداد هو الشرك) تفسير بالمعنى، والشرك يعني: أن تجعل شريكاً مع الله تبارك وتعالى، تجعله نداً لله تبارك وتعالى؛ هذا شرك.

(أخفى من دبيب النمل) الشرك منه ظاهر واضح؛ كأن تأتي بخروف وتتقرب به لصاحب قبر؛ هذا شرك واضح لا إشكال فيه، تأتي لصاحب القبر وتدعوه وتستغيثه، ترجو منه

(١) [البقرة:٢٢]

(٢) "التفسير" (٢٢٥)

الولد والمطر وغير ذلك؛ فمثل هذا شرك واضح، ما يحتاج نقاشاً، لكن من الشرك ما هو خفي؛ يقول ابن عباس: (أخفى من دبيب النمل) انظر دبيب النمل: مشي النمل، تدب، يعني تضع أقدامها على الصخرة.

(على صفاةٍ سوداء) يعني: صخرة سوداء، فالنملة لونها أسود، تمشي على صخرة سوداء، والنملة أصلاً عندما تمشي على الصخرة لا يظهر صوت لوقع أقدامها.

(في ظلمة الليل) يعني لا تسمع لها صوتاً ولا ترى لها شكلاً من خفائها، عندما تمشي النملة على صخرة سوداء في ظلمة الليل؛ ما ترى شيئاً؛ وكذلك الشرك خفي كهذه الصورة.

(وهو أن تقول: والله! وحياتك يا فلانة) هنا شرك من وجهين: والله وحياتك يا فلانة؛ جمع ما بين الحلف بالله تبارك وتعالى والحلف بغيره؛ هذا شرك، فيه إشراك مع الله تبارك وتعالى، والأمر الثاني: أنه حلف بغير الله تبارك وتعالى؛ فقال: (وحياتك يا فلانة)؛ وهذا شرك؛ لأن النبي ﷺ قال: "من حلف بغير الله فقد أشرك"؛ لأنك عندما تحلف بشيء تحلف بمعظم في نفسك؛ شيء عظيم له مكانة في صدرك؛ لذلك تحلف به، وهذه العظمة هي لله تبارك وتعالى، وهذا التعظيم ينبغي أن يكون لله وحده تبارك وتعالى؛ لكن الناس يعظمون أشياء كثيرة فيحلفون بها، عندنا هنا منتشر كثير: وعرضك، وشرفك؛ لأنهم عظموا الشرف والعرض حتى صاروا يحلفون به، كذلك: وحياة أبيك وحياة أمك؛ هذا موجود كثيراً؛ وهذا كله من الشرك؛ لأنه عظّم هذا الشيء تعظيماً هو خاص بالله تبارك وتعالى، وإذا كان تعظيمه لهذا الشيء الذي حلف به كتعظيمه لله؛ فالشرك أكبر؛ كفر أكبر مخرج من الملة، وأما إذا لم يكن تعظيمه كذلك؛ فيكون من الشرك الأصغر؛ هذا التفصيل في الحلف بغير الله تبارك وتعالى.

(وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلانة، وحياتي) تحلف بحياتك؛ كذلك هذا من الشرك، الأول من الشرك من جهتين: من جهة الإشراك؛ حلف بالله وبغيرهن ومن جهة أنه حلف بغير الله، وهنا شرك واحد: فقط حلف بغير الله تبارك وتعالى.

(وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص) هذا التفصيل فيه كالتفصيل في الباب الذي تقدم، (لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص) لماذا فصلنا؟

لأن النبي ﷺ قال في عمه أبي طالب: "لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار"[1]؛ فقد استعمل النبي ﷺ هذه العبارة؛ لكنه عليه الصلاة والسلام يعرف أن الفضل لله تبارك وتعالى، وهو الذي منّ عليه بقبول شفاعته في أبي طالب؛ فالفضل من الله تبارك وتعالى، والنبي ﷺ يعتقد التوحيد، ويعلم أنه مجرد سبب؛ فإذاً تجوز هذه العبارة عندما تلحظ المسبب، وتستحضر أن المسبب هو الله تبارك وتعالى، والفضل له أولاً وآخراً؛ وإنما هو سبب فقط، وأن تعتقد أن الله سبحانه وتعالى هو الفاعل فقط لا غيره.

(ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص) نفس معنى الجملة السابقة.

وبمناسبة البط؛ هي طريقة سلفية قديمة- حماية المكان من اللصوص- اليوم نقرأ في خبر منذ مدة أن إحدى السجون في بلاد- أظنها في أمريكا الجنوبية، أو في أوروبا؛ نسيت الآن- جعلت البط حول السجن كي تمنع المساجين من الفرار؛ هذه نذكرها للطرفة، البط له صياح شديد إذا شعر بالخطر؛ يعني: يفزع الدنيا كما يقولون عندنا؛ فهذه طريقة سلفية قديمة في استعمال هذا النوع.

---

(١) أخرجه البخاري(٦٢٠٨) عن عباس ين عبد المطلب رضي الله عنه.

(وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت) هنا الشرك في استعمال حرف الواو الذي يقتضي التسوية- مساواة-: (ما شاء الله وشئت)؛ فجعل مشيئة الآخر كمشيئة الله سبحانه وتعالى؛ وهذا باطل محرم؛ لأن الواو لا تقتضي ترتيباً؛ الواو لمطلق الجمع، فإذا اعتقد أن مشيئة فلان كمشيئة الله في نفس المستوى؛ فهذا شرك أكبر، وإذا لم يعتقد ذلك ولكنه تلفظ به؛ فهذا شرك أصغر- شرك لفظي-، والصحيح أن يقول: ما شاء الله ثم شئت.

(وقول الرجل: لولا الله وفلان) انظر: لاحظ الفرق بين العبارة الأولى: (لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص)، وهذه العبارة: (لولا الله وفلان)؛ الأولى ليس فيها ذكر الله أصلاً، ما قال: لولا الله وكليبة فلان؛ وفصلنا فيها التفصيل المتقدم، أما هذه ففيها ذكر الله؛ قال: (لولا الله وفلان) الإشكال في حرف الواو؛ لأنه لا يقتضي ترتيباً؛ إنما هو للمساواة، فيصح أن تقول : لولا الله ثم فلان- إذا كان حقيقة فلان كان سبباً في الأمر- يصح أن تقول: لولا الله ثم فلان؛ لأن: (ثم) تفيد الترتيب مع التراخي؛ الله أولاً، وبعد مدة يأتي ذكر فلان.

(لا تجعل فيها فلان) وهذا أحسن؛ قل: لولا الله لكذا؛ هذا أفضل.

(هذا كله به شرك) يعني: يدخل فيه شيءٌ من الشرك؛ ربما يكون شركاً أصغر، ربما يكون شركاً أكبر كما فصلنا فيما تقدم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ". رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم)**

(عن عمر بن الخطاب) صوابه: (عن عبد الله بن عمر بن الخطاب)؛ فالحديث عند الترمذي والحاكم[1] من رواية ابن عمر وليس من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(من حلف بغير فقد كفر، أو أشرك) إما هكذا أو هكذا، وعلى ما مر التفصيل في الموضوع، وقد تحدثنا عن هذا، والكفر إما أن يكون كفراً أكبر أو أصغر، وكذلك الشرك إما أن يكون شركاً أصغر أو أكبر، بناءً على ما يقع في قلب الحالف من التعظيم، فإذا عظم المخلوق كتعظيمه لله تبارك وتعالى؛ فهو شرك أكبر، وكفر أكبر، وإذا لم يعظمه كتعظيمه لله؛ فهذا يبقى شركاً أصغر، أو كفراً أصغر.

قال المصنف رحمه الله: **(وقال ابن مسعود: لَأَنْ أَحْلِفَ باللهِ كاذِباً، أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صادِقاً[2])**

لماذا؟

لأن الحلف بالله كاذباً: كبيرة من الكبائر، وهي يمين غموس؛ سماها النبي ﷺ غموساً؛ لأنها تغمس صاحبها في نار جهنم، انظر إلى عِظَمِها! لكنها مع ذلك تبقى معصية، والشرك أعظم من ذلك؛ لذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: (لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلَيَّ من أن أحلف بغيره صادقاً)؛ لأن الحلف بغيره حتى ولو كنت صادقاً؛ هو تعظيم لغير الله تبارك وتعالى في موطن لا يجوز التعظيم فيه إلا لله تبارك وتعالى؛ هذا المعنى المراد؛ فهو شرك إما أصغر أو أكبر.

---

(١) الترمذي(١٥٣٥)ن والحاكم(٧٨١٤) وغيرهما.

(٣) اخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" (١٥٩٢٩)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٨٩٠٢).

قال المصنف رحمه الله: **(وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا تقولوا: ما شاء اللهُ وشاءَ فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان". رواه أبو داود بسند صحيح[1])**

وهو الذي ذكرناه سابقاً: ما شاء الله وشاء فلان؛ هذا فيه تسوية لمشيئة فلان بمشيئة الله سبحانه وتعالى؛ وهذا شرك، فإن اعتقد أن المشيئة مساوية لمشيئة الله؛ فهذا شرك أكبر، وإن لم يعتقد ذلك؛ فيبقى شركاً أصغراً- شركاً لفظياً.

(ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان) لأن (ثم) تفيد الترتيب مع التراخي؛ فتكون مشيئة الله عالية متقدمة، ومشيئة غيره تأتي بعد ذلك؛ فلا يوجد فيها مساواة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وعن إبراهيم النخعي: أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَقولَ الرَّجُلَ: أَعوذُ بالله وبكَ، ويجوزُ أَنْ يَقولَ: بالله ثم بك، قال: ويقول: لولا اللهُ ثم فلان، ولا يقولُ: لولا اللهُ وفلان)**

(إبراهيم النخعي) إبراهيم بن يزيد النخعي، من علماء التابعين، تتلمذ على يدي تلاميذ ابن مسعود رضي الله عنه وعنهم.

(أنه يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك) لماذا؟

لأن قوله: (وبك) يقتضي المساواة؛ فالواو لا تفيد ترتيباً ولا تراخياً- بنفس المعنى المتقدم- وربما يكون هناك معنىً آخر؛ فإذا كان سبب الاستعاذة أمراً لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى؛ فهنا يكون شركاً أكبر؛ فقد قدمنا أن الاستعاذة بغير الله شرك؛ إلا أن نستعيذ

---

(١) (٤٩٨٠)

بحي قادر؛ فهنا نقول: إذا كانت الاستعاذة من أمرٍ يقدر عليه الشخص، وهو حي حاضر قادر؛ فنقول: لا يجوز أن تقول: أعوذ بالله وبك، ولكن قل: أعوذ بالله ثم بك، وأما إذا كانت الاستعاذة في أمر خاص بالله تبارك وتعالى، لا يقدر عليه إلا هو، فالاستعاذة تكون بالله تبارك وتعالى لا بغيره؛ هذا الواجب، وهنا لا يصح أن تقول: (أعوذ بالله ثم بك)؛ بل تقول: (أعوذ بالله وحده) هذا هو التفصيل، وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "من وجد ملجأً أو مَعاذاً فليعذ به"[1]، فدل ذلك على أن الاستعاذة تكون جائزة بالتفصيل الذي قدمناه.

(ويجوز أن يقول: بالله ثم بك) يعني أعوذ بالله ثم بك، في أمر يقدر عليه الشخص، وهو حاضر قادر.

(ويقول: لولا الله ثم فلان) جعل معها: الله سبحانه وتعالى؛ ذكر الله سبحانه وتعالى، فإذا ذكرت الله، وأردت أن تذكر غيره معه؛ فتذكرها بـ (ثم) لا بالواو، أو تقول لولا الله وتسكت، إما أن تقول: لولا الله ثم فلان، أو تقول: لولا الله.

(ولا يقول: لولا الله وفلان) لأنها تقتضي المساواة.

هذا خلاصة هذا الباب. والله أعلم

---

(١) أخرجه البخاري(٣٦٠١)، ومسلم(٢٨٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الباب الثاني والأربعون: بابُ ما جاءَ فيمنْ لَمْ يَقْنَعْ بالحَلْفِ بالله

قال المؤلف رحمه الله: **(باب ما جاء فيمن لم يَقْنَعْ بالحَلْفِ بالله)**

يعني: يُحلف له بالله، ولم يقنع ولا يأخذ بذلك؛ ما حكمه؟

(عَنِ ابنِ عمر: أن رسول الله ﷺ قال: "لا تَحْلِفوا بآبائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ باللهِ؛ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لهُ باللهِ؛ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ؛ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ". رواه ابن ماجه[١] بسند حسن)

من نظر إلى ظاهر هذا الإسناد؛ قال ما قاله المؤلف: (بسند حسن)، من جمع طرق الحديث؛ تبينت له علته؛ وهذه قاعدة معرفة علل الأحاديث: الباب إذا لم تجمع طرقه لا تعرف علته؛ كما قال إمام العلل في زمانه: علي بن المديني رحمه الله، فأنت إذا جمعت طرق هذا الحديث تبين لك أمر؛ وهو: أن الحديث بلفظ: "لا تحلفوا بآبائكم" في "الصحيحين" وغيرهما رواه عن ابن عمر جمع؛ منهم نافع، ورواه عن نافع جمع لم يذكر أحد منهم الزيادة التي تأتي بعد ذلك؛ كلهم ذكروا: "لا تحلفوا بآبائكم" لكن قول: "من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله"؛ هذه الزيادة لم يذكرها أحد ممن روى الحديث عن نافع عن ابن عمر، إلا محمد بن عجلان، ومحمد بن عجلان في حفظه شيء؛ فهذه الزيادة تكون زيادة شاذة- وإن كان محمد بن عجلان في أصله حسن الحديث-، فكما ذكرنا: أنك إذا نظرت إلى ظاهر الإسناد؛ تقول: هو حسن، لكن بعد جمع الطرق تظهر لك العلة؛ فلماذا لم يذكر هذه الزيادةَ بقية هؤلاء الرواة؛ الجمع الكُثُر؛ ما ذكرها إلا هذا الذي في حفظه شيء؛ هذا أمر بيّنٌ على أنها شاذة غير صحيحة. والله أعلم.

---

(١) (٢١٠١)

وفقه المسألة لا يلزمك أن تصدق الكذوب الذي عرف بأنه يحلف بالله كذبا؛ لا يلزم أن تصدقه، إن كان الحالف موضع صدقٍ؛ فيُصدّق، وإن لم يكن كذلك؛ فلك أن ترفض يمينه؛ لقول حُوَيِّص ومُحَيّص للنبي ﷺ: كيف ترضى يا رسول الله بأيمان يهود؟ فأقرهم النبي ﷺ على هذا الكلام.

إذاً: هذا هو الفقه الصحيح، والحديث كما ذكرنا لكم بهذه الزيادة شاذ.

وأنا أعطيكم قاعدة تسهّل عليكم: الحديث إذا انفرد به ابن ماجه عن الكتب الخمسة؛ فكن منه على حذر، وانتبه، راجع كلام العلماء فيه-علماء العلل- قبل أن تأخذ به مسلّماً، فإن لم نقل بأن كل ما تفرد به ابن ماجه عن الكتب الخمسة ومسند أحمد؛ ضعيف؛ فأكثره ضعيف، خصوصاً إذا كان الحديث في "الصحيحين" فكن حذراً. والله أعلم.

الباب الثالث والأربعون: باب قول: ما شاءَ الله وشِئْتَ

قال المؤلف رحمه الله: **(باب قول: ما شاء الله وشئت)**

وقد قدمنا القول في هذا، وأنه من الشرك؛ لما فيه من التسوية بين مشيئة العبد ومشيئة الله، قد سوى بينهما بحرف الواو، حرف الواو هذا لا يفيد ترتيباً- أن يأتي واحد ثم بعده الآخر-؛ بل يفيد التسوية؛ فهنا يقال: مثل هذا اللفظ فيه شرك؛ لأنك جعلت مشيئة العبد مساوية لمشيئة الله، والصواب في ذلك أن تقول: ما شاء الله ثم شئت، فإذا كان الشخص الذي يقول: "ما شاء الله وشئت" معتقداً أن مشيئة العبد مساوية لمشيئة الله؛ فهذا شرك أكبر، وأما إذا لم يكن معتقداً لذلك وإنما هو تلفظ فقط؛ فهنا يكون من الشرك الأصغر، والصواب أن يقول- كما جاء في الحديث-: "ما شاء الله ثم شئت"؛ لأن (ثم) تختلف عن(الواو) مع أنها حرف عطف مثلها؛ إلا أنها تختلف عنها بأنها تفيد الترتيب مع التراخي؛ عندما تقول: ما شاء الله ثم شئت، تأتي مشيئة الله في البداية ثم بعد ذلك تأتي مشيئة العبد، ويكون بينهما مسافة بعيدة- وهذا معنى التراخي-، كأن تقول: جاء محمد ثم عمرو، يفهم من هذا أن محمداً جاء اليوم- مثلاً- وعمراً جاء بعد سنة أو سنتين؛ لأنه في (ثم) تراخ؛ مسافة بعيدة، بخلاف لوقلت- مثلاً-: جاء محمد فعمرو؛ (الفاء) هنا تدل على أنه يوجد بينهما مسافة لكنها مسافة قريبة وليست بعيدة، وأما (الواو) فلا يوجد مسافة أصلاً، هي لمجرد التسوية؛ لذلك كان هذا التلفظ من الشرك كما تقدم سابقاً.

قال المؤلف رحمه الله: **(عن قُتَيْلَة: أَنَّ يهودياً أتى النبيﷺ؛ فقال: إنَّكم تُشْرِكونَ؛ تقولون: ما شاءَ اللهُ وشئتَ، وتقولون: والكعبة؛ فأمرهُمُ النبيﷺ إذا أرادوا أنْ يَحْلفوا، أنْ يقولوا: وربِّ الكعبة، وأنْ يقولوا: ما شاء الله ثم شئتَ. رواه النسائي وصححه)**

(قتيلة) هي قتيلة بنت أصيف الأنصارية؛ صحابية

(أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون) كيف ذلك؟

(تقولون: ما شاء الله وشئت) هنا تسوية بحرف الواو.

(وتقولون: والكعبة) وهنا حلفٌ بحرف (الواو)، وحروف الحلف- حروف القسم-: الباء، التاء، الواو، والكعبة، مثل أن تقول: والله، والكعبة؛ هذا حلف بالمخلوق؛ الكعبة مخلوقة؛ فهذا حلف بغير الله، وكما تقدم: الحلف بغير الله يعتبر شركاً، وتقدم التفصيل فيه.

(فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: "ورب الكعبة") إذاً: الحلف هنا صار بالله تبارك وتعالى لا بالكعبة.

(وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت) هذا هو اللفظ الصحيح.

إذاً: الشرع جاء أيضاً بتصحيح الألفاظ كما جاء بتصحيح العقائد والأعمال؛ الشرع جاء بتصحيح الألفاظ والعقائد والأعمال؛ فلا يقولن أحد- عندما نقول له: هذا اللفظ خطأ ولا يجوز- يقول: والله النية كذا، وقصدي كذا؛ هذا لا ينفع؛ فالقصد والنية شيء، وتصحيح اللفظ شيء آخر، ولابد لك من تصحيح اللفظ أيضاً، لاحظ أن اللفظ الخطأ أُعتبر شركاً أصغر، وهو لفظي؛ فلابد إذاً من تصحيح الألفاظ مع تصحيح العقائد وتصحيح الأعمال، لا تركز فقط على تصحيح العقائد والأعمال؛ لابد أيضاً من تصحيح الألفاظ.

(رواه النسائي وصححه[1])

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وله أيضاً: عن ابن عباس: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت؛ قال: "أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده")**

(له) يعني النسائي[2].

(أجعلتني لله نداً؟!) انظر! جعلتني لله مثيلاً ونظيراً، فعندما جعل مشيئته مساوية لمشيئة الله تبارك وتعالى؛ جعله لله نداً.

(بل ما شاء الله وحده) وهذا أفضل؛ أن تقول: ما شاء الله وتسكت؛ هذا أفضل، لكن أيضاً يجوز أن تقول: ما شاء الله ثم شئت، كما جاء في الحديث الذي سبق؛ إذا كان الأمر بالفعل يحتاج إلى مشيئة العبد كسبب.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(ولابن ماجه[3] عن الطفيل -أخي عائشة لأمها- قال: رأيتُ كأنِّي أتيتُ على نَفَرٍ من اليهودِ، قُلْتُ: إنكم لأنتم القومُ، لولا أنَّكم تقولونَ: عُزَيْرٌ ابنُ الله! قالوا: وأنتم لأنتم القومُ، لولا أنكم تقولون: ما شاء اللهُ وشاءَ محمدٌ! ثم مررتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصارى؛ فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيحُ ابن اللهِ! قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد! فلما أصبَحْتُ أَخْبرتُ بها من أخبرتُ، ثم أتيتُ النبيَ ﷺ فأخبرته؛ فقال: "هلْ أخبَرْتَ بها أحداً؟!" قلت: نعم، قال: فحمد الله وأثنى**

---

(١) (٣٧٧٣)

(٢) في "السنن الكبرى" (١٠٧٥٩) بلفظ: "عدلاً" ؛ أي: مثيلاً، وعند البخاري في "الأدب المفرد"، (٧٨٣) والطبراني في "الكبير" (١٢/٢٤٤) بلفظ: "نداً".

(٣) (٢١١٨)

عليه، ثم قال: "أما بعد؛ فإنَّ طُفيلاً رأى رؤيا، أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أنْ أنهاكم عنها؛ فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده")

(الطفيل) هو الطفيل بن عبد الله بن سخبرة، أخو عائشة لأمها؛ صحابي.

(قال: رأيت) أي: رؤيا في المنام

(كأني أتيت على نفر من اليهود) جماعة من اليهود.

(قلت: إنكم لأنتم القوم) يعني بذلك لأنتم القوم الجيدون.

(لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله) يعني هذا الذي أفسدكم؛ إنكم تجعلون عزيراً ابن الله.

(قالوا: وأنتم لأنتم القوم) الآن النفر اليهود يقولون للمسلمين: وأنتم لأنتم القوم، أي: أيضاً الجيدين المدوحين.

(لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد) هنا موضع الشرك.

(ثم مررت بنفر من النصارى) جماعة من النصارى؛ وهذا كله في الرؤيا.

(فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله) وهذا شرك أكبر، وذاك أيضاً شرك أكبر؛ وهو قولهم: عزير ابن الله؛ هذي مصيبة اليهود ومصيبة النصارى.

(فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت) استيقظ من نومه، وأخبر بعض الناس من المسلمين.

(ثم أتيت النبي ﷺ، فأخبرته فقال: هل أخبرت بها أحداً من المسلمين؟ قلت: نعم؛ قال: فحمد الله وأثنى عليه) هكذا كان النبي ﷺ يبدأ خطبه؛ بحمد الله والثناء عليه، الخطب

كان يبدأها بحمد الله والثناء عليه؛ وهذا تجدونه كثيراً في خطب النبي ﷺ، أما رسائله فكان يبدأها بالبسملة؛ هكذا تجدون فعله ﷺ.

(ثم قال: أما بعد) وهذه كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر في الكلام، أو من المقدمة للموضوع.

(فإن طفيل رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمةً كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد؛ ولكن قولوا: ما شاء الله وحده) الشاهد هنا: أن النبي ﷺ نهى عن قول: (ما شاء الله وشاء محمد)، وأنها من الشرك، وأنه حثهم أن يقولوا ما شاء الله وحده.

الباب الرابع والأربعون: بابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ؛ فَقَدْ آذى الله

قال المؤلف رحمه الله: **(باب من سب الدهر فقد آذى الله)**

الدهر: هو الزمن، كان المشركون في السابق إذا نزلت بهم حادثة أو مصيبة يقولون: (يا خيبة الدهر)؛ فيسبون الزمن: فقال النبي ﷺ: "لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر"، أي: لا تسبوا فاعل النوازل، وما نزل بكم من مصائب، فإنكم إذا سببتم فاعلها؛ وقع السب على الله تعالى؛ لأنه هو الفاعل حقيقة، هو الذي أنزل عليكم المصيبة، فإذا سببتم الدهر؛ فأنتم حقيقة قد سببتم الله؛ لأن الله هو الفاعل؛ لذلك نهاهم عن سب الدهر.

قال المؤلف رحمه الله: **(وقول الله تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}[(١)])**

هذا كلام الكفار، فيه نسبة الحوادث إلى الدهر، فالنوازل والمصائب والموت... إلخ، ينسبونه إلى الدهر، فإذا نسبوا هذه الأفعال إلى الدهر؛ فسوف يسبون الدهر إذا نزلت بهم.

({وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر}) إذاً: ما الذي يهلكهم؟ هو الدهر، تقلب الزمان هو الذي يهلكهم؛ لذلك يسبون الدهر عند نزول المصيبة بهم، والحقيقة أن الله سبحانه وتعالى هو الفاعل؛ فالمسبة حقيقة ترجع على الله؛ لذلك نهى ربنا تبارك وتعالى عن سب الدهر، وهذا يقع في أهلينا اليوم، هو موجود؛ كقول كثير من الناس: (يلعن اليوم الذي شفتك فيه) هذا من هذا، هذا سب للدهر، للزمن؛ وهذا محرم

---

(١) [الجاثية:٢٤]

لا يجوز؛ فحقيقةً الذي قدر رؤيتك لهذا الشخص الذي تسب اليوم لأجله هو الله سبحانه وتعالى وليس (اليوم) الزمن، الحقيقة: المسبَّة ترجع إلى الله تبارك وتعالى.

قال المؤلف: **(وفي "الصحيح" عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "قال الله تعالى: يؤذيني ابنُ آدمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وأنا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ الليلَ والنَّهارَ" وفي رواية: "لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فإنَّ الله هُوَ الدَّهْرُ")**

(وفي الصحيح[1])

(يؤذيني ابن آدم) هذه أذية لله سبحانه وتعالى- نعوذ بالله-، المؤمن لا يقع منه هذا؛ لا ينبغي أن يقع منه هذا.

(يسب الدهر) هو يسب الدهر؛ لأن الدهر- في اعتقاده- هو الذي أثر عليه في المصيبة.

(وأنا الدهر) حقيقة: أنا الذي قد قدرت ما حصل له.

(أقلب الليل والنهار) فسر معنى: (أنا الدهر) ما معنى أن الله هو الدهر؟ يعني: أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتصرف في الأمور، ويقلب الليل والنهار، إذاً: الزمن بيده، وهو الذي يفعل ما يشاء، وكل خلقٍ موجود؛ فهو من خلقه؛ فهو الفاعل حقيقةً، فعندما تسب الدهر؛ فحقيقة السب يرجع عليه؛ لذلك تؤذي الله سبحانه وتعالى.

(وفي رواية: "لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر") يعني: الله سبحانه وتعالى هو الذي يقلب الزمان، يقلب الليل والنهار، ويحدث الحوادث، وينزل النوازل؛ لذلك لا تسبوا الدهر؛ هذا هو المقصود.

---

(١) البخاري(٤٨٢٦)، ومسلم(٢٢٤٦) واللفظ لمسلم

والمقصود من هذا: أن نمتنع عن سب الدهر؛ تعظيماً لله سبحانه وتعالى، ولعدم أذيته تبارك وتعالى.

الباب الخامس والأربعون: بابُ التَّسَمّي بقاضي القُضاةِ ونَحْوِهِ

قال المؤلف رحمه الله: **(باب التسمي بقاضي القضاة ونحوها)**

يعني ما حكم ذلك؟

قال المصنف رحمه الله: **(في "الصحيح"[1] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إنَّ أَخْنَعَ اسمٍ عندَ الله: رَجُلٌ تَسَمَّى: مَلِكَ الأمْلاكِ؛ لا مالك إلا الله". قال سفيان: مثل شاهان شاه)**

(شاهان شاه) يعني بالفارسية: (ملك الأملاك) هذا الاسم خاص بالله سبحانه وتعالى، فلا يصح أن يسمى به إلا الله سبحانه وتعالى، فمن تسمى بهذا الاسم؛ فقد جعل نفسه شريكاً مع الله تبارك وتعالى؛ فهذا يعتبر كفراً بالله، وهو مناقض للتوحيد.

(قال سفيان: مثل: شاهان شاه) لأنه عبارة عن ترجمة، لكن هل مثله قاضي القضاة؟ ملك الأملاك هذا خاص بالله سبحانه وتعالى، قاضي القضاة أيضاً هكذا على الإطلاق هو خاص بالله سبحانه وتعالى؛ فهو الذي يحكم على القضاة ويقضي بينهم سبحانه وتعالى، لكن إذا خُصِّص وقيل مثلاً: قاضي قضاة البلد الفلاني؛ هنا صار عندنا تخصيص، مثلاً: قاضي قضاة الأردن، قاضي قضاة مصر، هنا يقول بعض أهل العلم بجواز هذا، منهم الشيخ ابن عثيمين رحمه الله؛ قال في كلامه[2]:

(قاضي القضاة بهذا المعنى الشامل العام لا يصلح إلا لله عز وجل، فمن تسمى بذلك؛ فقد جعل نفسه شريكاً لله عز وجل فيما لا يستحقه إلا الله عز وجل، وهو القاضي فوق كل

---

(١) البخاري(٦٢٠٦)، ومسلم(٢١٤٣)

(١) "مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين"(٢٦٣/٢٥)

قاض، وإليه يرجع الحكم كله، وإن قيد بزمان أو مكان؛ فهذا جائز) انتهى كأن يقال: قاضي قضاة سنة كذا أو يوم كذا، أو قاضي قضاة الأردن، أو قاضي قضاة مصر؛ هذا معنى ما ذكر الشيخ.

قال الشيخ: (وإن قيد بزمان أو مكان فهذا جائز؛ لكن الأفضل ألا يفعل؛ لأنه قد يؤدي إلى الإعجاب بالنفس والغرور حتى لا يقبل الحق إذا خالف قوله، وإنما جاز هذا لأن قضاء الله لا يتقيد) يعني: لا يقال هنا بأنه شريك مع الله سبحانه وتعالى، فالله عز وجل قضاؤه لا يتقيد فيقال: قاضي القضاة مطلقاً؛ بخلاف ما قُيِّد.

قال: (بخلاف ما قُيِّدَ فلا يكون فيه مشاركة لله عز وجل، وذلك مثل : قاضي قضاة العراق، أو قاضي قضاة الشام، أو قاضي قضاة عصره ...) إلى آخر ما قاله رحمه الله.

هذا هو التفصيل في هذه المسألة، هذا بالنسبة لقاضي القضاة؛ أما ملك الأملاك؛ فلا يجوز إطلاقه على غير الله؛ لأنه لا يصح تقييده هنا.

قال المصنف رحمه الله: **(وفي رواية: "أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبَثَه". قوله: "اخنع" يعني: أوضع)**

(إن أخنع اسم عند الله) يعني: أوضع اسم عند الله وأحطه، (وأغيظ رجل على الله) يعني: أبغضه على الله يوم القيامة وأخبثه: رجل تسمى: ملك الأملاك.

الباب السادس والأربعون: باب احْتِرامِ أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجْلِ ذلك

قال المؤلف رحمه الله: **(باب احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك)**

(باب احترام أسماء الله تعالى) يعني: تعظيم، أي: هذا الباب معقود لتعظيم أسماء الله تبارك وتعالى وتقديرها.

(وتغيير الاسم لأجل ذلك) أي لاحترام الاسم.

قال المؤلف رحمه الله: **(عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم؛ فقال له النبي ﷺ: "إن الله هو الحكم، وإليه الحكم"، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين؛ فقال: "ما أحسن هذا! فمالك من الولد؟" قلت: شريح ومسلم وعبد الله، قال: "فمن أكبرهم؟" قلت: شريح، قال: "فأنت أبو شريح". رواه أبو داود وغيره[١])**

(أبو شريح) الخزاعي، اسمه: خويلد بن عمرو، صحابي أسلم يوم الفتح.

(أنه كان يكنى) في قومه وبينهم.

(أبا الحكم) لأنه كان يحكم بينهم؛ لاحظ: هنا اعتبار لمعنى الكنية؛ فقال له النبي ﷺ: "إن الله هو الحكم وإليه الحكم"، ثم غير له كنيته كي يغير الاسم الذي هو من أسماء الله، وسماه باسم ابنه الأكبر.

وفيه سنية التكني بالابن الأكبر.

---

(١) أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٥٣٨٧)

وأعطيك خلاصة هذا الباب:

قال ابن القيم رحمه الله[1]: (والمقصود : أنه لا يجوز لأحد أن يتسمى بأسماء الله المختصة به) إذاً من أسماء الله ما هو مختص به، ومنها ما ليس مختصاً به.

قال: (وأما الأسماء التي تطلق عليه وعلى غيره، كالسميع والبصير والرؤوف والرحيم؛ فيجوز أن يخبر بمعانيها عن المخلوق، ولا يجوز أن يتسمى بها على الإطلاق؛ بحيث يطلق عليه كما يطلق على الرب تبارك وتعالى).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (باب احترام أسماء الله: أي: وجوب احترام أسماء الله؛ لأن احترامها احترامٌ لله عز وجل، ومن تعظيم الله عز وجل؛ فلا يسمى أحد باسم مختص بالله.

وأسماء الله تنقسم إلى قسمين: الأول: ما لا يصح إلا لله؛ فهذا لا يسمى به غيره، وإن سمي؛ وجب تغييره، مثل: الله، الرحمن، رب العالمين وما أشبه ذلك.

الثاني: ما يصح أن يوصف به غير الله؛ مثل: الرحيم والسميع والبصير، فإن لوحظت الصفة؛ منع من التسمي به، وإن لم تلاحظ الصفة؛ جاز التسمي به على أنه علم محض)

ما معنى هذا الكلام؟

معناه: إذا سميت شخصاً بالعزيز، ولم تعتبر معنى العزة؛ جاز، لكن إذا اعتبرت المعنى؛ فلا يجوز، انظر هنا في حديث أبي شريح: كان يكنى أبا الحكم، لماذا؟ لأنه كان يحكم بين قومه، فمعنى الاسم كان معتبراً عندهم؛ فلوحظ المعنى هاهنا فيه؛ فلذلك نقول هنا: لا يجوز، مع أن الاسم يمكن أن تخبر عن الشخص بأنه حكم؛ فهو يمارس هذا العمل ويحكم بين الناس؛

---

(١) "تحفة المودود" (١٧١)

فتقول: فلان حكم، لكن أن تلاحظ هذا المعنى وتعتبره؛ عندئذٍ يقال: لا يجوز؛ هذا كلام الشيخ ابن عثيمين، وهو موافق لكلام ابن القيم رحمه الله، وهذا خلاصة هذا الباب.

خلاصة الأمر: أن تعلم أن من الأسماء ماهي خاصة بالله، لا يجوز تسمية أي أحد بها، ومنها ما ليس خاصاً بالله؛ فيجوز أن تسمي بها، لكن دون ملاحظة المعنى؛ هذا خلاصة الموضوع.

الباب السابع والأربعون: باب مَنْ هَزَلَ بشيء فيه ذِكْرُ الله أو القرآن أو الرسول

قال المؤلف رحمه الله: (باب من هَزَلَ بِشيءٍ فيه ذِكْرُ اللهِ أو القُرآنِ أو الرَّسولِ)

الهزل: السخرية، مزاح، لعب؛ هذا الفعل هو الهزل بما ذكر فيه اسم الله سبحانه وتعالى، أو بما ذكر فيه الله، أو بالقرآن، أو بالرسول ﷺ؛ هذا استخفاف بالقرآن، واستخفاف بالرسول ﷺ، واستخفاف بالله، واستخفاف بشرعه؛ لذلك يعتبر كفراً، فالهزل ضد الجد- مزاح، لعب، سخرية- هذا يقع من إنسان ليس في قلبه تعظيم لله ولرسوله ﷺ ولشرعه.

قال المصنف رحمه الله: (وقول الله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ}(١)

عن ابن عمر ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم وقتادة - دخل حديث بعضهم في بعض - أنه قال رجل في غزوة تبوك: "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء-يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء-، فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول:

(١) [التوبة:٦٥]

إنما كنا نخوض ونلعب؛ فيقول له رسول الله ﷺ: {أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} ما يلتفت إليه، وما يزيده عليه[1])

(ما رأينا مثل قرائنا) القراء عندهم: العلماء.

(أرغب بطوناً) انظر كيف؟ أرغب بطوناً يعني: شرهين للأكل، كما يقال: (شغل أكل) كما نسمع من بعض الناس اليوم يتحدث عن المشايخ مستهزاً وساخراً بهم؛ يقول: والله المشايخ شغل أكل فقط! لاحظ: نفس الكلمة.

(ولا أكذب ألسناً) وصفهم بالكذب أيضاً.

(ولا أجبن عند اللقاء) يعني: في الحروب والمعارك جبناء، هؤلاء الذين يقصدهم: هم النبي ﷺ وصفوة الصحابة، يتحدث عنهم، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء: العلماء.

(وقد ارتحل وركب ناقته) يعني: ركب النبي ﷺ الناقة وتجهز للمسير.

(فقال: يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب) يعني كنا نتحدث، ونتسلى؛ حديث الركب يقطعون به الطريق، ونتسلى ونمزح؛ نقطع به عناء الطريق.

(كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه) أي: متعلق بحبل الناقة، وقدماه تتخبط بالحجارة في الأسفل وهو يترجى، ويقول: إنما كنا نخوض ونلعب؛ فيقول له رسول الله ﷺ: {أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم}، ما يلتفت إليه، وما يزيده عليه).

---

(١) انظر تفسير ابن كثير.

تاب الله سبحانه وتعالى على البعض، والبعض لم يقبل منهم توبتهم لعلمه تبارك وتعالى بنفاقهم.

الشاهد هنا: أن الاستهزاء بالله أو برسوله أو بشريعته أو بشعائر الإسلام؛ هذا كفر مخرج من ملة الإسلام، وهذه الآية دليل واضح على أنه ليس كل من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله صار عنده درعاً واقياً لا يمكن أن يكفر به أبداً؛ لا هذا الكلام غير صحيح؛ إذ إن: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) لها شروط ولها نواقض يجب أن تحافظ على شروطها، وأن تحرص على البعد عن نواقضها؛ ومن نواقضها: الاستهزاء بالله أو برسوله أو بالقرآن أو بشريعة الله تبارك وتعالى، اللحية مثلاً؛ من علم أنها سنة النبي ﷺ وسخر منها؛ فقد كفر؛ هكذا يكون الأمر؛ إذن الأمر جد خطير، ولا يمكن للعبد أن يكون مسلماً قد وقر الإيمان في قلبه واستقر أن يصدر منه مثل هذا الأمر؛ الاستهزاء بالله أو برسوله أو بالقرآن أو بشريعة الله تبارك وتعالى، فينبغي الحذر؛ فهذا من الأمور التي تخل بتوحيد العبد. نسأل الله أن يحفظنا وإياكم

الباب الثامن والأربعون: باب قول الله تعالى: {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي}

قال المؤلف رحمه الله: (**باب قول الله تعالى: {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ}**[١])

مناسبة هذ الباب لكتب التوحيد: أن إضافة الإنسان النعمة إلى عمله وكسبه، فيه نوع من الاشراك بالربوبية، فالذي ينعم علينا هو الله سبحانه وتعالى؛ فينبغي عليك أن ترد النعمة إلى من أنعم بها عليك؛ وهو الله سبحانه وتعالى؛ هذا أول شكر النعمة: أن تعترف بفضل الله سبحانه وتعالى، وبأنه هو المتفضل عليك بها، أن تعترف بأن هذه النعمة من الله؛ هذه أول مقامات الشكر، ثم بعد ذلك: أن تعمل فيها بطاعة الله تبارك وتعالى، فإذا أنعم الله تبارك وتعالى عليك بنعمة المال- نعمة الرزق-؛ تعترف بأن هذا من الله سبحانه وتعالى، وليس لك فيه شيء؛ وإنما هو محض تفضل من الله تبارك وتعالى عليك، ثم بعد ذلك تعمل في هذا المال بطاعة الله؛ تنفق منه على نفسك ما يقويك على طاعة الله تبارك وتعالى، وما يعينك على ذلك، وتنفق منه في سبيل الله؛ تطعم الفقراء والمساكين، تعطي ذوي القربى- تصل الرحم -، تنفق في سبيل الله، تعطي للمجاهدين، تعطي طلبة العلم- وطلبة العلم أيضاً من المجاهدين في سبيل الله؛ فتنفق في سبيل الله في أنواع النفقات؛ نفقات الخير؛ المهم أن تعترف بفضل الله سبحانه وتعالى، وأن تعمل فيه بطاعة الله تبارك وتعالى، كذلك صحتك- جسدك-؛ فنعمة من الله سبحانه وتعالى أن يعطيك الصحة،

(١) [فصلت:٥٠]

"نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ"[1]، فإذا أنعم الله عليك بهذه النعمة؛ فاستغلها في طاعة الله؛ اعترف أولاً بأنها من الله تبارك وتعالى، ولو شاء الله سبحانه وتعالى لم يعطك هذه النعمة من أصلها، كما تشاهد حولك من أناس مصابين بفقدها، أو أنه يعطيك إياها ثم ينزعها عنك ويحرمك منها، فأنت تعترف بفضل الله سبحانه وتعالى عليك، وبنعمه، وأنها منه تبارك وتعالى محض تفضل وتكرم عليك بذلك، ثم بعد ذلك تستعمل صحتك هذه في طاعة الله تبارك وتعالى؛ فتصوم وتصلي وتعمل أنواع الطاعات، وتساعد أيضاً؛ فتصل رحمك بصحتك هذه، فإذا احتاج أحد من رحمك عملاً معيناً، وأنت قادر عليه؛ فتعينه على هذا العمل... وهكذا- نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا و إياكم لذلك- هذه من الأمور المهمة والتي جاءت فيها أدلة كثيرة من الكتاب والسنة تحث على الاعتراف بنعم الله تبارك وتعال، وعلى شكر هذه النعم {اعملوا آل داود شكراً}[2]، والشكر لا يكون بمجرد اللسان، اللسان مطلوب، والاعتراف بالقلب مطلوب أيضاً؛ لأن النعمة من الله سبحانه وتعالى، لكن أيضاً الشكر لابد أن يكون بالجوارح {اعملوا آل داود شكراً}، وكان عليه الصلاة والسلام يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فيقال له في ذلك؛ فيقول: أفلا أكون عبداً شكوراً"[3]؛ فهكذا هو شكر الله سبحانه وتعالى، فلا بد علينا- بارك الله فيكم- من الاعتراف بنعم الله تبارك وتعالى علينا، لفضله؛ لأنه تبارك وتعالى أراد أن يتفضل علينا بذلك؛ وإلا فنحن لا نستحق هذا، وليس منا عمل في ذلك؛ وإنما هو تفضل من الله تبارك وتعالى، وأعمالنا أسباب.

فمناسبة الباب: أن إضافة الإنسان النعمة إلى عمله وكسبه فيه نوع من الإشراك بالربوبية؛ لأن هذه النعمة من الله سبحانه وتعالى خالصةً؛ فينبغي أن تردها إلى الله تبارك وتعالى

---

(١) أخرجه البخاري(٦٤١٢) عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) [سبأ:١٣]

(٣) أخرجه البخاري(١١٣٠)، ومسلم(٢٨١٩) عن المغيرة رضي الله عنه.

بالاعتراف بذلك، وإذا أضافها إلى الله، لكنه زعم أنه مستحق لذلك؛ فهذا نوع آخر، يقول لك: نعم، النعمة من الله، أعرف؛ لكنني أستحق ذلك؛ لذلك أنعم الله بها علي، لا أبداً، ليس لهذا؛ بل لأن الله تبارك وتعالى أراد أن يتفضل عليك بهذه النعمة فقط، وليس لأنك أهل لها.

وإذا أضافها إلى الله، لكنه زعم أنه مستحق لها، أنما أعطاه الله ليس محض تفضل؛ ولكن لأنه أهل لذلك؛ فهذا فيه نوع تعالٍ وترفع في جانب العبودية والخضوع والتذلل الذي ينبغي أن يكون عليه؛ فهذه مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد.

نرجع إلى الآيات:

({ولئن أذقناه رحمة منا}) يعني: الإنسان؛ ولئن أذقنا الإنسان؛ أي: أنزلنا رحمة منا على الإنسان، هذه الرحمة ربما تكون غنى، يتفضل الله عليك بأنواع الرزق بعد فقر، تكون فقيراً مسكيناً ثم يفتح الله عليك ويرزقك، أو تكون محروماً من الأولاد فيرزقك الله أولاداً، أو تكون محروماً من الصحة، أصابك مرض أو داء؛ فيرزقك الله سبحانه وتعالى الصحة.

{ولئن أذقناه} يعني: الإنسان {رحمة منا} تفضلاً من الله تبارك وتعالى بأنواع النعم.

({من بعد ضراء مسته}) يعني: بعد ما نزلت به مصيبة؛ مصيبة الفقر مثلاً فأغناه الله رحمة منه، أو مصيبة المرض فأصحه الله تبارك وتعالى وشفاه؛ فأنزل عليه رحمة منه.

({ليقولن هذا لي}) انظر ماذا فعل؟

بعد أن مَنّ الله تبارك وتعالى عليه برحمة منه، بنعمة وفضل منه؛ تفضلاً منه تبارك وتعالى؛ قال: {هذا لي} يعني: كفر بنعمة الله تبارك وتعالى؛ إعجاباً وأعجب بنفسه؛ فقال: {هذا لي} هذا ما أستحقه.

({وما أظن الساعة قائمة}) أنظر البلوى والمصيبة الأكبر من هذا؛ هذا موجود اليوم بين الناس، ينعم الله سبحانه وتعالى عليه بالنعم؛ ثم يقول: أنا أستحق هذه النعمة؛ لذلك أنعم الله بها علي، ثم بعدما ينغمس في الدنيا ينسى الآخرة؛ {ما أظن الساعة قائمة} ما أظن أني سأبعث، أنا أشك في هذه المسألة- موضوع البعث- ولئن حصل؛ إن قدر الله سبحانه وتعالى وحصل، وكان فعلاً هناك بعث، {ولئن رجعت إلى ربي} يعني: إن قدر الله وحصل هذا الشيء ووجد البعث- أن رجعت إلى الله وصار البعث-:

{إن لي عنده للحسنى} يعني: إن حصل- وأنا أشك في موضوع البعث- لكن إن حصل ووجد؛ فسيكون لي عند الله سبحانه وتعالى فضل أكثر من الفضل الذي آتاني في الدنيا؛ سأحصل على الجنة وعلى نعيمها- هذا لو حصل ووجد البعث- هذا تقدير كلامه؛ ماذا قال الله سبحانه وتعالى في إنسان كهذا؟ قال:

(فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) يعني: سيخبرهم الله سبحانه وتعالى بأعمالهم وأقوالهم وعقائدهم هذه يوم القيامة بعد أن يبعثوا؛ أي أنهم سيبعثون لا شك في ذلك، وسيخبرهم الله سبحانه وتعالى بما قالوا وبما اعتقدوا وبما عملوا.

{ولنذيقنهم من عذاب غليظ} يعني: سينالون بسبب هذا عذاباً غليظاً شديداً من الله تبارك وتعالى؛ لأنهم كفروا وجحدوا بعد أن أنعم الله تبارك وتعالى عليهم بأنواع النعم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(قال مجاهد: هذا بعملي، وأنا محقوق به، وقال ابن عباس: يريد: من عندي. وقوله: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي}[1]، قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب، وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل، وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف)**

(هذا بعملي) يعني: هذا لي، هذا بعملي، أنكر أن يكون الله سبحانه وتعالى قد تفضل عليه بفضله ومَنِّه وكرمه، يقول: هذا بعملي أنا، بجدي واجتهادي حصلت على ذلك؛ فأنكر نعمة الله تبارك وتعالى عليه كما سيأتي في الذين يُمتحنون في قصة الأبرص والأقرع والأعمى.

(وأنا محقوق به) يعني: أنا صاحب حق؛ فلأني صاحب حق وأستحق هذا الفضل جاءني هذا، جاءتني هذه النعمة.

(وقال ابن عباس: يريد من عندي) يعني: هذا الفضل الذي جاءني والرزق والرحمة التي جاءتني؛ هي من عندي وليس من عند الله سبحانه وتعالى.

({قال إنما أوتيته على علم عندي} قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب) يعني: بشطارتي -كما يقال اليوم-، يعني: من أين أوتيت هذا الرزق وهذ الفضل؟ بشطارتي -بالمعنى العُرفي-؛ يعني: ليس بفضل الله سبحانه وتعالى.

(وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل) هذا قول ثانٍ؛ هم أصناف: بعضهم يعترف أن النعمة من الله سبحانه وتعالى، لكنه يقول: أنا أهلٌ لها وأستحقها لذلك أوتُيتها، ليس فضلاً خالصاً من الله تبارك وتعالى، أما الأول؛ فيقول: لا؛ هذه بشطارتي أصلاً ليست من عند الله سبحانه وتعالى.

(١) [القصص:٧٨]

(وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف) يعني: لأني صاحب شرف وعز ومكانة؛ أعطاني الله هذه الرحمة؛ فكلها من جحد نعمة الله تبارك وتعالى وتفضله على عبده.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ ثَلاَثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فأراد اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، ويذهبَ عني الذي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قذره، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: أَيُّ المَالِ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ، - أَوْ: البَقَرُ، شَكَّ إسحاق-، فَأُعْطِي نَاقَةً عُشَرَاءَ، فقَالَ: بارَك لَكَ فِيهَا، قال: فَأَتَى الأَقْرَعَ فقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الذي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ به، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عنه، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: أَيُّ المَالِ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ أو الإبل؛ فأُعطي بَقَرَةً حَامِلًا، فقَالَ: بارَكَ الله لَكَ فِيهَا، فأَتَى الأَعْمَى فقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أن يَرُدَّ اللهُ عليَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ الغَنَمُ: فَأُعْطِي شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ الغَنَمِ، قال: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابن سبيل، قد تَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي هذا، فَلاَ بَلاَغَ لِي اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ: بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ المال؟ فَقَالَ: إنما وَرِثْتُ هذا المال كابِرًا عَنْ كَابِرٍ، قَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قال: وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ له: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، فَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ

وهيئته، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ قد تَقَطَّعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ علي بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، ودع ما شئت؛ فَوَاللَّهِ لاَ أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ". أخرجاه[1])

هذه قصة ذكرها لنا النبي ﷺ، وفيها عظة وعبرة لنا، حصلت في بني إسرائيل.

(أبرص وأقرع وأعمى) البرص: مرض يصيب الجلد يغير لونه، والأقرع: من لا شعر على رأسه- معروف-، والأعمى معروف؛ ثلاثة رجال كل واحد قد أصابه الله سبحانه وتعالى بمصيبة.

(فأراد الله أن يبتليهم) انظر البلاء، انظر ما سماه الآن؟ قال: أراد الله أن يبتليهم، ركز على هذا: الابتلاء هنا المقصود به الاختبار، لكن أليسوا هم مرضى؛ يعني: هم مبتلون؟ والنعمة أيضاً تكون بلاءً، اختباراً يختبرك الله سبحانه وتعالى بالنعمة التي يؤتيك إياها، فتكون حذراً، فأراد الله أن يختبر هؤلاء الثلاثة، يختبر أيمانهم فهم يظهرون الإيمان، ولكن من سنة الله تبارك وتعالى أنه لا يترك الإنسان يدعي مجرد دعوة أنه مؤمن؛ بل لابد من الامتحان، ثم بعد ذلك إما أن ينجح أو أن يفشل؛ هذه سنة الله في خلقه؛ قال الله عز وجل: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}[2] لابد من الفتنة، لابد من الاختبار {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}[3] إذاً عندنا اختبارات؛ اختبارات بمصائب وبلايا، وأيضاً اختبارات بنعم

---

(١) أخرجه البخاري(٣٤٦٤)، ومسلم(٢٩٦٤).

(٢) [العنكبوت:٢]

(٣) [البقرة:١٥٥]

وفضل من الله تبارك وتعالى؛ فيكون الاختبار هكذا، ويكون هكذا، ربما ينجح الإنسان في اختبار البلاء ولا ينجح في اختبار النعمة والتفضل من الله سبحانه وتعالى؛ فهؤلاء بهم بلاء هم صابرون مؤمنون؛ لكن جاءهم الاختبار في النعمة؛ فأراد الله أن يبتليهم، أراد أن يختبرهم.

(فبعث إليهم ملكاً) ملك من الملائكة، جاءهم على صورة رجل

(فأتى الأبرص؛ فقال: أي شيء أحب إليك؟) أي: ما أحب ما تمنى أنت؟ يريد أن ينعم عليه نعمة عظيمة.

(قال: لون حسنٌ، وجلد حسنٌ، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به) يعني : يريد أن يمن الله سبحانه وتعالى عليه وأن يشفيه من البرص.

(قال: فمسحه فذهب عنه قذره) مسح عليه؛ فذهب كل شيء، ما بقي شيء، يعني: برئ.

(فأعطي لوناً حسناً، وجلداً حسناً) ذهب عنه البرص.

(قال: أي المال أحب إليك؟) انظر! يريد أن يبتليه ويختبره بأنواع النعم، أنعم عليه بأن شفاه من بلائه وبرصه، ثم أنعم عليه بأن أعطاه أحب المال إليه.

(قال: الإبل أو البقر- شك إسحق-) يعني: ما يدري إسحق ما قال؟ هل قال الإبل أم البقر.

(فأعطي ناقة عشراء) هذا يدل على أنه قال: الإبل؛ فأعطي ناقة عشراء، يعني: حاملاً.

(فقال: بارك الله لك فيها) دعا له بالبركة.

(قال: فأتى الأقرع) هذا الثاني.

(فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به، فمسحه فذهب عنه) نفس الشيء: برئ من داء القرع الذي كان به وأعطي شعراً حسناً.

(قال: أي المال أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل) شك من الراوي.

(فأعطي بقرة حاملاً) يعني: كان اختياره البقر.

(فقال: بارك الله لك فيها) أي: أعطاه بقرة حاملاً، ودعا له بالبركة.

(فأتى الأعمى) هذا الثالث.

(فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله علي بصري، فأبصر به الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم؛ فأعطي شاةً والداً؛ فأنتج هذان وولد هذا) أعطى كل واحد منهم أنثى حاملاً، ثم بعد ذلك دعا لهم بالبركة؛ فصار عندهم قطيع كامل من الإبل والبقر والغنم، فمن الله عليهم بفضله.

(فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم) فأنعم الله على كل وحد بنعمتين عظيمتين؛ شفاه من بلائه، وأعطاه من أحسن المال الذي يحب، لكن ننظر بعد ذلك: هل نجحوا في الاختبار أم لا؟

(قل: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته) أي: بعد ذلك أتى الملكُ الرجلَ الأبرص في صورة رجل به داء البرص وفقير ومحتاج.

(فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري هذا، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك) لا أستطيع أن أصل إلى بلدي التي أريد إلا أن تعطيني أنت من بعض المال الذي يعينني على الوصول؛ فما لي إلا الله أولاً ثم أنت.

(أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال: بعيراً أتبلغ به في سفري)
لاحظ هنا في سؤاله: ذكَّره بالحال التي كان عليها؛ فقال: "أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن"، يعني هذه النعمة من الله تبارك وتعالى، ولم تكن عندك هذه النعمة، وتفضل الله بها عليك، فتذكر نعمة الله واعترف بها واشكرها بالصدقة وأعطني مما أعطاك الله؛ هذه كلها إشارة في هذا السؤال؛ فقال: فقط أعطني بعيراً واحداً من هذا الوادي كله، بعيراً واحداً فقط، أصل به إلى أهلي.

(فقال: الحقوق كثيرة) كلمة تسمعها من الأغنياء كثيراً: "الحقوق كثيرة"، عندما يأتي أهل الخير يطلبون من الأغنياء من أجل أن يشفعوا لأجل الفقراء، أو يأتي الفقير ليطلب؛ ماذا يقولون لهم؟ يقولون: والله المصاريف كثيرة، المال قليل والمصاريف كثيرة؛ هذا هو.

الحقوق كثيرة، يعني: لا أريد أن أعطيك، ابتعد عني؛ فماذا قال له؟ قال له:

(كأني أعرفك) يريد الآن أن يذكره صراحة.

(ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله المال؟!) أنت ما كنت على هذه الحال؟! يذكره بالماضي الذي كان عليه، وهو نفسه الملك الذي جاءه في السابق؛ يعرفه.

انظر بماذا أجابه؛ وهذا الشاهد:

(قال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر) يعني ليس هو من نعمة الله؛ بل هو من عندي؛ يعني: أنا ما مررت بمرحلة الفقر التي تتكلم عنها؛ إنما هذا المال ورثته كابراً عن كابر! وهو من عندي! فجحد نعمة الله تبارك وتعالى؛ فماذا قال الملك؟

(قال: إن كنت كاذباً؛ فصيرك الله إلى ما كنت) فشل في الاختبار، فدعا عليه الملك أن يذهب عنه الفضل الذي أتاه الله تبارك وتعالى.

انظر: عدم شكر النعمة والاعتراف بها لله تعالى؛ سبب في زوالها عنك؛ وهذا عاجل العقوبة، فضلاً عن العقاب الذي سيكون في الآخرة إذا لم يتب العبد.

(قال: وأتى الأقرع في صورته وهيئته؛ فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل مارد عليه هذا؛ فقال له: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت) نفس ما حصل مع الأبرص حصل مع الأقرع.

(قال: وأتى الأعمى) الثالث.

(في صورته وهيئته؛ فقال: رجل مسكين وابن سبيل) يعني: أنا رجل مسكين وابن سبيل، أي: فقير محتاج ومسافر، لا يعرفني أحد حتى يعينني، وليس عندي ما يكفيني لوصولي إلى أهلي.

(فقد انقطعت بي الحبال في سفري) فما عندي شيء يوصلني إلى أهلي.

(فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك) يعني: أنت الذي تستطيع أن تساعدني بعد الله سبحانه وتعالى؛ فساعدني.

(أسألك بالذي رد عليك بصرك: شاة أتبلغ بها في سفري) يعني: أطلب منك شاة واحدة فقط أصل بها إلى أهلي، انظر الآن ردّه:

(فقال: قد كنت أعمى، فرَدَّ الله عليَّ بصري) هذا الذي ينجح في اختباره، انظر بمَ رد؟

اعترف بفضل الله أولاً؛ فقال: (قد كنت أعمى فرد الله علي بصري) سبحان الله، انظر الاعتراف بالفضل لله سبحانه وتعالى ما أعظمه! أن تعترف بنعمة الله عليك؛ والله هذه وحدها نعمة من الله تحتاج إلى شكر لله أن وفقك إليها.

(فخذ ما شئت، وَدَعْ ما شئت) انظر الآن شكر النعمة! يشكر النعمة، ويتصدق لوجه الله سبحانه وتعالى؛ قال: "فخذ ما شئت، ودع ما شئت" خيره، ليس شاة واحدة؛ بل خذ ما تريد واترك مالا تريد.

(فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله) يعني: لا أنازعك في شيء أخذته لوجه الله تبارك وتعالى.

فقال الملك:

(أمسك مالك) دع مالك عندك؛ إنما هو اختبار.

(فإنما ابتليتم؛ فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك) إنما اختبرتم وامتحنتم.

الشاهد: أصل شكر الله أن تعترف بنعمته وفضله، ثم تعمل فيها بطاعته تبارك وتعالى؛ فنسأل الله أن يوفقنا وإياكم لذلك.

الباب التاسع والأربعون: باب قول الله تعالى {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}

قال المؤلف رحمه الله: **باب قول الله تعالى: {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[(١)]**

هذا الباب معقود لبيان أن تعبيد الأسماء لغير الله شرك، يعني: أن تسمي ابنك مثلاً: عبد حسين أو عبد علي؛ مثل هذا شرك بالله سبحانه وتعالى، وينافي كمال التوحيد، يعني لا يخرج من الملة؛ لكنه ينافي كمال التوحيد، هذا إذا لم يكن معه اعتقاد، أي: إن كان المقصود مجرد التسمية، أما إن كان المقصود تعبيد التأليه لغير الله؛ فإنه شرك أكبر ينافي التوحيد، إذا قلت: هو عبد الحسين أو عبد حسين أو عبد علي، وأردت بذلك الخضوع والتذلل لعلي- بمعنى العبودية-؛ فهذا شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام، أما إن كان مجرد تسمية فقط، ولا تعتقد هذه العبودية؛ فهذا يعتبر من الشرك المنافي لكمال التوحيد؛ يعني غير مخرج من الملة، هذه مناسبة هذا الباب؛ ولذلك ذكره المؤلف.

ذكر هذه الآية: {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} تناسب هذه الآية الباب على أحد التفسيرين المذكورين لها؛ أحد التفسيرين: أن هذه الآية نزلت في آدم وحواء، وبناءً على هذا التفسير يصح إيرادها في هذا الموطن، والآية التي قبلها: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}[(٢)]، الآن على التفسير الذي أراد المؤلف سنمضي.

---

(١) [الأعراف:١٩٠]

(٢) [الأعراف:١٨٩]

وهناك قول آخر: أن المراد ليس آدم وحواء؛ إنما المراد أبناءهم وذريتهم، ونحن الآن سنفسر بناءً على أنهم آدم وحواء، على ما أراد المؤلف.

({هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها}) النفس الواحدة: آدم

({وجعل منها زوجها}) حواء.

({فلما تغشاها}) يعني: جامعها؛ لما جامع آدم حواء.

({حملت}) يعني: علقت رحمها بالنطفة.

({حملاً خفيفاً}) بداية الحمل تكون خفيفة، أولاً يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة، ما يؤثر على المرأة ويكون خفيفاً.

({فمرت به}) يعني كانت تتحرك؛ تذهب وتأتي وتعمل وتمشي وتقوم وتقعد؛ أمر خفيف عليها.

({فلما أثقلت}) في طور نفخ الروح

({دعوا الله ربهما}) يعني دعا آدم وحواء ربنا تبارك وتعالى؛ ماذا كان دعاؤهما؟

({لئن آتيتنا صالحاً}) يعني إذا رزقتنا ولداً صالحاً سليماً من العيوب؛ صالحاً في جسده، سليماً من العيوب.

({لنكونن من الشاكرين}) لنشكرنك على ما تفضلت به علينا؛ وهذا واجب على كل مسلم: إذا أنعم ربنا سبحانه وتعالى عليه بنعمة أن يشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة؛ لكن ماذا حصل؟ قال:

({فلما آتاهما صالحاً}) استجاب الله سبحانه وتعالى لدعائهما، وآتاهما ولداً سوياً صالحاً ليس به عيب.

({جعلا له شركاء فيما آتاهما}) قال بعض أهل التفسير: ذلك حصل منهما بسبب أن حواء كان لا يعيش لها ولد، فجاءها إبليس فقال لها: سميه عبد الحارث كي يعيش؛ فسمته عبد الحارث فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره {جعلا له شركاء} في طاعته؛ أطاعا إبليس، فقال أهل العلم: آدم وحواء لا يقع منهما الشرك، ولكن هذا الشرك المقصود به شرك الطاعة؛ فأطاعا إبليس، وكان الواجب عليهما أن يطيعا ربهما تبارك وتعالى، فأطاعا إبليس في أن سميا الولد عبد الحارث؛ فعبّداه لغير الله تبارك وتعالى، وهذا شرك في التسمية؛ وهو الشاهد الذي أراده المؤلف.

وبعض العلماء قال: هذا التفسير غير صحيح، ولا يصح فيه شيء، والآثار الواردة فيه ضعيفة؛ قالوا: والصحيح ما ذهب إليه الحسن البصري: ليس المراد بهذا آدم وحواء؛ وإنما المراد: المشركون من ذريتهما.

قال: الله سبحانه وتعالى في آخر الآية:

({فتعالى الله عما يشركون}) جمع؛ فقالوا: ذكر أولاً آدم وحواء كالتوطئة لما بعدها من الآباء والأمهات، قال: وكان شرك أولئك الآباء والأمهات عندما يرزقهم الله سبحانه وتعالى الأولاد الصالحين يربونهم على اليهودية وعلى النصرانية وعلى المجوسية وما شابه.

المهم: المراد الآن من كلام المؤلف: أن يبين لنا أن التعبيد لغير الله في الأسماء شرك، وهذا أمر مجمع عليه.

قال المصنف رحمه الله: **(قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسمٍ معبدٍ لغير الله؛ كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك؛ حاشا عبد المطلب)**

كما ذكرنا: كعبد الحسين، وعبد علي، وعبد النبي، وعبد الرسول؛ هذه الأسماء يكثر عند المصريين منها: عبد النبي، ويكثر عند الرافضة: عبد الحسين، وعبد علي؛ وهذا كله محرم؛ إنما الذي حصل فيه خلاف: عبد المطلب؛ قال ابن حزم:

(حاشا عبد المطلب) يعني: ما عدا اسم عبد المطلب؛ هو الذي حصل فيه خلاف ولم يتفقوا على تحريمه؛ والصحيح: التحريم مطلقاً، والذين يقولون بالجواز؛ يقولون: النبي ﷺ قال: "أنا ابن عبد المطلب"، لكن حقيقة هذا الاسم ذكره النبي ﷺ ذكره على وجه الإخبار بالاسم؛ إخبار باسم قد اشْتُهِر وعُرِفَ بين الناس؛ فسمى هذا الاسم، وذكر أنه ابن الشخص المسمى بهذا الاسم، فهو ﷺ لم ينشئ هذا الاسم، ولا كان موجوداً في أحدٍ من أهل زمنه وأقره حتى يقال بجوازه ؛ إنما أخبر عن اسم مسمى به أحد أجداده؛ فلا يدل هذا على الجواز، وقد حقق هذه المسألة- مسألة التسمية- ابن القيم رحمه الله في كتابه النافع: "تحفة المودود في أحكام المولود"[1].

خلاصة الأمر: أنه لا يجوز التعبيد في الأسماء لغير الله تبارك وتعالى؛ وهذا بالاتفاق، وحصل خلاف في اسم عبد المطلب، والصحيح: التحريم أيضاً؛ لأن فيه تعبيداً لغير الله سبحانه وتعالى.

---

(١) (ص١٥٦)

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وعن ابن عباس في الآية؛ قال: لما تغشاها آدم حملت، فأتاهما إبليس؛ فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعنني أو لأجعلن له قرني أيِلٍ فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن- يخوفهما- سمياه: عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه؛ فخرج ميتاً، ثم حملت، فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه؛ فخرج ميتاً، ثم حملت، فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حب الولد؛ فسمياه: عبد الحارث؛ فذلك قوله: {جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا}. رواه ابن أبي حاتم)**

(قرني أيل) الأيل نوع من أنواع الغزال، له قرون متشعبة).

وهذا الأثر رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، والإسناد إليه ضعيف لا يصح؛ فلا يعتمد عليه.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وله بسند صحيح عن قتادة؛ قال: شُركاءُ في طاعته، ولم يكُنْ في عبادته. وله بسند صحيح، عن مجاهد في قوله: {لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا}؛ قال: أشْفقا أنْ لا يكون إنساناً، وذُكر معناه عن الحسن، وسعيد وغيرهما).**

(وله) يعني: لابن أبي حاتم.

(عن قتادة) ابن دعامة، أحد التابعين.

(شركاء في طاعته) يعني: أشركا في طاعته.

(ولم يكن في عبادته) الشرك كان في الطاعة وليس في العبادة؛ لم يعبداه، ولم يعبدا غيره مع الله سبحانه وتعالى؛ وإنما أطاعاه فيما ذكر لهما فقط.

(وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: {لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا} قال: أشفقا ألا يكون إنساناً، وذكر معناه عن الحسن، وسعيد، وغيرهما) وقد ذكرنا الخلاف في هذا الأمر.

الباب الخمسون: باب قول الله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ}

قال المؤلف رحمه الله: (باب قول الله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ}[1])

عقد المؤلف رحمه الله هذا الباب لبيان وجوب إثبات أسماء الله تبارك وتعالى له، وعدم جواز الإلحاد فيها.

({ولله الأسماء الحسنى}) المقصود بالحسنى: البالغة في الحسن غايته؛ فهي أكمل ما يكون في الحسن، ففيها أحسن المعاني وأشرفها؛ فلا نقص فيها بوجه من الوجوه.

({فادعوه بها}) هذا أمر من الله تبارك وتعالى بدعائه بأسمائه الحسنى، التي تثبت له في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ، وقد تقدم معنى ذكر الأسماء والصفات، والتفصيل في ذلك، وكما ذكرنا: هذا الباب معقود لإثبات أسماء الله تبارك وتعالى له، التي أثبتها لنفسه في كتابه، أو أثبتها له نبيه ﷺ، وعدم جواز إنكارها، إما إنكاراً صريحاً؛ كأن تقول: الرحمن ليس اسماً لله تبارك وتعالى، كما كان يقوله الكفار؛ هذا إنكار صريح وجحود لها، أو أن تنكر الاسم بأن تحرّفه كما يفعل أهل الباطل من الجهمية وأشباههم.

({وذروا الذين يلحدون في أسمائه}) الذين يلحدون؛ أي: يميلون في أسمائه عن الحق؛ بإنكارها مطلقاً أو بتحريفها كما سبق، فلا يثبتون الاسم لله سبحانه وتعالى؛ إما صراحة أو

---

(١) [الأعراف:١٨٠]

تحريفاً؛ فهؤلاء من الذين حذر منهم ربنا تبارك وتعالى، وأمر بتركهم، وأمر بإثبات الأسماء له وعدم جواز الإلحاد فيها.

قال المصنف رحمه الله: **(ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: {يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ}: يشركون. وعنه: سَمَّوا اللات من الإله، والعُزَّى من العزيز. وعن الأعمش: يُدخلون فيها ما ليس فيها)**.

(سموا اللات من الإله، والعزى: من العزيز) يعني: أخذوا، اشتقوا من أسماء الله تبارك وتعالى أسماءً لآلهتهم، انظر كيف هذه الآلهة جعلوها شركاء مع الله سبحانه وتعالى، وأخذوا لها أسماء من أسماء الله لها أيضاً؛ وهذا أيضاً نوع من أنواع الإلحاد فيها؛ أن تشتق من اسم الله سبحانه وتعالى اسماً لمن تعبده مع الله، وتشرك به غيره.

(وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها) يعني: يدّعون بأن لله أسماءً ليست هي لله تبارك وتعالى، وقد تقدم القول في أسماء الله وصفاته، وما الواجب في ذلك فيما سبق من الأبواب.

الباب الحادي والخمسون: باب لا يقالُ: السلامُ على الله

قال المؤلف رحمه الله: **(باب: لا يقال: السلام على الله.**

في "الصحيح"[1]: عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السَّلامُ على اللهِ من عِبادِهِ، السلامُ على فلانٍ؛ فقال النبي ﷺ: "لا تقولوا: السَّلامُ على اللهِ؛ فإنَّ الله هو السَّلامُ")

وجاء في الحديث: أن النبي ﷺ كان يقول بعد الصلاة: "أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام"[2]، ومعنى أن الله هو السلام: أي: هو السالم من العيوب، السالم من كل نقص تبارك وتعالى، الذي لا مثيل له؛ فهو الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب ونقص؛ هذا معنى أن الله سبحانه وتعالى هو السلام، والسلامة من النقائص والعيوب يكون منه أيضاً؛ فـ: (اللهم أنت السلام): أنت السالم من كل نقص ومن كل عيب.

(ومنك السلام) ومنك تأتي السلامة من النقائص والعيوب؛ فالله سبحانه وتعالى يوصف بالكمال، وأسماؤه وصفاته كلها كمال؛ فلا يجوز نسبة العيب أو النقص له أبداً؛ فلذلك يقال: الله هو السلام.

---

(١) أخرجه البخاري(٨٣٥)، ومسلم(٤٠٢)

(٢) أخرجه مسلم(٥٩٢) عن عائشة رضي الله عنها.

الباب الثاني والخمسون: باب قول: اللهم اغْفِرْ لي إنْ شِئتَ

قال المؤلف رحمه الله: **(باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت)**

وهذا القول لا يجوز؛ لأن النبي ﷺ قد نهى عنه؛ لماذا نهى عنه؟

لأن سؤالك الله؛ كأن فيه تمريضاً؛ يعني كأنك تقول لله سبحانه وتعالى: أنا لست بحاجتك! إن شئت أن تغفر لي؛ فاغفر لي، وإن شئت ألا تغفر؛ فلا تغفر؛ وهذا باطل، ولا يجوز مثل هذا الأسلوب في طلب مغفرة الله تبارك وتعالى، وقد جاء في الحديث: "وليعظم الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء"، وجاء في الحديث أيضاً: "فإن الله لا مكره له"؛ هذا معنى آخر؛ فأنت لا تكره الله سبحانه وتعالى على شيء حتى تقول: أنا أخيرك: إن شئت أن تغفر، وإن شئت ألا تغفر، لا؛ لا يجوز مثل هذا؛ إنما تعزم في المسألة، وتقول: اللهم اغفر لي؛ فأنا بحاجة إلى مغفرتك، وإن لم تغفر لي هلكت؛ هكذا ينبغي أن تكون، اللهم أنت لا مكره لك، وأنت تفعل ما تشاء؛ فاغفر لي؛ هكذا ينبغي أن يكون المعنى المستقر في نفسك عندما تسأل الله سبحانه وتعالى المغفرة، وتسأله بجدٍّ وعزمٍ.

قال المؤلف رحمه الله: **(في "الصحيح"**[1] **عن أبي هريرة: أن الرسول ﷺ قال: (لا يقولَنَّ أَحَدَكُمْ: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإنَّ الله لا مُكْرِهِ له". ولمسلم: "وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ؛ فإنَّ الله لا يَتَعاظَمُهُ شيٌ أعْطاهُ")**

(ليعزِمِ المسألة) يعني: يكون جازماً عازماً، لا يكون متردداً؛ فيقول: حصل أو لم يحصل؛ فلا مشكلة؛ لا.

---

(١) أخرجه البخاري(٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(فإن الله لا مكره له) لا أحد يكره الله سبحانه وتعالى على شيء؛ حتى يقال: أنا خيرتك؛ لا ينبغي مثل هذا.

(وليعظم الرغبة) انظر كيف؟ يجعل رغبته في مغفرة الله عظيمة، وفي نفسه، وهو يريد من الله سبحانه وتعالى أن يغفر له بإلحاح وإصرار؛ لعلمه أنه إذا لم يغفر له الله سبحانه وتعالى؛ سيهلك، وإن الرحمة بيد الله تبارك وتعالى.

(فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه) لا شيء عظيم على الله سبحانه وتعالى أن يعطيك إياه؛ كل شيءٍ سهل؛ كل شيء عنده: كن؛ فيكون، الأمر سهل على الله سبحانه وتعالى.

الباب الثالث والخمسون: باب لا يقول: عبدي وأمتي

قال المؤلف رحمه الله: **(باب لا يقول: عبدي وأمتي)**

العبد: المملوك؛ ملك اليمين، لا يقول لعبده الذي هو ملك يمينه: عبدي.

والأَمَة: التي هي العبدة، نقول لها: عبدة؛ لكن هذا في اللغة خطأ؛ فيقال لها: أَمَة.

هل يجوز أن تقول لمملوكك: عبدي، ولمملوكتك: أمتي؟

هذا الباب معقود لهذا.

قال المؤلف رحمه الله: **(وفي "الصحيح"[١] عن أبي هريرة: أن الرسول ﷺ قال: "لا يقولَنَّ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئ رَبَّكَ؛ وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقلْ أَحَدُكُمْ: عبدي وأَمَتي؛ وليقُلْ: فَتَايَ وفتاتي وغُلامي")**

في لغة العرب: ربك؛ يعني سيدك، تأدباً مع الله؛ لا تقل هذه اللفظة؛ فهذا نهي عنه للتأدب مع الله سبحانه وتعالى.

(ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي) قال أهل العلم: هذا النهي جاء تحقيقاً للتوحيد، وسداً لذرائع الشرك؛ لما فيها من التشريك في اللفظ؛ لأنه تعالى هو الرب- هو رب العباد جميعهم-، فإذا أطلق على غيره؛ شاركه في هذا الاسم، فالمشاركة في الاسم فقط؛ فينهى عنه لذلك؛ إن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله سبحانه وتعالى، ولو لم يُرِدِ التشريك، لكن هذا اللفظ بما أن فيه تشريكاً؛ فيُنهى عنه لهذا المعنى.

(١) أخرجه البخاري(٢٥٥٢)، ومسلم(٢٢٤٩)

قال أهل العلم: وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله تعالى، وإنما المعنى أن هذا ملك له؛ فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار؛ فالنهي عنه حسماً لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقاً للتوحيد، وبعداً عن الشرك حتى في اللفظ؛ هذا ما ذكروه في هذا الباب.

الباب الرابع والخمسون: باب: لا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بالله

قال المؤلف رحمه الله: (باب: لا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ باللهِ)

(من سأل بالله) يعني: من قال لك: أسألك بالله أن تعطيني كذا؛ هذا سؤالٌ بالله؛ فهذا (لا يرد)؛ تعظيماً لله تبارك وتعالى؛ لأنه سأل بعظيم، فتعظيماً لله تبارك وتعالى تجيبه؛ لكن هذا مقيد كما سيأتي من كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

قال المصنف رحمه الله: (عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "من اسْتَعاذَ باللهِ فَأَعيذوهُ، ومَن سَأَلَ بالله فَأَعْطوهُ، وَمَنْ دَعاكُمْ فَأَجيبوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إليكم مَعْروفاً فكافِئوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدوا ما تُكافِئوه؛ فادعوا له حتى تُروا أنكمْ قد كافأتموه". رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح)

(من استعاذ بالله فأعيذوه) أي: من قال مثلاً: أعوذ بالله منك؛ فأعذه، كما حصل مع النبي ﷺ مع إحدى النساء اللاتي تزوجهن، فعندما أراد أن يدخل بها قالت: أعوذ بالله منك؛ فقال: "لقد عذتِ بعظيم؛ الحقي بأهلك"(١)، أعاذها لأنها عاذت بعظيم؛ تعظيماً لله سبحانه وتعالى.

(ومن سأل بالله فأعطوه) أيضاً تعظيماً لله تبارك وتعالى؛ لأنه سأل بالله؛ وهذا موضع الشاهد من الحديث، يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (ولا يخلو السائل من أحد أمرين: الأول أن يسأل سؤالاً مجرداً كأن يقول مثلاً : يا فلان : أعطني كذا وكذا) أي:

---

(٢) أخرجه البخاري(٥٢٥٤) عن عائشة رضي الله عنها.

ليس فيه سؤال بالله سبحانه وتعالى؛ فهو قال: يا فلان أعطني؛ سؤال فقط ليس فيه ذكر الله تبارك وتعالى.

قال: (فإن كان مما أباحه الشارع له؛ فإنك تعطيه، كالفقير يسأل شيئاً من الزكاة.

الثاني: أن يسأل بالله؛ فهذا تجيبه وإن لم يكن مستحقاً؛ لأنه سأل بعظيم، فإجابته من تعظيم هذا العظيم، لكن لو سأل إثماً، أو كان في إجابته ضررٌ على المسؤول؛ فإنه لا يجاب) إذاً: يقيد بهذا؛ دفعاً للضرر عن الشخص، أو أن يكون في إجابته إثم؛ لأن من تعظيم الله سبحانه وتعالى: أن تطيعه فيما أمر، وأن تجتنب ما نهى عنه.

(ومن دعاكم فأجيبوه) الظاهر من الدعوة هنا: أنها الدعوة إلى الطعام، "من دعاكم إلى طعامٍ فأجيبوه"كما جاء في أحاديث أخرى كثيرة تدل على ذلك، بشرط ألا يكون في هذه الدعوة منكر، وبإمكانك إذا كان عندك ظرف أن تستأذنه، وأن تعتذر لمن دعاك.

(ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه) من أحسن إليك فرد إليه الإحسان إن استطعت بما فيه منفعة له.

(فإن لم تجدوا ما تكافؤه؛ فادعوا له) ادع له، ولو أن تقول له: جزاك الله خيراً؛ ففي هذا دعاء عظيم، وفيه شكر عظيم له؛ لأنك دعوت له بدعوة عظيمة.

(رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح[1]) وهو صحيح ثابت، والشاهد منه: قوله: "ومن سأل بالله فأعطوه"، هذا من تعظيم الله سبحانه وتعالى؛ لذلك ذكره المؤلف في كتاب التوحيد.

---

(١) أبو داود(١٦٧٢)، والنسائي(٢٥٦٧) وغيرهما.

الباب الخامس والخمسون: باب: لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

قال المؤلف رحمه الله: **(باب: لا يُسْأل بوجه الله إلا الجنة)**

وهذا أيضاً من التعظيم؛ لكن هذا الباب لا يصح فيه شيء.

قال المؤلف: **(عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إلا الجنة". رواه أبو داود[1])**.

وهو ضعيف؛ في سنده سليمان بن قرم، سيء الحفظ، ولا يصح في هذا الباب حديث.

---

(١) (١٦٧١)

الباب السادس والخمسون: باب ما جاءَ في اللَّو

قال المؤلف رحمه الله: **(باب ما جاء في اللو)**

يعني: في كلمة (لو)؛ هل يجوز قولها أم لا ؟

فيه تفصيل؛ فإنه قد جاء فيها نهي، وجاء في أحاديث أيضاً أن النبي ﷺ استعملها؛ فكيف نجمع بين هذه الأحاديث؟ (باب ما جاء في الـ(لو))، المؤلف ذكر هذا الباب هنا في كتاب التوحيد؛ لأن من استعمالات (لو): الاعتراض على القدر، ومن اعترض على القدر؛ فإنه لم يرض بالله رباً؛ فهو لم يحقق توحيد الربوبية؛ هذا المعنى الذي ذكره المؤلف هذا الباب لأجله في كتاب التوحيد.

فـ: (لو) هذه لها عدة استعمالات، من استعمالاتها: الاعتراض على القدر، والقدر من أفعال الله تبارك وتعالى؛ فهو من توحيد الربوبية.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(وقول الله تعالى: {يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا}[1])**

({يقولون هل لنا من الأمر من شيء}) يعني: المنافقين.

({قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا}) ماذا قالوا؟

---

(١) [آل عمران:١٥٤]

قالوا: ({لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا}) هذا الشاهد، وهذا من قول المنافقين ({لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا}) وسيأتي الشاهد من هذا الكلام.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وقوله: {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا}[(١)])**

الشاهد: قولهم: {لو أطاعونا ما قتلوا} يعني: أنهم لو قعدوا عن القتال لما حصل القتل فيهم .

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(في "الصحيح"[(٢)] عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ باللهِ ولا تَعْجَزَن، وإنْ أَصابَكَ شيءٌ؛ فلا تقُلْ: لو أني فعلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وما شاءَ فَعَلَ؛ فإنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشيطانِ")**

(احرص على ما ينفعك) احرص على ما ينفعك في الدنيا والآخرة، ولا تضيع جهدك ووقتك في شيء لا ينفع؛ هذا أمر من النبي ﷺ.

(واستعن بالله) اجعل استعانتك- طلب العون- من الله تبارك وتعالى؛ لذلك نحن دائماً نقول: {إياك نعبد وإياك نستعين}، وأنت دائماً تطلب المعونة من الله سبحانه وتعالى، فلو أن الله خذلك؛ لضعت. نسأل الله العافية والسلامة.

(ولا تعجزن) يعني : لا تفعل فعل العاجز الكسول.

---

(١) [آل عمران:١٦٨]

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤)

(وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا) هذا يحصل من الناس كثيراً: إذا أصابه شيء؛ مباشرة يعترض ويقول: لو فعلت كذا لكان كذا.

(ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان) كلمة (لو) تفتح عليك وساوس الشياطين.

والتفصيل في هذا الباب، والجمع بين الأحاديث يذكره لنا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، لأنه ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي"[(١)]، فاستعمل النبي ﷺ كلمة (لو) هذه؛ لذلك فصل لنا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تفصيلاً ماتعاً جداً، نحفظه جيداً كي نتقن هذا الباب.

قال رحمه الله: (والمؤلف رحمه الله جعل الترجمة مفتوحة، ولم يجزم بشيء) يعني: أن المؤلف قال: (باب ما جاء في اللو) ولم يقلْ: (باب تحريم لو) أو (باب إباحة لو)؛ إنما جعلها مفتوحة فقال: (باب ما جاء في اللو)؛ أي: ما جاء من أدلة في اللو؛ تفصل لنا القول فيها.

قال: (ولم يجزم بشيء؛ لأن (لو) تستعمل على عدة أوجه) ركز هنا:

قال: (الوجه الأول: أن تستعمل في الاعتراض على الشرع؛ وهذا محرم؛ قال الله تعالى: {لو أطاعونا ما قتلوا} في غزوة أحد، حين تخلف أثناء الطريق عبد الله بن أُبَيِّ في نحو ثلث الجيش؛ فلما استشهد من المسلمين سبعون رجلاً؛ اعترض المنافقون على تشريع الرسول ﷺ، وقالوا: لو أطاعونا ورجعوا كما رجعنا ما قتلوا؛ فرأينا خيرٌ من شرع محمد؛ وهذا محرم وقد يصل إلى الكفر) فهذا فيه الاعتراض على شرع الله سبحانه وتعالى.

(١) ورد الحديث في الصحيحين عن عائشة وجابر وابن عباس رضي الله عنهم.

قال: (الثاني: أن تستعمل في الاعتراض على القدر؛ وهذا محرم أيضاً، قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا}) هؤلاء اعترضوا على قدر الله سبحانه وتعالى.

قال: (أي: لو أنهم بقوا ما قتلوا؛ فهم يعترضون على قدر الله).

إذاً الحالة الأولى: الاعتراض على شرع الله؛ فتقولها اعتراضاً على شرع الله.

الحالة الثانية: تقولها اعتراضاً على قدر الله؛ وهذا كله مناف لكمال التوحيد أو لأصله. قال: (الثالث: أن تستعمل للندم والتحسر؛ وهذا محرم أيضاً؛ لأن كل شيء يفتح الندم عليك فإنه منهيٌ عنه؛ لأن الندم يكسب النفس حزناً وانقباضاً، والله يريد منا أن نكون في انشراح وانبساط، قال ﷺ: "احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان"...) إلى آخر ما قاله رحمه الله.

ثم قال: (الرابع: أن تستعمل في الاحتجاج بالقدر على المعصية؛ كقول المشركين: {لو شاء الله ما أشركنا}[١]) يعني: هم عصوا وأشركوا؛ فيجعلون قدر الله حجة لهم في ذلك.

قال: (وقولهم: {ولو شاء الرحمن ما عبدناهم}[٢]؛ وهذا باطل.

الخامس: أن تستعمل في التمني؛ وحكمه حسب المتمنى، إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر، وفي "الصحيح"[٣] عن النبي ﷺ في قصة النفر الأربعة؛ قال أحدهم: لو أن لي مالاً

---

(١) [الأنعام: ١٤٨]

(٢) [الزخرف: ٢٠]

(٣) الحديث أخرجه أحمد في "المسند" (١٨٠٢٤)، والترمذي(٢٣٢٥)، وابن ماجه(٤٢٢٨) عن أبي كبشة الأنماري، ولم أجده في الصحيحين

لعملت بعمل فلان"؛ فهذا تمنى خيراً، وقال الثاني: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان؛ فهذا تمنى شراً، فقال النبي ﷺ في الأول: "فهو بنيته فأجرهما سواء"، وقال في الثاني: "فهو بنيته فوزرهما سواء".

السادس: أن تستعمل في الخبر المحض) أي: مجرد خبر (وهذا جائز؛ مثل: لو حضرت الدرس لاستفدت، ومنه قوله ﷺ: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي، ولأحللت معكم) إنما هو خبر، يعني: ليس تحسراً على ما مضى؛ وإنما خبر يخبر به فقط.

قال: (فأخبر النبي ﷺ أنه لو علم أن هذا الأمر سيكون من الصحابة رضي الله عنهم؛ ما ساق الهدي ولأحلَّ؛ وهذا هو الظاهر لي، وبعضهم قال: إنه من باب التمني، كأنه قال: ليتني استقبلت من أمري ما استدبرت حتى لا أسوق الهدي؛ لكن الظاهر أنه خبر لما رأى من أصحابه، والنبي ﷺ لا يتمنى شيئاً قدر الله خلافه، وقد ذكر المؤلف في هذا الباب آيتين) ثم ذكر الآيات التي ذكرها المؤلف رحمه الله.

خلاصة الأمر عندنا:

الحالة الأولى: الاعتراض على الشرع، والحالة الثانية: الاعتراض على قدر الله تبارك وتعالى، الحالة الثالثة: أن تستعمل في الندم والتحسر، الحالة الرابعة: أن تستعمل في الاحتجاج بالقدر على المعصية؛ وهذه كلها محرمة، الحالة الخامسة: أن تستعمل في التمني؛ وهذا حسب ما تتمناه، إن كان جائزاً؛ فجائز، وإن كان محرماً؛ فمحرم، الحالة السادسة: أن تستعمل في خبر محض، يعني: مجرد إخبار؛ تخبر بأمر معين؛ فهذه جائزة، والله أعلم؛ هذا هو تفصيل القول في هذه المسألة.

الباب السابع والخمسون: باب النَّهْي عَنْ سَبِّ الرِّيح

قال المؤلف رحمه الله: **(بابُ النَّهْي عَنْ سَبِ الرِّيح**

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تَسُبوا الرِّيحَ؛ فإذا رأيتُمْ ما تَكْرهونَ؛ فقولوا: اللهم إنَّا نَسْألُكَ مِنْ خَيْرِ هذه الرِّيح وخيرِ ما فيها وخَيْرِ ما أُمِرَتْ به، ونَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هذه الرِّيحِ وشَرِّ ما فيها وشَرِّ ما أُمِرَتْ به" صححه الترمذي[1])

(لا تسبوا الريح) وهذا نهي عن سب الريح.

(فإذا رأيتم ما تكرهون) يعني: من الريح.

الشاهد قوله: (لا تسبوا الريح) وذلك لأن الريح مسيَّرة، وربنا تبارك وتعالى هو الذي خلقها، وهو الذي سيرها، وما يحصل منها هو بأمر الله تبارك وتعالى؛ فمسبتها حقيقة هي مسبة للفاعل؛ وهو الله تبارك وتعالى؛ فحالها كحال سب الدهر الذي تقدم معنا؛ فلا يجوز سبها؛ لأنه يرجع إلى مسبة الله تبارك وتعالى.

---

(١) (٢٢٥٢)

الباب الثامن والخمسون: باب قول الله تعالى: {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ}

قال المؤلف رحمه الله: (باب قول الله تعالى: {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}[(١)])

({يظنون بالله}) أي: المنافقون

({ظن الجاهلية}) الظن السوء، وهذا ظن أهل الجاهلية، فمن ظن بالله ظناً سيئاً؛ فهذا من ظن الجاهلية، فهذا الباب معقود لبيان وجوب إحسان الظن بالله، وذلك بأن تعلم أن ما يفعله الله بك وبالكون كله بحكمة، وأنه سبحانه لا يظلم أحداً، وليس من حسن الظن بالله أن تظن به أنه يريد بك الخير؛ ثم أنت تعصيه وتترك أمره.

({يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية}) يظنون بالله أنه لن ينصر نبيه، وأن أهل الشرك سينتصرون عليه، وأن دعوته ستذهب وتضيع؛ وهذا ظنٌّ سيء بالله تبارك وتعالى.

({يقولون هل لنا من الأمر من شيء}) يعني: لم نخرج بإرادتنا للقتال؛ إنما أخرجنا مكرهين.

({قل إن الأمر كله لله}) يعني: أن الله سبحانه وتعالى هو الذي قدر خروجكم، والأمر كله إليه.

---

(١) [آل عمران:١٥٤]

({يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك}) هذا حال المنافقين: يبطنون الشر والسوء والعقائد الفاسدة ويظهرون الخير، ويظهرون لك أنهم معك.

({يقولون لو كان لنا من الأمر من شيء ما قتلنا ها هنا}) لو كان الأمر بأيدينا واختيارنا؛ ما خرجنا للقتال، وما قتلنا في هذا المكان؛ ولكننا أُكْرِهنا

({قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم}) يعني: لو كنتم في داخل بيوتكم؛ لخرج الذين كتب الله سبحانه وتعالى عليهم القتل وقدره لهم إلى مضاجعهم؛ يعني: إلى مصارعهم، خلاص؛ الأمر قد قدره الله، ولا مفر لكم منه، سواء جلستم في بيوتكم أو خرجتم.

({وليبتلي الله ما في صدوركم}) يعني: يختبره؛ يختبر ما في صدوركم.

({وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور}) أي: يميزه.

الشاهد: قوله تعالى: {يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية} والواجب: إحسان الظن بالله تبارك وتعالى ويحرم إساءة الظن به.

قال المؤلف: **(وقوله: {الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}[١])**

(الظانين بالله ظن السوء) المنافقون والكفار يظنون بالله ظن السوء، وسماه الله سبحانه وتعالى ظناً سيئاً، وكانوا يظنون بأن الله سيهزم نبيه، وسينصر المشركين؛ هذا ظنٌ سيء، تكون الحروب بين النبي ﷺ وبين الكفار سجال؛ تارةً له وتارةً لهم؛ لكن في النهاية يكون هو المنتصر، وكلمته تكون هي المرتفعة؛ وهذا الذي حصل مع نبيه ﷺ.

---

(١) [الفتح:٦]

(عليهم دائرة السوء) بالذل والعذاب

(وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً)

قال المؤلف: (**قال ابن القيم في الآية الأولى: " فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح. وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.**
فمن ظن أنه يُديلُ الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة؛ فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.
وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده، فليعتنِ اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء. ولو فتّشت من فتشت لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر وفتش نفسك هل أنت سالم؟
فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا إخالك ناجياً)

(قال ابن القيم في الآية الأولى: فُسِّرَ هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل) يعني: سيذهب ويزول، وسينهزم النبي ﷺ.

(وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته) يعني: فسر تارةً بأنهم يظنون بأن الله سبحانه وتعالى لن ينصر رسوله ﷺ، وفُسِّر أيضاً بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته؛ فهذا الثاني فيه نفي لقدرة الله وحكمته.

(فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق) يعني: ينصر الباطل على الحق.

(إدالة مستقرة) يعني: نصراً تاماً؛ بحيث لا يبقى للحق وجود.

(يضمحل معها الحق) يعني: يذوب ويذهب.

(بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة) يعني: مجرد أن الله سبحانه وتعالى شاء الأمر فكان، ليس من وراء ذلك حكمة، من زعم هذا الأمر؛ فأمره خطير وعقيدته فاسدة كما يعتقده كثير من الأشاعرة.

(فليعتن اللبيب الناصح لنفسه) اللبيب: صاحب العقل؛ يعتني ويهتم بنفسه لفهم أسماء الله وصفاته ومعرفة ربه؛ كي لا يظن بالله ظن السوء.

(تعنتاً على القدر) تشديداً واعتراضاً.

(وملامة له) يلوم قدر الله سبحانه وتعالى، ولو أنه استحضر أن كل شيء يكون بحكمة الله؛ لما لام القدر، ولو أنه كشف عن القدر؛ لحمد الله على ما هو فيه.

(وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا) يعني: يعترض على القدر، ويقول: ينبغي أن يكون كذا وكذا، كما يريد هو.

(فمستقل ومستكثر) والناس بين هذا؛ فإما أن يستقلَّ من سوء الظن، أو يستكثر منه.

(وفتش نفسك: هل أنت سالم؟) كل منا يفتش نفسه

(فإن تنج منها؛ تنج من ذي عظيمة.. وإلا فإني لا أخالك ناجياً) نسأل الله العافية، ونسأل الله أن ينجينا وإياكم وأن يجعلنا ممن يحسن الظن بربه، وأن يعلم بأن كل ما يحصل في هذا الكون وفي نفسه بحكمة من ربه تبارك وتعالى وأن الله لا يظلم أحداً، استحضر هذه المعاني دائماً، واعلم أن ما فعله الله بك خير لك، إذا كنت على طاعة الله سبحانه وتعالى، مطيعاً له، غير عاص؛ فاعلم دائماً أن ما يفعله الله سبحانه وتعالى بك هو خير لك ونعمة، والحمد لله، نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لطاعته وإلى ما يحب ويرضى.

الباب التاسع والخمسون: باب ما جاءَ في مُنْكِرِي القَدَرِ

قال المؤلف رحمه الله: **(باب ما جاء في مُنْكِرِي القَدَرِ)**

(منكري القدر) يعني: الذين ينكرون القدر؛ ما جاء فيهم من أدلة تدل على بيان حكمهم والتشديد والوعيد في أمرهم.

ما هو القدر؟ المقصود بالقدر هو تقدير الله تبارك وتعالى للأشياء قبل كونها؛ علمه تبارك وتعالى بها قبل أن يحصل الشيء، الله سبحانه وتعالى يعلمه ويشاؤه، لو لم يشأ الله سبحانه وتعالى؛ لما حصل أبداً، يعلم الله سبحانه وتعالى الشيء قبل أن يكون بأنه سيكون ويشاؤه، ولو لم يشأه لما حصل، وكتب عنده في اللوح المحفوظ، وخلقه، إذا آمنت بهذه المراتب الأربع؛ فقد آمنت بالقدر.

تؤمن بأن الله سبحانه وتعالى يعلم كل ما يحصل في هذا الكون، وكل ما سيحصل في هذا الكون كله معلوم لله تبارك وتعالى، لا يفوته علم شيء.

الأمر الثاني: تعلم أن الله سبحانه وتعالى شاء وقوعه، ولو لم يشأ وقوعه لما وقع، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

الأمر الثالث: أن الله سبحانه وتعالى كتب مقادير كل شيء عنده في اللوح المحفوظ؛ فكل شيءٍ مكتوب عند الله سبحانه وتعالى في اللوح المحفوظ بأنه سيكون.

الأمر الرابع: أن كل شيء موجود في هذا الكون فهو من خلق الله تبارك وتعالى، كل مخلوق في هذا الكون فهو من خلق الله تبارك وتعالى، لا شيء يخرج عن خلقه، لا أفعال العباد ولا غيرها؛ بهذا تكون قد آمنت بالقدر، وإذا أنكرت القدر؛ فقد كفرت، إنكار القدر كفر؛ لأن الإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان الستة، من أنكره كفر،

أما من حرَّف وغيَّر بسبب شبهات عرضت له، وحرف بطريقة تحتملها اللغة؛ فهذا لا يكفر؛ بل يُبَدَّعُ ويضلل على تفصيل معروف في كتب الاعتقاد، وتفصيل ذلك كله يأتي في كتب العقيدة كـ: "لمعة الاعتقاد"، و: "الواسطية" وما شابه من الكتب التي جمعت الحديث في هذه الأمور.

وممن أنكر القدر: المعتزلة، والقدرية أيضاً؛ لأن المعتزلة هم قدرية في الأساس؛ قالوا : (الأمر أنف، لا قدر)، وبعضهم أنكر علم الله سبحانه وتعالى حتى للأشياء قبل أن تكون؛ وهؤلاء كفرهم العلماء؛ لأنهم يصفون الله سبحانه وتعالى بالجهل، وبعضهم أثبت العلم ولكن قال: إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق أفعال العباد؛ وكثير من القدرية على هذا القول؛ وهو ضلال وانحراف.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(قال ابن عمر: والذي نَفْسُ ابن عمر بيدِهِ، لو كان لأحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذهَبَاً، ثمَّ أنْفَقَهُ في سبيلِ الله؛ ما قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ حتى يُؤْمِنَ بالقَدَرِ. ثُمَّ استَدَلَّ بقولِ النبي: "الإيمانُ أنْ تُؤمِنَ بالله وملائكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخرِ وتؤمِنَ بالقَدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ". رواه مسلم[(١)])**

(والذي نفس ابن عمر بيده) الله سبحانه وتعالى هو الذي نفس ابن عمر بيده؛ فهو يحلف بالله، وهذا اليمين كان يحلف به النبي ﷺ.

(لو كان لأحدهم مثل أحدٍ ذهباً) تصور أن يكون لك من المال كجبل أحد؛ هذا الجبل الضخم الكبير.

---

(١) (٨)

(ثم أنفقته في سبيل الله؛ ما قبله الله منه) لماذا؟ لأنه إذا أنكر القدر؛ كفر، وإذا كفر حبط عمله؛ فلا يقبل منه عمل.

(حتى يؤمن بالقدر) لابد من الإيمان بالقدر.

(ثم استدل بقول النبي ﷺ: "الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره") هذه أركان الإيمان الستة.

وأدلة القدر في الكتاب والسنة كثيرة جداً، ولا ينكر القدر مسلم، أما التحريفات والتفصيلات؛ فربما ينكرها بعض أهل البدع والضلال، ويقع فيها.

قال المصنف رحمه الله: **(وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: (يا بُنَيَّ! إنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإيمانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ ما أَصابَكَ لَمْ يكنْ لِيُخْطِئَكَ، وما أَخْطأكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصيبكَ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنَّ أَوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ القلمَ فقال له: اكتبْ؛ فقال: رب! وماذا أَكْتب؟ قال: اكتب مقاديرَ كُلِّ شيءٍ حتى تقومَ السَّاعَةُ" يا بني! سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مَنْ ماتَ على غيرِ هذا؛ فليس مني"[1].**

وفي رواية لأحمد: "إن أوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ تعالى القلمَ؛ فقال له: اكتبْ؛ فَجَرى في تلك السَّاعَةِ بما هو كائِنٌ إلى يومِ القيامةِ".

وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله ﷺ: "فمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ؛ أَحْرَقَهُ اللهُ بالنَّارِ").

---

(١) أخرجه أحمد(٢٢٧٠٥)، وأبو داود(٤٧٠٠)، والترمذي(٢١٥٥)

هذا الحديث من الأحاديث التي تدل على وجوب الإيمان بالقدر، يقول عبادة بن الصامت لابنه:

(يا بني! إنك لن تجد طعم الإيمان) حلاوته ولذته

(حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك): ما أصابك بتقدير الله؛ ما هو مقدر عند الله لا يتغير، لا يمكن أن يخطئك.

(وما أخطأك لم يكن ليصيبك) لأن الله سبحانه وتعالى لم يقدره عليك.

إذاً: كل شيء مكتوب عند الله، وهل كتبه الله وهو لا يعلمه؟ مستحيل؛ فهو يعلمه، وشاءه وكتبه وخلقه.

(سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من مات على غير هذا فليس مني") : من مات وهو يكفر بالقدر؛ فهذا ليس على ملة محمد ﷺ.

لذلك كفر العلماء من أنكر علم الله تبارك وتعالى بالأشياء؛ لأنه منكر للقدر، قلنا: من مراتب القدر: العلم، والمشيئة، والكتابة، والخلق.

(وفي رواية لأحمد: "أن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له: اكتب؛ فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة) يعني: كتب كل شيء إلى يوم القيامة؛ فكله معلوم عند الله.

قال المصنف رحمه الله: **(وفي "المسند"[1] و"السنن"[2] عن ابن الديلمي قال: أتيت أُبَيَّ بنِ كَعْب؛ فقلت: في نفسي شيءٌ من القدر؛ فحدِّثني بِشَيء لَعَلَّ اللهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبي؛ فقال: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً؛ ما قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حتى تؤمِنَ بالقَدَرِ، وتَعْلَمَ أنَّ ما أصابَكَ**

---

(١) أحمد (٢١٥٨٩)

(٢) أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)

لم يكُنْ ليُخْطِئَكَ، وما أخْطأكَ لَمْ يكُنْ ليُصيبَكَ، ولوْ مُتَّ على غَيْرِ هذا؛ لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، قال: فأتيتُ عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت؛ فكلهم حدثني بمثلِ ذلك عن النبي ﷺ. حديث صحيح . رواه الحاكم في "صحيحه"[(١)])

(في نفسي شيءٌ من القدر) أي: دخلت عليه شبهة في مسألة القدر.

هذا منهج الصحابة، وهذه عقيدتهم: الإيمان بالقدر، وأن كل شيءٍ مقدر من عند الله ومكتوب، وكل شيءٍ خلقه الله سبحانه وتعالى وشاءه؛ فلذلك يكون كما يشاء سبحانه وتعالى.

قال أهل العلم: هذا الباب عقده الشيخ ليبين أن الإيمان بالقدر من الإيمان بربوبية الله، وأن من أنكر القدر؛ فقد أشرك في توحيد الربوبية، فالإيمان بالقدر من الإيمان بالربوبية؛ فإنه لا يؤمن بربوبية الله سبحانه وتعالى؛ لأنه جحد قدره وعلمه، وأنكر أن يكون ما يجري في هذا الكون بتقدير الله ومشيئته، ووصف الله بالجهل والعجز وغير ذلك؛ هذا ما ذكره أهل العلم من مناسبة ذكر القدر في هذا الكتاب.

---

(١) انظر "الصحيح المسند" (٣٥٨) لشيخنا الوادعي

الباب الستون: باب ما جاء في المُصَوِّرين

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(باب ما جاءَ في المُصوِّرين)**

أي: ما جاء في حكم من يفعل هذا الفعل من التشديد والتحريم.

المصور: الذي يصور الصورة؛ سواء كان بالرسم أو بالنحت؛ الصنم المنحوت يسمى صورة، والصورة التي ترسمها بيدك أيضاً تسمى صورة.

السبب الذي جعل المؤلف رحمه الله يضع هذا الباب في كتاب التوحيد: أن الصور سبب من أسباب الشرك بالله سبحانه وتعالى؛ هذا الأمر الأول.

الأمر الثاني: أن المصور يُشَبِّه نفسه بالله تبارك وتعالى؛ فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلق هذه الصور التي فيها الأرواح، وهذا المصور حين يُصَوِّر صورة كالصورة التي خلقها الله سبحانه وتعالى يجعل نفسه مشابهاً لله تبارك وتعالى في هذا الفعل؛ فهو من هذه الناحية شرك؛ مضاهاة بخلق الله، والناحية الثانية سبب للشرك؛ إذ الصور كانت هي السبب في حدوث الشرك في قوم نوح، كما جاء في القصة التي ذكرناها في بداية الكتاب: أنه كان رجال صالحون في قوم نوح، ولما ماتوا جاءهم إبليس وقال لهم: صوروا لهم تصاوير، فصوروا لهم تصاوير، وبعد مدة ولما نسي العلم؛ جاءهم إبليس وقال لهم: آباؤكم كانوا يعبدون هذه التماثيل؛ فعبدوها، إذاً الصور ذريعة إلى الشرك فحين تُصَوِّرُ الصورة وتعلقها، أو تجعلها صنماً؛ فستعبد غداً أو بعد غد، يأتي الشيطانُ أحفادَكَ أو أبناءك ويُسَوِّلُ لهم أن هذه الأصنام كانت تنفع أجدادكم ويستغيثون بها، وتشفع لهم عند الله؛ ثم تعبد؛ هذا السبب الأول.

والسبب الثاني- كما قلنا-: مضاهاة خلق الله- والمضاهاة هي المشابهة- ؛ يعني: يجعل نفسه مشابهاً لله تبارك وتعالى في الخلق؛ فالصور حرمت لسببين وليس لسبب واحد فقط.

والأحاديث التي أوردها المؤلف تدلُّ على تحريم التصوير، أو تحريم فعل هذا الفعل.

قال المؤلف رحمه الله: **(عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرَّةً أو ليخلقوا حبةً أو ليخلقوا شعيرة". أخرجاه[1].**

(ومن أظلم ممن ذَهَبَ يَخْلق كخلقي) جعل التصوير خلقاً كخلق الله تبارك وتعالى.

(فليخلقوا ذَرَّة) أي: نملة صغيرة، وهذا للتعجيز؛ إذ لا يمكنهم فعل ذلك.

(أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة) فهذا الأمر أمر تعجيز وتَحَدٍّ، لا يمكنهم فعل ذلك؛ إذاً ؛ فليتركوا التصوير.

قال المؤلف: **(ولهما[2] عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: "أَشَدُّ النَّاسِ عَذاباً يومَ القيامةِ الذين يضاهئون بخلق الله").**

لو تنظرون اليوم إلى الكفار الذين يصنعون التماثيل، أو يرسمون الرسم اليدوي، وتركزون عليهم ماذا يفعلون؟ بعضهم سمعت له كلاماً أثناء عمله؛ يقول: (أودُّ أن ينطق)، انظر! سولت له نفسه وحاول أن يتقن رسمته وتمثاله حتى أراد أن يكون خالقاً كربه تبارك وتعالى؛ هذا المعنى المراد هنا: "أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله" فهو قاصد لهذا المعنى؛ وإلا كيف يكون أشد الناس عذاباً إلا أن يكون كافراً؟ إذاً قَصَدَ هذا المعنى

---

(١) البخاري(٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١).

(٢) البخاري(٥٩٥٤)، ومسلم (٩١)

ورسم؛ فهنا يدخل في الشرك بالله؛ فقد جعل نفسه شريكاً لله تبارك وتعالى في فعله الذي يختص به؛ وهو الخلق، وإذا لم يقصد هذا؛ هل يقال: خلاص بما أنه لا يقصد فلا مشكلة في التصوير؟

نقول: لا؛ لا يجوز هذا الفعل نهائياً؛ لأنه إن قصد أو لم يقصد؛ فقد وقع في المحذور، ووقع فيما نهى عنه النبي ﷺ، وفيما نهى عنه ربنا تبارك وتعالى؛ انظر حديث ابن عباس:

قال المؤلف: **(ولهما[1] عن ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كل مصور في النار، يُجعل له بكل صورة صورها نفس يُعذب بها في جهنم").**

(كل مصور في النار) ولم يقل: أراد المضاهاة أو ما أراد المضاهاة.

(يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم)- نسأل الله العافية- تصور هذا الذي صنع مائة صورة أو مائتي صورة؛ ماذا يصنع؟ يعذب عدة مرات.

قال المؤلف: **(ولهما[2] عنه مرفوعاً: "من صَوَّرَ صُورَة في الْدُنيا؛ كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فيها الرُّوحَ، وليسَ بنافِخٍ")**

(من صور صورة في الدنيا، كلف أن ينفخ فيها الروح) وهل يستطيع أن ينفخ فيها الروح؟ لا يستطيع لو وقف على رأسه؛ إذاً: سيبقى يعذب.

(وليس بنافخ) ولما يعجز؛ يعذب على فعله ذاك، إذاً: التصوير محرم غير جائز.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٩)

(٢) البخاري(٢٢٢٥)، ومسلم (١٠٠)

والتصوير المقصود هنا: صنع التماثيل، أو التصوير اليدوي؛ الذي هو الرسم اليدوي؛ أما التصوير الفوتوغرافي فقد تكلم عنه أهل العلم.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(ولمسلم عن أبي الهيَّاج؛ قال: قال لي علي: (ألا أبعَثُكَ على ما بَعَثني عليه رسول الله ﷺ؟ "أَنْ لا تَدَعْ صُورَةً إلا طَمَسْتَهَا، ولا قَبْراً مُشْرِفَاً إلا سَوَّيْتَهُ").**

من الخلط الذي نراه عند بعض الشباب: عدم التفريق بين إيجاد الصورة وبين المصور؛ هما حكمان، تحدث المؤلف فيما تقدم عن فِعْلِ المصور، وهنا الكلام عن الصورة نفسها؛ فهما حكمان وليس حكماً واحداً، فلا تخلط بين الأمور، يحصل خلط عند الشباب من خلال الكلام الذي يحدث بينهم في مواقع التواصل؛ أرى عندهم هذا الخلط، ينبغي عليك أن تتنبه؛ هناك حكم للمصور، وحكم للصورة، وهنا الكلام عن الصورة.

هذه الأحاديث كلها جاءت عن المصور والصورة؛ هل هي على إطلاقها أن كل صورة حتى لو كانت صورة عشب أو ورد؟

لا؛ إنما الحديث عن ذوات الأرواح؛ لأنه قد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "الصورة الرأس"[(١)]، ثم في الحديث الذي تقدم، قال: "كُلِّفَ أن ينفخ فيها الروح"؛ إذاً الكلام عن الصور ذوات الأرواح خصوصاً، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفاً عليه؛ قال: (إِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَصْنَعَ، فَعَلَيْكَ بِهَذَا الشَّجَرِ، كُلِّ شَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ)[(٢)]، وهذه الأحاديث التي ذكرت تدل على ذلك.

---

(١) الصحيح فيه الوقف على ابن عباس، ولا يصحُّ مرفوعاً، أخرجه البيهقي (١٤٦٩٥) وغيره.
(٢) أخرجه البخاري(٢٢٢٥)، ومسلم(٩٩)

(لا تدع صورة إلا طمستها) كيف تطمس الصورة؟ بإزالة الرأس؛ فكما جاء في الحديث: "الصورة الرأس".

من الأخطاء التي نجدها عند بعض الشباب: يغطي العينين فقط؛ ما فائدة تغطية العينين؟ هذا الفعل لم يذهب الصورة، لو رسم شخص شخصاً أعمى- مطموس العينين- هل هكذا ما عادت صورة؟

ما يصح؛ هذا غلط، إذا أردت أن تطمس الصورة؛ فاطمس الرأس؛ عندئذ تطمس الصورة.

(ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) يعني: لا تترك قبراً مرتفعاً عن الأرض إلا سويته بالأرض، لا يسمح برفعه أكثر من شبر؛ كما جاءت به السنة؛ وهذا تقدم الحديث عنه، وكلامنا الآن في الصورة: "لا تدع صورة إلا طمستها".

الآن لو جئت تقول لي: المصور صورة فوتوغرافية- بغض النظر هل سيدخل في الحكم الذي سبق أم لا- لكن هذه الصورة الموجودة الآن ما حكمها؟ الحديث الآن عن الصورة؛ عن حكم الصورة نفسها؛ نقول لك:

لا يجوز لك أن تضعها في بيتك للذكرى- لاحظ هنا- حتى وإن كنت ممن يقول بأن التصوير الفوتوغرافي غير داخل في الصور؛ فلا يشمله الوعيد المتقدم في المصورين، لو كنت تقول بهذا القول؛ فهنا وجود الصورة وإبقاؤها عندك لها حكم آخر- مسألة ثانية-؛ لأن إبقاء الصورة عندك في البيت يؤدي إلى المحذور الآخر؛ فقد قلنا: الصور محرمة لسببين؛ الأول: مضاهاة خلق الله، لو قلت لي: الصور الفوتوغرافية ليس فيها مضاهاة لخلق الله، يعني: عبارة عن كبسة زر يكبسها فتعكس الحقيقة وينتهي الأمر، ما عنده أيُّ إتقان للموضوع، حبس ظل، عكس ظل وانتهى الأمر مثلما تفعل المرآة تماماً.

لكن هذه التي خرجت تسمى صورة أم لا تسمى صورة؟

تسمى صورة؛ إذاً: هل يجوز إبقاؤها في البيت؟

نقول لك: السبب الثاني موجود؛ وهي أن تكون ذريعة للشرك؛ فلذلك لا يجوز أن تبقيها عندك في بيتك، اطمسها؛ فلا بد إذاً من طمس الصورة سواءً كانت مرسومة باليد أو كانت صنماً، أو فوتوغرافية؛ لأن ذريعة الشرك موجودة في الجميع.

الباب الحادي والستون: باب ما جاءَ في كَثْرَةِ الحَلِفِ

قال المؤلف: **(باب ما جاء في كثرة الحلف)**

يقال: الحَلِف والحَلْف- بكسر اللام وبتسكينها-، وهي: اليمين؛ القسم.

(ما جاء في كثرة الحلف) يعني: هل يجوز؟ أم لا يجوز؟

لماذا ذكر المؤلف هذا الباب هنا؟

قال أهل العلم: كثرة الحلف بالله يدلُّ على أنه ليس في قلب الحالف من تعظيم لله ما يقتضي هيبة الحلف بالله، وتعظيم الله سبحانه وتعالى من تمام التوحيد، فلو كان هذا الشخص في نفسه من تعظيم الله سبحانه وتعالى الشيء العظيم؛ لعَظَّم الحلف به، وما أكثر منه؛ لذلك المؤلف ذكر هذا الباب في هذا الموطن.

قال رحمه الله: **(وقول الله تعالى: {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ}[1])**

اختلف العلماء في تفسير هذه الآية؛ فبعضهم قال: أي لا تحلفوا؛ فهو نهي عن الحلف؛ وهذا الظاهر لي أنه بعيد؛ لأن الحلف قد ورد عن النبي ﷺ وعن الصحابة؛ فإنهم إذا احتاجوا إلى الحلف حلفوا.

والقول الثاني: لا تتركوها بغير تكفير؛ يعني: إذا حلفت وحنثت- أي: خالفت حلفك- فيجب عليك أن تكفرها؛ فلا تتركها من غير تكفير.

---

(١) [المائدة:٨٩]

وقال بعضهم: احفظوا أيمانكم عن الحنث، فلا تحنثوا؛ لا تخالفوا ما حلفتم عليه.

هذه أقوال في تفسير الآية، والمؤلف قد ساق هذه الآية: {واحفظوا أيمانكم} هنا بناءً على المعنى الأول؛ وهو: لا تحلفوا.

قال المؤلف رحمه الله: **(عن أبي هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الحلْفُ مَنْفَقَةٌ للسِلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ للكَسْب". أخرجاه[1])**

معنى منفقة للسلعة: عندما يأتيك شخص يريد أن يشتري منك بضاعة؛ تقول: والله ثمنها بكذا أو وصفها كذا وكذا؛ يصدقك ويأخذ منك السلعة؛ فهو منفقة للسلعة؛ أي: تذهب سلعتك وتمشي؛ تبيعها؛ ولكنه ممحقة للكسب.

لكن هل الحديث على إطلاقه؟

لا إنما المقصود من ذلك: الحلف الكاذب؛ أن تحلف للناس حلفاً كاذباً، وجاء في بعض الأحاديث تقييد هذا الإطلاق؛ أنه حلف كاذب يحلفه الشخص فيكون منفقة للسلعة؛ ولكنه محقة للكسب، فيمحق الله سبحانه وتعالى بركة البيع.

يريد المؤلف هنا من ذكر الإطلاق: "الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب": المنع من الحلف وحفظ اليمين.

---

(١) أخرجه البخاري(٢٠٨٧)، ومسلم(١٣١).

قال المصنف رحمه الله: **(عن سلمان: أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهم اللهُ ولا يُزَكِّيهم ولهم عذابٌ أليم: أُشَيْمِطٌ زانٍ، وعائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، ورَجُلٌ جَعَلَ الله بِضاعَتَهُ، لا يَشْتَرِي إلا بيمينه ولا يبيعُ إلا بيمينه". رواه الطبراني بسندٍ حسن)**

(ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم) هذا كله عذاب لهم وعقاب؛ (لا يكلمهم الله) كما يكلم أهل الإيمان والصلاح، أي كلام رِضا، (ولا يزكيهم) لا يطهرهم من دنس ذنوبهم، وقيل: لا يُثني عليهم، (ولهم عذاب أليم).

(أشيمط زاني) أشيمط: كبير في السن، وكبير السن تضعف شهوته، لا تكون عنده قوة الشهوة التي عند الشباب، فمبرره للوقوع في الزنا ضعيف؛ فلماذا يزني إذاً، إلا أن تقوى الله سبحانه وتعالى في نفسه ضعيفة؟

(وعائل مستكبر) تصور إنساناً فقيراً ويستكبر، يعني الغني عنده مال يدفعه إلى أن يستكبر- هذا ممكن-، لكن الفقير على ماذا يستكبر؟

(ورجلٌ جعل الله بضاعته؛ لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه) يعني: يحلف على الصغيرة والكبيرة، ما يحتاج يميناً وما لا يحتاج.

(رواه الطبراني[1] بسند صحيح)

قال المصنف رحمه الله: **(وفي "الصحيح"[2]: عن عمران بن حصين؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "خير أمتي قرني، ثم الذين يَلونَهم ثم الذي يلونهم"- قال عمران: فلا أدري أذكر بعد**

---

(١) (٨٢١)

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢١٤).

قرنه مرتين أو ثلاثة؟- ثُمّ إنَّ بَعْدَكُمْ قومٌ يَشْهَدونَ ولا يُسْتَشْهَدونَ، ويخونون ولا يُؤْتمنون، ويَنذرون ولا يوفون، ويَظْهَرُ فيهم السِّمَنُ")

(قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثة؟) الصحيح: أنه قال ثلاثة قرون كما جاء في حديث آخر؛ "خير الناس قرني" وهم قرن الصحابة، "ثم الذين يلونهم" هم التابعون الذين أخذوا عن الصحابة، "ثم الذين يلونهم" وهم أتباع التابعين الذين أخذوا عن التابعين؛ هذه القرون الثلاثة الفاضلة.

(ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون) لاستخفافهم بالشهادة وعدم معرفة ثقلها ووزنها؛ يبادر مباشرة ويشهد؛ مع علم صاحب الشهادة بأن عنده شهادة ولم يطلبها منه؛ يأتي هو ويقدم شهادته؛ لأنه مستخف بها.

(ويخونون ولا يؤتمنون) يعني: يضعف دينهم فتنتشر الخيانة للأمانات.

(وينذرون ولا يوفون) وكل هذا بسبب ضعف الدين، وقلة التقوى؛ يكثر من النذر ولا يفي بنذره.

(ويظهر فيهم السِّمَنُ) من الدعة والراحة وعدم العمل؛ وحصل كل ما ذكره بعد القرون الثلاثة الأولى؛ وهذا كله فيه إشارة إلى رقة الدين وضعفه بعد القرون الثلاثة الأولى، التي هي قرون العلم والإيمان والتقوى والصلاح، ثم بعد ذلك ينتشر الفساد في الناس والله المستعان.

قال المؤلف رحمه الله: **(وفيه عن ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تَسْبِقُ شهادةُ أحدهم يمينهُ، ويمينُهُ شهادتَهُ"[١]. قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهدِ ونحن صغارٌ)**

حديث عمران بن حصين المتقدم، وحديث ابن مسعود هذا بنفس المعنى، والشاهد في حديث ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"- فذكر هنا ثلاثة قرون- ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمنه ويمينه شهادته" وهذا هو الشاهد: أنه مستعجل؛ إما أن يعطي الشهادة، أو يعطي اليمين؛ ولا يبالي بذلك؛ وذلك لخفتها عنده وعدم المبالاة؛ وهذا لرقة الدين.

(قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار) وهذا يبين لنا أن السلف كانوا يربون أبناءهم من الصغر على التخلق بأخلاق الإسلام، والعمل بشريعة الله تبارك وتعالى، وهو وإن لم يكن مكلفاً؛ لكن هذا التمرين والتدريب والرياضة هي التي تثبته على هذا العمل؛ فالولد ينشأ على ما يتربى عليه؛ "أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[٢] كما قال النبي ﷺ، فليست المسألة أن تعلمهم: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وينتهي الأمر؛ لا؛ أنت تريد أن تعلمه أن يلتزم بشريعة ربه من صغره؛ هذا ديدن السلف كما جاء في بعض الروايات في الصحيح؛ قالوا: (كنا نعطي الولد اللعبة من العهن) أي: من الصوف، يُلَهَّى بها حتى يكمل صيامه؛ هذه طريقة السلف في التربية، ثم هنا ماذا يقول؟ قال: (كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار) وهم صغار في السن، الذي يقول بأن الصغير لا يضرب؛ هذا الكلام خطأ، لا يسلم له؛ لكن الضرب يكون ضرباً بحكمة، ضرباً تأديبياً تعليمياً، ليس ضرباً وحشياً يجرح أو يكسر، أو يكون الضرب لفش الغل كما يحصل لكثير

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢١٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٩)، ومسلم (٢٩).

من الأمهات؛ هذا لا يجوز، المهم أنهم كانوا يربونهم من الصِّغر على معرفة عِظَمِ الشهادة، والوفاء بالعهد، وعدم الاستخفاف بذلك.

الباب الثاني والستون: باب ما جاءَ في ذِمَّةِ الله وذِمَّةِ رسوله

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(باب ما جاء في ذِمَّةِ الله وذِمَّةِ رسوله)**

أي: من الأدلة التي تدل على وجوب الالتزام بذمة الله وذمة رسوله إذا أعطيت لأحد؛ وهذا المقصود بذمة الله وذمة رسوله؛ يعني: عهد الله وعهد رسوله ﷺ، وهذا الباب عقده المؤلف ليبين أن عدم الوفاء بعهد الله وعهد رسوله هو تنقص لهم؛ وهذا مخلٌّ بالتوحيد.

قال المصنف: **(وقول الله تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}[١])**

قال أهل العلم: هذا مما يأمر الله تعالى به؛ وهو الوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأيمان المؤكدة وعدم الإخلال بها، وهذا طبعاً- وهو المحافظة على الأيمان- مخصّوص بما إذا حلفت على يمينٍ فرأيت غيرها خيراً منها؛ أن تكفر عن يمينك وأن تأتي الذي هو خير كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ، فكفارتك التي تكفرها؛ يعني: ترفع إثم اليمين ولا يدخل صاحبها فيما هو مذموم من هذا الباب.

({ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها}) يعني: بعدما أكدتم اليمين بالحلف على الشيء، قاصدين الحلف عليه؛ فلا يجوز لكم أن تخلوا بهذا اليمين؛ تعظيماً للذي حلفتم به، أنتم حلفتم بالله

---

(١) [النحل:٩١]

سبحانه وتعالى، فتعظيماً لله سبحانه وتعالى؛ لا تخلوا به، لكن أَذِنَ الله سبحانه وتعالى لنا إذا رأينا أن الخير في غير ما حلفنا عليه؛ أن نأتي الذي هو خير، وأن نكفر عن أيماننا؛ فتكفيرنا عن أيماننا هذا لا يجعلنا مخلّين بتعظيم الله سبحانه وتعالى باليمين الذي حلفنا.

فالشاهد من الآية قوله: {وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها} أمر بالوفاء بالعهد إذا أعطيتموه، وأمر أيضاً بعدم نقض اليمين؛ لأن عهد الله واليمين بالله سبحانه وتعالى؛ كله فيه تعظيم لله سبحانه وتعالى؛ فلا ينبغي الإخلال بذلك.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وعن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّرَ أميراً على جيشٍ أوْ سَريةٍ؛ أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومنْ مَعَهُ من المسلمينَ خيراً؛ فقال: "اغْزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا مَنْ كفَرَ بالله، اغْزوا ولا تَغُلُّوا ولا تَغْدروا، ولا تُمَثِّلوا ولا تقتلوا وَليداً، وإذا لَقيْتَ عَدوَّكَ من المشركين؛ فَادْعُهُم إلى ثلاثِ خِصالٍ-أو خِلالٍ-فَأَيَّتُهُنَّ ما أجابوكَ؛ فَاقْبَلْ منهم وكُفَّ عنهم، ثم ادْعُهُمْ إلى الإسلام، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ تعالى، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسَأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ**

وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا". رواه مسلم[(١)])

ينبغي أن يتعلم هذا الحديث كل من أراد الجهاد في سبيل الله؛ حتى يعرف أحكام الشرع، ليس هذا الحديث فقط؛ بل كل أبواب الجهاد، ينبغي للإنسان إذا أراد أن يتعبد لله بعبادة أن يتعلمها قبل أن يبدأ بها؛ حتى لا يقع فيما حرم الله، ولا يفعل ما لم يرده الله سبحانه وتعالى.

(كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية) الجيش: عدد كبير من الرجال من المقاتلين، والسرية: قالوا عددها تقريباً أربعمائة مقاتل، أو ما يقارب ذلك، وأما الكتيبة: فهي قطعة من الجيش، أكبر من السرية وأقل من الجيش؛ فهي قطعة من الجيش، وإن جاء في بعض تفاسير أهل العلم أنها هي الجيش؛ لكن الظاهر أن المقصود أنها قطعة منه، كما جاء في تفاسير أخرى، فهي قطعة من الجيش لكنها أكبر من السرية، قال بعضهم: تصل إلى ألف مقاتل.

هذه التقسيمات الموجودة عند العرب: السرية قرابة الأربعمائة، الكتيبة: تصل إلى ألف تقريباً، والجيش يكون أكبر من هذا، والجيش العرمرم: يكون جيشاً جراراً وله أكثر من اسم.

(أوصاه في خاصته بتقوى الله) يعني: أن النبي ﷺ عندما كان في المدينة، فعندما يرسل الكتيبة أو السرية أو الجيش في الغزوات للقتال؛ كان يؤمر عليه أميراً، تارة كان يؤمر أبا عبيدة بن الجراح، وتارة يؤمر خالد بن الوليد، وتارة أسامة بن زيد؛ فأمَّرَ عليه الصلاة والسلام مجموعة من أفاضل أصحاب النبي ﷺ، فكان إذا أرسل أميراً علمه ما يجب عليه

---

(١) (١٧٣١)

في قيادة الجيش الذي سيقوده إلى المعركة؛ فأول شيء: يوصيه في خاصته بتقوى الله؛ لأن الموضع الذي هو فيه الآن- وهو قيادة جيش- هذا ربما يدعو الإنسان-إذا كان إنساناً يعني ضعيفاً في إيمانه- يدعوه إلى الاغترار بنفسه، وإلى رؤية نفسه، وإلى التجبر وعدم رحمة الناس، وإلى مخالفة شرع الله سبحاته وتعالى لما تهواه نفسه؛ فكان النبي ﷺ يحذرهم من هذا؛ فيوصيه في خاصته بتقوى الله؛ أول شيء عندما تتولى أمراً من أمور المسلمين يجب أن تتذكر دائماً تقوى الله سبحانه وتعالى، أيُّ أمر من الأمور سواءً كنت عالماً أو كنت مجاهداً أو كنت وزيراً أو كنت رئيساً؛ أو أي شيء من أمور المسلمين العامة، إذا توليتها تذكر دائماً: أن المسؤولية عليك أعظم وأكبر من المسؤولية التي على غيرك ممن لم يتولَّ ما توليت؛ فأنت بحاجة إلى أن تكون صاحب تقوى أكثر من غيرك في هذا الجانب؛ فلذلك تستحضر دائماً تقوى الله سبحانه وتعالى، والخوف منه، تستحضر دائماً أن هذا الذي أنت فيه كله زائل، ولن ينفعك- والله الذي لا إله إلا هو- لن ينفعك إذا لم تتق الله سبحانه وتعالى، ولم تخفه، ولم تعمل فيه بتقوى الله سبحانه وتعالى، تذكر دائماً إن عصيت الله سبحانه وتعالى؛ فإنك ستعاقب، ستعذب، وسيكون هذا المكان الذي أنت فيه وبالاً عليك، وإذا أطعت الله سبحانه وتعالى؛ سيكون هذا المكان الذي أنت فيه رفعة لك عند الله سبحانه وتعالى؛ فتذكر هذا الأمر دائماً، في أي منصب أو أي مكانة تكون فيها في شرع الله ودينه؛ وخصوصاً في المسائل العلمية الشرعية الدينية؛ هذه مراكز حساسة، أن تكون طالب علم تستفتى أو تُعلم؛ هذا مركز حساس جداً، ويحتاج منك إلى تقوى الله سبحانه وتعالى، وإلى المخافة من الله سبحانه وتعالى في كل كلمة تتكلم بها، ومن الأشياء التي ينبغي أن تزيدك خوفاً من الله سبحانه وتعالى: أن ترى من الناس أنهم يسمعون كلامك ويأخذون بفتواك؛ هنا صار الحمل مضاعفاً عليك، وكبيراً على ظهرك؛ لأنك ستسأل عن كل كلمة وعن كل عمل يعمله الناس بفتاويك. أسأل الله أن يسلمنا وإياك.

قوله: (أوصاه في خاصته بتقوى الله) هذه وصية عامة وليست فقط للأمير، لكن الأمير في مركز احتاج إلى أن يذكر بهذا الأمر، كذلك العالم والمجاهد؛ كل من تسلم أمراً من أمور المسلمين يؤثر على دعوة الله سبحانه وتعالى؛ فينبغي عليه أن يكون أكثر تقوى من غيره من الناس.

(ومن معه من المسلمين خيراً) يعني: أوصاه بتقوى الله في خاصة نفسه؛ أي: أن يتقي الله هو في نفسه- في أعماله، وأن يتقي الله أيضاً في المسلمين الذين معه؛ لأنه سيسأل عن هؤلاء الناس الذين هم تحت إمرته.

انظر إلى عظم المسؤولية! والله إني لأعجب كل العجب من الذين أراهم يستميتون على حب الرياسة والصدارة! ما الذي يجعلهم يستميتون على ذلك؟ لا تعرف! هوى في النفس نعوذ بالله، وإلا لو قدّر الإنسان هذه المسؤولية التي سيضع نفسه فيها، وعرف حقيقة ما سينبني عليها؛ ما أظنه جرؤ على أن يطلب مثل هذا المكان، ولحاول أن يفرَّ منه بكل ما أمكنه.

(اغزوا باسم الله، في سبيل الله) يعني: انطلقوا في فعل الغزو، و الغزو: هو الذهاب لمحاربة العدو، (باسم الله): مستعيناً بالله تبارك وتعالى، وأنت عندما تغزو مستعيناً بالله تبارك وتعالى؛ فذلك يعني أن تغزو في سبيل الله، أما أن تستعين بالله سبحانه وتعالى وتغزو غزواً محرماً؛ لا ينفعك، لابد أن تستعين بالله في غزو شرعي؛ لذلك قال: "اغزوا باسم الله، في سبيل الله"، يكون غزوك في سبيل الله فقط ولا يكون في سبيل الشيطان، لا تغزو في سبيل الاشتراكية، ولا في سبيل الديمقراطية، ولا لأجل جمع المال والحصول على المراكز والرياسة، انظروا إلى حال كثير ممن يقاتل اليوم؛ تجدهم من هذه الأصناف؛ يقاتل من أجل الاشتراكية، يقاتل من أجل الديمقراطية، يقاتل من أجل الحرية؛ وهذي ينبغي أن نقف عندها وقفة:

ماذا تريد من الحرية؟ أي حرية تريد؟ هل الحرية من شريعة الله وأحكامه؟ أم الحرية من ظلم وتجبر الظالم؟ هنا ينبغي أن تسأل نفسك، عندما تقول: أريد الحرية؛ ما هي الحرية؟ الحرية من أحكام الله وشرعه؟ نعوذ بالله؛ المطالبة بذلك وبال على صاحبها، ولا ينال من وراء ذلك إلا الذل والهوان في الدنيا والآخرة.

أو الحرية من تسلط الكافر الظالم؟ هذه مطلوبة؛ لكن كيف تحصل عليها؟ ينبغي أن ترجع إلى شرع الله وتسأل عن الطريقة للحصول عليها، وليست بالفوضى، ولا بالتصرفات العشوائية، أو بما يحلو لك وبما يطرأ على عقلك من أفكار؛ لا، المطالبة بالحرية من ظلم الظالم أو تسلط الكافر ينبغي الرجوع فيه إلى علماء السنة الربَّانيين كي يعلموك كيف يكون ذلك؟

إنها حرية مختلطة، وهذا حال كثير للأسف؛ يريد حرية من شعائر الله ومن دين الله، ويريد حرية من الظالم الكافر، وهذا الذي يطالب بالديمقراطية؛ هذا معناه إنها مختلطة هكذا وهكذا؛ هل هذا في سبيل الله؟ لا والله؛ "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"؛ هذا الذي يكون قتاله في سبيل الله، وينبغي أن يكون قتالاً شرعياً بعد أن يفتي العلماء بحله وجوازه؛ فنوازل مثل هذه، فتاوى في الدماء؛ يُرْجع فيها إلى العلماء الراسخين؛ لأنهم هم الذين عندهم العلم، وزالت عنهم شهوة الشباب وتسرعه؛ فيستطيعون أن يحكموا بناءً على ما يرضي الله، لا بناءً على ما يراه الشباب بتسرعهم وبما يحصل في صدورهم من ثوران.

(قاتلوا من كفر بالله) القتال يكون للكفرة كي تزال العقبات أمام نشر دين الإسلام، دائماً الذين يسيطرون على بلاد الكفار يحاولون أن يشوهوا صورة الإسلام، ويحاولون أن يضعوا الموانع التي تمنع وصول الإسلام للناس بالصورة الصحيحة؛ فهذه الموانع لاتزال إلا بالجهاد- بالقتال- فلما يحصل الجهاد؛ تزال وترفع هذه الموانع ويمنع هؤلاء من الوقوف عقبة

أمام نشر الإسلام، ورفع شعائر الدين؛ هذا جهاد الطلب، وجهاد الدفع هو لحفظ بيضة المسلمين، حفظ رأس مالهم؛ هذه الحكمة من الجهاد الشرعي- جهاد الطلب وجهاد الدفع- وكلاهما الأدلة متواترة وكثيرة عليه في الكتاب والسنة، الجهاد من أصول شرع الله ومن أصول الإسلام، ومن نفاه أو كذب به أو جحده؛ فأمره خطير، هذا معنى الجهاد في سبيل الله: "قاتلوا من كفر بالله"، لا من آمن بالله، فالقتال يكون للكفار يا أيها الخوارج! لا يكون للمسلمين، لكن عندما أراد الخوارج أن يمهدوا لأهوائهم عند المسلمين؛ ما استطاعوا أن يصلوا إليها إلا بتكفيرهم، فإذا كفروهم استباحوا دماءهم، واستحلوا أموالهم، ولو لم يكفروهم؛ لما استطاعوا لا قتلهم ولا أخذ أموالهم؛ لأنهم مسلمون، فلكي يجَوِّزوا لأنفسهم هذا الأمر ويفعلوه باسم الشريعة؛ كفروا المسلمين وصاروا يقاتلونهم على أنهم كفار؛ هذا حال الخوارج- الإخوان المفلسون والدواعش والقاعدة ومن شابههم-، "قاتلوا من كفر بالله" لا من آمن بالله؛ لذلك ترسل الغزوات: لقتال الكفار لا لقتال المؤمنين.

وقتال المسلمين يشرع في بعض الأحيان، لا كما يزعم بعض دعاة الضلال أن المسلم لا يقاتل بحال؛ هذا جاهل، مثل هذا الكلام لا أدري كيف يخرج من شخص يدعي أنه معلم وأنه فقيه؟ والآيات في كتاب الله تنص على قتال بعض المسلمين البغاة إذا امتنعوا من الصلح؛ الخوارج أمر النبي ﷺ بقتالهم، كذلك المحاربون نحن مأمورون بقتالهم؛ وإن كانوا جميعاً مسلمين- البغاة والخوارج والمحاربين- وهذا كله له تفصيلات طبعاً يرجع فيها إلى كتب الفقه.

(اغزوا ولاتغلوا) اغزوا في سبيل الله، قاتلوا المشركين، ونهى عن الغلول، والغلول: هو السرقة من أموال الغنيمة؛ وهذه كبيرة من الكبائر؛ لأن النبي ﷺ لما مات أحد من كان

يقاتل معه ﷺ، قالوا: هنيئاً له الجنة؛ قال: "إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه في النار"[١]، فالغلول من كبائر الذنوب.

(ولا تغدروا) إذا عاهدتم عهداً فلا تغدروا؛ لا تنقضوا العهد؛ فالغدر محرم والوفاء بالعهد واجب، حتى إن أحد الصحابة- أذكر أنه حذيفة وأبوه- أمسكهم الكفار، فأعطوه عهداً أنهم إذا أطلقوا سراحهم ألا يقاتلوهم مع النبي ﷺ؛ فجاؤوا إلى النبي ﷺ واستأذنوه في القتال؛ فمنعهم النبي ﷺ إيفاءً بالعهد[٢]، انظر إلى هذا المثل وانظر إلى ما يفعله الخوارج ومن شابههم ممن يشوِّه دين الإسلام.

(ولا تمثلوا) التمثيل هنا: هو التشويه في القتيل؛ بأن تقطع أنفه مثلاً، أو تقطع أذنيه، تشوه جسده بهذه الطريقة؛ هذا يسمى تمثيلاً، وهو منهي عنه.

والعلماء ينقلون الاتفاق على ذم الغلول وتحريم الغدر.

(ولا تقتلوا وليداً) المقصود: لا تقتلوا الذراري والأولاد.

(وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال- أو خلال- فأيَّتُهن ما أجابوك؛ فاقبل منهم وكف عنهم) هذا الحديث في هذه الفقرة: "وإذا لقيت عدوك من المشركين" لم يخصص أهل الكتاب من غيرهم؛ فاستدل به العلماء على جواز أخذ الجزية من أهل الكتاب ومن غيرهم؛ فالمشركون في حال قوة أهل الإسلام مخيرون بين الثلاث؛ هذه التي ذكرت في الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٣٤)، ومسلم (١٨٢، ١٨٣)

(٢) أخرجه مسلم (٩٨).

(ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فأقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين) يعني: المدينة؛ وهذا كان في أول الأمر وقت أن كانت الهجرة واجبة إلى المدينة على كل من دخل في الإسلام، وهذا قد نسخ بعد الفتح.

(وأخبرهم: إنهم إن فعلوا ذلك؛ فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين) لأنهم صاروا مثلهم؛ فلهم حقوقهم وعليهم واجباتهم.

(فإن أبوا أن يتحولوا منها؛ فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين) هم مسلمون، يبقون مسلمين؛ لكن ليس لهم من الحقوق ما للمهاجرين.

(يجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء) لأنهم لا يقاتلون مع المسلمين.

(إلا أن يجاهدوا مع المسلمين) فيكون لهم في الغنيمة والفيء.

(فإن أبوا) رفضوا

(فاسألهم الجزية) يعني: اطلب منهم الجزية، والجزية هذه: مبلغ من المال يفرض على المشركين من أهل الكتاب وغيرهم، تفصيلاته: كم مبلغه؟ وممن يؤخذ؟ في كتب الفقه.

(فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا؛ فاستعن بالله وقاتلهم) ما بقي إلا الثالثة، إما الإسلام أو الجزية أو القتال؛ هذا كله في حال قوة المسلمين، أما في حال ضعفهم- كحالنا اليوم- ؛فهنا الصلح والعهد.

(وإذا حاصرت أهل حصنٍ) قلعة، إذا حاصرتها، يعني: أغلقت عليها جميع المنافذ التي تمكنهم أن يخرجوا أو يدخلوا إليها، من أجل أن يقطع عنهم الإمدادات والمال والطعام والشراب؛ حتى يخضعوا.

(فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيّه) يعني: إذا حصل الحصار واختنقوا؛ عندئذٍ يطالبون بالعهود من أجل أن ينزلوا من حصونهم، فيطالبون بذمة الله وذمة نبيه- يعني: بعهد الله وعهد نبيّه ﷺ- وهذا الشاهد الآن من الكلام، والمؤلف ساق الحديث لأجل هذه الفقرة؛ قال:

(فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه) انظر الآن السبب هنا؛ فهو المراد عند المؤلف؛ قال له: (لا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه) لا تجعل لهم عهد الله وعهد نبيه؛ لعظم ذلك: أن تعطي عهد الله أو عهد رسوله؛ هذا أمر عظيم.

(ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك) يعني: عهدك وعهد أصحابك، وانظر التعليل:

(فإنكم إن تخفروا ذممكم) يعني: تنقضوا عهودكم التي أعطيتموها على أنفسكم، وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه؛ لعظمها.

(وإذا حاصرت أهل حصنٍ فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله؛ فلا تنزلهم على حكم الله)؛ لإنك لا تدري هل تصيب حكم الله أم لا.

(ولكن أنزلهم على حكمك؛ فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا) فأنت تنزلهم على حكمك، وتحاول أن تصيب فيهم حكم الله سبحانه وتعالى، لكنك لا تدري هل تصيبه أم تخطئه؟ فلذلك تنزلهم على حكمك لا على حكم الله سبحانه وتعالى.

هذا فيه فقه عظيم؛ لكن المقام لا يتسع لشرحه بالكامل، والشاهد ما ذكرناه لكم في النهاية.

الباب الثالث والستون: باب ما جاءَ في الإقْسامِ على الله

قال المؤلف: **(باب ما جاء في الإقسام على الله)** يعني: الحلف على الله، ولم يقل المؤلف: تحريم أو تحليل ما جاء في الإقسام على الله؛ بل أطلق فقال: (باب ما جاء في الإقسام على الله) يعني: من أدلة؛ لأن الإقسام على الله قسمان؛ لذلك لم يذكر حكماً واحداً جازماً به؛ فذكر (باب ما جاء في الإقسام على الله).

وقد جاء فيه حديثان: حديث يدل على تحريم الإقسام على الله سبحانه وتعالى، وحديث يدل على جواز الإقسام على الله سبحانه وتعالى، وأن من أقسم على الله أبره.

الحديث الأول:

قال المؤلف رحمه الله: **(عن جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله: "قال رجلٌ: والله! لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى عَلَيَّ أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك". رواه مسلم[1].**

وفي حديث أبي هريرة[2]: إن القائل رجل عابد. قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته).

تصور إنساناً عابداً يقول مثل هذا الكلام! وهي كلمة واحدة؛ لكنها أفسدت عليه دنياه وآخرته، انظر تبعات اللسان؛ قال النبي ﷺ: "وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟"[3]، اللسان يا إخوان أمره خطير جداً، والإنسان لو علم خطورة ما يخرج من لسانه؛ لأمسك لسانه عن كل ما لا ينفع، وما تكلم إلا عند المصلحة الراجحة،

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٧).
(٢) أخرجه أحمد (٨٢٩٢)، وأبو داود (٤٩٠١).
(٣) أخرجه أحمد (٢٢٠١٦)، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٩٧٣).

وهذا لا يشمل فقط اللسان؛ بل يشمل أيضاً الكتابة على الإنترنت؛ فكله يسأل عنه الإنسان يوم القيامة؛ ما يكتب وما يقول؛ كله مسؤول عنه، فهذا الذي نراه الآن على الإنترنت شيء ومحزن الله؛ منافسات ونزاعات وخصومات وفتاوى من أناس لا يعرفون شيئاً عن الشريعة إلا بعض الثقافة التي سمعوها من هنا وهناك، جرأة عجيبة، وإنكار في مسائل لا يعرفون حقيقتها أصلاً، وهل هي مسائل محل إجماع أم محل خلاف؟ وما وجه الخلاف؟ شيء محزن والله، عندما أرى هذه الخصومات والعداءات الحاصلة على الإنترنت أحزن والله، وأقرأ كلاماً؛ فأقول: والله هذا لو تعلّم لضحك على نفسه من هذا الكلام الذي يكتبه، ولبكى على نفسه أن كتب كلاماً مثل هذا سيسأل عنه عند الله سبحانه وتعالى، هذا كثير، وكثير جداً، ينبغي للإنسان أن يكون ورعاً في هذا الجانب بارك الله فيك، استفد من الإنترنت، استفد من المشايخ، من العلماء، تابع صفحاتهم، تابع كلامهم، واكتف بهذا واسكت، لا تدخل في جدالات ونقاشات مع إخوانك ومع غيرهم؛ حتى إني أرى بعض الإخوة لهم كتابات- والله- يجادلون المبتدعة! من أنت حتى تجادله؟ أنت من الناحية العلمية فارغ- والله- أراهم وأرى كتاباتهم فأعرف مستوياتهم العلمية من خلال الكتابات؛ هو فارغ ما عنده شيء، والمبتدع ربما يناقشه بطريقة عنده فيها علم، وهو يناقش بطريقة جهل؛ هل هذا محلك؟ هل مكانك هذا الذي وضعت نفسك فيه؟ ألم ينهك السلف عن هذا؟ سبحان الله! ويقول لك: أنا سلفي! هل تظن السلفية مجرد دعوى؛ تقول: أنا سلفي وينتهي الأمر؟ السلفية اتباع منهج- بارك الله فيك-، تعرّض نفسك للشبهات؛ وتقول: أنا سلفي؟! لن تدوم لك السلفية إلا أن يشاء الله فقط، عندما تضع نفسك في محل الشبهات تتلقفها، ويأتيك بعد ذلك البعض ويرسل لك: قال لي فلان شبهة كذا! وقال لي فلان شبهة كذا؛ هذا لا ينتهي، إلى متى؟ أنا لا أستطيع أن أجيبك عن كل الشبهات التي تطرأ عليك بما أنك قد فتحت المجال على نفسك.

هذا الحديث الذي بين أيدينا- حديث جندب بن عبد الله- يدل على عدم جواز التألّي على الله؛ يعني: الحلف على الله بأن يغفر الله لفلان أو لا يغفر لفلان، من أنت حتى تحكم على الله أن يغفر لفلان أولا يغفر لفلان؟ هذا أمر بيد الله سبحانه وتعالى، ولا أحد يحكم على الله في ذلك، هذا الرجل الذي تألّى على الله كان عابداً معجباً بنفسه يرى نفسه أنه على الطاعة، ويرى أن ذاك على المعصية؛ فخرجت منه هذه الكلمة فأهلكته.

القسم الثاني؛ وجاء فيه: أن أحد الصحابة الفضلاء حلف أن لا تكسر سن أخته، والله سبحانه وتعالى أمضى هذا الأمر وما كسرت سنها، وقَبِلَ الذين كسرت أخته سن ابنتهم بالعوض؛ فقال فيه النبي ﷺ: "إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره"[1]، كان رجلاً صالحاً، وعندما أقسم على الله أقسم من باب حسن الظن بالله، وأقسم في شيء ليس فيه تعدٍ على الله سبحانه وتعالى؛ فمثل هذا جائز، وقد قال النبي ﷺ أيضاً: "رب أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره"[2]؛ إذاً: الإقسام على الله جائز عند حسن الظن بالله سبحانه وتعالى، وأن تقسم في شيء يجوز لك القسم فيه، وليس فيه اعتداءٌ على الله سبحانه وتعالى، ولا يجوز عندما تتفاخر؛ فتقول: يغفر الله لفلان أو لا يغفر لفلان؛ هذا المقصود من هذا الباب؛ فمن تألى على الله فقد أساء الأدب معه، وتحجَّر فضله، وأساء الظن به؛ وكل هذا ينافي كمال التوحيد، وربما ينافي أصل التوحيد؛ فالتألي على الله سبحانه وتعالى تألٍّ على عظيم، والتألي على العظيم يعتبر تنقصاً في حقه، على هذا الوجه الذي ذكرنا.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٣)، ومسلم (٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨).

وانظر البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٤٦).

الباب الرابع والستون: باب: لا يُسْتَشْفَعُ باللهِ على خَلْقِهِ

قال المؤلف رحمه الله: **(باب: لا يُسْتَشْفَعُ باللهِ على خَلْقِهِ)**

معنى الاستشفاع: طلب الشفاعة، والاستشفاع بالله: أن تجعل الله سبحانه وتعالى شافعاً لك عند أحد؛ يعني: أن تطلب من الله سبحانه وتعالى أن يشفع لك عند النبي ﷺ أو عند غيره؛ وهذا محرم، لا تطلب من الله الشفاعة؛ أن يشفع لك عند أحد من خلقه، قال أهل العلم: عندما تأتي لزيد من الناس وتقول له: اشفع لي عند عمروٍ، يقولون: هنا يكون عمرو أعلى منزلة من زيد الذي سيشفع عند عمرو، وهذا إذا فعلته مع الله تبارك وتعالى؛ تكون قد استنقصت ربك تبارك وتعالى وجعلته أقل منزلة من نبيّه ﷺ أو من أحد من خلقه؛ لذلك قالوا: هذا منافٍ للتوحيد؛ هذا معنى هذا الباب.

(لا يستشفع بالله) يعني لا تجعل الله سبحانه وتعالى شافعاً لك عند أحد من الخلق، ما معنى شافعاً؟ أي: واسطة يتوسط لك عند أحد من الخلق لجلب منفعة أو دفع مضرة؛ هذا معنى الشفاعة وقد تقدم معناها معنا وذكرناه فيما تقدم من أبواب.

قال المؤلف رحمه الله: **(عن جبير بن مطعم؛ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! نُهِكَت الأَنْفُسُ، وجاعَ العِيالُ، وهَلَكَت الأَمْوالُ؛ فاسْتَسْقِ لنا رَبَّكَ، فإنَّا نَسْتَشْفِعُ باللهِ عليكَ، وبكَ على الله، فقال النبي ﷺ: "سبحان الله، سبحان الله!" فما زالَ يُسَبِّحُ حتى عُرِفَ ذلك في وجوهِ أصحابِهِ، ثم قال: "وَيْحَكَ، أَتَدْري ما الله؟ إنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذلكَ، أنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ باللهِ على أَحَدٍ" وذكر الحديث. رواه أبو داود)**

(نُهِكت الأنفس) يعني ضعفت الأنفس.

(وهلكت الأموال) يعني: الإبل والغنم والبقر التي تعيش على الأعشاب التي تنبت بالأمطار.

(فاستسق لنا ربك) استسق: يعني اطلب لنا السقيا من الله سبحانه وتعالى، يعني: ادع الله سبحانه وتعالى أن يمطرنا؛ أن ينزل علينا مطراً من السماء.

(فإنا نستشفع بالله عليك) أي نجعل الله سبحانه وتعالى شافعاً لنا عندك؛ واسطة يتوسط لنا عندك أن تقبل بدعائه.

(وبك على الله) وأنت نجعلك واسطة بدعائك؛ تدعو لنا ربك تبارك وتعالى كي يمطرنا.

(فقال النبي ﷺ: سبحان الله، سبحان الله!) كلمة تعجب وتنزيه لله تبارك وتعالى عما حدث من استنقاص بحقه تبارك وتعالى بهذا الكلام، سبحان الله: يعني أنزه الله عن النقائص وعما ذكرتموه.

(فما زال يسبح، حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه) عرفوا كراهية النبي ﷺ لهذا الكلام؛ لما فيه من استنقاص حق الله تبارك وتعالى، والنبي ﷺ لا يرضى بهذا أبداً.

(ثم قال: "ويحك!) قال للأعرابي: ويحك، هذه كلمة يذكرونها للترحم والزجر عن الفعل.

(أتدري ما الله؟) أتدري عظمة الله سبحانه وتعالى حتى تقول ما قلت.

(إن شأن الله أعظم من ذلك) وأنت استنقصته بما ذكرت.

(إنه لا يستشفع بالله على أحد) الله سبحانه وتعالى يأمر وينهى، لا يتوسط، لا يكون واسطة عند النبي ﷺ أن يدعو؛ بل يأمره يقول: ادع يا محمد؛ هكذا يفعل ربنا تبارك وتعالى؛ فشأن الله أعظم من أن يكون واسطة، وأن يوضع في هذه المنزلة.

(رواه أبو داود[1]) لكنه حديث ضعيف؛ لا يصح.

(١) (٤٧٢٦)

الباب الخامس والستون: باب ما جاء في حمايةِ المُصطفى ﷺ حِمى التَّوْحيدِ، وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(باب ما جاءَ في حِمايَة المصطفى ﷺ حِمى التَّوْحيدِ، وسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ)**

(حمى التوحيد) الحِمى: هو المكان المحمي الذي مُنع منه الغير، والمقصود بحمى التوحيد: يعني حول التوحيد، يعني وإن كان الشيء الذي نهى عنه النبي ﷺ ليس شركاً؛ إلا أنه يوصل إلى الشرك؛ فأغلق النبي ﷺ هذا الباب وحرّمه كي لا يصل الشخص به إلى الشرك؛ هذا معنى حمى التوحيد، يعني: العمل لا يصل إلى أن يكون شركاً؛ لكن لمّا كان طريقاً يوصله إلى الشرك؛ منع هذا الطريق وسد هذا الباب؛ هذا معنى حمى التوحيد.

وهذه المسألة هي التي تسمى عند علماء الأصول بـ: (سد الذرائع) وسد الذرائع: يعني إذا كان الشيء ذريعة- طريقاً يوصل إلى الشيء المحرّم- فيغلق هذا الطريق حتى لا نصل إلى الشيء المحرم، مثلاً: النبي ﷺ عندما نهى عن البناء على القبور، وأمر بتسوية القبر بالأرض فقال لعلي: "ولا تدعنّ قبراً مشرفاً إلا سوّيته" لماذا؟ حتى لا تعظَّم هذه القبور؛ حتى لا يصل الأمر إلى تعظيم هذه القبور وعبادتها؛ لذلك نهى عن رفع القبور كي لا تُعبَد مع الله تبارك وتعالى، فنفس البناء على القبر هو في ذاته ليس شركاً؛ لكنه يوصل إلى الشرك، فلكيلا يوصل إلى الشرك نهى عنه النبي ﷺ؛ هذا معنى حماية جناب التوحيد.

(وسدّه طرق الشرك) حَمى جوانب التوحيد، وكل طريق تؤدي إلى الشرك سدّه.

وقد تقدّم معنا معنى هذا الباب في باب سابق، وذكر فيه أشياء.

قال المؤلف رحمه الله: **(عن عبد الله بن الشِّخِّير؛ قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا؛ فقال: "السَّيِّدُ الله تبارك وتعالى"، فقلنا: وأَفْضَلُنا فَضْلاً، وأَعْظَمُنا طَوْلاً، فقال: "قولوا بقولكم، أو بَعْضَ قولكم، ولا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشيطان". رواه أبو داود[1] بسند جيد)**

(فقال: "السيد الله تبارك وتعالى") لاحظ هنا أن النبي ﷺ أراد أن يمنعهم من الغلو، خشي من غلوّهم؛ فأراد أن يمنعهم من ذلك خشية أن يقعوا في تعظيمهم للنبي ﷺ كتعظيمهم لله أو أعظم من ذلك؛ فسدّ الطريق عليهم ﷺ؛ فقال: "السيد الله" يعني من عادة العرب كانوا إذا دخلوا على ملك أو على رئيس أو على كبير من الكبراء أنهم يمدحونه ويفخمونه بألفاظ مختلفة؛ فقالوا هنا للنبي ﷺ: أنت سيدنا؛ فقال عليه الصلاة والسلام: "السيد الله تبارك وتعالى"، ماذا أراد من ذلك؟ أراد أن يسد عليهم باب الغلو فيه ﷺ، مع أنه سيّد، وقال عليه الصلاة والسلام: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر"؛ فإطلاق السيد عليه جائز لا بأس فيه؛ لكنه هنا أراد أن يغلق هذا الباب ويوقفهم عند حدّهم كي لا يتجاوزوا إلى الغلو فيه؛ فقال: "السيد الله تبارك وتعالى" أي: السيد المطلق الذي له السؤدد التام هو الله سبحانه وتعالى، والسيد المقصود به هنا: المالك، ومن معاني السيد: المالك، والملك التام المطلق لله سبحانه وتعالى.

(قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعمنا طَوْلاً) انظر الآن كيف!! أفضلنا فضلاً؛ يعني: أفضلنا شرفاً، وأعظمنا طولاً؛ يعني: أعظمنا غنى.

(فقال: قولوا بقولكم) يعني: أنت سيدنا أو أنت أفضلنا؛ قولوا بهذا القول.

---

[1] (٤٨٠٦).

(أو بعض قولكم) أو اقتصروا على البعض مما قلتم.

(ولا يستجرينكم الشيطان) استجراه الشيطان: جذبه وجرّه؛ أي: لا يسحبكم الشيطان إلى مجاوزة الحد؛ فاحذروا.

فأغلق النبي ﷺ باب الشرك بتعظيمه ﷺ كتعظيم الله أو أعظم من ذلك، خشي النبي ﷺ هذا؛ فأغلقَ الباب سَدَّ الذريعة.

قال المؤلف: **(وعن أنس: أن ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: "يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمدٌ عبد الله ورسوله، ما أُحِبُّ أنْ تَرْفعوني فوقَ مَنْزِلَتي التي أنزلني الله عز وجل". رواه النسائي[(١)] بسند جيد)**

(أن ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا) كل هذا الكلام حق، هو خيرنا وابن خيرنا؛ إذا حملنا: (ابن خيرنا) على إبراهيم وإسماعيل.

(يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان) قولوا بقولكم الذي ذكرتموه ولا يستهوينكم؛ يعني: لا يستميلنكم الشيطان إلى ما تهوى أنفسكم وتتبعوا طرقه.

(أنا محمد عبد الله ورسوله) انظر كيف أراد أن يغلق باب الغلو؛ فقال: أنا محمد عبد الله، فأنا عبدٌ خاضعٌ متذللٌ لله، ولست أكثر من هذا، ولا أزيد إلا بأني رسول لله تبارك وتعالى؛ فلست إلهاً ولا ابن إله؛ فالله سبحانه وتعالى لا ولد له كما قالت النصارى في

(١) أخرجه أحمد (١٣٥٩٦)، والنسائي في "الكبرى" (١٠٠٠٧).

عيسى عليه السلام؛ فأراد النبي ﷺ أن يغلق باب الغلو الذي قد يؤدي إلى ما أدى إليه غلو النصارى واليهود.

(ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل) انظر! يعني: هذه منزلتي: عبد لله ورسول له، لا إفراط ولا تفريط، ولا ترفعوني فوق هذا؛ فسدّ الباب عليهم.

الباب السادس والستون: (باب ما جاء في قول الله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ})

قال المؤلف: **(باب ما جاء في قول الله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[(١)])**

وما عظموا الله حق تعظيمه، ولو أنهم عظموا الله حق تعظيمه؛ لما أشركوا معه غيره ولأطاعوه، ولخضعوا وتذللوا له سبحانه وتعالى خضوعاً تاماً.

({وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة}) إذا كانت هذه الأرض كلها التي نراها قبضته يوم القيامة، {والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون} انظر الأرض هذه كلها! قبضته يوم القيامة، والسماوات المهولة العظيمة هذه مطوية بيمينه، هذه كلها صغيرة جداً أمام عظمة الله تبارك وتعالى، فلو أنك حقيقة تقدر الله سبحانه وتعالى حق تقديره؛ لما أشركت معه غيره، ولعرفت عظمته تبارك وتعالى، انظر قوله:{سبحانه وتعالى} ينزه نفسه عما يشركون؛ فكيف يكون له شريك وهو بهذه العظمة سبحانه وتعالى.

قال المؤلف: **(عن ابن مسعود قال: جاءَ حَبْرٌ من الأَحْبارِ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنَّا نَجِدُ أنَّ اللهَ يَجْعَلُ السماوات على إِصْبَعٍ، والأرضينَ على إصبع، والشَّجَرَ على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على أصبع، وسائِرَ الخَلْقِ على أُصْبعٍ؛ فيقول: أنا الملك؛**

---

(١) [الزمر:٦٧]

فضحك النبي ﷺ حتى بَدَتْ نَواجِذُه؛ تَصْديقاً لقول الحَبْرِ، ثم قرأ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} الآية. متفق عليه).

(حبر من الأحبار) عالم من علماء اليهود، الحبر: هو العالم، يقال له: حبر، ويقال له: بحر أيضاً.

(يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع) السماوات السبع والأرضين السبع.

(والثرى) يعني التراب.

(ثم قرأ : {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}) فلو أننا نقدر الله سبحانه وتعالى حق قدره ونعظّمه حق تعظيمه؛ لعبدناه وحده ليل نهار، وما أشركنا معه غيره، ولأثبتنا له ما أثبت لنفسه في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ، ونزّهناه عن جميع النقائص.

قال: **(وفي رواية لمسلم: "والجبالَ والشَّجَرَ على إصْبَعٍ، ثُمَّ يَهزُّهُنَّ؛ فيقول: أنا الملك، أنا الله".**

وفي رواية للبخاري: "يجْعَلُ السموات على إصْبَعٍ، والماءَ والثَّرى على إصْبَعٍ، وسائرَ الخَلْقِ على إصْبَعٍ. أخرجاه)

(أخرجاه) يعني البخاري ومسلم في صحيحيهما[١].

ختم المؤلف الكتاب بهذا الحديث حتى يبيّن عظمة الله تبارك وتعالى، وما يجب علينا من تعظيمنا لله تبارك وتعالى، وما يلزم من ذلك من عدم الشرك به وتوحيده تبارك وتعالى بجميع أنواع التوحيد.

---

(١) البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦)

قال المؤلف رحمه الله تعالى: **(ولمسلم[1] عن ابن عمر مرفوعاً: "يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟")**

(مرفوعاً) مرفوعاً يعني إلى النبي ﷺ.

(أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟) الذين يقهرون الناس ويذلونهم ويتكبرون عليهم؛ هؤلاء هم المقصودون.

قال: **(وروي عن ابن عباس؛ قال: ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخَرْدَلَةٍ في يد أحدكم[2])**

الخردل: نبت له حب صغير جداً، وبه يضرب المثل في شدة الصغر، تصور أنت هذه الحبة الصغيرة جداً في يدك كأنها لا شيء! كذلك السماوات السبع والأرضون السبع في كف الله تبارك وتعالى؛ هذا كله يَدُلك على عِظَم الله تبارك وتعالى وقدر صغر الأشياء أمام عظمته تبارك وتعالى.

قال: **(وقال ابن جرير[3]: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب؛ قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: "ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس".**

---

(١) (٢٧٨٨)
(٢) أخرجه الطبري في "تفسيره" (٢٤/٢٥)
(٣) أخرجه الطبري (٥٧٩٤).

وقال أبو ذر سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض")

الترس: هو شيء من الفولاذ يحمله المحارب يتقي به ضربة السيف والرمح.

(كحلقة من حديد ألقيت في فلاة من الأرض) أي: في مكان واسع من الأرض؛ فماذا ستكون هذه القطعة في هذه الفلاة؟ لا تكاد تُذكَر؛ هذا كله يبين عظمة الله سبحانه وتعالى.

وهذا الذي ذكره ابن جرير مرسل، يعني من قسم الضعيف.

قال: **(وعن ابن مسعود؛ قال: بين السماءِ الدُّنْيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعَرْشُ فوقَ الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم". أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله.**

قاله الحافظ الذهبي؛ قال: وله طرق[(١)])

(بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام) بين السماء الدنيا والسماء التي فوقها خمسمائة عام.

(وبين كل سماء خمسمائة عام) بين كل سماء وسماء؛ وهن سبع سماوات.

---

(١) أخرجه الطبري (٧٩٨٧).

(وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام) يعني بعد الكرسي يوجد ماء.

(والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم) يعني مع أنه في هذا العلو؛ إلا أنه لا يخفى عليه شيء.

قال: **(وعن العباس بن عبد المطلب؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "هل تدرون كم بين السماء والأرض؟" قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: "بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكِثَفُ كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحرٌ، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم". أخرجه أبو داود وغيره[1])**

وهو ضعيف.

على كل حال: المقصود من كل هذا: أن يبيّن عظمة الله تبارك وتعالى وقدره، وأن هذه المخلوقات كلها أمام عظمته لا تساوي شيئاً؛ هذا المقصود من أول الباب إلى آخره، وإذا عظّمنا الله سبحانه وتعالى حق تعظيمه؛ لم نشرك به شيئاً، ووحّدناه بجميع أنواع التوحيد.

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم التوحيد، وأن يحيينا عليه وأن يميتنا عليه وأن يثبتنا على طاعته إلى أن نلقاه خصوصاً في هذا الزمن المليء بالفتن، وأن يشغلنا بطاعته ولا يشغلنا بأنفسنا ولا بالفتن.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحمنا وإياكم برحمته، وأن يعلمنا وأن يجعل علمنا هذا نافعاً لنا، وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

---

(١) (٤٧٢٣)، وأحمد (١/٢٠٦-٢٠٧)، والترمذي(٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣).

وبذلك نكون قد انتهينا من شرح الكتاب بفضل الله تبارك وتعالى ومنّه وكرمه علينا، نسأل الله أن ينفعنا به. والسلام عليكم ورحمة الله.